تهذيب

شرح السنة

هذبه وحققه وعلق عليه

شعيب الأرنؤوط

الجزء السابع

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

تهذيب

شرح السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٢م / ١٤٣٣هـ

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LLC.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي وصلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

كتاب الفضائل

باب

فضائل سيد الأولين والآخرين محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين وشمائله

وهو مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِالله، بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، بْنِ هَاشِمِ، بْنِ عَبْدِ مَنَافِ، بْنِ قُصَيٍّ، بْنِ كِلاَبِ، بْنِ مُرَّةَ، بْنِ كَعْبِ، بْنِ لُؤَيٍّ، بْنِ غَالِبِ، ابْنِ فِهْرِ، بْنِ مَالِكِ، بْنِ النَّضْرِ، بْنِ كِنَانَةَ، بْنِ خُزَيْمَةَ، بْنِ مُدْرِكَةَ، ابْنِ إلياسَ، بْنِ مُضَرَ، بْنِ نِزَارِ، بْنِ مَعَدِّ، بْنِ عَدْنَانَ.

ولا يَصِحُّ حِفْظُ النَّسَبِ فَوقَ عَدْنَانَ. وقُرَيْشٌ: هُمْ أَوْلادُ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ تَفَرَّقُوا في البِلادِ، فَجَمَعَهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلابٍ في مَكَّةَ، سُمُّوا قُرَيْشاً، لأنَّهُ قَرَشَهُمْ، أيْ: جَمَعَهُمْ. وَلِكِنَانَةَ وَلَدٌ سِوَى النَّضْرِ، وَهُمْ لَا يُسَمَّوْنَ قُرَيْشاً، ولأَنَّهُمْ لَمْ يُقْرَشُوا.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقَالَ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وخَاتِمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أيْ: خَتَمَهُمْ، فَهُوَ خَاتِمٌ لَهُمْ، وَقُرِىء خَاتَمُ بفتح التاء، وهي قراءة عاصم وحده، والمعنى على هذه القراءة: أنهم به ختموا، فهو كالخاتم والطابع لهم. وقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أيْ: عَطفاً وَصُنْعاً.

٣٤٤٨-- عن واثلة بن الأسقع قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إسْماعِيلَ، واصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنانَةَ قُرَيْشاً، واصْطفى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

٣٤٤٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنٍ فقَرْنٍ، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٥٧).

القَرْنُ: كلُّ طبقةٍ مقترنين في وقتٍ، قيل: سمي قرْناً لأنه يَقرنُ أمةً بأمةٍ، وعالماً بعالم، وهو مصدر: قرنْتُ ،جُعل اسماً للوقت أو لأهله، وقيل القَرْنُ: ثمانونَ سنة، وقيل: أربعون، وقيل: مِئَة سنة.

٣٤٥٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الأنْبياءِ إلّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ مَا آمَنَ عَلى مِثْلِهِ البَشَرُ، وَإنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللهُ إليَّ، فَأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَومَ القِيَامَةِ».

هٰذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

٣٤٥١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ المَغَانِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إلَى النَّاسِ عَامَّةً».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

قوله: «نُصِرت بالرُّعب مسيرةَ شهرٍ» معناه: أنَّ العدوَّ يخافني، وبيني وبينه مسافةُ شهر، وذلك من نصرِالله إيَّاه.

وقوله: «جُعِلتْ لِيَ الأرضُ مسجداً» أراد أنَّ أهل الكتابِ، ما أبيحت لهم الصلاة إلا في بِيَعهمْ وكنائسهم، وأباح الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة الصلاةَ حيث كانوا تخفيفاً عليهم وتيسيراً، ثم خصَّ منها المقبرة والحمَّام، والمكانَ النَجِسَ، فنُهوا عن الصلاة فيه.

وقوله: «وَطَهوراً» أراد به التراب، كما بينه في حديث حذيفة «جُعِلتْ لنا الأرض كلها مسجداً، وجُعلتْ تُربتُها لنا طَهوراً» أخرجه مسلم (٥٢٢).

وقوله: « وأحِلَّتْ ليَ المغانم» أراد أنَّ الأممَ المتقدِّمةَ منهم من لم يَكُنْ أبيحَ لهم جهادُ الكفار، فلم يكنْ لهم مغانم، ومنهم مَنْ أبيحَ لهم الجهاد، ولكن لم تُبحْ لهم الغنائم، فكانت غنائمهم توضعُ، فتأتي نارٌ، فتحرقها، وأباحها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمَّة.

وقوله: «أعطيتُ الشَّفاعة» فهي الفضيلة العظمى التي لا يُشاركُهُ فيها أحدٌ يوم القيامة، وبها سادَ الخلْقَ كلَّهُمْ حتى قال: «أنا سيِّدُ وَلِدِ آدَمَ » أخرجه مسلم (٢٢٧٨). وهو المقامُ المحمودُ الذي أعطاه الله عزَّ وجلَّ.

٣٤٥٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلى الأنْبياء بِستٍّ: أُوتِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْب، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٥٢٣).

قوله: «أوتيتُ جوامع الكلم» قيل: يعني القُرآنَ، جَمَعَ اللهُ سبحانه وتعالى بلطفه معاني كثيرة في ألفاظٍ يسيرة، وقيل: معناه: إيجاز الكلام في إشباعٍ من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني، وأنواعاً من الأحكام.

٣٤٥٣- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَتُلَّتْ فِي يَدِي».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٧٢٧٣).

قوله: «أُتيت بمفاتح خزائن الأرض فتُلَّتْ في يدي» يحتمل أن يكون هذا إشارةٌ إلى ما فُتِحَ لأمته وجنوده من الخزائن، كخزائن كسرى وقيصر، ويحتمل أن يكون المرادُ منه معادنَ الأرض التي فيها الذهب والفضة وأنواع الفِلِزِّ، أي: ستُفتح البلدان التي فيها هذه المعادن والخزائن، فتكون لأمته. قال أبو هريرة: ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها. أي: تستخرجونها. وقوله: «تُلَّتْ في يدي» أي: ألقِيتْ في يدي.

٣٤٥٤- عَنْ همَّامِ بن منبّه، حدثنا أبو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مثلي ومَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلي، كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتاً، فأحْسَنَها، وَأجْمَلَهَا، وَأكْمَلَهَا إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ، وَيُعْجِبُهُمُ البُنْيَانُ، فَيَقُولُونَ: ألا وُضِعَتْ هاهُنَا لَبِنَةٌ، فَتَمَّ بِنَاؤُهُ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ».

أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

٣٤٥٥- عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعيسى ابْنِ مَرْيَمَ في الأُولَى وَالآخِرَةِ» قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ، وَأُمَّهَاتُهُم شَتَّى، وَدِينُهُم وَاحِدٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا نبيٌّ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

قوله: «إخوةٌ من عَلاَّتٍ» ما ذكر في الحديث أنَّ أمهاتهم شتىً ودينهم واحدٌ، يُقال لأخوةِ بني أب وأم: بنو الأعيان، فإن كانوا لأمّهات شتى، فهم بنو العلاّتِ، فإن كانوا لآباءٍ شتَّى، فهم أخيافٌ.

يريد: أنَّ أَصْلَ دين الأنبياء واحد، وإن كانت شرائعهُم مختلفة، كما أن أولادَ العَلاَّتِ أبوهم واحد، وإن كانت أمهاتهم شتَّى.

٣٤٥٦- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابنِ مَرْيَمَ، الأَنْبِيَاءُ أَوْلادُ عَلاَّتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ مَرْيَمَ نَبِيٌّ».

انظر الحديث السالف.

وكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بُنْيَانُهُ، تُرِكَ مِنْهُ مَوْضِعُ لَبِنَةٍ، فَطَافَ بِهَا النُّظَّارُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ حُسْنِ بِنَائِهِ إِلَّا مَوْضَعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ، لَا يَعِيبُونَ سِواهَا، فَكُنْتُ أَنَا سَدَدْتُ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ، خُتِمَ بِيَ البُنْيَانُ، وَخُتِمَ بِيَ الرُّسُلُ».

انظر الحديث التالي.

٣٤٥٧- عَـنْ أبـي هُـرَيْـرَةَ أنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قـالَ: «مَثلِـي وَمَثَـلُ الأنبيَاء كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَاناً، فأحْسَنَهُ وَأجْمَلَهُ إلّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زاويَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هٰذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأنَا اللَّبِنَةُ، وَأنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ».

هذا حديثٌ متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

٣٤٥٨- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ بَعَثَنِي لِتَمامِ مَكَارِمِ الأخْلاقِ، وتَمَامِ مَحَاسِنِ الأفْعَالِ».

حديث صحيح بشواهده وإسناد حديث جابر عند البغوي ضعيف، وله شاهد من حيث أبي هريرة عند أحمد (٨٩٥٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) وغيرهما وسنده قوي وانظر تمام تخريجه في «المسند».

٣٤٥٩- وذَكَرَ مَالِكٌ أنَّهُ بَلَغَهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخْلاقِ.

هو في «الموطأ» ٢/ ٦٩٠، قال ابن عبدالبر في «التمهيد» ٢٤/ ٣٣٣: وهٰذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره.

٣٤٦٠- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أنَا أوَّلُهُم خُرُوجاً، وأنَا قَائِدُهُم إذا وَفَدُوا، وَأنَا خَطِيبُهُم إذا أنْصَتُوا، وَأنَا مُسْتَشْفِعُهُم إذا حُبِسُوا، وَأنَا مُبَشِّرُهُمْ إذا أيِسُوا الكَرَامَةَ، وَالمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَلِواءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأنَا أكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلى رَبِّي، يَطُوفُ عَلَيَّ ألْفُ خَادِمٍ، كَأنَّهُم بَيْضٌ مَكْنُونٌ، أوْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ».

هذا حديث غريبٌ ضعيفُ الإسنادِ أخرجه الترمذي (٣٦١٠) وآفتُهُ ليث بن أبي سُلَيْم.

٣٤٦١- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأوَّلُ شَافِعٍ، وَأوَّلُ مُشَفَّعٍ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

ورُوِيَ عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «أنا حبيبُ الله ولا فخرَ، وأنا حاملُ لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دَونه ولا فخر، وأنا أول شافعٍ، وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أَوَّل مَن يحرك حَلقَ الجنةِ، فيفتحُ اللهُ لي، فيدخلُنيها، ومعي فقراءُ المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرمُ الأولينَ والآخرين على الله ولا فخر». إسناده ضعيف، أخرجه الدارمي ١/٢٦.

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ برواية أبي سعيد الخدريِّ: «لا تُخيِّروا بين الأنبياء» أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤).

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تُفَضِّلوا بين أنبياء الله» أخرجه الشيخان. وليس معنى النهي عن التخيير أن يعتقدَ التسوية بينهم في درجاتهم، فإن الله عزَّ وجلَّ قد أخبرنا أنه فضَّل بعضهم على بعض، فقال سبحانه: ﴿تلكَ الرسلُ فضَّلنا بعضهم، على بعضٍ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣] بل معناه تركُ التخيير على وجه الإزراء ببعضهم والإخلال بالواجب من حقوقهم، فإنه يكون سبباً لفساد الاعتقاد في بعضهم، وذلك كُفْرٌ.

فإن قيل: قد رُوي عن أبي هريرة أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا تُفضِّلوا بين أنبياء الله، ولا أقول: إنَّ أحداً أفضل من يونس بن مَتَّى» أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن مَتَّى» أخرجه البخاري (٣٤١٣). فكيف وجه الجمع بين هذا وبين قوله عليه السلام: «أنا سيد ولدِ آدم».

قيل: التوفيقُ بين الحديثين واضحٌ، وذلك أن قوله: «أنا سيد ولد آدم، إنما هو إخبارٌ عما أكرمه اللهُ به من الفضل والسُّؤْدُدِ، وتحديثٌ بنعمة الله عليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وأما بنعمة ربِّكَ فحدِّثْ﴾[الضحى: ١١]. وإعلامٌ لأمته وأهل دعوته عُلوَّ مكانِه عند ربِّه، وكان بيان ذلك للأمَّة من اللازم المفروض عليه، ليكون إيمانُهم به على حَسَبِ ذلك.

وقوله: «لا فَخْرَ» أي: إنما أقوله مُعتدّاً بالنعمة لا فخراً واستكباراً، أو أقوله تبليغاً لما أُمِرتُ به لا افتخاراً.

وقوله: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس» ويُروى «مَنْ قالَ: أنا خيرٌ من يونس بن مَتَّى فقد كذب» فقد قيل: أراد به مَنْ سِواه من الناس دون نفسه، وقيل: هو عامٌّ فيه وفي غيره، وكان ذلك منه على سبيل إظهار التواضع لربِّه يقول: لا ينبغي لي أن أقوله، لأنَّ الفضيلة التي نلتها كرامةٌ من الله وخصوصيةٌ منه، لم أنلها من قِبَلِ نفسي، ولا بلغتها بحولي وقوَّتي، وإنما خصَّ يونس بالذِّكر - والله أعلم - لما قد قصَّ الله علينا من شأنه، وما كان من قلة صبره على أذى قومه، حتى قال لرسول الله ﷺ: ﴿ولا تكنْ كصاحبِ الحوتِ﴾ [القلم: ٤٨] ﴿فاصْبِرْ كما صَبر أُولوا العزم من الرسل﴾[الأحقاف: ٣٥] والله أعلم.

٣٤٦٢- عَنْ عِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي عِنْدَ اللهِ مَكْتُوبٌ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ، وسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ أمري دَعْوةُ إبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤيَا أُمِّي الَّتي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي، وَقَدْ خَرَجَ لَهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ.

حديث صحيح لغيره أخرجه أحمد (١٧١٥٠)، وصححه ابن حبان (٦٤٠٤)، وانظر تمام تخريجه وشواهده في «المسند».

قوله: «لمُنْجَدِلٌ» أي: مطروحٌ على وجه الأرض صورةً من طين، لم يَجرِ فيه الروح بَعدُ. ودعوةُ إبراهيم عليه السلام قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿ربَّنا وابْعَثْ فيهم رسولاً منهم يَتْلُو عليهم آياتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وبشارةُ عيسى عليه السلام قولُه: ﴿يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ [الصف: ٦].

٣٤٦٣- عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَاللهِ بنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قُلْتُ: أخبرني عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في التَّوراةِ؟ قَالَ: أَجَلْ واللهِ إنَّه لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوراةِ بِبَعْضِ صِفَتِه فِي القُرْآنِ: يَا أَيُّها النَّبيُّ إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَحِرزاً للأُمِّيِّينَ، أنتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المُتوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلٰكِنْ يَعْفُو وَيغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إلٰهَ إلّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُناً عُمْياً وَآذَاناً صُمّاً، وَقُلُوباً غُلْفاً».

أخرجه البخاري (٢١٢٥).

قوله: «ليس بفظٍّ» أي: غليظ الجانب، سيء الخُلُقِ، ومنه قوله سبحانه تعالى: ﴿ولو كنتَ فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و«السَّخَّابُ» من السَّخَب وهو لغة في الصَّخَبِ.

٣٤٦٤- عَنْ كَعْبٍ قَالَ: إنِّي أَجِدُ فِي التَّوراةِ مَكْتُوباً: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، لا فَظٌّ ولا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَّابٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي

السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئَةِ، وَلٰكِنْ يَعْفُو ويَصْفَحُ، أُمَّتُهُ الحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ اللهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيُكَبِّرُونَهُ عَلى كُلِّ نَجْدٍ، يأْتَزِرُونَ إلى أَنْصَافِهِم، وَيُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، صَفُّهُمْ فِي الصَّلاَةِ، وَصَفُّهُمْ فِي القِتَالِ سَوَاءٌ، مُنَادِيهِم يُنادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، لَهُمْ فِي جَوفِ اللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهاجَرُهُ بِطَابَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ.

أخرجه الدارمي ١/ ٤ ورجال إسناده ثقات.

وروي عن أبي صالح ذكوان، عن كعب يحكي عن التوراة قال: نجد مكتوباً: محمدٌ رسولُ اللهِ، عبدي المختار، لا فظٌّ ولا غليظٌ، ولا سخَّابٌ بالأسواقِ، لا يجزي بالسيئة السيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرتُه بطيبة، ومُلْكُه بالشام، وأمته الحمَّادون يَحمدون الله في السرَّاء والضرَّاء، يحمدون الله في كلِّ منزلةٍ، ويكبِّرونه على كلِّ شرفٍ، رُعاة للشمس، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها، يتأزرون على أنصافهم، ويتوضَّؤون على أطرافهم، مناديهم ينادي في جوِّ السماء، صفُّهم في القتال، وصفهم في الصلاة سواءٌ، لهم بالليل دويٌّ كدويِّ النحل.

أخرجه الدارمي ١/ ٥ وفي إسناده زيد بن عوف ضعَّفه الدارقطني وغيره.

باب
أسماء النبي صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٤٦٥- عَنْ محمد بن جبير بن مُطعمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي، يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرُ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنا العَاقِبُ» والعَاقِبُ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

٣٤٦٦- عَنْ محمد بن جبير بن مطعم، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا أَحْمَدُ، وأَنَا مُحَمَّد، وأَنَا المَاحِي الَّذي يَمْحُو اللهُ بِهِ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وأَنَا العَاقِبُ» قَالَ: قُلْتُ لِلزُّهرِي: مَا العَاقِبُ؟ قَالَ: الَّذي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٥٤).

قوله: «يُحْشَرُ الناسُ عَلى قَدَمي» أي: أنه يُحشر أول الناس، كقوله: «أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض» والعاقب: الآخر، يريد خاتم الأنبياء. قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ١٤٧: ولذلك كلُّ شيءٍ خلف بعد الشيء، فهو عاقب، وقد عَقَب يَعقُبُ عَقباً وعُقُوباً، ولهذا قيل لولد الرجل بعده: هو عَقْبُه.

٣٤٦٧ - عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: لَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَعْضِ طَرِيقِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وأَنَا أَحْمَدُ، وأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوبَةِ، وأَنَا المُقَفِّي، وأَنَا الحَاشِرُ، وَنَبِيُّ المَلاحِمِ».

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٦٨) بسند حسن.

وقد صحَّ عن جابرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنما سمِّيتُ قاسماً أقسِمُ بينكم» أخرجه البخاري (٣١١٤).

قال ابنُ الأعرابي: المقفِّي: المتَّبعُ للنبيين، وقال شِمْرٌ: المقفِّي: والعاقبُ واحدٌ، وهو المولِّي الذاهب، يُقالُ: قفَّى عليه: إذا ذهبَ، فكان المعنى: أنه آخرُ الأنبياء، فإذا قفَّى، فلا نبيَّ بعده. فإن قيل: قد قال عليه السلامُ: «أنا نبيُّ الرَّحمةِ، ونبيُّ الملاحم» كيف وجهُ الجمع بينهما؟ وقال عليه السلامُ: «إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ» صححه الحاكم ١/ ٣٥ ووافقه الذهبي. وقال: «بُعثتُ بالرحمة»

أخرجه مسلم (٢٥٩٩). وقال جلَّ ذكره: ﴿وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فكيف يكون مبعوثاً بالرحمة، وقد بُعِثَ بالسيف؟ قيل: هو مبعوثٌ بالرحمة، كما ذكر، وكما أخبر الله سبحانه وتعالى، وذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء عليهم السلام، وأيدهم بالمعجزات، فمن أنكر من تلك الأمم الحقَّ بعد الحُجة والمعجزة عُذِّبوا بالهلاك والاستئصال، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه عليه السلام بالجهاد معهم بالسيف، ليرتدعوا عن الكفر، ولم يُجتاحوا بالسيف، فإن للسيف بقيَّةً، وليس مع العذاب المنزل بقيَّةٌ. وقد روي أن قوماً من العرب قالوا: يا رسولَ الله أفنانا السيف، فقال: «ذلك أبقى لآخرِكمْ» فهذا معنى الرحمةِ المبعوث بها ذكرَهُ الخطَّابي.

ومما يؤيِّد ذلك حديثُ عائشةَ: إن الله سبحانه بَعثَ إليه ملَكَ الجبال، فقال: إن شئت أن أُطبقَ عليهم الأخْشَبَين، فقال رسولُ الله ﷺ: «بَل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم مَنْ يعبُدُ الله وحدَه لا يُشرِكُ به شيئاً» أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

وهو مبعوثٌ بالرحمة أيضاً من حيث إنَّ الله وضع في شريعته عن أمَّته ما كان في شرائع الأمم السالفة عليهم من الآصار والأغلال، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه في قصة موسى عليه السلام: ﴿ورحمتي وَسِعتْ كلَّ شيءٍ فسأكْتُبُها للذين يتَّقون﴾ [الأعراف: ١٥٦] إلى قوله: ﴿ويَضع عنهم إصْرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [الأعراف: ١٥٧] وأعطى أمته في الأعمار القصيرة على الأعمال اليسيرة ضِعْفَ ما أعطى الأمم الماضية في الأعمار الطويلة على الأعمال الكثيرة الثقيلة، كما جاء في حديث ابن عمر: «إن اليهود والنصارى قالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاءً؟ قال الله سبحانه وتعالى: فذلك فضلي أُوتيه مَنْ أشاء» أخرجه البخاري (٥٥٧). فقد أكمل الله سبحانه وتعالى على الخلائق بإرسال الرَّحمة، وأتمَّ عليهم النِّعمة، وأعظمَ عليهم المنَّةَ، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

باب

خاتم النبوة

٣٤٦٨- عن الجعد بن عبدالرحمٰن قال: سَمِعْتُ السَّائِبَ بن يَزِيدَ يَقُولُ: ذَهبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ فَمَسَحَ رَأْسِي، ودَعَا لِي بالبَرَكَةِ، وتَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، وَقُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الخَاتَمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فإذا هُوَ مِثْلُ زِرِّ الحَجَلَةِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٣٥٢)، ومسلم (٢٣٤٥). وأراد بزرِّ الحجَلة: الأزرار التي تشدُّ على ما يكون في حجال العرائس من الكِللِ والستور. قال الخطابيُّ: وسمعت من يقول: زرُّ الحجلةِ بيضةُ حجلِ الطير، يُقال للأنثى منها: الحَجلةُ، وللذكر: اليعقوبُ، وهذا شيءٌ لا أحقُّه.

٣٤٦٩- عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ قَالَ: رَأيتُ الخَاتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ غُدَّةً حَمْرَاءَ مِثْلِ بَيْضَةِ الحَمَامَةِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٤)، وقال: «مثل بيضة الحمامة يُشْبِه جسَدَهُ».

٣٤٧٠- عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ: رَأيتُ النَّبيَّ ﷺ، وَدَخلْتُ عَلَيْهِ، وَأكَلْتُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرِبْتُ مِنْ شَرَابِه، وَرَأيتُ خَاتَمَ النُّبُوَّةِ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ اليُسْرَى، كَأَنَّهُ جَمْعُ خِيلاَنٍ سُودٍ، كَأَنَّها ثآلِيلُ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٦).

نُغْضُ الكَتِفِ: هو العظمُ الرقيق على طرفها، والناغض من الإنسان أصلُ العنق حيث يُنغض رأسه، وقيل: الناغض: فرعُ الكتف سمي ناغضاً لِتحركه، ومنه قولُه سبحانه وتعالى: ﴿فسيُنغضونَ إليك رؤوسهم﴾ [الإسراء: ٥١] أي: يحركونها على سبيل الهزء.

باب
صفة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٤٧١- عَنْ أنَس بْنِ مَالِكٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بالطَّويلِ البَائِنِ، وَلَا بالقَصِيرِ، وَلَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ، وَلَيْسَ بِالآدَمِ، وَلَا بِالجَعْدِ القَطَطِ، وَلَا بِالسَّبْطِ، بَعَثَهُ اللهُ عَلى رَأسِ أرْبَعِينَ سَنَةً، وَأقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَلى رَأسِ سِتِّينَ سَنَةً، وَلَيْسَ فِي رَأسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧).

قوله: «ليس بالأبيض الأمْهَق» الأمهَقُ: الشديدُ البياض الذي لا يخالطُ بياضه شيءٌ من الحمرة كلونِ الجصِّ. والجعد القططُ: الشديد الجعودة مِثل أشعار الحبش، والسَّبطُ: الذي ليس له تكسُّرٌ، يقول: هو جَعْدٌ رجِلٌ.

٣٤٧٢- عن أنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ ضَخْمَ الرَّأسِ وَالقَدَمَيْنِ لَمْ أرَ بَعدَهُ وَلا قَبْلَهُ، وَكَانَ بَسْطَ الكَفَّيْنِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٥٩٠٧).

٣٤٧٣- عن قتادة قال: سَألْتُ أنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ شَعَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: كَانَ شَعَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجِلاً لَيْسَ بِالسَّبْطِ وَلَا الجَعْدِ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٥٩٠٥)، ومسلم (٢٣٣٨).

٣٤٧٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ شَعَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى نِصْفِ أُذُنَيْهِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٣٨) (٩٤).

٣٤٧٥- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبْعَةً، وَلَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلا بِالقَصِيرِ، حَسَنَ الجِسْمِ، وَكَانَ شَعَرُهُ لَيْسَ بِجَعْدٍ وَلَا سَبِطٍ، أَسْمَرَ اللَّوْنِ إذَا مَشَى يَتَوَكَّأُ.

أخرجه أبو داود (٤٨٦٣)، والترمذي (١٧٥٤) بإسنادٍ حسن.

قوله: رَبْعَةً: هو الرَّجُل بين الرَّجُلين، كما قال: ليس بالطويل ولا بالقصير.

٣٤٧٦- عنْ عَلِيٍّ بنِ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِالقَصِيرِ، ضَخْمَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، شَثْنَ الكَفَّيْنِ، مُشْرَبٌ حُمْرَةً، ضَخْمَ الكَرَادِيسِ، طَوِيلَ المَسْرُبَةِ، إذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفِّياً، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

حسن لغيره، أخرجه أحمد (٧٤٦)، والترمذي في «الشمائل» (٥)، و«الجامع» (٣٦٤١) وقال: هذا حديث صحيح.

قوله: شَثْن الكفين، أي: غليظهما، يُقال منه: شَثْن وشَثِن شَثَناً وشَنِث شَنَثاً. قوله: مشربٌ حمرةً: إذا كانَ في بياضه حُمرةٌ.

قوله: ضخم الكراديس. أراد: ضَخمَ الأعضاء، والكراديس: رؤوس العظام، وقيل لكتائب الخيل: كراديس.

قوله: طويل المسرُبَةِ. وفي حديث هند بن أبي هالة: دقيق المسربة، فالمسربة: الشعر المستدقُّ من الصدر إلى السُرَّة. وقوله: إذا مشى تكفّأ تكفّياً،

أي: تمايل إلى قُدَّامٍ، كما تتكفأ السفينة في جريها، والصَّبَبُ: الحدور، وهو ما انحدر من الأرض وجمعه أصبابٌ، يريد: أنه كان يمشي مشياً قوياً يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً لا كمن يمشي اختيالاً، ويقارب خطاه تنعُّماً.

٣٤٧٧- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ فِي سَاقَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمُوشَةٌ، وَكَانَ لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّماً، فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ، قُلْتُ: أَكْحَلُ العَيْنَيْنِ، وَلَيْسَ بِأَكْحَلَ.

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢٢٧)، وفي «الجامع» (٣٦٤٨) وفي إسناده الحجاج بن أرطأة وهو مدلس وقد عنعن. وأخرجه أحمد (٢١٠٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٢٤).

قوله: «الحموشة» هي الدِّقَّةُ.

٣٤٧٨- عن سماك بن حربٍ، قال: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَلِيعَ الفَمِ، أَشْكَلَ العَيْنَيْنِ، مَنهُوشَ العَقِبِ. قَالَ شُعْبَةُ بنُ الحجاج ـ راوي الحديث ـ: قُلْتُ لِسِمَاكٍ: مَا ضَلِيعُ الفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الفَمِ، قُلْتُ: مَا أَشْكَلُ العَيْنَيْنِ. قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ العَيْنِ. قُلْتُ: مَا مَنْهُوشَ العَقِبِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحمِ العَقِبِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣٩).

قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٣٨٩: الشُّكلةُ حُمرَةٌ في بياض العين، والشُّهلة: حُمرةٌ في سواد العين. ويُروى: منهوس القدمين بالسِّين غير المعجمة، ومعناهُ أيضاً: قليل لحمها، والنهس: أخذ ما على العظم من اللحم بأطراف الأسنان، والنهش بالأضراس، ويقال: نُهِشَتْ عضداه: إذا دقتا.

٣٤٧٩- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ».

أخرجه الدارمي (٥٨)، والترمذي في «الشمائل» (١٥) وإسناده ضعيف فيه عبد العزيز بن أبي ثابت، ضعيف.

٣٤٨٠- عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ شَعَرٌ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ، بَعِيْدُ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَمْ يَكُنْ بِالقَصِيْرِ، وَلَا بِالطَوِيلِ.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣٧) (٩٢).

اللُّمَّةُ: دون الجمَّةِ سمِّيتْ لِمَّةً، لأنها أَلَمّت بالمنكبين، فإذا زادتْ، فهي الجُمَّةُ.

٣٤٨١- عَنْ البَرَاءِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعاً، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعَرٌ بَلَغَ شَحْمَةَ أُذُنِهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

٣٤٨٢- سُئِلَ البَرَاءُ بن عازب: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِثْلَ القَمَرِ.

أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

٣٤٨٣- عَنْ سعيد الجُريريِّ قال: سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَما بَقِيَ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ رَآهُ غَيْرِي، قُلْتُ: صِفْهُ لِي، قَالَ: كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحاً مُقَصَّداً.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٤٠).

قوله: مُقصَّداً، أي: ليس بجسيمٍ، ولا قَصيرٍ، قيل: هو القَصْدُ من الرِّجال نحو الرَّبْعةِ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ومنهم مُقتَصِد﴾ [لقمان: ٣٢] أي: بينَ الظالم لنفسه، والسابق بالخيرات.

٣٤٨٤-عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأيتُ شَيئاً أحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأيْتُ أحداً أسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَأنَّما الأرْضُ تُطْوَى لَهُ، إنَّا لَنُجْهِدُ أنْفُسَنَا، وَإنَّهُ لَغيْرُ مُكْتَرِثٍ.

حديث حسن أخرجه أحمد برقم (٨٦٠٤)، والترمذي في «الشمائل» (١٢٤)، و«الجامع» (٣٦٤٨). وانظر تمام تخريجه والكلام عليه في «المسند».

٣٤٨٥- كَانَ عَلِيُّ بْنُ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا وَصَفَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: كَانَ أجْوَدَ النَّاسِ كَفّاً، وأَجْرأَ النّاسِ صَدْراً، وأصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأوْفَاهُمْ ذِمَّةً، وَألْيَنَهُمْ عَرِيْكَةً، وَأكْرَمَهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيْهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ فَعَرَفَهُ، أحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

أخرجه أبو الشيخ مختصراً في «أخلاق النبي » ﷺ (٨٧) وفي سنده انقطاع، وأخرجه بأتمَّ مما هنا الترمذي (٣٦٣٨) وقال: هذا حديث حسن غريب ليس إسناده بمتَّصل.

٣٤٨٦- عَنْ جَابِرٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: عُرِضَ عَلَيَّ الأنْبِيَاءُ، فَإذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأيْتُ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإذَا أقْرَبُ مَنْ رَأيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأيتُ إبْرَاهِيمَ، فَإذا أَقْرَبُ مَنْ رأَيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُم يَعْنِي نَفْسَهُ، وَرَأيْتُ جِبْرِيلَ، فَإذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأيْتُ بِهِ شَبَهاً دِحْيَةُ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٧).

قوله: ضَرْبٌ من الرِّجال، يُقالُ: ضَرْبٌ، أي: خفيف اللحم.

باب

شَيْبِه وخِضابه صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٤٨٧- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأنَسِ بْنِ مَالِكٍ: هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: لَمْ يَبْلُغْ ذٰلِكَ، إنَّمَا كَانَ شَيْباً فِي صُدْغَيْهِ، وَلٰكِنْ أبُو بَكْرٍ خَضَبَ بِالحِنّاءِ والكَتَمِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٥٨٩٤)، ومسلم (٢٣٤١).

٣٤٨٨- عَنْ أنسٍ قَالَ: مَا عَدَدْتُ فِي رَأسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِحْيَتِهِ إلّا أرْبَعَ عَشْرَةَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ.

إسناده صحيح، أخرجه أحمد برقم (١٢٦٩٠)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٢٠١٨٥).

٣٤٨٩- عَنْ سِماكِ بن حربٍ قال: قِيلَ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أكَانَ في رأسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْبٌ؟ قالَ: لَمْ يَكُنْ في رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْبٌ إلَّا شَعَرَات فِي مَفْرِقِ رَأسِهِ، إذَا ادَّهَنَ، وَارَاهُنَّ الدُّهْنُ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

٣٤٩٠- عن حَريز بن عثمان أنه سَألَ عَبْدَاللهِ بْنَ بُسْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ شَيْخاً، قَالَ: كَانَ فِي عَنْفَقَتِهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٤٦) . و«العَنْفَقَةُ» شُعيراتٌ بين الشَّفة السفلى والذَّقَنِ.

٣٤٩١- عَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ شَيْبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَحْواً مِنْ عِشْرِينَ شَعْرَةً.

هذا حديث حسن لغيره، أخرجه أحمد برقم (٥٦٣٣)، وابن ماجه (٣٦٣٠) وصحَّحه البوصيري في «الزوائد» ٣/٥٦، وابن حبان (٦٢٩٤) وانظر تمام تخريجه في «المسند».

٣٤٩٢- عن إياد بن لقيطٍ، أَخْبَرَنِي أبو رِمْثَةَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ مَعَ ابْنٍ لِي، فَقَالَ: «ابْنُكَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ أَشْهَدُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَجْنِي عَلَيْكَ، وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ» قَالَ: وَرَأَيْتُ الشَّيْبَ أَحْمَرَ.

أخرجه أحمد برقم (٧١٠٧)، والترمذي في «الشمائل» (٤٥)، وأبو داود (٤٢٠٨) وغيرهما بإسنادٍ صحيح.

وقال سفيان الثوري عن إياد بن لقيط العِجْلي، عن أبي رِمثةَ: أتيتُ النبيَّ عليه السلام، وكان قد لطخ لحيتهُ بالحنَّاء.

باب
طيب ريحه عليه السلام

٣٤٩٣- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ مِسْكَةً وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئاً قَطُّ خَزَّةً وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٢٩).

وروي عن أنس، عن أم سُليم أن النبي ﷺ كان يأتيها، فيقيل عندها، فكانت تجمع عَرَقهُ، فَتجعله في الطِّيب، وكان كثيرَ العَرَق. أخرجه مسلم (٢٣٣٢).

٣٤٩٤- عَنْ جابِرِ بنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إلى أَهْلِه، وخَرَجْتُ مَعَهُ، فاسْتَقْبَلَهُ وِلدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أحدهم وَاحِداً وَاحِداً، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا ، فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً أَوْ رِيحاً كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جؤنَةِ عَطَّارٍ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٩).

«وجؤنَةُ العطار»: الوعاء الذي فيه متاعُه.

وفي مَسْحِه صلوات الله وسلامه عليه على الصبيان بيانُ حُسْن خُلُقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم. وقد دلت هذه الأحاديث على بيان طيبه ﷺ وهو ممَّا أكرمه الله تعالى به، وكانت هذه صفته وإنْ لم يمسَّ طيباً، ومع هذا فكان يستعمل الطيب كثيراً مبالغة في طيب ريحه، لملاقاة الملائكة، وأخذ الوحي الكريم. ومجالسة المسلمين. أفاده النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ٨/ ٩٤.

٣٤٩٥- عن ثمامة بن عبدالله: أَنَّ أُمَّ سُلَيْم كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبيِّ ﷺ نِطْعاً، فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلى ذٰلِكَ النِّطْع قَالَ: فَإذَا قَامَ النَّبيُّ ﷺ، أَخَذتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعْرِهِ، فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سُكٍّ. قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسَ بْنَ مَالِكِ الوَفَاةُ، أَوْصَى أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذٰلِكَ السُّكِّ قَالَ: فَجُعِلَ فِي حَنُوطِهِ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٢٨١).

«النِّطْعُ»: بساطٌ يُتَّخذ من الجلد المدبوغ. و«السُّكُّ»: طيبٌ مركَّبٌ.

٣٤٩٦- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبيُّ ﷺ، فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، فَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ العَرَقَ فِيْهَا، فاسْتَيْقَظ

النَّبيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هٰذا الَّذي تَصْنَعِيْنَ؟» قَالَتْ: هٰذا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أطْيبِ الطِّيبِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣١).

قوله: «تَسْلُت»: أي: تَمْسحه وتتبعه بالمسحِ وهذا من خصوصياته ﷺ. انظر «الفتح» ١١/ ٧٩.

٣٤٩٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا نَعْرِفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إذا أقْبَلَ بِطيبِ رِيحِه.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٢٢٦) وفي سنده ضعف لضعف عمر بن سعيد الأبح، قال البخاري: منكر الحديث.

باب
حُسْنِ خُلُقِه صلَّى الله عليه وسلَّم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] قَالَ عَطِيَّةُ العَوْفِيُّ: أَدَبُ القُرْآنِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ.

٣٤٩٨- عن أبي إسحاق قال: سَمِعْتُ البَرَاء يَقولُ: كَانَ رسُولُ اللهِ ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً، وَأحْسَنَهُ خُلُقاً، لَيْسَ بِالطَوِيلِ البَائِنِ، وَلَا بِالقَصِيرِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٥٤٩).

٣٤٩٩- عن أَنَس بنِ مالِكٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِيْنَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيءٍ صَنَعْتُه لِمَ صَنَعْتَه؟ وَلَا لِشَيءٍ تَركْتُهُ لِمَ تَركْتَهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقاً،

وَلَا مَسِسْتُ خزّاً قطُّ، وَلَاحريراً، وَلَاشَيْئاً كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكاً، وَلَا عِطْراً كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٣٠) و(٢٣٠٩).

٣٥٠٠- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِيْنَ لَيْسَ كُلُّ أمْري كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أَنْ يَكُونَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَمَا قَالَ لِي: لِمَ فَعَلْتَ هٰذا، أو ألا فَعَلْتَ.

٣٥٠١- عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ عَمْرٍو قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً، وَكَانَ يَقُولُ: «خيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً».

أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

٣٥٠٢- عَنْ عائِشَةَ قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ شَيْئاً قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا ضَرَبَ خَادِماً وَلَا امْرأَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

٣٥٠٣ -عَنْ عَائِشَةَ أَنَّها قالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً، وَلَا سَخَّاباً فِي الأَسْواقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلٰكِنْ يَعْفُو أَوْ يَصْفَحُ.

أخرجه أحمد برقم (٢٥٤١٧)، وصحَّحه الترمذي (٢٠١٧) وهو كما قال.

الفاحش: ذو الفحش في كلامه. والمتفحش: الذي يتكلف ذلك ويتعمده.

٣٥٠٤- قَالَ أَنَسٌ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَبَّاباً وَلَا فَحَّاشاً وَلَا لَعَّاناً، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ المَعْتَبَةِ: «مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٠٤٦).

٣٥٠٥- عَنْ أنَسٍ قَالَ: كُنْتُ أمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَد أثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إليْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

وفي الحديث: بيانُ حِلْمه صلوات الله عليه وصَبْره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز عن جفاءِ مَنْ يُريد تألُّفه على الإسلام، ليتأسَّى به الولاةُ بعده في خُلُقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن. أفاده الحافظ في «الفتح» ١٠/ ٥٢٢.

٣٥٠٦- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْماً، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُرِيدَ بِهٰذا وَجْهُ اللهِ، فَأتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِمَا هُوَ أشَدُّ مِنْ هٰذا، فَصَبَرَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

وروي عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادْعُ على المشركين قال: «إني لم أبْعث لعَّاناً، وإنَّما بعثت رحمة» أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

بابُ
تواضعِه صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٠٧-عَنْ أنَسٍ أنَّ امرأةً عَرَضَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ المَدِينَةِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ لِي إلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلانٍ اجْلِسِي فِي أيِّ سِكَكِ المَدِيْنَةِ شِئْتِ أجْلِسُ إلَيْكِ» قَالَ: فَفَعَلَتْ، فَقَعَدَ إلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَها.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه مسلم (٢٣٢٦) من طريق ثابتٍ عن أنسٍ.

وأخرج البخاري (٦٠٧٢) معناه عن محمد بن عيسى، عن هُشيم، عن حميدٍ عن أنسٍ قال: كانت الأمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيدِ رسول الله ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت.

٣٥٠٨-عن مسلم الأعور قال: سَمِعْتُ أنساً يُحَدِّثُ عنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ كَانَ يَعُودُ المَرِيضَ، ويَتَّبِعُ الجِنَازَةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ المَمْلُوكِ، ويَرْكَبُ الحِمَارَ، لَقَدْ رَأيْتُهُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَلى حِمارٍ خِطَامُهُ لِيفٌ.

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٢٥) و«الجامع» (١٠١٧)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي » ص٦٢، وابن ماجه (٤١٧٨)، وسنده ضعيف لضعف مسلم الأعور، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس، ومسلم الأعور يضعف، وهو مسلم بن كيسان.

٣٥٠٩- عَنْ أنَسٍ قَالَ: رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَرْكَبُ الحِمَارَ العُرْيَ، وَيُجِيبُ دعوةَ المَمْلُوكِ، وَيَنَامُ عَلى الأرضِ، وَيَجْلِسُ عَلى الأرْضِ، وَيَأكُلُ عَلى الأرْضِ، وَيَقُولُ: «لَوْ دُعِيتُ إلَى كُراعٍ جِئْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ».

إسناده ضعيف في سنده رَوَّاد بن الجراح والحسن بن عمارة، وكلاهما ضعيف. وأخرج الترمذي في «الشمائل» (٣٣) و«الجامع» (١٣٣٨) من طريق بشر ابن المفضل، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أهدي إلى كراع لقبلت، ولو دعيت عليه لأجبت» وقال: حديث حسن صحيح.

والحمارُ العُرْيُ: هو الذي ليس عليه شيءٌ يضعه الراكب تحته من إكافٍ أو بَرذعة.

٣٥١٠- عن عروة بن الزبير قال: سَألَ رَجُلٌ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ.

إسناده صحيح، أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٢٠٤٩٢) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٣).

قولها: يخصفُ نعله، أي يُطبِّق طاقة على طاقةٍ، وأصل الخَصْف: الجمع والضمُّ، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ [الأعراف: ٢٢] أي: يُطبقان على بدنهما ورقةً ورقةً.

٣٥١١- عن عَمرة بنت عبدالرحمٰن الأنصارية قالت: قِيلَ لِعائِشَةَ: مَاذَا كَانَ يَعْمَلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَشَراً مِنَ البَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ.

حديث حسن أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤١)، وأبو يعلى (٤٨٧٣). وفي سنده عبدالله بن صالح كاتب الليث وإن كان سَيِّئ الحفظ قد تابعه عند أحمد (٢٦١٩٤) حماد بن خالد وسنده حسن.

٣٥١٢- عَنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا صَلَّى الغَدَاةَ، جَاءَ خَدَمُ المَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيْهَا المَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِإنَاءٍ إلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيْهَا، فَرُبَّمَا جَاؤوُهُ فِي الغَدَاةِ البَارِدَةِ، فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٤).

٣٥١٣- عن الأسود قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أهْلِهِ (تَعْنِي خِدْمَةَ أهْلِهِ)، فَإذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ، خَرَجَ إلَى الصَّلاةِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ: أخبرنا شُعْبَةُ: فَإذَا سَمِعَ الأذَانَ، خَرَجَ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٦٠٣٩).

٣٥١٤- عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَـالَ: دَخَلَ نَفَرٌ عَلى زَيْدِ ابْنِ ثَابِتٍ، فَقَالُوا لَهُ: حَدِّثْنَا أحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: مَاذَا أحَدِّثُكُمْ كُنْتُ جَارَهُ، فَكَانَ إذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، بَعَثَ إلَيَّ، فَكَتَبْتُهُ لَهُ، فَكَانَ إذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيا، ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإذَا ذَكَرْنَا الآخِرَةَ، ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإذَا ذَكَرْنَا الطَّعَامَ ذَكَرَهُ مَعَنَا، فَكُلُّ هٰذا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٤٤) وإسناده ضعيف، فيه الوليد بن أبي الوليد ليّن الحديث وسليمان بن خارجة لم يوثقه غير ابن حبان. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٨٨٢).

٣٥١٥- عَنْ أنَسِ بنِ مَالِكٍ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إذَا صَافَحَ الرَّجُلَ، لَمْ يَنْزِعْ يَدَه مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذي يَنْزِعُ يَدَهُ، وَلَا

يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ، وَلَمْ يُرَ مُقَدِّماً رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ.

هذا حديث ضعيفُ الإسنادِ، أخرجه ابن ماجه (٣٧١٦) وآفته زَيْد العمي أحد رواته.

٣٥١٦- عَنْ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ».

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

قوله: «لا تطروني» الإطراءُ: مجاوزة الحدِّ في المدح والكذب فيه، وذلك أن النَّصارى أفرطوا في مدح عيسى وإطرائه بالباطل، وجعلوه ولداً، فمنعهم النبي ﷺ من أن يُطروه بالباطل.

٣٥١٧- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عُطَارِدِ بْنِ حَاجِبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَلأٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَكَتَ فِي ظَهْرِهِ قَالَ: فَذَهَبَ بِي إِلَى شَجَرَةٍ فِيهَا مِثْلُ وَكْرَيِ الطَّيْرِ، فَقَعَدَ فِي أَحَدِهِمَا، وَقَعَدْتُ فِي الآخَرِ، فَنَشَأَتْ بِنَا حَتَّى مَلأَتِ الأُفُقَ، فَلَوْ بَسَطْتُ يَدِي إِلَى السَّماءِ، لَنِلْتُهَا، ثُمَّ دُلِّيَ سَبَبٌ، فَهَبَطَ النُّورُ، فَوقَعَ جَبْرِيلُ مَغشياً عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ حِلْسٌ، فَعَرَفْتُ فَضْلَ خَشْيَتِهِ عَلى خَشْيَتي، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنبِيّاً عَبْداً، أو نَبِياً مَلِكاً وَإِلَى الجَنَّةِ مَا أَنْتَ، فَأَوْمَى إِلَيَّ جَبْرِيلُ وَهُو مُضْطَجِعٌ: بَلْ نَبِياً عَبْداً.

هذا حديث مرسلٌ، وانظر ما بعده.

٣٥١٨- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ، لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي

الكَعْبَةَ، فَقَالَ: إنَّ رَبَّكَ يَقْرَأ عَليكَ السَّلامَ، ويَقُولُ: إنْ شِئتَ نَبيّاً عَبْداً، وَإنْ شِئْتَ نَبيّاً مَلِكاً، فَنَظَرْتُ إلَى جِبْرِيلَ عَلَيْه السَّلامُ، فَأشَارَ إلَيَّ أنْ ضَعْ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: نَبِياً عَبْداً» قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذٰلِكَ لَا يأكُلُ مُتَّكِئاً، يَقُولُ: «آكُلُ كَمَا يأكُلُ العَبْدُ، وَأجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ».

حديث صحيح وهو في «أخلاق النبي » (٦١٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٩/١٩، وقال: رواه أبو يعلى وإسناده حسن مع أن فيه أبا معشر واسمه نجيح بن عبدالرحمٰن السندي وهو ضعيف، لكن يشهد له حديث ابن عباس الذي سيذكره المصنف، والمرسل الذي تقدم، وله شاهد مرسل بنحوه، أخرجه أحمد في «الزهد» ص ٥، ٦ من طريق جرير بن حازم، قال: سمعت الحسن يقول: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام، أمر به، فألقي على الأرض، وقال: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» وسنده صحيح.

٣٥١٩- كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُ أنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ أرْسَلَ إلَى نَبِيِّهِ ﷺ مَلَكاً مِنَ المَلائِكَةِ مَعَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ المَلَكُ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أنْ تَكُونَ عَبْداً نَبِياً، وَبَيْنَ أنْ تَكُونَ مَلِكاً نَبِياً، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى جِبْرِيلَ كَالمُسْتَشِيرِ لَهُ، فَأشَارَ جِبْرِيلُ بِيدِهِ أنْ تَوَاضَعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا بَلْ عَبْداً نَبِيّاً» فَمَا أكَلَ بَعْدَ تِلْكَ الكَلِمَةِ طَعَاماً مُتَّكِئاً حَتَّى لَحِقَ بِالله عَزَّ وجَلَّ.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي » (٦١١) وفي سنده علّتان: تدليس بقية بن الوليد، وانقطاع الواسطة بين محمد بن علي وأبيه فإنه لم يسمع منه، ولكنه يصلح شاهداً للحديث قَبْله.

بابُ

جوده صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٢٠-عن محمد بن المنكدر قال: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِالله يَقُولُ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيئاً، فَقَالَ: لا.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣١١).

٣٥٢١- عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَجْودَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا لَقِيَهُ جبْرِيلُ أَجْوَدَ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨).

٣٥٢٢- عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ، وَأَجْودِ النَّاسِ، وأَشْجَعِ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ مَرَّةً، فَرَكِبَ فَرَساً لِأَبي طَلْحَةَ عُرْياً، ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا» ثُمَّ قَالَ: «إنَّا وَجَدْنَاهُ بَحْراً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٢٦٢٧)، ومسلم (٢٣٠٧).

قوله: فَزِعَ أهل المدينة، أي: استغاثوا، والفَزَعُ: بمعنى الخوف، ويكون بمعنى الإغاثة.

وقوله: «عُرْيٌ» يقال: فرَسٌ عُريٌ، وخيلٌ أعْراء، ولا يُقال: رجلٌ عُرْيٌ، ولكن عُرْيان. قوله: «لنْ تُراعوا» معناه: لا فزَعَ ولا روْعَ، فاسكنُوا، يُقال: رِيعَ فلانٌ: إذا فَزِعَ، ويُروى: «لمْ تُراعوا» وتضع العرب «لم» و«لن» بمعنى «لا».

٣٥٢٣- عن عمر بن محمد بن جُبير بن مطعم، عَنْ أبيهِ قَالَ: لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ تَبِعَهُ الأعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، فَأَلْجؤُوهُ إلَى شَجَرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، وَهُوَ عَلى رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ: «رُدُّوا عَلَيَّ رِدائِي أَتَخْشَوْنَ عَلَيَّ البُخْلَ؟» فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هٰذِهِ العِضَاهِ نَعَماً، لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلَا جَبَاناً، وَلَا كَذَّاباً».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٢٨٢١).

و«العِضَاهُ» شَجَرٌ كثير الشوك.

٣٥٢٤- عَنْ أنسٍ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لَا يَدَّخِرُ شَيئاً لِغَدٍ.

إسناده قوي أخرجه الترمذي (٢٣٦٣)، وصحَّحَهُ ابن حبان (٦٣٧٨).

٣٥٢٥- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلاً أتى النَّبيَّ ﷺ، فَسَأَلَهُ، فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَتَى الرَّجُلُ قَوْمَهُ، فَقَالَ: أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاء رَجُلٍ مَا يَخَافُ فَاقَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣١٢).

والفاقة: الفقر والحاجة.

٣٥٢٦- عن سعيد بن المسيِّب أَنَّ صَفْوانَ بْنَ أُمَيَّةَ قَالَ: أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ الخَلْقِ إلَيَّ، فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إنَّهُ لأَحَبُّ الخَلْقِ إلَيَّ.

أخرجه مسلم (٢٣١٣)، والترمذي (٦٦٦) وغيرهما.

بابُ

حَيائِه وقِلَّةِ كَلامِه صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٢٧- عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ عَذْرَاءَ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً، رَأَيْنَاهُ فِي وَجْهِهِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

٣٥٢٨- عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيْثاً لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لأَحْصَاهُ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

٣٥٢٩- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَوِيلَ الصَّمْتِ.

حديث حسن، أخرجه أحمد برقم (٢٠٨١٠)

٣٥٣٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هٰذا، وَلٰكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ.

هذا حديث صحيح. أخرجه مسلم (٢٤٩٣)، وأبو داود (٣٦٥٥).

قولها: يَسْرُدُ سَرْدَكم، أي: يُتابعه، ومثله: فلانٌ يَسرُدُ الصيامَ سَرْداً، أي: يُواليه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١] وهو متابعةُ حِلَقِ الدِّرْعِ شيئاً بعد شيءٍ حتى يتناسق، معنى التقدير في السَّرْدِ، أي: لا تجعل المسامير دِقاقاً، فتَقْلَق، ولا غِلاظاً فتَنفصِم الحلَق.

باب
شجاعته صلَّى الله عليه وسلَّم

قَالَ أنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أجْمَلِ النَّاسِ وأَجْوَدِ النَّاسِ، وأشْجَعِ النَّاسِ.

أخرجه الشيخان: البخاري (٣٠٤٠)، ومسلم (٣٠٧).

٣٥٣١- عنِ البَرَاءِ قَالَ: كُنَّا - واللهِ- إذَا احْمَرَّ البَأسُ، نَتَّقِي بِهِ يَعْنِي النَّبيَّ ﷺ، وإنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا الَّذي يُحَاذِي بِهِ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٧٦).

٣٥٣٢- عَنْ عَليٍّ بن أبِي طَالِبٍ قَالَ: كُنَّا إذَا احْمَرَّ البَأسُ، وَلَقِيَ القَوْمُ القَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ أحَدٌ أقْرَبَ إلى العَدُوِّ مِنْه.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٠٦)، وأحمد برقم (١٣٤٧) وإسناده صحيح وتمام تخريجه في المسند.

قوله: احْمَرَّ البأسُ. أي: اشتدَّ الحرب، يقال: موتٌ أحمرُ، أي: شديد.
وقوله: اتَّقَيْنا بِرسول الله ﷺ، أي: جعلناه واقية لنا من العدو.

٣٥٣٣- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَقَدْ رَأيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ، وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَهُوَ أقْرَبُنَا إلَى العَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأساً.

أخرجه أحمد برقم (٦٥٤)، وابن أبي شيبة ١٤/ ٣٥٧ وإسناده صحيح، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

٣٥٣٤- عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَسمَحَ النَّاسِ.

أخرجه مسلم (٢٣٠٧).

باب

تبسمه صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٣٥- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً حَتَّى أرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ.

أخرجه البخاري (٦٠٩٢).

٣٥٣٦- عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ الحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

حديث حسن، أخرجه أحمد برقم (١٧٧٠٤)، والترمذي (٣٦٤٢) وقال: حسن غريب. وله شاهدٌ عند أحمد (٢١٧٣٢) من حديث أبي الدرداء وفي سنده بقية بن الوليد. وقد دلت الأحاديثُ على وقاره ﷺ، وأنه لم يكن مفرطاً في الضحك الذي يذهب بالهيبة والسكينة.

بابُ

اختياره أيسر الأمرين صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٣٧- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ أنها قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أمْرَيْنِ إلَّا أخَذَ أيْسَرَهُمَا مَا لَم يَكُنْ إثْماً، فَإنْ كَانَ إثْماً، كَانَ أبْعَدَ النَّاسِ مِنْه، ومَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إلَّا أنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمُ للهِ بِهَا.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٣٧).

باب

جامع صفاته صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٥٣٨- عَنْ حِزام بن هشام بن حُبَيْش صاحبِ رسول الله ﷺ قتيل البطحاء يوم الفتح، عن أبيه، عَنْ جَدِّهِ حُبيْشِ بنِ خَالِدٍ - وَهُوَ أخو عَاتِكَةَ بِنْتِ خَالِدٍ، وَكُنْيَتُهَا أُمُّ مَعْبَدٍ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أُخْرِجَ مِنْ مَكَةَ خَرَجَ مُهَاجِراً إِلَى المَدِينَةِ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنِ فُهَيْرَةَ، وَدَلِيلُهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْأُرَيْقِطِ اللَّيْثِيُّ، مَرُّوا عَلى خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّةِ، وَكَانَتْ بَرْزَةً تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الخَيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ، فَسَأَلُوهَا لَحْماً وَتَمْراً لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ، وَكَانَ القَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الخَيْمَةِ، فَقَالَ: مَا هٰذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟ قَالَتْ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الجَهْدُ عَنِ الغَنَمِ، قَالَ: هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذٰلِكَ، قَالَ: أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا، قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْت بِهَا حَلَباً، فَاحْلُبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ، وَدَرَّتْ، وَاجْتَرَّتْ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ، فَحَلَبَ فِيهِ ثَجّاً حَتَّى عَلاَهُ البَهَاءُ، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوُوا، ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُم، ثُمَّ أَرَاضُوا، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ ثَانِياً بَعْدَ بَدْءٍ حَتَّى مَلأَ الإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَبَايَعَهَا، وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّمَا لَبِثَتْ حَتَّى جَاء زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزاً عِجَافاً، يَتَسَاوَكْنَ هَزْلَى ضُحىً، مُخُّهُنَّ قَلِيلٌ، فَلَمَّا

رَأى أبُو مَعْبَدٍ اللَّبَنَ، عَجِبَ، وَقَالَ: مِنْ أيْنَ لَكِ هٰذَا اللَّبَنُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ، وَالشَّاءُ عَازِبٌ حِيَالٌ لَا حَلُوبَ فِي البَيْتِ؟ قَالَتْ: لَا وَاللهِ إنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وكَذَا، قَالَ: صِفِيْهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ قَالَتْ:

رَأيْتُ رَجُلاً ظَاهِرَ الوَضَاءَةِ، أبْلَجَ الوَجْهِ، لَمْ تَعِبْهُ نُحْلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صُقْلَةٌ، وَسِيْمٌ قَسِيمٌ، فِي عَيْنِهِ دَعَجٌ، وَفِي أشْفَارِهِ وَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزَجٌّ أقْرَنُ، إنْ صَمَتَ، فَعَلَيْهِ الوَقَارُ وَإنْ تَكَلَّمَ، سَمَا وَعَلاَهُ البَهَاءُ، أجْمَلُ النَّاسِ وَأبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأجْلاَهُ وَأحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ المَنْطِقِ، فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذَرٌ، كَأنَّ مَنْطِقَهُ خَرزاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ، رَبْعَةٌ لا يَأسَ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أنْضَرُ الثَّلاثَةِ مَنْظَراً، وَأحْسَنُهُم قَدْراً، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إنْ قَالَ، أنْصَتُوا لِقَوْلِهِ، وَإنْ أمَرَ، تبادَرُوا لِأمْرِهِ، مَحْشُودٌ مَحْفُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ. قَالَ أبُو مَعْبَدٍ: هُوَ وَاللهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أمْرِهِ مَا ذُكِرَ بِمَكَّةَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أصْحَبَهُ، وَلأَفْعَلَنَّ إنْ وَجَدْتُ إلَى ذٰلِكَ سَبِيلاً، وَأصْبَحَ صَوْتٌ بِمَكَّةَ عَالِياً يَسْمَعُونَ الصَّوتَ، وَلَا يَدْرُونَ مَنْ صَاحِبُهُ وَهُوَ يَقُولُ

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزائِهِ — رفِيْقَيْـنِ قَـالَا خَيْمَتَـي أُمِّ مَعْبَـدِ
هُمَا نزَلَاهَا بِالهُدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ — فَقَدْ فَازَ مَنْ أمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
فَيَـالَقُصَـيٍّ مَـا زَوَى اللهُ عَـنْكُـمُ — بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَازَى وَسودَدِ
لِيَهْـنِ بَنـي كَعْـبٍ مَقَـامُ فَتَـاتِهِـمْ — ومَقْعَـدُهـا لِلمُـؤْمِنيـنَ بِمَـرْصَـدِ

سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَأَنَائِهَا ... فإنَّكُمْ إنْ تَسألُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ ... عليْهِ صَرِيحاً ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ
فَغَادَرَهَا رهْناً لَدَيْهَا لِحَالِبٍ ... يُرَدِّدُهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

حديث حسن قوي أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣/ ٩، ١٠ وصححه ووافقه الذهبي مع أن فيه هشام بن حبيش لم يذكر بجرح ولا تعديل، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٥٥، ٥٨، وقال: رواه الطبراني، وفي إسناده جماعة لم أعرفهم، وأورده السيوطي في «الخصائص الكبرى» ١/ ٤٦٧، وزاد نسبته إلى البغوي، وابن شاهين، وابن السكن، وابن منده، والبيهقي، وأبي نعيم كلهم من طريق حزام بن هشام بن حبيش، عن أبيه، عن جده، وذكر له الحافظ ابن كثير طريقين آخرين في «بدايته» ٣/ ١٩٢، ١٩٤، وقال: وقصة أم معبد مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً.

قوله: بَرزةٌ، أي: هي كهلةٌ لا تحتجب احتجاب الشوابِّ. وقوله: مُرْمِلين: أي نَفِذ زادُهم، يقال: أرملَ الرجُل: إذا ذهب طعامُه.

وقوله: مُسنِتِين، أي: أصابهم القحط، يُقال: أسنَتَ القومُ، فهم مُسنِتون. ويُروى: مُشْتِين، أي: أصابتهم المجاعة، وتجعل العرب الشتاء مجاعةً. ويقال مُشتِين: داخلين في الشتاء، يُقال: أشتى القوم: إذا دخلوا في الشتاء، وأصافوا: إذا دخلوا في الصيف.

وكِسرُ الخيمة: جانبٌ منها، وفيه لغتان كِسرٌ وكَسْرٌ مثل نِفطٍ ونَفطٍ وَبِزْر وَبَزْرٍ.

وقولها: خلَّفها الجَهد، أيْ: الهُزال، يقال: جُهِدَ الرجُل فهو مجهُودٌ: إذا هُزِل. وقوله: فتفاجَّت، أيْ: فتحت ما بين رجليها للحلب.

قوله: دعا بإناءٍ يُرْبِضُ الرهط، أي: يُرويهم حتى يثقلوا فيربضوا ويناموا، يقال أربضت الشمس: إذا اشتد حرُّها حتى تُربِضَ الوحش فِي كِناسها. والرهط: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وكذلك النَّفر، والعصبة: ما بين ذلك إلى الأربعين. وقوله:

فحلب فيه ثجاً. فالثجُّ: السّيلان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً﴾ [النبأ: ١٤]، أي: سيّالاً. وقوله: حتى علاه البهاء، يريد علا الإناء بهاءُ اللبن، وهو وَبيصُ رغوته، تريد أنه ملأه.

وقوله: ثم أراضوا، أي: شربوا عَلَـلاً بعد نَهل، مأخوذ من الروضة، وهو الموضع الذي يستنقع فيه الماء، يريد شربوا حتى رووا فنقعوا بالرِّيِّ، يقال: أراضَ الوادي، واستراض: إذا استنقع فيه الماء، ويقال: حتى أراضوا، أي: ناموا على الإراض، وهو البساط.

وقوله: يتساوَكْن هَزْلى، أي: تتمايل من الضعف والهزال، وفي رواية: تشارَكْنَ هَزلى، أيْ: عمَّهن الهزال، فاشتركنَ فيه، وفي رواية: لانِقْيَ بهنَّ، والنِّقيُ: المخُّ. قوله: والشاء عازبٌ، أي: بعيدٌ في المرعى، يقال: عَزَبَ فلانٌ، أي: بَعُدَ، والحيال: التي لم تحمل، يقال، حالت الشاة تحول حيالاً: إذا لم تحمل بعد الضِّراب.

وقولها: أبلجَ الوجه. تريد مُشرِقَ الوجه. مُضيئهُ، يقال: تبلَّجَ الصُّبح وانبلج: إذا أسفر، ولم تُرِدْ بَلجَ الحاجبِ ألا ترى أنها تصفه بالقرنِ.

وقولها: لم تَعِبْهُ نُحْلَةٌ، أي: دِقةٌ من نحول الجسم، ويُروى: ثجلةٌ بالثاء المثلثة والجيم، وهو عِظمُ البطن، يقال: رجلٌ أثجل، أي: عظيم البطن، وكذلك العنجلُ.

وقولها: ولم تُزْرِ به صُقلةٌ، أي: دقةٌ، وقيل: أرادت به أنه لم يكن منتفخَ الخاصرة جداً، ولا ناحلاً جداً، ولكن كان رجلاً ضرباً، والصُّقلة: الخاصرة، يقال: فرَسٌ صَقِيلٌ: إذا كان طويلها وهو عيبٌ تريد أنه رجلٌ ضَربٌ ليس بناحلٍ ولا مُنتفخٍ. ويروى: لم تَزْرِ به صَعْلةٌ بالعين وهي صغر الرأس، يقال للظليم: صَعْلٌ لصغر رأسه.

قولها: وسيمٌ قسيمٌ، فالوسيم: الحَسنُ الوضِيُّ، يُقال: وسيمٌ بَيِّنُ الوَسامة، والقسيم: الحَسنُ أيضاً، والقسامة: الحُسنُ. والدَّعَج: السواد في العين وغيرِها.

وقولها: وفي أشفاره وطَفٌ أي: طولٌ: يقال: وَطِفَ، فهو أوطَفُ، ويُروى عَطَفٌ وغَطَفٌ بالعين والغين جميعاً، والمراد منه الطول أيضاً.

وقولها: وفي صوته صَهَلٌ، أي: حِدَّةٌ وصلابةٌ، ومنه صهيل الخيل، وفي روايةٍ صَحَلٌ، أي: بُحّةٌ وهو ألا يكون حادّ الصَّوتِ، وذلك حسنٌ إذا لم يكن شديداً.

وقولها: وفي عُنُقِهِ سَطَعٌ. أي: طولٌ، يقال: رجلٌ أسطعُ، وعُنُقٌ سطعاء: إذا كانت منتصبةً، ومنه قيل للصبح أول ما ينشقُّ مستطيلاً: سطعَ يسطعُ. وقولها: أزَجُّ أقرنُ، فالزَّججُ في الحاجب: تقوُّسٌ فيها مع طولٍ في أطرافها، وسبوغٍ فيها، والقرنُ: إلتِقاءُ الحاجبين. ويُروى في صفته عليه السلامُ خلافه عند هند بن أبي هالة: أزجُ الحواجب، سوابغُ من غير قرَنٍ.

وقولها: إنْ تكلم، سما. تريد علا برأسه، وارتفع من جلسائه.

وقولها: في صِفةِ مَنطِقِه: فصلٌ، أي: بيِّنٌ. لا نزرٌ ولا هَذَرٌ، تريد: وسَطٌ ليس بقليلٍ ولا كثير، فالنزْرُ: القليل، والهذَرُ: الكثير، وهو معنى صفته في حديث هندٍ: يتكلم بجوامع الكلِمِ فصلٌ لا فُضولٌ ولا تقصيرٌ. وقولها: لا يأسَ من طولٍ، معناه: أنَّ قامته لا يؤيس من طولها، لأنه كان إلى الطول أقرب، أي: ليس بالطويل الذي يؤيَس من مطاولته لإفراط طوله، كما في حديث أنسٍ: ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

وقولها: ولا تقتحمُه عينٌ من قِصرٍ، أي: لا تحتقره ولا تزدريه فيتجاوزَ منه إلى غيره، يُقال: اقتحمتْ فلاناً عيني: إذا احتقرَتْهُ واستصغرَتْهُ.

وقولها: محشودٌ محفودٌ. معناه: أنَّ أصحابه يجتمعون عليه، ويخدمونه، ويُسرعون في طاعته، يقال: رجلٌ محشودٌ عِنده حشدٌ من الناس، أي: جماعةٌ، والمحفود: المخدوم، والحَفدَةُ: الخدم. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنينَ وحفدَةً﴾ [النحل: ٧٢] أي: همْ بنون وهم خدمٌ، ويقال: الحفدة الأعوان، فأصله من حَفدَ يحفِدُ: إذا أسرع في سيره.

وقولها: لا عابسٌ، معناه: غير عابسِ الوجه. وقولها: ولا مُفنِّدٍ وهو الذي لا فائدة في كلامه لخَرفِ أصابه، قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿لولا أن تُفَنِّدُون﴾[يوسف: ٩٤] أي: تخرِّفوني، تقولون: قد خرفت، وفي الحديث: «ما ينتظر أحدكم إلا هرماً مفنداً» أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه الحاكم ٤/ ٣٢٠-٣٢١ وإسناده ضعيف، وفي رواية «ولا معتدٍ من الاعتداء» وهو الظلم. وقول الهاتفِ في الشِّعر: فيالَقُصيٍّ ما زوى الله عنكم. أي: باعدَ ونحَّى عنكم من الخير والفضل.

وقوله: فتحلَّبَتْ عليه صريحاً. ويُروى: فتحلَّبت له بصريحٍ، والصريحُ: اللبنُ الخالص الذي لم يُمذَقْ، ومنه قولهم: صَرَّحَ فلانٌ بالأمرِ: إذا كشفه وأوضحه. والضرَّةُ: لحم الضَّرع، أي: تحلَّبتْ ضُرَّة الشاة بلبنٍ مزبدٍ.

وقوله: فغادرها رَهْناً لديها لحالبٍ. يريد أنه ترك الشاة عندها مرتهنةً بأن تُدِرّ. والصوتُ الذي سمِعوا بمكة بالشعر: صوت بعض مسلمي الجنّ، أقبل من أسفل مكة، والناس يتَّبعونه يسمعون الصوت، وما يَرَوْنه حتى خرج بأعلى مكة. قالت أسماء: فلما سمعناه، عرفنا حيث وجّه رسول الله ﷺ، وإنَّ وجهه إلى المدينة.

٣٥٣٩- عَنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ وَكَانَ وَصَّافاً عَنْ حِلْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئاً، فَقَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً، يَتَلأْلأُ تلألُؤَ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ، أَطْوَلَ مِنَ المَرْبُوعِ، وأَقْصَرَ مِنَ المُشَذَّبِ، عَظِيمَ القَامَةِ، رَجِلَ الشَّعْرِ، إنِ انفرَقَتْ عَقِيقَتُه، فَرَقَ، وَإلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعَرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، إذا هُوَ وَفَرَةٌ، أزهَرُ اللَّوْنِ، وَاسِعُ الجَبينِ، أَزَجُّ الحَوَاجِبِ، سَوابِغُ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغَضَبُ، أَقْنَى العِرْنَيْنِ، لَهُ

نُورٌ يَعْلُوهُ يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، سَهْلُ الخَدَّيْنِ، ضَلِيعُ الفَمِ، مُفَلَّجُ الأسْنَانِ، دَقِيقُ المَسْرُبَةِ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الفِضَّةِ، مُعْتَدِلُ الخَلْقِ، بَادِنٌ مَتَماسِكٌ، سَوَاءٌ البَطْنُ والصَّدْرُ، عَرِيضُ الصَّدْرِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، ضَخْمُ الكَرَادِيْسِ، أَنْوَرُ المَتَجَرِّدِ، مُوَصَّلُ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعَرٍ يَجْرِي كَالخَطِّ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ وَالبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذٰلكَ، أَشْعَرُ الذِّراعَيْنِ والمَنكِبَيْنِ وأَعالي الصَّدْرِ، طَوِيلُ الزَّنْدَيْنِ، رَحْبُ الرَّاحَةِ، شَثْنُ الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ، سَائِلُ الأطْرَافِ، أو قَالَ: شَائِلُ الأطْرَافِ، خُمْصَانُ الأخْمَصَيْنِ، مَسِيحُ القَدَمَيْنِ، يَنْبُو عَنْهُمَا المَاءُ، إِذَا زَالَ زَالَ قَلِعاً، يَخْطُو تَكَفِّياً، وَيَمْشِي هَوْناً، ذَرِيعُ المِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، فَإِذَا الْتَفَتَ، التَفَتَ جَمْعاً، خَافِضُ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ المُلاحَظَةُ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ، يَبْدُرُ مَنْ لَقِيَ بِالسَّلامِ.

قَالَ الحَسَنُ: سَأَلْتُ خَالي، قُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: مُتَواصِلُ الأحزانِ، دَائِمُ الفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلُ السَّكْتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الكَلاَمَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، فَصْلٌ لَا فُضُولٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، لَيْسَ بِالجَافِي وَلَا المَهِينِ، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ، وَإِنْ دَقَّتْ، لَا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئاً غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَاقاً وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعُدِّيَ الحَقُّ، لَمْ يَقُمْ بِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، لَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إذا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَ تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا

تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ اليُمْنَى بَطْنَ إِبْهَامِهِ اليُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ.

قَالَ الحَسَنُ: فَكَتَمْتُهُ الحُسَيْنَ زَمَاناً، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيهِ، فَسَأَلَنِي عَمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَوَجَدْتُهُ قَدْ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مَدْخَلِهِ، وَعَنْ مَخْرَجِهِ وَشَكْلِهِ، فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئاً.

قَالَ الحُسَيْنُ: فَسَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءاً لله، وَجُزْءاً لِأَهْلِهِ وَجُزْءاً لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جُزْءاً جَزَّأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذٰلِكَ بِالخَاصَّةِ عَلَى العَامَّةِ، وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئاً. وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الأُمَّةِ إِيْثَارُ أَهْلِ الفَضْلِ بِأَدَبِهِ وَقَسْمِهِ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّيْنِ، فَمِنْهُمْ ذُو الحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الحَوائِجِ، فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيما أَصْلَحَهُمْ وَالأُمَّةُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْهُمْ وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ، وَيَقُولُ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَاناً حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا، ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» لَا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذٰلِكَ، وَلايَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ، يَدْخُلُونَ رُوَّاداً، وَلَا يَفْتَرِقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ، وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً، يَعْنِي عَلَى الخَيْرِ.

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ؟ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ، وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِم، وَيُحَذِّرُ النَّاسَ، وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَهُ وَلَا خُلُقَهُ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ،

وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الحَسَنَ وَيُقَوِّمُهُ، وَيُقَبِّحُ القَبِيحَ وَيُوَهِّنُهُ، مُعْتَدِلُ الأَمْرِ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ، يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمِيلُوا، لِكُلِّ حالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ، لَا يَقْصُرُ عَنِ الحَقِّ، وَلَا يُجَاوِزُهُ، الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً، وَأَعظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً.

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا عَنْ ذِكْرٍ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ المَجْلِسُ، وَيَأْمُرُ بِذٰلِكَ، يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ لَا يَحْسِبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحداً أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِمَّنْ جَالَسَهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا، أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ القَوْلِ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَباً، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الأَصْوَاتُ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الحُرَمُ يَتَعَاطَوْنَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ، يُوَقِّرُونَ فِيهِ الكَبِيرَ، وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ، وَيؤْثِرُونَ ذَا الحَاجَةِ، وَيَحْفَظُونَ الغَرِيبَ.

قال الحُسَيْنِ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ سِيْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ دَائِمَ البِشْرِ، سَهْلَ الخُلُقِ لَيِّنَ الجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ولا صَخَّابٍ، وَلَا فَحَّاشٍ، وَلَا عَيَّابٍ، وَلَا مَدَّاحٍ، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي، وَلَا يُؤْيِسُ مِنْهُ، وَلَا يُجِيبُ فِيهِ، قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: الرِّيَاءِ وَالإِكْثَارِ، وَمَا لا يَعْنِيهِ ، وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ: لَا يَذُمُّ أَحداً وَلَا يَعِيبُهُ، وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ، لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيما رَجَا ثَوَابَهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ، أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ، كَأَنَّما على رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَإِذا سَكَتَ،

تَكَلَّمُوا، لا يَتَنازَعُونَ عنْدَهُ الحَدِيثَ، مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ ، أنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُم عنْدَهُ حَدِيثُ أوَّلِيَّتِهِمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلى الجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ حَتَّى إنْ كَانَ أصْحَابُهُ لِيَسْتَجْلِبُونَهُمْ، وَيَقُولُ: «إذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ حَاجَةٍ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ» وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إلَّا مِنْ مُكَافِىءٍ، وَلَا يَقْطَعُ عَلى أحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ، فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أوْ قِيَامٍ. وَقَالَ غَيْرُ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ عَنْ جُمَيْعٍ: وَإذَا غَضِبَ، أعْرَضَ وَأشَاحَ، وَإذَا فَرِحَ، غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتَرُّ عنْ مِثْلِ حَبَّةِ الغَمَامِ.

أخرجه الترمذي في مواضع متفرقة من «الشمائل» (٨، ٢٢٦، ٣٣٧) وإسناده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع، وجميع بن عمير وفيه مجهولان.

٣٥٤٠- عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ أبِي عَنْ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: كَانَ إذَا أوَى إلَى مَنْزِلِهِ، فَسَاقَ الحَدِيثَ وَقَالَ: كَانَ لا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إلَّا ذَكَرَ اللهَ، لَا يُوطِنُ الأماكِنَ، وَيَنْهَى عَنْ إيْطَانِهَا، وَقَالَ: لَا يَحْسِبُ أحَدٌ مِنْ جُلَسَائِهِ أنَّ أحَداً أكْرَمُ مِنْهُ، مَنْ جَالَسَهُ أوْ قَاوَمَهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُنْصَرِفَ، وَقَالَ: وَلَا تُؤبَنُ فِيهِ الحُرَمُ، وَلَا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ، مُعْتَدِلِينَ يَتَوَاصَوْنَ فِيهِ بِالتَّقْوَى. وَقَالَ: قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ: المِرَاءِ وَالإكْثَارِ وَمَا لَا يَعْنِيهِ. وَزَادَ فِي آخِرِهِ قَالَ: فَسَأَلْتُهُ: كَيفَ كَانَ سُكُوْتُهُ؟ قَالَ: كَانَ سُكُوْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلى أرْبَعٍ: عَلى الحِلْمِ والحَذَرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّفْكِيرِ، فَأمَّا تَقدِيرُهُ، فَفِي تَسْوِيَتِهِ النَّظَرَ وَالاسْتِمَاعَ بَيْنَ النَّاسِ، وَأمَّا تَفْكِيرُهُ، فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى، وَجُمِعَ لَهُ الحِلْمُ والصَّبرُ، فَكَانَ لَا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ وَلَا يَسْتَفِزُّهُ،

وَجُمِعَ لَهُ الحَذَرُ فِي أَرْبَعَةٍ: أَخْذِهِ بِالحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ، وَتَرْكِهِ القَبِيحَ لِيُتَنَاهَى عَنْهُ، وَاجْتِهَادِهِ الرَّأْيَ فِيما أَصْلَحَ أُمَّتَهُ، وَالقِيَامِ فِيما خِيرَ لَهُمْ فِيما يَجْمَعُ لَهُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي»: ١٨ وإسناده ضعيف كسابقه.

قوله: كان فَخماً مُفخماً. أي: كان عظيم القدْرِ مُعظماً في الصدور والعيون، ولم يُرِدْ به ضخامة الجسم. قال أبو عُبيدٍ: الفخامة نُبْلُهُ وامتلاؤه مع الجمال والمهابةِ.

قوله: أطْولَ من المربوع. المربوع والرَّبْعَةُ: هو الرجل بين الرَّجُلين، والمشذَّبُ: الطويل البائن الطول، وأصل التشذيب: التفريق، يقال: شذَبْتُ المالَ: إذا فرقّتُه، فالمفرِّط في الطول، كأنه فُرِّق خَلقُهُ ولم يجتمع.

قوله: إنِ انفرقتْ عقيقتُه، فَرَقَ. فالعقيقة: اسمٌ للشعر الذي يخرُج المولودُ من بطن أمه وهو عليه، سُمِّي عقيقةً، لأنه يُحلق، وأصل العقِّ: الشقُّ والقطْعُ، ومنه قيل للذبيحة التي تذبح عند الولادة: عقيقةٌ، لأنه يُشقُّ حُلقومها، ثم قيل للشَّعر الذي ينبت بعد ذلك الشَّعر: عقيقة أيضاً على طريق الاستعارة، وذلك معناه ها هنا، يقول: إنِ انفرَق شَعرُ رأسه من ذات نفسه، فرقه في مَفرِقه، وإن لم يَنفرقْ، تركهُ وَفْرَة واحدةً على حالها، يقال: فَرقتُ الشيءَ أفْرقُهُ فَرقاً. وقيل: العقيقةُ اسمٌ للشَّعر قبل أن يُحلقَ، فإذا حُلِقَ ثم نبَتَ. زال عنه اسم العقيقة، وسُمِّيَ شَعرهُ عليه السلام عقيقةً، لأنَّ عقيقته كانت على رأسه لم يُنقل أنه كان قد حُلقَ في صِباه. ويُروى: إنِ انفرقتْ عقيصته، فَرَقَ، والعقيصة: الشَّعر المعقوص، وهو نحوٌ من المضفور، والوَفرةُ: الشَّعَرُ إلى شَحمة الأذن، والجُمَّةُ إلى المنكب، واللِّمَّةُ: التي ألمَّتْ بالمنكبين.

قوله: أزْهَرُ اللون، أي: نيّر اللون، والزُّهرة: البياض النيِّر وهو أحسن الألوان. وقوله: بينهما عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغضب. يعني بين حاجبيه عِرْقٌ يمتلىءُ دماً إذا

غضِب، يقال: درَّت العروق: إذا امتلأتْ دماً، كما يقال: درَّ الضَّرع إذا امتلأ لبناً.

قوله: كثُّ اللحية. الكثُوثةُ فيها: أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، ولكن فيه كثافةٌ. وقوله: ضليع الفم. يقال: عظيم الفم، والعرب تحبُّ ذلك، وتذمُّ صِغَرَ الفمِ، ومنه قوله في وصف كلامه: يَفتتح الكلامَ، ويختتمه بأشداقه، وقيل في ضليع الفمِ شدَّةُ أسنانه وتراصفُها.

وقوله: مُفلَّج الأسنان. أراد أفلجَ الأسنان، والفلج: فُرجَةٌ بين الثنايا والرُّباعيات.

وقوله: دقيقُ المسرُبةِ، فالمسرُبةُ: الشَّعرُ المستدِقُّ ما بين اللَّبَّةِ إلى السُّرَةِ، كما ذكر بعده مُوصَّلٌ ما بين اللبَّةِ بشعَرٍ يجري كالخطِّ.

قوله: عاري الثديين، ويروى: عاري الثَّندوَتيْنِ. يريد أنه لم يكن على ذلك الموضع منه شَعَرٌ، وقيل: أراد أنه لم يكن عليهما كثير لحمٍ، والثَّنْدُوَةُ للرجُل كالثديِ للمرأةِ منْ ضَمَّ الثاءَ منها همزها، ومَنْ فتحها، لم يَهمِز الواو.

وقوله: كأنَّ عُنُقَه جيدُ دُمْيةٍ. الدُّميةُ: الصورة المصوَّرةُ، وجمعها دُمىً. وقَوْله: بادِنٌ مُتماسِكٌ. أي: معتدلُ الخَلق يُمسِكُ بعضُ أعضائهِ بعضاً، ليس المراد منه بدانة السِّمَنِ، ولا ضخامةَ البدنِ بدليل قوله: سَواء البطن والصدر. ضخم الكراديس أي: الأعضاء.

وقوله: أنورُ المتجردِ، أي: مُشرقُ الجَسدِ، والمتجرِّد من جسده: الذي تجرَّد عنه الثياب، والأنور: النيِّر، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وهو أهونُ عليه﴾ [الروم: ٢٧] أي: هيِّنٌ عليه، رَحبُ الرَّاحةِ: واسع الكفِّ. شَثْنُ الكفَّينِ: غليظهما.

قوله: سائلُ الأطرافِ أي: ممتدُّ الأصابع وهي بالسين غير المعجمة، ورواه بعضهم «سايِنَ» بالنون، ومعناهما واحدٌ، مثل جبريل وجبرين.

وقوله: خُمصانُ الأخمصين، الأخمص من القدم: الذي لا يلصق بالأرضِ في الوطء من باطنها، أراد أن ذلك الموضع من رجله كان شديدَ التجافي عن الأرض، وأنه لم يكن «أرْوَحَ» وهو الذي يَستوي باطن رجله. وسُمِّي الأخمصُ أَخْمَصَ لضموره، ودخوله في الرِّجل. قوله: مَسيحُ القدمين. يريد استواءهما من غير وَسخٍ، ولا شُقاقٍ، ولا تكسُّرٍ فيهما فإذا أصابهما الماء، نبا عنهما، وقيل: أراد به الملاسة واللين.

قوله: إذا زال، زال قَلِعاً. بفتح القاف وكسر اللام يريد: يرفع رجليه رفعاً بائناً يخطو تكفّياً، ويروى تكفؤاً، فالانحدار من الصَّبب. والتكفُّؤ إلى قدَّامٍ، والتقلُّع من الأرضِ قريبٌ بعضه من بعضٍ، والمراد منه القوة في المشي برفع الرِّجلين، وامتداد الخطى، لا كمن يمشي مختالاً، وهي المِشيةُ المحمودةُ للرجال.

وقوله: ذريع المِشية، أي: سريع المشي، واسع الخَطو، ولم يكن بحيث يتبين منه في هذه الحال استعجالٌ ومبادرة شديدةٌ، ألا تراه يقول: ويمشي هَوْناً. والهوْن معناه: الترفق والتثبت، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾ [الفرقان: ٦٣] قال مجاهد: بالسكينة والوقار يدلُّ عليه حديث أبي هريرة: إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مُكترثٍ.

وقوله: إذا التفتَ التفتَ جَمعاً، ويروى: جميعاً، يريد: لا يلوي عنقه يُمنةً ويُسرةً ناظراً إلى الشيءِ، وإنَّما يفعل ذلك الطائشُ الخفيفُ، ولكن يُقبل جميعاً، ويدبر جميعاً. قوله: جُلُّ نظره الملاحظة وهو أن ينظر الرجُل بلِحاظ عينه إلى الشيءِ شَزْراً، وهو شقُّ العين الذي يلي الصَّدغ، فأما الذي يلي الأنف، فهو الموقُ والماقُ، يقال: لَحَظَ إليه وَلحَظه: إذا نظر إليه بمؤخر عينه.

قوله: يتكلم بجوامع الكلم. يريد: كثير المعاني، قليل الألفاظ، ومنه قوله عليه السلام: «أوتيت جوامع الكلم» أخرجه البخاري (٧٠١٣) وقيل: معنى قوله: «أوتيت جوامع الكلم» يعني القرآن جمع الله تعالى بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة.

قوله: ليس بالجافي، ولا المَهين، أي: ليس بالغليظ الخِلقة، ولا المحتقر، كما قال أنس: ليس بالطويل البائن، ولا القصير. وفي رواية علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام: ليس بالطويل الممغَّط، ولا القصير المتردِّد. ويروى: ولا المُهين برفع الميم، فيكون معناه: ليس بالذي يجفو أصحابه ويهينهم.

وقوله: لم يكن يذمُّ ذواقاً. أي: شيئاً مما يُذاق ويقع على المأكول والمشروب فعالٌ بمعنى مفعولٍ.

وقوله: إذا غضَب، أعرض وأشاح، أي: أقبل. وقوله: ثم جزَّأ جُزأه بينه وبين الناس فيردّ ذلك بالخاصة على العامة. معناه: أن العامة لا تصِلُ إليه في هذا الوقت، بل يدخل عليه الخاصة، ثم تخبر العامةَ بما سمعت من العلوم منه، فكأنه عليه السلام أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة. وقيل: قوله بالخاصة، أي: من الخاصة، أي: يجعل وقت العامة بعد الوقت الذي يخصُّ به الأهل، فإذا انقضى ذلك الزمان، ردَّ الأمر من الخاصة إلى العامة، فأفادهم.

قوله: يدخلون روَّاداً. جمع رائد وهو الطالب، أي: يدخلون عليه طالبين العلم، وملتمسين الحكم من جهته.

قوله: ولا يفترقون إلا عن ذواق. أصل الذواق من الطعم، ولكن ضَربه مثلاً لما ينالون عنده من الخير، قيل: أراد لا يفترقون إلا عن علم يتعلمونه يقوم لهم مَقامَ الطعام والشراب.

وقوله في وصف مجلسه «لا تُؤْبَنُ فيه الحُرَم» أي: لا تذكرن بقبيح، كان مجلسه مصوناً عن رفث القول، وفحش الكلام، ومنه قوله عليه السلام في حديث الإفك المتفق عليه : «أشيروا عليَّ في أناس أبَنوا أهلي» أي: اتهموها، والأبنُ: التهمةُ، يقال: أبَنَ يأبِنُ: إذا اتهم.

قوله: «لا يقبل الثناء إلا من مكافىءٍ» قال القتيبيُّ: معناه: أنه إذا أنعم على رجلٍ نعمةً، فكافأهُ بالثناءِ عليه، قبِلَ منه، وإذا أثنى عليه قبل أن يُنعِم عليه، لم

يقبله. قال أبو بكر الأنباريُّ: هذا غلطٌ، لأن أحداً لا ينفك من إنعام رسولِ الله ﷺ إذِ الله بعثه إلى الناسِ كافةً، ورحم به، وأنقذ به، فنعمته سابقةٌ إليهم، لا يخرج منها مُكافىء، ولا غير مكافىء، هذا فالثناء عليه فرضٌ لا يتمُّ الإسلام إلا بِه، وإنما المعنى أنه كان لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقةَ إسلامه، ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فإذا كان المثني عليه بهذه الصفة، قُبِل ثناؤه، وكان مُكافئاً ما سلف من نعمة النبي ﷺ عنده. قال الأزهريُّ: وفيه قول ثالث إلا من مُكافىءٍ، أي: مُقارنٍ في مدحه غير مجاوز به حدَّ مثله، ولا مُقصِّرٍ به عمَّا رفعه الله إليه، ألا ترى أنه يقول: «لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا: عبدُ الله ورسولُه» أخرجه البخاري (٦٨٣٠) فإذا قيل: نبيُّ الله ورسوله، فقد وُصِفَ بما لا يجوز أن يوصف به أحدٌ من أمته، فهو مدحٌ مكافىءٌ له.

وقوله: ولا تُنْثَى فَلتاتُه. أي: لا تذاع ولا تُشاع فلتاتُه، أي: زلاتُه، معناه: لم يكن في مجلسه فلتاتٌ فَتُنْثَى.

قوله: يَفترُّ عن مثل حبِّ الغمام. يريد أنه يكْشِرُ حتى تبدو أسنانُه من غير قهقهةٍ، من قولك: فررْتُ الدَّابةَ أفرُّها: إذا كشفت عن أسنانها لتعرفها. وأراد بحبِّ الغمام: البردَ شبَّه به بياضُ أسنانِه.

٣٥٤١- عن عمر بن عبدالله مولى غفرة، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا وَصَفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ المُمَغَّطِ، وَلَا بِالقَصِيرِ المُتَرَدِّدِ، كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ، لَمْ يَكُنْ بِالجَعْدِ القَطَطِ، وَلَا بِالسَّبِطِ، كَانَ جَعْداً رَجِلاً، وَلَمْ يَكُنْ بِالمُطَهَّمِ، وَلَا بِالمُكَلْثَمِ، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ، أَدْعَجُ العَيْنَيْنِ، أَهْدَبُ الأَشْفَارِ، جَلِيلُ المُشَاشِ وَالكَتِدِ، أَجْرَدُ، ذُو مَسْرُبَةٍ، شَثْنُ الكَفَّيْنِ

وَالقَدَمَيْنِ، إذَا مَشَى، تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَنْحطُّ فِي صَبَبٍ، وَإذا التَفَتَ، التَفَتَ مَعاً، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتِمُ النُّبُوةِ، وَهَوَ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدُ النَّاسِ صَدْراً، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيْهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ. يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

أخرجه الترمذي (٣٦٣٨) وفي «الشمائل» (٧) بسندٍ ضعيف لضعف عمر بن عبدالله وكثرة إرساله. وأيضاً فإن إبراهيم بن محمد لم يسمع من جدِّه علي رضي الله عنه.

قال أبو عيسى: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول: سمعت الأصمعي في تفسير صفة النبي ﷺ الممغَّط: الذاهب طولاً بالغين المعجمة، وقيل بالعين والغين جميعاً، يقال: امَّعَطَ النهار: إذا امتدَّ، وامَّعَطَ الحبْل وامَّغطَ، والمتردد: الداخل بعضه في بعض قِصَراً، وأمَّا القطَطُ، فشديد الجُعودَةِ، والرَّجِلُ: الذي في شَعره حجونةٌ، أي: تَثنِّي قليلاً، والمطهَّمُ: البادن الكثير اللحم، والمكلثم: المدوَّر الوجه يقول: ليس كذلك، ولكنه مسنون، وقيل: المكلثمُ من الوجوه القصير الحنك، الدَّاني الجبهة، المستدير الوجه، ولا يكون إلا مع كثرة اللحم. والمُشرَّبُ: الذي في بياضه حُمرةٌ، والأدْعَجُ: الشديد سواد العين، والأهدبُ: الطويل الأشفار، والكَتِدُ: مجتمعُ الكتفين وهو الكاهل والمَسْرُبَةُ: هو الشّعر الدقيق الذي كأنه قضيبٌ من الصدر إلى السُّرةِ. والشَّثْنُ: الغليظ الأصابعِ من الكفين والقدمين. والتقلُّعُ: هو أن يمشي بقوَّةٍ، والصَّبَبُ: الحُدور. جليل المُشاشِ: يريد عظيم رؤوس المناكب والعظام، والمُشاشُ: رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين. والعِشرَةُ: الصحبةُ، والعشيرُ: الصاحبُ، والبديهةُ: المفاجأة تقول: بَدَهْتُهُ بأمرٍ: فَجأتُهُ.

بابُ

علامات النبوة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]. قَالَ الشَّافِعِيُّ في «الأُمِّ» ٤/ ٩٣: فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ رَسُولَهُ عَلى الأَدْيَانِ بِأَنْ أَبَانَ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَ أَنَّهُ الحَقُّ، وَمَنْ خَالَفَهُ مِنَ الأَدْيَانِ بَاطِلٌ، وَأَظْهَرَهُ بِأَنَّ جِمَاعَ الشِّرْكِ دِينَانِ: دِينُ أَهْلِ الكِتَابِ، وَدِينُ أُمِّيِّينَ، فَقَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الأُمِّيِّينَ حَتَّى دَانُوا بِالإِسْلَامِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَسَبَى حَتَّى دَانَ بَعْضُهُمْ بِالإِسْلامِ، وَأَعْطَى بَعْضٌ الجِزْيَةَ صَاغِرِينَ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَهٰذا ظُهُورُهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ. قَالَ: وَيُقَالُ: وَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلى الأَدْيَانِ كُلِّها حَتّى لَا يُدَانَ اللهُ إِلَّا بِهِ، وَذٰلِكَ مَتَى شَاءَ اللهُ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ [صٓ: ٨٨] يَعْنِي نَبَأَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ مَنْ عَاشَ عَلِمَهُ لِظُهُورِهِ، وَتَمَامِ أَمْرِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] وَمَنْ مَاتَ، عَلِمَهُ يَقِيناً.

وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

جَعَلَ اللهُ القُرْآنَ دِلَالَةً على نُبُوَّتِه، أَعْجَزَ الخَلْقَ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، أو مِثْلِ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَأَبْقَاهُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى قِيامِ السَّاعَةِ، لِيَكُونَ حُجَّةً على مَنْ جَاء بَعْدَهُ مِمَّنْ لَمْ يَرَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

٣٥٤٢- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ، فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هٰذَا حظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ وأَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: فَكُنْتُ أَرَى أَثَرَ المَخِيطِ فِي صَدْرِهِ وَرُبَّمَا قَالَ حَمَّادٌ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ آتٍ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٢) (٢٦١).

قوله: مُنتقعُ اللون. يقال: انتقِعَ لونُهُ وامْتُقِعَ وابتُسِرَ بمعنى واحدٍ. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجوهٌ يومئذٍ باسرةٌ﴾[القيامة: ٢٤] أي: مُتكرِّهةٌ مقطبةٌ.

٣٥٤٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، وَإِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ.

هٰذَا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٢٧٧) وفي هٰذا معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ اللهِ ﷺ، وقد دَلَّ الحديثُ على إثبات التمييز في بعض الجمادات.

٣٥٤٤- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَرُحْنَا في نَوَاحِيهَا خَارِجاً مِنْ مَكَّةَ بَيْنَ الجِبَالِ والشَّجَرِ، فَلَمْ يَمُرَّ بِشَجَرَةٍ وَلَا جَبَلٍ إِلَّا قَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

هذا حديث غريبٌ أخرجه الترمذي (٣٦٣٠) وفي سنده ضعيفٌ ومجهولٌ.

٣٥٤٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا.

هذا حديثٌ صحيح متفق عليه أخرجه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم(٢٨٠٢).

قال جماعةٌ من المنكرين على هذا الحديث: هذا أمرٌ عجيبٌ، ولو كان له حقيقةٌ، لم يخفَ ذلكَ على العوامِّ، ولتناقلته القرون، ولخُلِّدَ ذِكْرُهُ في الكتب، وذَكَرَه أهْلُ العناية بالسِّير والتواريخ.

قيل لهم: هذا شيءٌ طلبه قومٌ خاصٌّ على ما حكاه أنسٌ، فأراهم ذلك لَيلاً وأكثر الناسِ نيامٌ، ومستكِنُّون بالأبنيةِ والأيقاظ في البوادي، والصحاري قد يتفق أن يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت، وقد يُكْسفُ القمر، فلا يشعر به كثيرٌ من الناس، وإنَّما كان ذلك في قدْر اللحظة التي هي مُدرك البصر، ولو دامت هذه الآية حتى يشترِك فيها العامةُ والخاصة، ثم لم يؤمنوا، لاستؤصِلوا بالهلاك، فإنَّ من سنة الله تعالى في الأمم قبلنا أنَّ نبيَّهم كان إذا أتى بآية عامَّةٍ يُدركُها الحسُّ، فلم يؤمنوا أهلِكوا ، كما قال الله سبحانه وتعالى في المائدة: ﴿إنِّي مُنزِّلها عليكم فمن يكفُرْ بعدُ منكم فإنِّي أعذِّبه عذاباً لا أُعذِّبه أحداً من العالمين﴾ [المائدة: ١١٥] فلم يظهر الله سحانه وتعالى هذه الآية للعامَّة لهذه الحكمة. والله أعلم وله الحمد.

٣٥٤٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :«هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هاهُنَا، فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ، وَلَا رُكُوعُكُمْ، إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤١٨)، ومسلم (٤٢٤).

قال المازري في «المعلم» ١/٢٦٦: قال بعضُ المتكلمين: يمكن أن يكون خلق الباري إدراكاً في قفاه ﷺ أبصر به مَنْ وراءه، وقد انخرقت له العادةُ بأكثر من هذا فلا يستنكر هذا، وإنَّما يستنكر هذا المعتزلة لأنها تشترط في خَلْق الإدراك بنيةً مخصوصةً.

٣٥٤٧- عَنْ عَبْدِالله بن مَسعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآياتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَها تَخْوِيفاً، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» فَجَاؤُوا بِإنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإنْاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلى الطَّهُورِ المُبَارَكِ والبَرَكَةِ مِنَ اللهِ» فَلَقَدْ رَأيتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيْحَ الطَّعَامِ، وَهُوَ يُؤْكَلُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

٣٥٤٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بِإنَاءٍ، وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإنَاءِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِـهِ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلاثَ مِئَةٍ أوْ زُهَاءَ ثَلاثِ مِئَةٍ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩).

وهذه آيةٌ ومعجزة، وقيل: هذا أبْلغُ من تفجير الماء من الحَجر لموسى عليه السلام، لأن في طبع الحجارة أن يخرجَ منها الماء، وليس في طباع أعضاء بني آدم ذلك.

٣٥٤٩- عنْ جَابِرٍ قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَرسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ؟»قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ مِنْهُ، وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ العُيُونِ قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْف لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم(١٨٥٦).

الركْوةُ: إناءٌ صغير من جلد يُشْرَب فيه. وهذه الأحاديث من أَدلِّ شيءٍ عَلى صدق النبوة، فإن هذه المعجزات قد حدثت في المواطنِ الحَفِلةِ والجموع الكثيرة ولا تتطرق التهمة إلى المحدِّث بها، لأنهم كانوا أسرع شيءٍ إلى تكذيبه لما جُبِلت عليه النفوس من ذلك، ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل، فهؤلاء قد رَوَوْا هذا وأشاعوه. ونسبوا حضورَ الجمَّاءِ الغفير له، ولم ينكر أحدٌ من الناس عليهم ما حدَّثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه، فصار كتصديق جميعهم له. أفاده القاضي عياض في «الشفا» ١/ ٢٥٤.

٣٥٥٠- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي جَيْشٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، تَخَلَّفَ لِبعضِ حَاجَتِهِ، وَتَخَلَّفْتُ مَعَهُ بِمِيضَأَةٍ، وَهِيَ الإداوَةُ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ جَاءَنِي فَسَكَبْتُ عَلَيْهِ مِنَ المِيضَأةِ، فَتَوَضَّأَ، وَقَالَ لِي: «احْفَظْهَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ لِبَقِيَّتِهَا شَأْنٌ» قَالَ: وَسَارَ الجَيْشُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْفُقُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ يَعْصُوهُمَا، يَشُقُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» قَالَ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَشَارَا عَلَيْهِمْ أَلَّا يَنْزِلُوا حَتَّى يَبلُغُوا المَاءَ، وَقَالَ بَقِيَّةُ النَّاسِ: بَلْ نَنْزِلُ حَتَّى يأْتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قال: فَنَزَلُوا، قَالَ: فَجِئْنَاهُمْ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، وَقَدْ هَلَكُوا مِنَ العَطَشِ فَدَعَا النَّبِيُّ

ﷺ بِالمِيْضَأةِ، فَأتَيْتُهُ بِهَا فَاسْتَأبَطَهَا، ثُمَّ جَعَلَ يَصُبُّ لهُمْ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا وَتَوَضَّؤُوا، وَمَلَؤُوا كُلَّ إنَاءٍ كَانَ مَعَهُمْ حَتَّى جَعَلَ يَقُولُ: «هَلْ مِنْ مَالٍ؟» قَالَ: فَخُيِّلَ إلَيَّ أنَّهَا كَما أخذَهَا، وكَانُوا يَوْمَئِذٍ اثْنَينِ وَسَبْعِينَ رَجُلاً.

إسناده صحيح، أخرجه أحمد (٢٢٥٧٥) بنحوه وبأطول منه، وأخرجه مسلم (٦٨١).

قوله: «هل من مالٍ» أي: هل من مالىء حذف الهمزة تخفيفاً.

٣٥٥١- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: سَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ هُوَ وَأصْحَابُهُ، قَالَ: فَأصَابَهُمْ عَطَشٌ شَدِيدٌ، فَأرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلَيْنِ مِنْ أصْحَابِهِ قَالَ: أحْسبُهُ عَلِيّاً وَالزُّبَيْرَ أوْ غَيْرَهُمَا، فَقَالَ: إنَّكُمَا سَتَجِدَانِ امْرَأةً بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ، فَأتِيَانِي بِها، قَالَ: فَأتَيَا المَرْأةَ، فَوَجَدَاهَا قَدْ رَكِبَتْ بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ عَلى البَعِيرِ فَقَالاَ لَهَا: أجِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَمَنْ رَسُولُ اللهِ؟ هٰذَا الصَّابِىءُ! قَالاَ: هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَقّاً فَجَاءَا بِهَا، فَأمَرَ النَّبيُّ ﷺ، فَجُعِلَ فِي إنَاءٍ مِنْ مَزَادَتَيْهَا، ثُمَّ قَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَقُولَ، ثُمَّ أعَادَ المَاءَ فِي المَزَادَتَيْنِ، ثُمَّ أمَرَ بِعَزْلاَء المَزَادَتَيْنِ، فَفُتِحَتْ، ثُمَّ أمَرَ النَّاسَ، فَمَلَؤُوا آنِيَتَهُمْ وَأسْقِيَتَهُمْ، فَلَمْ يَدَعُوا يَوْمَئِذٍ إنَاءً وَلَا سِقَاءً إلَّا مَلَؤُوهُ. قَالَ عِمْرَانُ: حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إلَيَّ أنَّهَا لَمْ تَزْدَدْ إلَّا امْتِلاَءً، قَالَ: فَأمَرَ النَّبيُّ ﷺ بِثَوْبِهَا فَبُسِطَ، ثُمَّ أمَرَ أصْحَابَهُ، فَجَاؤُوا مِنْ زَادِهِمْ حَتَّى مَلأَ لَهَا ثَوْبَهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «اذْهَبِي فَإنَّا لَمْ نَأخُذْ مِنْ مَائِكِ شَيْئاً، وَلٰكِنَّ اللهَ سَقَانَا» فَجَاءَتْ أهْلَهَا، فَأخْبَرَتْهُمْ،

فَقَالَتْ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَسْحَرِ النَّاسِ، أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَقّاً، فَجَاءَ أَهْلُ ذٰلِكَ الحِوَاءِ حَتَّى أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢).

والمزادة: التي يسميها الناس الرَّاوية، والرَّاوية: البعير الذي يسقى عليه، وهذه هي المزادة، والسطيحة نحو المزادة غير أنها أصغر من المزادة، فهي من جِلْدَيْنِ، والمزادة أكبر. والصابىء عند العرب: الذي خرج من دينٍ إلى دينٍ، وكان المشركون يقولون لمن أسلم: قد صَبأ فلانٌ. والعزلاءُ: هي فم المزادة الأسفل، يخرج الماءُ منه خروجاً واسعاً. والحِواءُ: بيوتٌ مجتمعة على ماءٍ، وجمعها أحويةٌ.

وفي الحديث دليلٌ على أنَّ أوانيَ المشركين على الطهارة ما لم يُعلم نجاستها، وفيه أنَّ أخْذ ماءِ الغير يجوز عند ضرورة العطش بالعوض، وقد أعطاها النبيُّ ﷺ من الزاد ما كان عوضاً عن مائِها.

٣٥٥٢- عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ رَأَيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ، قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ البَعِيرُ، جَرْجَرَ فَوَضَعَ جِرَانَهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «أَيْنَ صَاحِبُ هٰذَا البَعِيرِ؟» فَجَاءَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِعْنِيهِ» قَالَ: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ «بَلْ بِعْنِيهِ» قَالَ: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ فَإِنَّهُ لِأَهْلِ بَيْتٍ مَالَهُمْ مَعَيشَةٌ غَيْرُهُ، قَالَ: «أَمَّا إِذَا ذَكَرْتَ هٰذَا مِنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ العَمَلِ، وَقِلَّةَ العَلَفِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ».

قالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ، ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تُسَلِّمَ عَلى رَسُولِ اللهِ ، فَأَذِنَ لَهَا».

قالَ: ثُمَّ سِرْنَا فَمَرَرْنَا بِمَاءٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا بِهِ جِنَّةٌ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْخِرِهِ، ثُمَّ قَالَ «اخْرُجْ إِنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا، فلمَّا رَجَعْنَا مِنْ سَيْرِنَا، مَرَرْنَا بِذٰلِكَ المَاء، فأَتَتْهُ المَرْأَةُ بِجُزُرٍ وَلَبَنٍ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرُدَّ الجُزُرَ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ، فَشَرِبُوا اللَّبَنَ، فَسَأَلَهَا عَنِ الصَّبِيِّ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ رَيْباً بَعْدَكَ.

حديث حسن بطرقه وشواهده، أخرجه أحمد (١٧٥٤٨) و(١٧٥٤٩) و(١٧٥٥٩) و(١٧٥٦٣-١٧٥٦٥)، وابن أبي شيبة ١١/ ٤٨٨-٤٩٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٢٠-٢٤ والحاكم ٢/ ٦١٧-٦١٨، وبعضهم يزيد فيه على بعض، ولبعض الحديث شواهد يصح بها، انظر «المسند».

قوله: جَرجَر، أي: صوَّتَ، والجِران: باطن عنُق البعير.

٣٥٥٣- عن يزيد بن أبي عُبيدٍ عَنْ سَلَمَةَ قَالَ: خَفَّتْ أَزْوَادُ القَوْمِ، وَأَمْلَقُوا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فِي نَحْرِ إِبِلِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ، فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: مَا بَقَاؤُكُمْ بَعْدَ إِبِلِكُمْ؟ فَدَخَلَ عَلى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بَقَاؤُهُمْ بَعْدَ إِبِلِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَادِ فِي النَّاسِ يَأْتُونَ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ» فَبُسِطَ لِذٰلِكَ نِطْعٌ، وَجَعَلُوهُ عَلى النِّطْعِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَعَا وَبَرَّكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأَوْعِيَتِهِمْ، فَاحْتَثَى النَّاسُ حَتَّى فَرَغُوا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ».

هذا حديث صحيح أخرج مسلم (٢٧) من رواية الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أوعن أبي سعيد، شكَّ الأعمش معناه، وقال: في غزوة تبوك، وقال:

اجتمع على النِّطع شيءٌ يسيرٌ، فدعا النبي ﷺ بالبركة، ثم قال: خُذوا في أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفَضلتْ فَضلةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيحجب عن الجنة».

واحتجَّ به البخاري (٢٤٨٤) في النَّهدِ في الطعام، في جواز قِسمة ما يُكال ويوزن مجازفةً، وقبضةً قبضةً.

٣٥٥٤- عن الزهري قال: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَامَ عَلى المِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُوراً عِظَاماً، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أحبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ، فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ، فَوَاللهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِه مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هٰذَا» قَالَ أَنَسٌ: فَأَكْثَرَ النَّاسُ البُكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذٰلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي سَلُونِي» قَالَ أَنَسٌ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «النَّارُ» وقَالَ: فَقَامَ عَبْدُاللهِ بْنُ حُذَافَةَ، فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ أبوكَ حُذَافَة، ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي» قَالَ: فَبَرَكَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبّاً وبالإسلام دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، قَالَ: فَسَكَتَ النَّبيُّ ﷺ حِينَ قَالَ عُمَرُ ذٰلِكَ، ثُمَّ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفاً فِي عُرْضِ هٰذا الحَائِطِ، وَأَنَا أُصَلِّي، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ».

قَالَ الزُّهْرِي: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُاللهِ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ عَبْدِاللهِ بْنِ حُذَافَةَ: مَا رَأَيْتُ ابْناً أَعَقَّ مِنكَ، أَكُنْتَ تَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ أُمُّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْض

مَا قَارَفَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ فَتَفْضَحَهَا عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ. فَقَالَ عَبْدُاللهِ: لَوْ أَلْحَقَنِي بِعَبْدٍ أَسْوَدَ لَلَحِقْتُهُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٥٤٠)، ومسلم (٢٣٥٩).

وفي الحديث من الآداب: مراقبةُ الصحابة أحوالَ النبي ﷺ وشدَّة إشفاقهم إذا غضب. والنهي عن كثرةِ السؤال، وعن سؤال ما لا عمل تحته. وفيه جوازُ الغضب في الموعظة.

٣٥٥٥- عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة أنه سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَاراً لَهَا، فَلَفَّتْ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي، وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَالِساً فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟»قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «لِطَعَامٍ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا». قَالَ: فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ. فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلا، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَأَتَتْ بِذٰلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسولُ اللهِ ﷺ، فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً لَهَا فَأَدَمَتْهُ،

ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» حَتَّى أَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أَوْ ثَمَانُونَ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٢٢)، ومسلم(٢٠٤٠).

العُكَّةُ: وعاءُ السمن. قوله: فأدَمَتهُ، أي: أصْلحته بالإدام، أدَمْتُ الخبز آدُمُهُ وآدِمُهُ، وخبزٌ مَأدومٌ.

٣٥٥٦- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ: أَنَّ أَبَاهُ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً، وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ، فَلَمَّا حَضَرَ جِزَازُ النَّخْلِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ دَيْناً كَثِيراً، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ فَقَالَ: «اذْهَبْ، فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَتِهِ» فَفَعَلْتُهُ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيهِ كَأَنَّمَا أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ، أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَراً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ» فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَلَا أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ، فَسَلَّمَ اللهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا، وَحَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٢١٢٧).

قوله: «جِزاز» هو بالزاي في الموضعين، أي: قَطْعُ النخل.

٣٥٥٧- عَنْ الأعْرَجِ فِي قَوله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ﴾. قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ وَاللهُ المَوْعِدُ، وَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا بَالُ المُهَاجِرِينَ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهٰذِهِ الأحَادِيثِ، وَمَا بَالُ الأنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ بِهٰذِهِ الأحَادِيثِ؟ وَإِنَّ أَصْحَابِي مِنَ المُهاجِرِينَ كانَتْ تَشْغَلُهُمْ صَفَقاتُهُمْ في الأسْواقِ، وإِنَّ أَصْحَابِي مِنَ الأنْصَارِ كَانَتْ تَشْغَلُهُمْ أَرَضُوهُمْ، وَالقِيَامُ عَلَيْهَا، وَإِنِّي كُنْتُ امْرأً مِسْكِيناً، وَكُنْتُ أُكْثِرُ مُجَالَسَةَ رَسولِ اللهِ ﷺ أَحْضُرُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَإِنَّ النَّبيَّ ﷺ حَدَّثَنَا يَوْماً، فَقَالَ: «مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِي ثُمَّ يَقْبِضُهُ إِلَيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَنْسَى شَيئاً سَمِعَهُ مِنِّي أَبداً» قَالَ: فَبَسَطْتُ ثَوْبِي، أَوْ قَالَ نَمِرَتِي، ثُمَّ حَدَّثَنَا، فَقَبَضْتُهُ إِلَيَّ، فَوَاللهِ مَا نَسِيتُ شَيئاً سَمِعْتُهُ مِنْهُ، وَايْمُ اللهِ لَوْلَا آيةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ أَبداً ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآيَةَ كُلَّهَا [البقرة:١٥٩].

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (٢٤٩٢).

قوله: صَفقاتُهم في الأسواق: أراد: صفْقَ الأكفِّ عند البيع كانوا إذا تصافقوا بالأكفِّ كان ذلك إمارةَ المِلْكِ، وانبرامِ البيع، ولذلك يُضاف الأملاك إلى الأيدي، والقبوضُ تقع بها.

٣٥٥٨- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِالله قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذا خَطَبَ، اسْتَنَدَ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ، فَاسْتَوَى عَلَيْهِ، اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلُ المَسْجِدِ حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاعْتَنَقَهَا، فَسَكَنَتْ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٥٨٥).

وحنين الناقة: ترجيعها صوتها إثرَ ولدها، يقال: حنَّت، أي: اشتاقت.

وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل قوله تعالى: ﴿وإن من شيءٍ إلَّا يُسبِّحُ بحمده﴾ [الإسراء:٤٤] على ظاهره. وكان الحسن البصري إذا حدَّث بهذا الحديث قال: يا معشر المسلمين، إنَّ الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه. أفاده الحافظ في «الفتح» ٦/٦٩٧.

٣٥٥٩- عَنْ أنَسٍ: أنَّ رَجُلاً كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبيِّ ﷺ، وَقَدْ كَانَ قَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ الرَّجُلُ إذَا قَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، جَدَّ فِينَا، فارْتَدَّ عَنِ الإسْلَامِ، وَلَحِقَ بِالمُشْرِكِينَ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الأرْضَ لَا تَقْبَلُهُ» قَالَ أنَسٌ: فَأخْبَرَنِي أبُو طَلْحَةَ أنَّهُ أتَى الأرْضَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَوَجَدَهُ مَنْبُوذاً. قَالَ أبُو طَلْحَةَ: مَا شَأنُ هٰذَا؟ فَقَالُوا: قَدْ دَفَنَّاهُ مِرَاراً، فَلَمْ تَقْبَلْهُ الأرْضُ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

٣٥٦٠- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا خَلَقَ اللهُ مُؤْمِناً سَمِعَ بِي وَلَا يَرَانِي إلَّا أحَبَّنِي قُلْتُ: وَمَا عِلْمُكَ بِذٰلِكَ يَا أبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: إنَّ أُمِّي كَانَتْ مُشْرِكَةً، وَإنِّي كُنْتُ أدْعُوهَا إلَى الإسْلَامِ، فَتَأبَى عَلَيَّ، وَإنِّي دَعَوْتُهَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَأسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أكْرَهُ، فَأتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ أُمِّي امْرَأةٌ مُشْرِكَةٌ وَإنِّي كُنْتُ أدْعُوهَا إلَى الإسْلَامِ، فَتَأبَى عَلَيَّ، وَإنِّي دَعَوْتُهَا، فَأسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أكْرَهُ،

فَادْعُ اللهَ أنْ يَهْدِي أُمِّي فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ أَغْدُو أُبَشِّرُهَا بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَتَيْتُ البَابَ إِذَا هُوَ مُجَافٌ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ المَاءِ، وَسَمِعَتْ خَشْفَ رِجْلِي، فَقَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كَمَا أَنْتَ، وَفَتَحتْ البَابَ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبْكِي مِنَ الفَرَحِ كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الحُزْنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ، فَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيَّ، وَإِلَيْهَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْهُمْ إِلَيْهِ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٤٩١).

٣٥٦١- عن ابن عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٥٤٥).

قيل: الكَذَّاب هوالمختار بن أبي عُبيد، والمبيرُ: الحجاج بن يوسف، والمبيرُ: الذي يُهلِك الناس.

٣٥٦٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ، فَلاَ قَيْصَرَ بَعدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٠٢٧)، ومسلم (٢٩١٨).

٣٥٦٣- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَهْلِكُ كِسْرَى، ثُمَّ لَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرُ لَيَهْلِكَنَّ، ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ» وسَمَّى الحَرْبَ خُدْعَةً.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٠٢٨).

وقد روي أنَّ النبي ﷺ كتب إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام، فمزَّق كتابه، فقال النبيُّ ﷺ: «تَمزَّقَ مُلْكُهُ» وكتب إلى قيصر، فأكْرَمَ كتابه، ووضعه في مِسْكٍ، فقال النبي ﷺ: «ثَبَتَ مُلْكُهُ». أخرجه البخاري (٤٤٢٤).

ووجه الجمع بين الحديثين أنَّ كسرى تمزَّق مُلكه، فلم يبق لهم مُلكٌ، وأنفِقَتْ كنوزه في سبيل الله، وأورث اللهُ المسلمين أرضَه، وقيصر ثبت مُلكه بالرُّوم، وانقطع عن الشام، واستبيحت خزائنه التي كانت بهما، وأنفقت في سبيل الله. فمعنى قوله: لا قيصر بعده، يعني بالشام.

٣٥٦٤- عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَأَطْعَمَتْهُ، ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ البَحْرِ مُلُوكاً عَلى الأَسِرَّةِ، أَوْ مِثْلَ مُلُوكٍ عَلَى الأَسِرَةِ (يَشُكُّ أَيُّهُمَا) قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ

كَمَا قَالَ فِي الأُولَى. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلْنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ» فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ البَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ فَهَلَكَتْ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٢٧٨٨)، ومسلم (١٩١٢).

الثَّبَجُ: الوَسطُ. وفي الحديث: «أنطو الثَّبَجة» أي: أعطو الوَسط في الصدقة، يقال: ضربَ بالسيف ثَبَجَ الرَّجل، أي: وَسَطهُ، والثَّبَجُ: ما بين الكتِفين.

٣٥٦٥-عن خالد بن معدان: أنَّ عُمير بن الأسود العبسيَّ حدَّثه: أَنَّهُ أَتَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهُوَ نَازِلٌ فِي سَاحِلِ حِمْصَ وَهُوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ وَمَعَهُ أُمُّ حَرَامٍ قَالَ عُمَيْرٌ: حَدَّثَتْنَا أُمُّ حرامٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النبي ﷺ يَقُولُ: «أَوَّلُ جَيْشٍ منْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا» قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ» فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لَا».

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٢٩٢٤).

٣٥٦٦-عن ابن المنكدر أنَّ سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْطَأَ الجَيْشَ بِأَرْضِ الرُّومِ، أَوْ أُسِرَ في أَرْضِ الرُّومِ، فَانْطَلَقَ هَارِباً يَلْتَمِسُ الجَيْشَ، فَإِذَا هُوَ بالأَسَدِ، فَقَالَ لَهُ: أَبَا الحَارِثِ إِنِّي مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَيْتَ وَكَيْتَ، فَأَقْبَلَ الأَسَدُ لَهُ بَصْبَصَةٌ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِهِ كُلَّمَا سَمِعَ صَوْتاً، أَهْوَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ حَتَّى بَلَغَ الجَيْشَ، ثُمَّ رَجَعَ الأَسَدُ.

رجاله ثقات إلا أن ابن المنكدر لم يثبت سماعه من سفينة، وهو في «المصنف» (٢٠٥٤٤)، وأخرجه بنحوه الحاكم ٣/٦٠٦، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الخصائص» وزاد نسبته إلى ابن سعد وأبي يعلى والبزار وابن مندة، والبيهقي وأبي نعيم.

بابُ

المبعث وبدء الوحي

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، أيْ: شُقَّ جَمَاعَاتِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَقِيلَ: اجْهَرْ بِالقُرْآنِ، وَقِيلَ: أَظْهِرْ، وَقِيلَ: احْكُمْ، وقِيلَ: افْصِلْ بالأَمرِ، والصَّدِيعُ: الصُّبْحُ، وقِيلَ: افْرُقْ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، يُقَالُ: تَصَدَّعَ القَوْمُ، أيْ: تَفَرَّقُوا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، أيْ: يَتَفَرَّقُونَ ﴿فَرِيقٌ في الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. قَالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، أيْ: جَامِعاً لَهُمْ بِالإِنْذَارِ، وَمَعْنَى «كَافَّةً» فِي اللُّغَةِ: الإِحَاطَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ كُفَّةِ الشَّيءِ، وَهِيَ حَرْفُهُ إذَا انْتَهَى الشَّيءُ إِلَيْهِ كَفَّ عَنِ الزِّيَادَةِ، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٧]، أَيْ: أبْلِغُوا فِي الإِسْلَامِ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي شَرَائِعُهُ، فَتَكُفُّوا مِنْ أَنْ تَعْدُوا وَتُجَاوِزُوا، وَأَرَادَ بِالكَافَّةِ: الإِحَاطَةَ بِجَمِيعِ حُدُودِ الإِسْلَامِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ادْخُلُوا كُلُّكُمْ فِيهِ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزَّمّل: ٥]، أيْ: لَهُ وَزْنٌ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابن عَبَّاس فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ إذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ، يَخْشَى أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أَنْ تَقْرَأَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يَقُولُ: أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اسْمَعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]، أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ، قَرَأَهُ كَما وَعَدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٥٦٧-عَنِ ابْنِ عَبَّاس قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ يُوحَىٰ إلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّين سَنَةً.

هٰذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١).

٣٥٦٨-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَيَرَى الضَّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ، وَلَا يَرَى شَيْئاً وَثَمانِي سِنِينَ يُوحَى إلَيْهِ، وَأَقَامَ بِالمَدِينَةِ عَشْراً.

أخرجه مسلم (٢٣٥٣).

وقوله: «يسمع الصوت» أي: صوت الهاتفِ به من الملائكة، و«يرى الضوء» أي: نور الملائكة، ونور آيات الله تعالى.

٣٥٦٩-عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِىءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيْهِ الخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ

حِرَاءَ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ تَعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ عَدَدٍ- قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذٰلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الحقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ المَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلَ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هٰذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّاً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

وفلقُ الصبح وفَرقُ الصبح: ضوؤه إذا انفلق، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أعوذُ بربِّ الفَلَقِ﴾ وحِراءُ: جبلٌ بمكة، وهي مكسورة الحاء مفتوحة الراء ممدودة.

وقولها: يتحنَّث فيه، أي: يتعبد، والتحنُّث: التعبُّد سمِّي به، لأنه يُلقي به الحِنْثَ والذنْبَ عن نفسه، ومثله التحوُّب والتحرُّج والتأثُّم لإلقاء الحَوْبِ والحَرَج والإثم عن نفسه.

والغطُّ: الضغط الشديد، ومنه الغطُّ في الماء، ويُروى: فغتَّني، ومعناه: الغطُّ أيضاً. يرجُف فؤاده: أي: يخفِق، والرَّجفة: شدَّة الحركة.

وقوله: زمِّلوني: أي: دَثِّروني وتزمَّل الرجُل بالثوب: اشتمل به، وقولها: وتحمِل الكَلَّ، أي: المنقطِع، تريد: أنك تُعين الضيف، والكَلُّ: الذي لا يغني نفسه، ومنه قيل للعيال: كَلٌّ، قال الله تعالى: ﴿وهو كَلٌّ على مولاه﴾ [النحل: ٧٦] أيَ: ثقلٌ على وليِّه، وتَكسِبُ المعدوم، وفي بعض الروايات «وتُكسِب المعدمَ» وهو الأصْوبَ، لأن المعدوم لا يدخل تحت الأفعال، أي: تُعطي العائل، يقال: كسَبْتُ الرجُل مالاً وأَكسبتُهُ، أي: أعطيتُهُ، وبحذف الألف أفصحُ.

والناموس: صاحبُ سرِّ الرجُل الذي يُطلعه على باطن أمره، ويخصُّهُ بِما يَسترهُ عن غيره، يقال: نمسَ الرجُل ينمِسُ نمساً، وقد نامَسْتُهُ مُنامسةً: إذا سارَرتهُ، فالناموس: صاحب سرِّ الخير، والجاسوس: صاحب سرِّ الشرِّ.

وقوله: يا ليتني فيها جَذَعاً، أي: شاباً، والأصل في الجَذَع سِنُّ الدوابِّ، وفي حديث عليٍّ أسلمْتُ، وأنا جَذعَمَةٌ، أراد: وأنا جَذَعٌ: أي: حَدَثٌ في السنِّ، فزاد في آخرها ميماً توكيداً. ونصبَ «جَذَعاً» لأن معناه ليتني كنتُ جَذَعاً. والثابت في قوله: «فيها» لإضمار النبوَّة أو الدعوة أو الدولة يقول: يا ليتني كنت شاباً وقت

دعوتِك ونبوَّتِك أنصركَ نصراً مُؤزراً، أي: بالغاً. وآزر فلانٌ فلاناً، أي: عاونه على أمره، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فآزَرَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: قوّاه، والأَزْرُ: القوَّة، وقوله: ﴿اشْدُدْ بِهِ أزري﴾ [طه: ٣١] أي: قوِّ به ظهري.

وفي الحديث من الفقه: أنَّ مكارم الأَخلاق سببٌ للوقاية من مصارع السوءِ كما استنبطته أُمُّ المؤمنين خديجة رضوان الله عليها.

وفيه: مَدْحُ الإنسان في وَجْهِهِ في بعضِ الأَحوال لمصلحةٍ تطرأُ.

وفيه: تأنيسُ مَنْ حصلَتْ له مخافةٌ من أَمْرٍ وتَبشيرُهُ وذكْرُ أَسباب السلامة له.

وفيه أعظمُ دليلٍ وأَبلغُ حجَّةٍ على كمال خديجة رضي الله عنها، وجزالة رأيها، وقوَّةِ نَفْسِها، وثبات قلبها وعِظمِ فِقْهها. أَفاده النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ١/ ٤٨٢.

٣٥٧٠- عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ: «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلى كُرْسِيِّهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقاً، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، دَثِّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] ثُمَّ تَتَابَعَ الوَحْيُ».

هٰذا حديث متفق على صحته أَخرجه البخاري (٤)، ومسلم (٢٣٣).

قوله: «جُئِثتُ» أي: ذُعِرتُ، ويروى: «جُثِثْتُ» يُقال: جُيِثَ الرجُل، وجُثَّ، وجُؤِفَ، أي: فزِعَ.

٣٥٧١-عَـنْ عَـائِشَـةَ زَوْجِ النَّبِـيِّ ﷺ أَنَّ الحَـارِثَ بْـنَ هِشَـامٍ سَـأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أحياناً يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَنْفَصِمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلاً، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي اليَوْمِ الشَّاتِي الشَّدِيدِ البَرْدِ فَيَنْفَصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَـتَفَصَّدُ عَرَقاً.

هٰذاحديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٢) عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، وقال: فيَـفْصِمُ عني، وفي آخره فيفصِمُ عنه، وأخرجه مسلم (٢٣٣٣) عن أبي بكر بن أبي شَيبةَ، عن سفيان بن عُيينةَ، عن هشام، وقال: ثم يَفْصِمُ عنِّي.

قوله: «يأتيني في مثل صَلْصَلةِ الجَرَسِ» فالصَّلصلةُ: صوت الحديد إذا حُرِّك، قال أبو سليمان الخطابي: يريد -والله أعلم- أنه صوتٌ مُتدارِكٌ يسمعه ولا يُثْبِتُه عند أوَّل ما يَقرع سمعه حتى يتفهَّم، ويَستثبِتَ، فيتلقفُه حينئذٍ ويعيه، ولذٰلك قال: وهو أشدُّه عليَّ. قوله: «فينفصِم عنِّي» أي: ينقطع، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿لا انفصامَ لها﴾ [البقرة:٢٥٦] ومَنْ روى: فيفصِمُ عنِّي -وهو الأصوب- معناه: يُقلِع عنِّي. وقولها: يَتفصَّدُ عَرَقاً، أي: يَسيلُ كما يُفصدُ العِرقُ.

٣٥٧٢-عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، نَكَسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُؤُوسَهُمْ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ، رَفَعَ رَأْسَهُ».

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٣٥) وفي رواية: كان إذا أنزِلَ عليه، كُرِبَ لذٰلك، وتَربَّدَ وَجْهه.

قوله: تربد وجهه وأربد، أي: تلونَ فصار، كلون الرماد.

٣٥٧٣-عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ جَالِساً فِي المَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ ابْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَىٰ عَلَيْهِ ﴿لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [النساء:٩٥]، قَالَ فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمْلِيهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ رَجُلاً أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ، وَفَخِذُهُ عَلى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾.

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٢٨٣٢).

الوحيُ من الله عزَّ وجلَّ على أنبيائه عليهم السلام على أنواعٍ كما قال الله تعالى: ﴿وما كان لبَشرٍ أنْ يُكلِّمهُ اللهُ إلا وحياً أو منْ وراءِ حجابٍ أو يُرْسِلَ رسولاً فيوحيَ بإذنه ما يشاء﴾ [الشورى:٥١] قال بعض أهل التفسير: الوحيُ الأولُ ما أراهم في المنام. قال عُبيد بن عمير: رُؤيا الأنبياء وحيٌ، وقرأ: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحُك﴾ [الصافات:١٠٢] وقاله غيرُ واحدٍ من أهل التفسير. وقوله: ﴿أوْ مِنْ وراء حجابٍ﴾ فكما كلَّمَ موسى عليه السلام مِنْ وراء حجاب حتى قال: ﴿أَرِني أنظُرْ إليكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] وقوله: ﴿أو يُرسِلَ رَسولاً﴾ فهو إرسالُه الروحَ الأمين، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ على قلبك﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

وقد كان لنبيِّنا ﷺ جميع هٰذه الأنواع، فقال الله عزَّ وجلَّ في رؤياه: ﴿لقدْ صَدَقَ اللهُ رَسولَهُ الرُّؤْيا بالحقِّ﴾ [الفتح:٢٨].

وقالت عائشة رضي الله عنها: أوَّلُ ما بُدِىءَ بهِ رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النَّوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت به مِثل فلقِ الصبح. وقال في

الكلام: ﴿فأوحى إلى عبدِهِ ما أوحى﴾ [النجم: ١٠] وفَرض عليه ليلة المعراج خمسين صلاةً، وقال في إرسال جبريل عليه السلام: ﴿نزلَ به الرُّوح الأمين على قلبك﴾ وقال: ﴿مَنْ كان عدُوّاً لجبريل فإنه نزَّلهُ على قلبك بإذن الله﴾ [البقرة: ٩٧] وفي الحديث «إنَّ الرُّوح الأمين نفث في رُوعي أنه لن تموت نفسٌ حتى تستوفيَ رزقها فأجمِلوا في الطلبِ» أخرجه الحاكم ٢/ ٤ من حديث ابن مسعود وله شاهد مرسل حسن عند الشافعي ١/ ١٤ من حديث المطلب بن حنطب، وآخر عن جابر بنحوه عند الحاكم ٢/ ٤، وسنده قوي في الشواهد، وثالث عن أبي أمامة عند أبي نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٧ وفي سنده ضعف.

ومن الوحي ما يأتي به جبريل، ومنه ما يأتي به غيرهُ من الملائكة، ومنه ما يكلِّمه الملك بأمر الله تكليماً، ومنه ما يأتيه فيُلقي في روعِهِ، ومن الوحي ما كان سرّاً بين الله ورسوله، فلم يحدِّث به أحداً، ومنه ما حدَّث به الناس، وذلك على نوعين، فمنه ما كان مأموراً بكِتبتهِ قرآناً، ومنه مالم يكن مأموراً بكِتبتهِ قرآناً، فلم يكن من القرآن، ويُحكى عن الزهريِّ معنى هٰذا.

٣٥٧٤-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟» فَنَزَلَتْ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَينَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]، إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

هٰذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٢١٨).

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما كان ربُّك نَسِيّاً﴾ [مريم: ٦٤] أي: ما نسيك ربُّك أن أخَّر الوحيَ.

بابُ

دعائِه صلَّى الله عليه وسلَّم المشركين وصبره على أذاهم

٣٥٧٥-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ» قَال فَاجتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبّاً لَكَ لِهٰذَا دَعَوْتَنَا جَمِيعاً، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إِلَى آخِرِهَا.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أَخرجه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨).

٣٥٧٦-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النبي ﷺ على الصَّفَا فجعل ينادي: «يا بني فِهْرٍ، يا بني عَدِيٍّ» لبطون قريش حتى اجتمعوا فَجَعَلَ الرجُلُ إذا لم يَسْتَطِعْ أن يَخْرُجَ أرسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ ما هو فجاءَ أبو لَهَبٍ وقُرَيْشٌ، فقالَ: «أَرَأَيْتُكُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بالوادي تُريد أن تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نعم مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلّا صِدْقاً قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبّاً لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهٰذا جمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وتبَّ ما أغنى عنه مالُهُ وما كَسَبَ﴾.

أخرجه البخاري (٤٧٧٠).

٣٥٧٧-عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ».

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٠٥).

٣٥٧٨-عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً».

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

٣٥٧٩-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ، وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هٰذا المُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ، فَيَعْمَدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا، فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ،

فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلاَةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، ثُمَّ سَمَّى: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، والوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنِ الوَلِيدِ» قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ القَلِيبِ لَعْنَةً».

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٢٤٠)، وأخرجه مسلم (١٧٩٤) وقال: ودعا عليهم ثلاثاً، وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثاً.

وقال شعبة عن أبي إسحاق: إذ جاء عقبة بن أبي مُعيطٍ بسلى جزورٍ، فقذفه على ظهر النبي ﷺ.

قيل: كان هٰذا الصنيع منهم قبل تحريم هٰذه الأشياء من الفرْثِ والدَّم وذبيحة أهل الشرك، فلم تكُن تبطُل الصلاةُ بها، كالخمر كانت تُصيب ثيابهم قبل تحريمها.

٣٥٨٠-عن عروة بن الزُّبير قال: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَهُ المُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ.

هٰذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٨١٥).

٣٥٨١-عن عروة بن الزبير: أنَّ عَائِشَةَ زَوجَ النَّبيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهمُومٌ عَلى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟» قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً».

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم(١٧٩٥).

والأخشبُ من الجبال: الخشن الغليظ، وأخشبا مكة: جبلاها، وفي بعض الحديث «لا تزول مكة حتى يزولَ أخشابها» سُمِّيا أخشبين لصلابتهما وغِلظِ حجارتهما.

٣٥٨٢-عَنْ أَنَسٍ قَالَ: رُمِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَأُدْمِيَ وَجْهُهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلى وَجْهِهِ، فَجعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ» فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (١٧٩١).

٣٥٨٣-عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ، وَيَقُولُ: «يَا رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

هٰذا حديثٌ متّفقٌ على صحته أَخرجه البخاري (٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢).

وفي الحديث: ما كان عليه الأنبياء صلوات الله عليهم من الحلم والتصبُّرِ والعفوِ والشفقة على أَقوامهم، ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون.

٣٥٨٤-عن هَمَّام بن منبِّهٍ قَالَ: حدثنا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلى قَوْمٍ فَعَلُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ حِينَئِذٍ يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللهِ».

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٧٩٣).

٣٥٨٥-عَنْ خَبَّابٍ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَدْعُوا اللهَ لَنَا؟ أَلَا تَسْتَنْصِرُ اللهَ لَنَا؟ فَجَلَسَ مُحْمَارّاً لَوْنُهُ أَوْ وَجْهُهُ، فَقَالَ لَنَا: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ يُجَاءُ بِالمِنْشَارِ، فَيُجْعَلُ فَوْقَ رَأْسِهِ، ثُمَّ يُجْعَلُ بِفِرْقَتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هٰذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْكُمْ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخْشَى إِلَّا اللهَ، وَلٰكِنَّكُمْ تَعْجَلونَ».

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٨٥٢).

بابُ

المعراج

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

٣٥٨٦-عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ، قَالَ: «بَيْنَما أَنَا فِي الحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الحِجْرِ مُضْطَجِعاً إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ ـ قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ ـ مَا بَيْنَ هٰذِهِ إِلَى هٰذِهِ» فَقُلْتُ لِلجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلى شِعْرَتِهِ. «فَاستَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ إِيمَاناً، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ ـ فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ ـ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هٰذا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالابنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ:

مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجيءُ جَاءَ، فَفُتحَ، فَلَمَّا خَلصْتُ إذَا يَحْيَى وَعِيَسى، وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ، قَالَ: هٰذا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بي إلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْريلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إذَا يُوسُفُ، قَالَ: هٰذا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أوَقَد أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإذَا إدْرِيسُ، قَالَ: هٰذَا إدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحباً بالأَخِ الصَّالِحِ والنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَىالسَّماءَ الخامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ:ومَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإذَا هارُونُ، قَالَ: هٰذا هَارُونُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ علَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ،فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: قَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَباً بهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإذَا مُوسَى، قَالَ: هٰذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ

عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجاوَزْتُ، بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لأَنَّ غُلَاماً بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هٰذا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالابنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هٰذَا سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هٰذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ، فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ، فَالنِّيلُ والفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي بَيْتُ المَعْمُورِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ لَقَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ،

فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلٰكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أَخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

قوله: بينما أنا في الحَطيم. الحَطيم: الحِجر، سُمِّيَ حَطيماً لِما حُطِمَ من جداره، فلمْ يُسوَّ ببناء البيت. قدَّ، أي: قطع. والشِّعْرَةُ: العانة: والقَصُّ: الصدر.

وقيل في قول خُزَّان السمٰوات: أُرسِلَ إليه، أي: هل أرسِلَ إليه للعروج إلى السماء، وأمَّا بعْثه رسولاً إلى الخلق، فكان شائعاً مستفيضاً قبل العروج.

وذكر الخطابيُّ على بكاء موسى ﷺ قال: لا يجوز أن يُتأول بكاؤه على الحسدِ له، لأن ذٰلك لا يليقُ بصفات الأنبياء والأولياء، وإنما بكى من ناحية الشفقة على أمته، إذ قصَرَ عددهم عن مَبلغ عدد أمة محمد ﷺ.

وقوله: إن غلاماً بُعِث بعدي. ليس على سبيل الإزراء به، لكنه على معنى تعظيم المِنَّة لله عليه، إذ قد أحقَّه لذٰلك من غير طول عُمرٍ في عبادته، وقد تسمي العرب المستجمِع للسِّنِّ غلاماً ما دامت فيه بقيَّةٌ من قوَّةٍ.

قوله: وإذا نبِقُها مثلُ قِلال هَجَرَ. يريد أنَّ حَبَّ ثمرها في الكِبَرِ مثل قِلال هَجرَ، وهي الجِرار، وهي معروفة عندهم.

وقد جوَّد القاضي عياض الكلام على حادثة الإسراء في «الشفا» ١/ ١٦٤ فقال: والحقُّ من هٰذا والصحيح إن شاءَ الله أنه إسراءٌ بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدلُّ الآية وصحيحُ الأخبار والاعتبارُ، ولا يُعْدَلُ عن الظاهِرِ والحقيقة إلى التأويلِ إلّا عند الاستحالة، وليس في الإسراءِ بجسده وحالَ يقظته استحالة، إذ لو كان مناماً لقال: «بروحِ عَبْدِه» ولم يقل «بعبده» وقوله تعالى: ﴿ما زاغ البصرُ وما طغى﴾ [النجم:١٧]، ولو كان مناماً لما كانت فيه آيةٌ ولا معجزة، ولما استبعده الكفار، ولا كذَّبوه فيه، ولا ارتدَّ به ضعفاءُ مَنْ أَسلم، وافتتنوا به، إذ مِثْلُ هٰذا في المنامات لا يُنْكَر، بل لم يكن منهم ذٰلك إلا وقد علموا أَنَّ خبره إنَّما كان عن جِسْمه وحالِ يقظته، إلى ما ذُكِر في الحديثِ من ذكرِ صلاته بالأنبياء في بيت المقدس في رواية أنس.

٣٥٨٧-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالبُرَاقِ، وَهُو دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمَارِ، وَدُونَ البَغْلِ يَقَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ الَّتِي تَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ، قَالَ: ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إلى السَّمَاءِ، وَسَاقَ مِثْلَ مَعْنَاهُ... قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، وَقَالَ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ: فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ بُكَاءَ مُوسَىٰ. وَقَالَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إلى السِّدْرَةِ المُنْتَهَى وإذا وَرَقُهَا كَآذَانِ

الفِيلَةِ، وإِذَا ثَمَرُهَا كَالقِلاَلِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَأَوْحَى إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذٰلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذٰلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَذٰلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ يُكْتَبْ شَيْئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٦٢).

٣٥٨٨-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: فُرِّجَ عَنِّي سَقْفُ بَيْتِي، وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَّجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِىءٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ

بِي إلى السَّمَاء، فَلَمَّا جِئْتُ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هٰذا؟ قَالَ: هٰذا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فُتِحَ، عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ، بَكَىٰ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، والابنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا آدمُ وَهٰذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ، بَكَىٰ حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ» قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمٰوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ» قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَرَجَعْتُ بِذٰلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى موسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَرَاجَعَنِي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ

شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذٰلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجعتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهى بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ».

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٤٩)، وأخرجه مسلم (١٦٣) وفي روايته «فإذا فيها جنابذُ اللؤلؤ يريد: قِباب اللؤلؤ»، والجنابذ: جمع الجُنبُذَةِ، وهي القُبَّةُ، ولم يعرف الخطابيُّ الحبائِلَ. والأسوِدَةُ: جمع سوادٍ وهو شخص الإنسانِ.

والنَّسَمُ: جمع نسمةٍ، وهي النفس، وكلُّ دابّةٍ فيها رُوحٌ، فهي نسمةٌ، والنَّسمُ: الرُّوح، وأراد أرواح أولاده، وقوله: «ظهرتُ» أي: صَعِدتُ، والمستوى: المصعد. وقوله: «أسمع صريف الأقلام»: يريد -والله أعلم- ما يكتبه الملائكة من أقضية الله عزَّ وجل، وما ينسَخونه من اللوح المحفوظ.

٣٥٨٩-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ قَالَ: ﴿وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ.

أَخرجه البخاري (٣٨٨٨).

٣٥٩٠-عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ

مِنَ الأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِمَ سُورَةِ البَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً المُقْحِمَاتُ.

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٣).

المُقحِماتُ: أراد الذنوب العظام التي تُقحِم أصحَابَها في النار، أي: تُلقيهم فيها، والقُحَمُ: الأمور الشاقَّة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿هٰذا فوْجٌ مُقتحِمٌ معكم﴾ [صّ: ٥٩] أي: داخلٌ معكم النار.

٣٥٩١-عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرّاً عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٨٥٦)، وأخرجه مسلم (١٧٤) (٢٨٢) وفيه: قال: لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى رأى جبريل في صورته، له سِتُّ مِئةِ جناح.

٣٥٩٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، قَالَ: رَأَىٰ رَفْرَفاً أَخْضَرَ سَدَّ الأُفُقَ.

أخرجه البخاري (٤٨٥٨).

قيل: الرَّفْرَفُ: البساط، وقيل: هي هاهنا الثياب الخُضر. وجاء في بعض الروايات أنه رأى جبريل في حُلَّةٍ من رفرفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض صححها الترمذي (٣٢٧٩)، والحاكم ٢/ ٤٦٨ ووافقه الذهبي. وعن أبي هريرة ﴿ولَقَدْ رآهُ نزلةً أخرى﴾ [النجم: ١٣] قال: رأى جبريل عليه السلام. أخرجه مسلم (١٧٥).

٣٥٩٣-عَنْ أَنَسٍ قَالَ: فُرِضَتْ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ، ثُمَّ نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسَةً، ثُمَّ نُودِيَ: «يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهٰذِهِ الخَمْسِ خَمْسِينَ».

صحيح.

٣٥٩٤-عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، رَأَيْتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ».

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٧٥) ولفظه عنده: «مررتُ على موسى ليلة أسريَ بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره».

٣٥٩٥-عن الزهريِّ، أخبرني سعيد بن المسيّب أنه سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ الفِطْرَةَ، وَلَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ، غَوَتْ أُمَّتُكَ».

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).

قوله: «الفطرة» يعني الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة على ذلك لكونه سهلاً طيِّباً سائغاً للشاربين سليم العاقبة، بخلاف الخَمْر، فإنَّها أُمُّ الخبائث، وجالبةٌ لأنواعِ الشرورِ في الحالِ والمآل.

٣٥٩٦-عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

هٰذا حديثٌ متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٧١٠)، ومسلم (١٧٠).

بابُ

الهجـــرة

قَـالَ اللهُ سُبْحَـانَـهُ وَتَعَـالَـى: ﴿وَقُـلْ رَبِّ أَدْخِلْنِـي مُـدْخَـلَ صِـدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، يُرْوَىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالحَسَنِ وَقَتَادَةَ: أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ: المدِينَةَ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ: مَكَّةَ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِلَىٰ مَكَّةَ.

٣٥٩٧- عن عروة بن الزبير، عن عائِشَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يومٌ إِلَّا يَأْتِينا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِراً نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ، وَأَعْبُدَ رَبِّي. قَالَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ -يَا أَبَا بَكْرٍ- لَا يَخْرُجُ، وَلَا يُخْرَجُ، أَنْتَ تَكْسِبُ المُعْدِمَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ، وَارْتَحلَ مَعَهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ، فَطَافَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لا يَخْرُجُ مِثْلُهُ، وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يَكْسِبُ المُعْدِمَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدُّغُنَّةِ، وَقَالُوا لابْنِ الدُّغُنَّةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ،

فَلْيُصَلِّ فِيهَا، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَٰلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَٰلِكَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ لأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَٰلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَذَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَٰلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدُّغُنَّةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَٰلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ والقِرَاءَةَ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَٰلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الاسْتِعْلَانَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدُّغُنَّةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَٰلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ، وَهِيَ الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ،

فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذٰلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ -وَهُوَ الخَبْطُ- أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَما نَحْنُ يَوْماً جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هٰذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعاً فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدىً لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِالثَّمَنِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجَهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذٰلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ، قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَمَكَثَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيَدَّلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْراً يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذٰلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ،

فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفُهُمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهِمَا عَامِرُ ابْنُ فُهَيْرَةَ بغَلَسٍ يَفْعَلُ ذٰلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَةِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِياً خِرِّيتاً -وَالخِرِّيتُ: المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ- قَدْ غَمَسَ حِلْفاً فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، فَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ مَالِكٍ المُدْلِجِي وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَما أَنا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفاً أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ. قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلٰكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَاناً وَفُلَاناً انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ، فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَخَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَدَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلَامَ،

فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أُضرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا، فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لأَثَرِ يَدَيْهَا غُبَارٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ، فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِيْنَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي، وَلَمْ يَسْأَلاَنِي إِلاَّ أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا» فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدَمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا تُجَّاراً قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَيَسْمَعُ المُسْلِمُونَ بِالمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْطَلَقُوا أَيْضاً بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ، يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى

صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ العَرَبِ هٰذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاحِ، فَتلقَّوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِظَهْرِ الحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذٰلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَامِتاً، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذٰلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأَسَّسَ المَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ على التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَداً لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هٰذَا -إِنْ شَاءَ اللهُ- المَنْزِلُ» ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الغُلامَيْنِ، فَسَاوَمَهُمَا بِالمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِداً، فَقَالا: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِداً، وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِه، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

هٰذَا الحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْبَرْ   هٰذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَه   فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَه

فَتَمَثَّلَ بِبَيْتِ رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمينَ لَمْ يُسَمَّ لِي. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ يَبْلُغْنا فِي الأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرِ هٰذِهِ الأَبْيَاتِ.

هٰذا حديثٌ صحيح أخرجه البخاري (٣٩٠٥) و(٣٩٠٦).

قوله ابن الدُّغُنَّة: هي أمه، وقيل أم أبيه، وقيل: دابته، ومعنى الدغنة: المسترخية، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر. والقارةُ: قبيلة مشهورة من بني الهون ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش يضرب بهم المثل في قوة الرمي.

وقوله: تُكْسِب المُعْدِم، أي: تُعطيه المال. وقولها: فلم تكذِّبْ قريشٌ بجواره. يعني: لم ترُدَّ جواره، وكلُّ من كذَّب بشيءٍ، فقد رَدَّه.

وقولها: فيتقذّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، أي: يزدحمون عليه يقال: الناس يتقاذفون على فلانٍ، أي: يقذِف بعضهم بعضاً، فيتساقطون عليه، ويروى: فيتقصَّفُ، والمراد منه الازدحام حتى يسقطَ بعضهم على بعضٍ، وفي الحديث: «أنا والنبيون فراطٌ لقاصِفِين» فالقاصفون: الذين يزدحمون، يقول: نحن نتقدم إلى الجنة، وهم على الأثر يزدحمون حتى يقصفَ بعضهم بعضاً بِداراً إلى الجنة، وقيل: معناه: أنا والنبيون متقدِّمون في الشفاعة لقومٍ كثيرين مُتدافعين مزدحمين، وأصل القصفِ: الكسر.

قولهم: كرِهنا أن نُخْفِرَكَ، أي: نَنْقُضَ ذِمَّتك، يقال: خفرتُ الرَّجل: إذا حفِظته، وأخفرتُه: إذا نقضتَ عهده. والنِطاق: أن تلبس المرأة ثوباً، وتشدَّ وسطها بحبلٍ، ثم ترسل الأعلى على الأسفل، فسمِّيتْ أسماءُ ذاتَ النِّطاقين، لأنه كان لها نطاقان قطعتْ أَحَدَهما لزاد النبيِّ ﷺ.

وقولها في صفةِ عبد الله بن أبي بكرٍ: هو شابٌّ ثقفٌ، أي: ذو فِطنةٍ، يقال: غلامٌ ثقِفٌ، وامرأةٌ ثَقافٌ. وقولها: لقِنٌ، أي: حَسَنُ التلقُّنِ لِما يسمعه، واللَّقِنُ: الفَهِمُ، يقال: لَقِنْتُ الحديث أَلْقَنُهُ لقناً.

وقولها: فيدَّلج بسَحَرٍ، يقال: أَدْلَجَ: إذا سار الليل كله، وادَّلجَ بالتشديد: إذا سار سَحراً. يُكتادان به من الكيدِ.

وقولها: ورضيفهما: فالرَّضيف: اللبن المرضوف، وهو الذي طُرِحَ فيه الرضفة، وهي الحجارة المحماة لتذهبَ وخَامتُه، يقال: رَضفت اللبن والقِدْر. والخِرِّيت: الدليل الحاذق الذي يهتدي لمثل خُرْتِ الإبرة من الطريق.

وقولها: غمسَ حِلْفاً. تريد أنه كان حليفاً لهم، وذلك أنهم كانوا إذا عقدوا حِلفاً وضعوا جَفنةً من طيبٍ، فغمسوا أيديهم فيها لتأكيد الحلف. قوله: رأيتُ أَسْوِدَةً، جمع سَواد الإنسان، وهو شخصه. وقوله: فدفعتها تقرَّب: التقريب: دون الحُضرِ في سير الدَّابة، وفوق سَيرِ العادة.

وقول سُراقة: فاستقسمت بالأزلام. الأزلام: قِداحٌ زُلِّمَتْ وسوِّيتْ، أي: أخِذَ من حروفها، وأزلامُ بقر الوحش: قوائمها شبِّهتْ بأزلام القِداح للطافتها، واحدها زَلْمٌ وزَلَمٌ، كانت العرب في الجاهلية تتخذها، مكتوبٌ عليها الأمر والنهي، تضعها في وعاءٍ، وإذا أراد واحدٌ سَفراً أو حاجة، أخرَج منها زلماً، فإنْ خرج الآمر مَضى، وإنْ خرج الناهي، كفَّ وانصرف، ومعنى الاستقسام: طلبُ معرفة قسمي الخيرِ والشرِّ، والنفع والضرِّ.

وقوله: ساخت يدا فرسي، أي: غابت في الأرض.

وقوله: وإذا لأثر يديها غبارٌ ساطعٌ. ويروى: فخرجت قوائمها ولها عُثانٌ بالثاء المثلثة والنون، والعثان: أصله الدُّخَان، وجمعه عواثن، وجمع الدُّخان دواخن على غير قياس. قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٣٤٥: ولا نعْلم في الكلام شيئاً يشبههُما. وطعامٌ عِثنٌ ومَعثونٌ، أي: دَخِنٌ.

قوله: يرزآني، أي: لم يسألاني، يقال: رزأتُه ماله رزْءاً، أي: أخذته. قوله: أوفى رَجُلٌ، أي: أشرَفَ على أطمٍ، والأُطُمُ: الحصنُ. قوله: هٰذا جدُّكم الذي تنتظرون. يعني: حظكم ودولتكم التي كنتم تتوقعونها. فثار المسلمون، أي: وثبوا. والمِرْبَدُ: الموضع الذي يُجْعَلْ فيه التمر إذا صُرِمَ قبل أن يُجْعَلَ في الأوعية، ويُنقلَ إلى البيوت، والمِرْبَد: الموضع الذي يُحبس فيه الإبل والغنم، والرَّبْد: الحبس.

٣٥٩٨-عن أَنَس بن مَالِكٍ: أنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُمْ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكِينَ فَوْقَ رُؤُوسِنَا، وَنَحْنُ فِي الغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «يَاأَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟».

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

وفي الحديثِ: بيانُ عظم توكله صلوات الله عليه حتى في هٰذا المقام.

وفيه. فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي من أَجلِّ مناقبه، والفضيلةُ من أَوْجُهٍ منها: هٰذا اللفظ، ومنها: بَذْلُه نَفْسَه ومفارقته أَهلَه ورئاسته وماله في طاعةِ الله تعالى ورسوله، وملازمة النبي ﷺ، ومعاداة الناس فيه، وجَعْله نَفْسَهُ وقايةً عنه في كثير من المواطن. انظر «شرح النووي» ٨/ ١٦٧.

٣٥٩٩-عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ، فَنَزَلَ أَعْلَى المَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو عَمْرو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ، وَمَلأُ بَنِي

النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، وَإِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلإٍ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هٰذَا» قَالُوا: لَا وَاللهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ. قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ، وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ، وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَه ... فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَه

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٢٨)، ومسلم (٥٢٤).

قوله: أرسل إلى ملإٍ من بني النجار، فالملأ: أشرافُ الناس ورؤساؤهم الذين يرجع إلى قولهم. قوله: «ثامنوني بحائطكم»، أي: بيعونيه بالثمن. قوله: وفيه خَرِبٌ وهي جمع خربةٍ مثل كلمة وكلِمٍ وروى بعضهم بكسر الخاء وفتح الراء جمع الخراب.

وفي الحديثِ من الفقه: جوازُ قَطْعِ الأَشجار المثمرة للحاجة والمصلحة لاستعمال خشبها، أَو ليغرسَ موضعها غَيْرَها، أو لاتخاذ موضعها مسجداً، أو قَطْعها في بلادِ الكُفَّار إذا لم يُرْجَ فَتْحُها؛ لأَنَّ فيه نكايةً وغَيْظاً لهم وإِضعافاً وإرغاماً.

وفيه: جوازُ نَبْشِ القبور الدارسة وأنه إذا أزيل ترابها المختلط بدمائهم وصديدهم جازت الصلاة في تلك الأرض. أَفاد النووي في «شرح مسلم» ٣/ ١١.

٣٦٠٠-عن البراءِ بنِ عازبٍ قال: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرى مِنْهُ رَحْلاً، فَقَالَ العَازِب: ابْعَثِ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي، قَالَ: فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ، وَخرجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: نَعَمْ أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنْ الغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلا الطَّرِيقُ لا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ مَكَاناً بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أَنْفُضُ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالقَذَى، قَالَ: فَرَأَيْتُ البَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي فِيهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ المَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَشَرِبَ حتى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ الرَّحِيلُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زَالَتْ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا، أُرَى فِي جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ، شَكَّ زُهَيْرٌ، فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ،

فَادْعُوا لِي، فاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَجَا، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَداً إِلَّا قَالَ: كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلاَ يَلْقَى أَحَداً إِلَّا رَدَّهُ قَالَ: وَوَفَى لَنَا.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أَخرجه البخاري (٢٤٣٩)، ومسلم (٢٣٠٩).

قوله: أنفض ما حولك، أي: أحرس وأطوف حولك، هل أرى أحداً من الطلب. والقعْبُ: القدح الصغير.

وقوله: كُثبةً من لبنٍ، أي: قليلٌ منه، وكلُّ ما جمعته من طعامٍ أو غيره بعد أن يكون قليلاً، فهو كُثبةٌ، والجمع: كُثَبٌ.

قوله: يرتوي فيها. يقال: ارتوى من الماء، أي: رَوِيَ.

قوله: ارتطمتْ به فَرَسه، أي: ارتبكت، يقال: ارتطم الحمار في الوحل، أي: ساخ فيه . والجَلد: الأرض الغليظة الصُّلبةُ.

وفيه إشارةٌ إلى ما كان عليه العربُ في الجاهلية من التجمُّلِ ببعضِ الصفات الحميدة كالوفَاءِ وعدم الغَدْرِ، وهو مما أَهَّلهم لحمل رسالة الإسلام فيما بعد.

٣٦٠١-عَنِ البَراءِ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا القُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هٰذَا رَسُولُ اللهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلىٰ﴾ فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا.

هٰذا حديث صحيح أَخرجه البخاري (٤٩٤١).

٣٦٠٢-عَـنْ أَنَـس قَـالَ: لَمَّـا قَـدِمَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ المَـدِينَـةَ لَعِبَـتِ الحَبَشَةُ بِحِرَابِهِمْ فَرَحاً لِقُدُومِهِ.

أخرجه أحمد (١٢٦٤٩)، وأبو داود (٤٩٢٣) بسندٍ صحيح.

٣٦٠٣-عن أنسٍ قال سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ بِمَقْدَم رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ، فَأَتَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إلاَّ نَبِيٌّ، فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدَ إِلَىٰ أَبِيهِ أَوْ إِلَىٰ أُمِّهِ؟ قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرَئِيلُ آنِفاً» قَالَ: جِبْرَئِيلُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَقَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ على قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧] «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ» قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. يَا رَسُولَ الله إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرُنا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ؟» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذٰلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ. قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، فَانْتَقَصُوهُ. قَالَ: هٰذا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ.

هٰذا حديثٌ صحيح أخرجه البخاري (٤٤٨٠).

قوله: «يخترفُ» أي يجتني من ثمارِها.

وقوله: «زيادة كبد حوت»: هي القطعةُ المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أَطيبُها وأَهنأُ الأَطْعمة.

قوله: «بُهتٌ» أي: كذَّابون ممارون لا يرجعون إلى الحق. وهٰذا الحديث دليلٌ على ما جُبل عليه اليهود من هٰذه الأَخلاق الدنيئة والخلال الذميمة.

بابُ

الغــــزوات

٣٦٠٤-عن أَبي إسحاق قال سَأَلْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ: كَمْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ، قُلْتُ: كمْ غَزَا النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ.

هٰذا حديثٌ متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٤٧١)، ومسلم (١٢٥٤).

٣٦٠٥- عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَأَنَّهُ حَجَّ بَعْدَمَا هَاجَرَ حَجَّةً وَاحِدةً، لَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا: حَجَّةَ الوَدَاعِ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَبِمَكَّةَ أُخْرَى.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٤٠٤)، ومسلم (١٢٥٤).

وقوله: «تسع عشرة غزوة» أراد الغزوات التي خرج فيها النبي ﷺ بنَفْسه سواءٌ قاتل أو لم يقاتل.

٣٦٠٦- عن ابن بُرَيدة، حَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَقَاتَلَ فِي ثَمَانٍ، وَبَعَثَ أَرْبَعاً وَعِشْرِينَ سَرِيَّةً، قَاتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَيَوْمَ أُحُدٍ، وَالأَحْزَابِ، والمُرَيْسِيع، وَقُدَيْدٍ، وَخَيْبَرَ، وَمَكَّةَ، وَحُنَيْنٍ.

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (١٨١٤) عن سعيد بن محمد عن أبي تُميْلة عن الحسين بن واقدٍ، ولم يذكر البعوث، ولم يُسمِّ ما قاتل فيه.

وقال مَعمر عن الزهريِّ عن النبي ﷺ: أربعاً وعشرين غزوة.

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: قد ذكرتُ في كتاب «الإكليل» على الترتيب بعوث النبي ﷺ وسراياه زيادةً على المِئةِ.

بابُ

غزوة بدر

كَانتْ غَدَاةَ يَوْمِ الجُمُعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلى رَأْسِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْراً مِنَ الهِجْرَةِ. قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إسْحَاقَ: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] أَيْ: عَدَدُكُمْ قَلِيلٌ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ الفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، يَعْنِي: يَوْمَ بَدْرٍ كَانَ فِيهِ فُرْقَانٌ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَوْمَ الفَتْحِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [الأنفال: ٢٩]، أَيْ: فَتْحاً وَنَصْراً.

٣٦٠٧- عَنِ البراءِ قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلىٰ عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ، وَلَم يُجَاوِزْ مَعَهُ إلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاثَ مِئَةٍ.

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أَخرجه البخاري (٣٩٥٨)، والنهر المذكور هنا هو نهر الأردن.

٤٦٠٨- عن طارق بن شهاب قال: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَداً لأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إلَيَّ

مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتى، النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى، اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، وَلٰكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ.

أخرجه البخاري (٣٩٥٢).

قوله: «ممَّا عُدِلَ به» أي وُزِن، يعني من كلِّ شيءٍ يُقابل ذٰلك من الدنيويات. والمرادُ المبالغةُ في عظمة ذٰلك المشهد. وفي هٰذا دليلٌ على تنافس الصحابة في فعل الخيرات وتسابقهم في نصرة هٰذا الدين العظيم، فأثابهم الله على ذٰلك بتوطئة أكناف الأرض، وإحلال رضوانه عليهم.

٣٦٠٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

هٰذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٩٥٣).

قوله: «أَنشُدُك» أي: أَطلب منك.

٣٦١٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هٰذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ».

هٰذا حديثٌ صحيح أَخرجه البخاري (٣٩٩٥).

٣٦١١- عن سِماكٍ الحنفيِّ قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

إِلَى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِن تُهْلِكْ هٰذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادّاً يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِي الله كَذاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالمَلَائِكَةِ.

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ - هو سماكُ الحنفي -: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاس قَالَ: بَيْنَما رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ إِذْ نَظَرَ إِلَى المُشْرِكِ أَمَامَهُ، فَخَرَّ مُسْتَلْقِياً، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّيْفِ، فَاخْضَرَّ ذٰلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذٰلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: صَدَقْتَ ذٰلِكَ مِن مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ. فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ.

هٰذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٦٣).

وقوله: «كذاك» هو بمعنى كفاك.

قيل في معنى هٰذا الحديث، ومناشدةِ النبي ﷺ، وقول أبي بكر: حسبُكَ يا رسول الله فإنه سينجزك ما وعدك: ليس ذٰلك لأن حال أبي بكر في الثقة بربِّه كان أرفع، ولا يجوز لأحدٍ أن يظن ذٰلك، والمعنى فيه الشفقة منه عليه السلام على

قلوب أصحابه، والتقوية لِمُنَّتِهِمْ إذْ كان ذٰلك أولَ مَشْهدٍ شهده، وكانوا مكثورين بأضعافٍ من أعدائه، فابتهل عليه السلام في الدُّعاء والمسألة يُسكِّن بذٰلك ما في نفوسهم، إذ كانوا يعلمون أن دعوته مستجابةٌ، فلما قال له أبو بكر: حسبك كفَّ من الدعاء إذ عَلم أنه قد استُجيب دعاؤه بما وجده أبو بكر في نفسه من المُنَّةِ والقوة حتى قال هٰذا القول، يدلُّ عليه قوله على أثر ذٰلك: ﴿سَيُهزمُ الجمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] والله أعلم. وهٰذا مستفاد من كلام الخطابي كما نقله الحافظ في «الفتح» ٧/٣٣٨.

٣٦١٢- عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف، عن أبيه، عَنْ جَدِّهِ بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ في الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلاَمَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أن أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نعَمْ، مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَموتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذٰلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَها، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاس. قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هٰذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ. قَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفِ، فقالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ» وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٩٦٤)، وأخرجه مسلم (١٧٥٢) وفيه: تمنيتُ أن أكون بين أضلعَ منهما، أي: أقوى.

وقوله: «الأعجل منا» يعني الأقربَ أجلاً.

٣٦١٣- عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمر يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيد قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا في طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إذَا ظَهَرَ عَلى قَوْمٍ، أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاث لَيَالٍ، فَلَمَّا كان بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ، أَمَرَ بِرَاحِلَتِه، فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى، واتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نَرَى يَنْطَلِقُ إلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ علَىٰ شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَاديهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: يَا فُلَانَ ابنَ فُلانٍ، ويَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ أيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً؟ قَالَ: فقالَ: عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟! قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُم».

قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللهُ حتى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخاً وَتَصْغِيراً وَنِقْمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَماً.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٠٦٥)، ومسلم (٢٨٧٥).

الصناديد: العظماء، يقال: رجل صِنْديد. والطَّوِيُّ: البئر المطوية، وهي التي ضُرِسَتْ، أي: طُوِيَتْ بالحجارة لئلا تنهار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وما أنتَ بمسمعٍ مَنْ في القبور﴾ [فاطر: ٢٢] أراد به الكفّار الذين هم صُمٌّ عن الهدى لا تقدِرُ أنتَ علىهدايتهم كما قال جلَّ ذِكره: ﴿وما أنت بهادي العميِ عن ضلالتهم﴾ [النمل: ٨١].

وروي عن سليمان بن المغيرة، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: كنّا مع عمر رضي الله عنه بين مكة والمدينة، أنشأ يُحدثنا عن أهل بدرٍ، فقال: إن رسول الله ﷺ يُرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: هٰذا مصرع فلانٍ غداً إنْ شاء الله، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحقِّ ما أخطؤوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم (٢٨٧٣).

بابُ

غزوة بني النضير

قَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ: كَانَتْ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ قَبْلَ أُحُدٍ، وَجَعَلَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ بَعْدَ بِئْرِ مَعُونَةَ وَأُحُدٍ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر:٢]، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاس سُورَةُ الحَشْر، قَالَ: قُلْ: سُورَةُ النَّضِير. وَالحَشْرُ: الجَلاءُ وَذٰلِكَ أَنَّ بَنِي النَّضِيرِ أَوَّلُ مَنْ أُخرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُجْلُوا. قَالَ الزُّهْرِيُّ: هُوَ أَوَّلُ حَشْرٍ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ يُحْشَرُ النَّاسُ إِلَيْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، لِذٰلِك قَالَ: ﴿لأَوَّل الحَشْرِ﴾.

٣٦١٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَآمَنَهُمْ، وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٠٢٨)، ومسلم (١٧٦٦).

٣٦١٥- عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِير، قَالَ: وَلَهَا يَقُول حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

وَهَانَ عَلَىٰ سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٣٢)، ومسلم (١٧٤٦).

والشعر في ديوان حسان ١/ ٩٤ قاله ردّاً على جبل بن جوّال الثعلبي: وكان يهودياً ثم أسلم، والسَّراةُ: السادةُ جمع سَرِيّ. قال الفيومي في «المصباح المنير»: (سرى): وهو جمعٌ عزيز لا يكاد يوجد له نظيرٌ، لأنه لا يجمع فَعيل على فَعَلَة.

والبويرة: مصغر بورة وهي الحفرة، وهي هنا مكان معروف بين المدينة وبين تيماء، وهي من جهة قبلة مسجد قباء إلى جهة الغرب، ومستطير: مشتعل.

٣٦١٦- عَنِ ابْنِ عُمرَ قَالَ: حرَّق رَسُولُ اللهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقَطَعَ وَهِيَ البُوَيْرَةُ، فَنَزَلَتْ ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ الآيَةُ [الحشر: ٥]. واللينةُ: النخلةُ.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٠٣١)، ومسلم (١٧٤٦).

وقد سبقت الإشارة إلى جواز قطع الأشجار المثمرة إذا كان في ذٰلك مصلحةٌ ولا سيّما في الحروب نكايةً بالعدوّ وتوهيناً لقوّته.

بابُ
غزوةِ أحد

وَكَانَ قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ وَقَتْلُ أَبِي رَافِعِ بْنِ أَبِي الحُقَيْقِ قَبْلَهُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ

اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُمْ بإذْنِهِ﴾ [آل عمران:١٥٢]، أيْ: تَقْتُلُونَهُمْ وَتَسْتَأْصِلُونَهُمْ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إذ تُصْعِدُونَ وَلَا تلوون على أَحَدٍ﴾ [آل عمران:١٥٣]، كُلُّ مَنِ ابْتَدَأَ وَجْهاً مِنْ سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَهُوَ فِي ابْتِدَائِهِ مُصْعِدٌ، وَفِي رُجُوعِهِ مُنْحَدِرٌ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾ [آل عمران:١٥٣]، أَرَادَ غَمّاً بِغَمٍّ مُتَّصِلاً، فَالغَمُّ الأَوَّلُ: الجِرَاحُ وَالقَتْلُ، وَالغَمُّ الثَّانِي: مَا أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْسَاهُمْ الغَمَّ الأَوَّلَ.

٣٦١٧- عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء:٨٨]، وَقَالَ: «إِنَّها طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ».

هٰذا حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (٢٧٧٦).

قوله تعالى: ﴿والله أركسهم﴾ قال الطبري ٩/٧: يعني بذٰلك: والله ردهم إلى أحكام أهل الشرك في إباحة دمائهم وسبي ذراريهم، والإركاس: الرد، ومنه قول أمية ابن أبي الصلت:

فأركسوا في حميم النار إنهم كانوا عصاة وقالوا الإفكَ والزورا

٣٦١٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِياً شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجُعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ،

فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلى القَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لاَ تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ، وَإِنَّهُمَا المُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تُنْقِزَانِ القِرَبَ عَلَىٰ مُتُونِهِمَا، تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ، فَتَمْلآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ، فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلاَثاً.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٨١١) و(٤٠٦٤)، وأخرجه مسلم (١٨١١) وقال: إما مرَّتَين وإما ثلاثاً من النُّعاس.

قوله: مُجَوِّبٌ من الجوب، وهو التُّرس، وجمعه أجوابٌ يريد: مُترِّسٌ عليه بحجفةٍ، وهي التُرْس، والخَدم جمع خَدَمَةٍ، وهي الخلخال. تنقزان، يقال: نقزَ وقفزَ نقزاناً وقفزاناً: إذا وثب. ويروى: تزْفرانِ القرَبَ، أي: تحملانها.

قوله: وكان شديدَ النَّزع، أي: ماهراً في رمي السهام.

وقد استدلَّ الإمام النووي بهٰذا الحديث على جواز غَزْوِ النساءِ مع الرجال، ولا سيَّما إذا اشتدت الحاجة كأن يكون هناك عدوٌّ صائلٌ على بلاد المسلمين.

٣٦١٩- عن قتادة، حدثنا أنَسٌ أَنَّ أبا طَلْحَةَ قَالَ: غَشِيَنَا النُّعَاسُ، وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقَطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ.

هٰذا حديثٌ صحيح أخرجه البخاري (٤٠٦٨).

٣٦٢٠- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلا بَعْدُ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦) (٤٧) وزاد في رواية عنده (٢٣٠٦) (٤٦): يعني جبريل وميكائيل.

٣٦٢١- عَن أبي حازم أنه سَمِعَ سَهْلَ بنَ سَعْدٍ، وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ إنِّي لأعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمنْ كَانَ يَسْكُبُ المَاءَ، وَبِمَا دُووِيَ. كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَغْسِلُهُ، وَعَلِيٌّ يَسْكُبُ المَاءَ بالمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ المَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إلَّا كَثْرَةً، أَخذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ، فَأَحْرَقَتْها، فَأَلْصَقَتْهَا، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يومَئذٍ، وَجُرِحَ وَجْهُه، وَكُسِرَتِ البَيْضَةُ عَلىٰ رَأْسِهِ.

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صحته أَخرجه البخاري (٤٠٧٥)، ومسلم (١٧٩٠).

«الرَّباعية» هي بتخفيف الباء الموحدة، وهي السنُّ التي تلي الثنية من كل جانب. وفي ذٰلك دليلٌ على وقوع الابتلاء والانتقام بالأنبياء صلواتُ الله وسلامُه عليهم، لينالوا جزيلَ الأجر، ولتعرفَ أُممُهم وغيرهم ما أَصابهم فيَتَأَسَّوْا بهم. ولِيُعْلَمَ أَنهم من البشر تُصيبهم مِحَنُ الدنيا ليتيقَّن الناسُ أنهم مخلوقون مربوبون فلا يُفْتَتَنُ بما ظهر على أيديهم من المعجزات.

وفي الحديث أيضاً: إثباتُ المداواة ومعالجة الجراح، وأَنه لا يقدح في التوكُّل لأن النبي ﷺ فعله مع قوله تعالى: ﴿وتوكَّل على الحيِّ الذي لا يموت﴾ [الفرقان:٥٨]. أَفاده النووي في «شرح مسلم» ٦/ ٣٩٠.

٣٦٢٢- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: مَا نَعْلَمُ حَيّاً مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيداً أَعَزَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الأنصَار، قَالَ قَتَادَةُ: حدثنا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ اليَمَامَةِ

سَبْعُونَ. قَالَ: وَكانَ بِئْرُ مَعُونَةَ عَلى عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ، وَيَومُ اليَمَامَةِ عَلىٰ عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ.

هٰذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٠٧٨).

٣٦٢٣- عنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحدٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ، فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الجَنَّةِ» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

هٰذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٤٦)، ومسلم (١٨٩٩).

وقد زعم ٱبن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» ١/١٨٦: أَنَّ الرجلَ المَذكور هو عمير بن الحمام الأنصاري، قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٤١١: وسبقه إلى ذٰلك الخطيب واحتجَّ بما أَخرجه مسلم (١٩٠١) وذكر عمير بن الحمام، لٰكن نصَّ أنس بن مالك على أن ذٰلك كان يوم بَدْر. فلعلَّ القصتين متغايرتان.

وفي الحديث بيانُ ما كان عليه الصحابة من حبِّ نَصْرِ الإسلام، والرغبة في الشهادة ابتغاءَ مرضاة الله تعالىٰ.

وفيه: جوازُ الانغمار في صفوف الكفار، والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة بين العلماء.

بابُ
قتل أهل بئر معونة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُحُدٍ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، وَكَانَ بَعْدَ أُحدٍ قَتْلُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي عَشَرَةٍ عَيْناً، وَأَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلَهُ حَيٌّ مِن بَنِي لَحْيَانَ مَعَ سَبْعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَسَرُوا خُبَيْباً وَزَيْدَ بْنَ الدَّثِنَةِ، فَبَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، ثُمَّ قُتِلا.

وهٰذا ثابتٌ في «صحيح البخاري» (٤٠٨٦).

٣٦٢٤- عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رِعْلاً وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللهِ ﷺ على عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانُوا ببئر مَعونَةَ، قَتَلُوهُمْ، وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَنَتَ شَهْراً يَدْعُو في الصُّبْحِ عَلى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ: عَلىٰ رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ، قَالَ أَنَسٌ: فَقَرأْنَا فِيْهِمْ، ثُمَّ إنَّ ذٰلك رُفعَ: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا، فَرضِي عَنَّا وَأَرْضَانَا.

هٰذا حديثٌ متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٠٩٠)، ومسلم (٦٧٧).

كانت وقعة بئر معونة في صفر من السنة الرابعة للهجرة. ومُلَخَّصها كما قال ابن القيم في «زاد المعاد» ٣/٢٤٦: أَنَّ أَبا براء عامرَ بنَ مَالك المدعو ملاعبَ الأسنة قَدِم على رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فدعاه إلى الإسلام، فلم يُسْلم ولم يَبْعُد، فقال: يا رسول الله، لو بَعَثْتَ أَصحابك إلى أَهل نجد يدعونهم إلى دينك، لرجوتُ أَن يُجيبوهم، فقال: «إني أَخَافُ عليهم أَهل نجد»، فقال أبو براء: أَنا جارٌ لهم، فبعث معه سبعين رجلاً، وأَمَّر عليهم المنذر بن عمرو، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وقرّائهم، فلما وصلوا إلى بئر معونة استنفر عليهم عامر بن الطفيل بني عامر فلم يُجيبوه لأجل جوار أبي البراء، فاستنفر بني سليم، فأجابته رِعْلٌ وذكْوان وعُصَيَّة، فأَحاطوا بالصحابة وقتلوهم عن آخرهم إلا كعب بن زيد ابن النجار، فوجد رسول الله ﷺ على قتلى بئر معونة ما لم يجده على غيرهم ومكث شهراً يدعو على قاتليهم، واستدلَّ به الشافعية على استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة.

باب
غزوة الخندق وهي الأحزاب

قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: كَانَتْ فِي شَوَّال سَنَةَ أَرْبَعٍ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ﴾ [الأحزاب: ١٠] قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ ذلِكَ يَوْمَ الخَنْدَقِ.

أما تسميتها بالخندق. فمن أجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وكان الذي أشار بذلك سلمان الفارسي فيما ذكره أصحاب المغازي، وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم: قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم. وانظر خبر هذه الغزوة في ابن هشام ٣/ ٢٢٦، وابن سعد ٢/ ١، ٤٧، والطبري ٣/ ٤٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ١٦٥، وابن سيد الناس ٢/ ٥٤، وابن كثير ٤/ ٩٢، و«زاد المعاد» ٣/ ٢٦٩، و«شرح المواهب» ٢/ ١١٨.

وقوله: «كانت في سنة أربع» علقه البخاري ٧/ ٣٠٢ وقال الحافظ: هكذا رويناه في مغازيه وتابع موسى على ذلك مالك، وأخرجه أحمد عن موسى ابن داود عنه، وقال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي، قال ابن القيم: وهو الأصح، وقطع به الذهبي، واعتمده الحافظ.

٣٦٢٥- عن حُمَيْد الطويل قال: سَمِعْتُ أَنساً قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الخَنْدَقِ، فَإِذَا المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ

بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأى ما بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالجُوْعِ قالَ:

اللَّهُمَّ إنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَه فَاغْفِر للأنْصَارِ وَالمُهَاجِرَه

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أبَدا

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٠٩٩).

و«النَّصَبُ»: التعبُ.

وقوله: «إنَّ العيش» أي: العيش المعتبر هو عَيْشُ الآخرة حيث النعيم المقيم، قاله ﷺ حثاً لهم على مواصلة العمل.

٣٦٢٦- عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الخَنْدَقِ حَتَّى اغْمَرَّ بَطْنُهُ، أوِ اغْبَرَّ بَطْنُهُ يَقُولُ:

وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأقْدَامَ إنْ لَاقَيْنَا

إنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إذَا أرَادُوا فِتْنَةً أبَيْنَا

وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: أبَيْنَا أبَيْنا.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣).

قوله: اغمرَّ، يقال: غمرت الشيء: إذا سترتَه، وماءٌ غمرٌ، إذا علا كلَّ شيءٍ فستَرَه، واغبرَّ من الغبار.

٣٦٢٧- عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه قال: أَتيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فقَالَ: إنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤوا النَّبيَّ ﷺ، فقَالُوا: هذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقاً، فَأَخَذَ النَّبيُّ ﷺ المِعْوَلَ، فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيباً أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئاً مَا فِي ذٰلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِي قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقلتُ: طُعَيْمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، فَقَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ»، قَالَ: «قُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعُ البُرْمَةَ، وَلَا الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِـيَ». قَالَ: «قُومُوا»، فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبيُّ ﷺ بِالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا». فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ، والتَّنُّورَ إذا أخذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ».

وَرَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَنْ جَابِرٍ وَقَالَ: ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً وَطَحَنْتُ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، وَقَالَ: وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

قوله: فعرضَتْ كُدْيَةٌ، أي: قطعةٌ غليظةٌ صُلبةٌ لا يعمل فيها الفأسُ والمِعوَلُ، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿أعطى قليلاً وأكدى﴾ [النجم: ٣٤] أي: قطع العطاء، يقال: أكدى الحافر: إذا بلغ الكُدْية، فقطعَ الحَفْر.

وقوله: أَهْيَلَ. الأهْيَلُ والهيَّالُ: السيَّال، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿كثيباً مهيلاً﴾ أي: مصبوباً سائلاً، يقال: تَهَيَّلَ الرَّمل: إذا سال، ومن روى: «أَهْيَمَ»، يقال: كثيبٌ أهْيَمُ، وكُثبانٌ هِيمٌ، والهِيمُ: الرِّمالُ التي لا يُرْويها ماءُ السماء، وبه فسَّر بعضهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿فشاربون شرْبَ الهيم﴾ [الواقعة: ٥٥].

و«العَناق»: الأُنثى من أولاد المعز. و«البُرْمَةُ»: القِدْرُ.

والحديثُ معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ الله ﷺ، ولذلك أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤٢٢، وجعله الماوردي في «أعلام النبوة»: ١٦٨ نظير معجزة عيسى عليه السلام في المائدة.

٣٦٢٨- عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ حِينَ أُجْلِيَ الأَحْزَابُ عَنْهُ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤١٠٩). وفيه إشارةٌ إلى أنهم رجعوا بغير اختيارهم بل بصنع الله تعالى لرسوله ﷺ.

وفيه: علمٌ من أعلامِ النبوة، فإنه ﷺ اعتمر في السنة القابلة، فصدته قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أنْ نقضوها، فكان ذلك سببَ فتح مكة.

٣٦٢٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤).

بابُ

خروج النبي ﷺ إلى بني قريظة

٣٦٣٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ يَوْمَ الخَنْدَقِ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الغُبَارِ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ يُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. قَالَ هِشَامُ بن عروة راوي الحديث: فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ سَعْداً قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ، فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْهَا، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ - وَفِي

المَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الخَيْمَةِ مَا هَذا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَماً فَمَاتَ مِنْهَا.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩).

قوله: «الأَكْحَل»: هو عِرْقٌ في وسط الذراع.

و«اللَّبَّةُ»: موضع القلادة من الصدر. وكان موضع الجرح قد وَرِمَ حتى وصل الوَرَمُ إلى صدره فانفجر من هناك.

قوله: «يغذو» أي: يسيل.

وفي الحديث من الفقه: جوازُ التحكيم في أُمورِ المسلمين وفي مهماتهم العِظام، وهذا إجماعٌ ولم يُخالف فيه إلّا الخوارج.

وفيه: جوازُ مصالحةِ أهل قريةٍ أو حصن على حكم حاكم مسلمٍ عَدْلٍ صالح للحكْم أمينٍ على هذا الأمر.

وفيه: جواز النوم في المسجد، وجواز مكث المريض فيه إنْ كان جريحاً.

ولم يتمنَّ سعدٌ الموت بسبب ضرٍّ نزل به، بل تمنى انفجار الجرح ليموتَ شهيداً رضوان الله عليه.

٣٦٣١- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الغُبَارِ سَاطِعاً فِي زُقَاق بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبِ جِبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤١١٨).

٣٦٣٢- عَن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ العَصْرَ فِي

الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَها، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذلِكَ، فَذُكِرَ ذلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِداً مِنْهُمْ.

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠).

قوله: «لا يُصَلِّين أحدٌ العَصْرَ». قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٤٧١: كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري، ووقع في جميع النسخ عند مسلم «الظهر» مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد، وقد وافق مسلماً أبو يعلى وآخرون، وكذلك أخرجه ابن سعد عن أبي عتبان مالك بن إسماعيل عن جويرية بلفظ «الظهر» وابن حبان من طريق أبي عتبان كذلك، ولم أره من رواية جويرية إلا بلفظ الظهر، غير أن أبا نعيم في «المستخرج» أخرجه من طريق أبي حفص السلمي عن جويرية فقال: «العصر» وأما أصحاب المغازي، فاتفقوا على أنها العصر، وانظر تمام كلامه فيه.

وقوله: «فلم يُعَنِّفْ واحداً منهم» قال المازري في «المُعْلم» ٣/ ٢١: هذا فيه دلالةٌ على أنَّ الإثم موضوعٌ في مسائل الفروع، وأنَّ كلَّ مجتهدٍ غيرُ ملومٍ فيما أدَّاه إليه اجتهاده بخلافِ مسائل الأُصول، وكأن هؤلاء لمَّا تعارضت الأدلة، فالأَمْرُ بالصلاةِ لوقتِها يوجبُ تعجيلَها قبل بني قريظة، والأَمْرُ بأن لا يُصلَّى إلَّا في بني قريظة يوجبُ التأخير وإنْ فات الوَقْتُ، فأيُّ الظاهرَيْن يُقَدَّمُ، وأي العمومَيْن يُسْتَعْمل؟ هذا موضعُ الإشكال للنظر فيه مجال وانظر «زاد المعاد» ٣/ ١٣١.

باب

غزوة ذات الرِّقاع

وَهِيَ غَزْوَةُ مُحَارِبِ خَصْفَةَ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي غَطَفَانَ فَنَزَلَ نَخْلاً (مكان من المدينة على يومين) وَهِيَ بَعْدَ خَيْبَرَ، لِأَنَّ أَبَا مُوسَى جَاءَ بَعْدَ خَيْبَرَ.

ذكره البخاري معلقاً قبل الحديث (٤١٢٥).

وَقَالَ أَبُو مُوسَى: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ.

أخرجه البخاري (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦).

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ. وَغَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ - وَهِيَ غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ - قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: سَنَةَ أَرْبَعٍ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: سَنَةَ سِتٍّ فِي شَعْبَانَ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: حَدِيثُ الإفْكِ فِي غَزْوَةِ المُرَيْسِيعِ.

٣٦٣٣- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَوَازَيْنَا العَدُوَّ، فَصَافَفْنَاهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مَعَهُ، وَأَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى العَدُوِّ، فَرَكَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَكَانَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَمْ تُصَلِّ، فَجَاؤُوا فَرَكَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمْ رَكْعَةً، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَرَكَعَ لِنَفْسِهِ رَكْعَتَهُ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٩٤٢). وقد سبق الكلامُ على فقه صلاة الخوف.

بابُ

عمرةِ الحُدَيْبِيَةِ وبيعة الرضوان

كَانَتْ فِي ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [الفتح: ١] أيْ: قَضَيْنَا لَكَ قَضاءً مَفْصُولاً فِيمَا اخْتَارَ اللهُ لَكَ مِنْ مُهَادَنَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَمُوَادَعَتِهِمْ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، وَالفَتْحُ يَكُونُ صُلْحاً، وَيَكُونُ عَنْوَةً. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

والحديبية: قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم وهي على تسعة أميال من مكة.

٣٦٣٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ قَالَ: الحُدَيْبِيَةُ، قَالَ أَصْحَابُهُ: هَنِيئاً مَرِيئاً فَمَا لَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥] قَالَ شُعْبَةُ: فَقَدِمْتُ الكُوفَةَ، فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلِّهِ عَنْ قَتَادَةَ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: أَمَّا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَمَّا «هَنِيئاً مَرِيئاً» فَعَنْ عِكْرِمَةَ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤١٧٢).

٣٦٣٥- عَنِ البَرَاءِ قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحاً، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً، وَالحُدَيْبِيَةُ: بِئْرٌ فَنَزَحْنَاهَا، فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا

قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلى شَفِيرِهَا، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا، ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرَكَائِبُنَا.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤١٥٠).

وقوله: «ونحن نعدُّ الفتح بيعة الرضوان» فسَّره الزهري بقوله: لم يكن في الإسلام فتحٌ قبل فتح الحديبية أعظم منه، إنَّما كان الكفر حيث القتالُ، فلما أَمِنَ الناسُ كلُّهم كلَّم بَعْضُهم بَعْضاً، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكن أحدٌ في الإسلام يعقل شيئاً إلّا بادر إلى الدخول فيه، فلقد دخل في تلك السنتين مِثْلُ مَنْ كان دخل في الإسلام قَبْلَ ذلك أو أكثر. ذكره الحافظ في «الفتح» ٥٠٦/٧ وفي هذا دليلٌ على أنَّ الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى بيئةٍ آمنةٍ ينتقل الناسُ فيها من الظلمات إلى النور.

٣٦٣٦- عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: عَلى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ عَلى المَوْتِ.

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠).

وقال مَعْقِل بن يسارٍ: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفِرَّ. أخرجه مسلم (١٨٥٨).

قال أبو عيسى: معنى الحديثين صحيحٌ، بايعه جماعةٌ من أصحابه على الموت، أي: لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نُقتلْ، وبايعه آخرون، وقالوا: لا نفِرُّ.

٣٦٣٧- عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِراً فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالحُدَيْبِيَةِ،

وَقَاضَاهُمْ عَلى أنْ يَعْتَمِرَ العَامَ المُقْبِلَ، وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحاً عَلَيْهِمْ إلَّا سُيُوفاً، وَلَا يُقِيمَ بِهَا إلَّا مَا أَحَبُّوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحهُمْ، فَلَمَّا أَقَامَ ثَلَاثاً، أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ، فَخَرَجَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٥٢).

باب

غزوة ذي قَرَد

ذو قَرَدٍ بفتح القاف والراء وهو ماءٌ على نحوِ اثني عشر ميلاً من المدينة.

وَهِيَ الغَزْوَةُ الَّتِي أغَارُوا عَلى لِقَاحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ خَيْبَرَ بِثَلَاثِ ليالٍ وبه جزم البخاري.

٣٦٣٨- عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ يَقُولُ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالأُولَى، وَكَانَتْ لِقَاحُ النَّبِيِّ ﷺ تَرْعَى بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخذَها؟ قَالَ: غَطَفَانُ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهُ، قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَي الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ المَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي وَكُنْتُ رَامِياً وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ   اليَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعِ

وَأَرْتَجِزُ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ حَمَيْتُ القَوْمَ المَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الأَكْوَعِ

مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ» قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٤١٩٤)، ومسلم (١٨٠٦).

واللِّقاحُ: النُّوق ذوات الدَّرِّ، واحدتها لِقحةٌ.

وقوله: اليومَ يومُ الرُّضعِ، أي: يوم هلاك اللِّئام من قولهم: لئيمٌ راضعٌ وهو الذي رَضُعَ اللؤم، كما يقال: راكعٌ ورُكَّعٌ، وخاشعٌ وخُشَّعٌ، يقال: رَضَعَ أمَّهُ يَرْضِع، ورضِعَها. وقوله عليه السلام: «مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ» أي: أَحْسِنِ العفو، والإسْجاحُ: حُسن العفوِ.

وفي الحديثِ من الفقه: جوازُ افتخار الإنسان بنَفْسِه في ساحات القتال والتمدُّح بالشجاعةِ ليوقع الرُّعْبَ في قَلْبِ خَصْمه.

باب

غزوة خيبر

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كانت فِي مُحَرَّم سَنَةَ سَبْعٍ.

٣٦٣٩- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فسِرْنَا لَيْلاً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لِعَامِرِ بْنِ الأَكْوَعِ: أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلاً شَاعِراً، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِداءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَبَيْنَا

وَبِـالصِّيَـاحِ عَـوَّلُـوا عَلَيْنَـا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ هٰذَا السَّائِقُ؟» فَقَالُوا: عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللهُ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ، فَحَاصَرْنَاهُمْ حَتَّى أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ اليَوْمَ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ، أَوْقَدُوا نِيرَاناً كَثِيرَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا هٰذِهِ النِّيرَانُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ؟» قَالُوا: عَلَى لَحْمٍ، قَالَ: عَلَى أَيِّ لَحْمٍ؟ قَالُوا: عَلَى لَحْمِ حُمُرِ الإِنْسِيَّةِ، فَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «أَهْرِيقُوهَا وَاكْسِرُوهَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَنُهْرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ: «أَوْ ذَاكَ» قَالَ: فَلَمَّا تَصَافَّ القَوْمُ، كَانَ سَيْفُ عَامِرٍ فِيهِ قِصَرٌ، فَتَنَاوَلَ بِهِ يَهُودِيّاً لِيَضْرِبَهُ وَيَرْجِعُ ذُبَابُ سَيْفِهِ، فَأَصَابَ رُكْبَةَ عَامِرٍ، فَمَاتَ مِنْهُ، فَلَمَّا قَفَلُوا، قَالَ سَلَمَةُ: رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ شَاحِباً، فَقَالَ لِي: «مَالَكَ؟» قُلْتُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِراً حَبِطَ عَمَلُهُ. قَالَ: «مَنْ قَالَهُ؟» قُلْتُ: قَالَهُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ وَأُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَذَبَ مَنْ قَالَهُ إِنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ» وَجَمَعَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ نَشَأَ بِهَا مِثْلَهُ».

هـذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخـاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٢).

قوله من هنيهاتك، أي: من أراجيزك وهي تصغير هَنَةٍ، كما يقال سَنَةٌ وسُنيهةٌ.

قوله: عَوِّلوا علينا، أي: أجلبوا بالصوت علينا من العويل، يقال: أعولتِ المرأة وعوَّلتْ.

وقد استشكل المازري في «المُعْلم» ٣/ ٢٩ قولَ سلمة بن الأكوع: «فاغفر فداءً لك ما اقتفينا»، فإنه لا يقال: أفدي الباري تعالى، ولا يقال للباري سبحانه: فديتك، لأن ذلك إنما يستعمل في مكروهٍ يُتَوَقَّعُ حُلولُه ببعضِ الأشخاص فيُحبُّ شخْصٌ آخرَ أن يحلَّ به ويَفْدِيه منه. ولعلَّ هذا وقع من غير قصدٍ منه إلى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله، وكما قال ﷺ: «وَيْلُ أُمِّه مِسْعَرُ حرب» أو يكون فيه ضرب من الاستعارة،، لأن الفادي لغيره قد بالغ في طلب رضا المفديّ حتى بذل نفْسَه في محابِّه.

وقوله: «إنه لَجاهدٌ مُجاهِد» قال ابن الأنباري: العرب إذا بالغت في تعظيم شيءٍ اشتقت له من لفظه لفظاً آخر على غير بنائه زيادة في التوكيد وأعربوه إعرابه فيقولون: جادٌّ مجدٌّ ، وليل لائل، وشعر شاعر ونحو ذلك.

٣٦٤٠- عن يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ مَا هٰذِهِ الضَّرْبَةُ؟ فَقَالَ: هذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلَمَةُ فَأَتَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَنَفَثَ فِيهَا ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ، فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٢٠٦)، وأبو داود (٣٨٩٤).

٣٦٨٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ اليَهُودِ»، فَجَمَعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟» قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

ﷺ: «كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ» فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ أَنَا سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟» فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيراً، ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْسَؤُوا فِيهَا وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَداً» ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقُونِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هٰذِهِ الشَّاةِ سَمّاً؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذٰلِكَ؟» فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّاباً أَنْ نَسْتَرِيحَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيّاً لَمْ يَضُرَّكَ.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه البخاري (٥٧٧٧).

وفي الحديث من الفقه: إخبارهُ ﷺ عن الغيب، وتكليمُ الجمادِ له، ومعاندةُ اليهودِ لاعترافهم بصدقه فيما أخبر به عن اسم أبيهم وبما وقع منهم من دسيسة السمِّ، ومع ذلك عاندوا واستمروا على تكذيبه.

وفيه: قَتْلُ مَنْ قَتَل بالسمِّ قصاصاً، وعن الحنفية إنما تجب فيه الدية، ومحلُّ ذلك إذا استكرهه عليه اتفاقاً. وأمَّا إذا دسَّه عليه فأكله ففيه اختلاف العلماء. أفاده الحافظ في «الفتح» ١٠/ ٢٥٧.

بابُ
عُمرةِ القضاء

كَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ، فَأَقَامَ ثَلَاثَ لَيَالٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ.

وقد اختلف في سبب تسميتها عمرةَ القضاء، فقيل: المراد: ما وقع من المقاضاة بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذي كتب بينهم بالحديبية، فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الصلح ولذلك يقال لها: عمرة القضية، قال أهل اللغة: قاضى فلاناً: عاهده، وقاضاه: عاوضه، فيحتمل تسميتها بذلك لأمرين، قاله عياض، ورجح السهيلي تسميتها عمرة القصاص؛ لأن قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ [البقرة: ١٩٤] نزلت فيها على ما رواه ابن جرير (٣١٣١) بإسناد صحيح عن مجاهد، وانظر خبر عمرة القضاء في ابن هشام ٤/ ١٢، والطبري ٣/ ١٠٠، وابن سيد الناس ٢/ ١٤٨، وابن كثير ٤/ ٢٢٦.

٣٦٤٢- عن ابْنِ أَبِي أَوْفَى قال: لَمَّا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَتَرْنَاهُ مِنْ غِلْمَانِ الْمُشرِكِين وَمِنْهُمْ أنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٢٥٥).

باب

غزوة مؤتة من أرض الشام

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: بَعَثَ فِي جُمَادَى الْأُولَى بَعْثَهُ [إلى الشام الذين أُصيبوا بمُؤْتة] سَنَةَ ثَمَانٍ.

وهو قول موسى بن عُقبة وغيرهما من أهل العلم بالسِّيَر.

٣٦٤٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنْ قُتِلَ زَيْدٌ، فَجَعْفَرٌ، وَإنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ، فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جعفرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعاً وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٦١).

٣٦٤٤- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْداً، وَجَعْفَراً، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٦٢). وفيه من الفقه: جوازُ الإعلامِ بموتِ الميت ولا يكون ذلك من النَّعي المنهيِّ عنه.

وفيه: تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أُمراء بالترتيب.

وفيه: جواز التأمر في الحرب بغير تأمير، لأن المراد بقوله: «سيف من سيوف الله» هو خالد بن الوليد رضي الله عنه. وقال الطحاوي في «شرح المشكل» ١٣/١٦٧: إنه جائزٌ لآحاد المسلمين أن يتولَّى شؤون الإمارة إذا غاب الإمام فيقوم مقامه حتى يحضر.

وفيه: جواز الاجتهاد في حياة النبي ﷺ. وفيه: علمٌ ظاهرٌ من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد. أفاده الحافظ في «الفتح» ٧/ ٥٨٦.

٣٦٤٥- عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ يَقُولُ: لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ.

أخرجه البخاري (٤٢٦٦).

و«الصفيحة»: السيف العريض. وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّ المسلمين قتلوا كثيراً من المشركين، وأنَّ خالداً باشر القتال بنَفْسِه.

باب

غزوة الفتح

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَتْحُ مَكَّةَ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ.

وهو الفتح الذي أعزَّ الله به دينَه ورسولَه وجُنْده، وحزبَه الأمين، واستنقذ به بلده وبَيْتَه الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين. وهو الفتح الذي دخل الناسُ به في دين الله أفواجاً، وأشرقَ به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» ٣/ ٣٩٤.

٣٦٤٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَذلِكَ عَلى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، وَسَارَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الكَدِيدَ - وَهُوَ مَا بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ - أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَإِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الآخِرُ فَالآخِرُ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٢٧٦)، ومسلم (١١١٣).

وفي الحديث دليلٌ لمذهب الجمهور: أنَّ الصومَ والفطر في السفر جائزان. وأنَّ المسافرَ له أن يصومَ بعضَ رمضان دون بعض، ولا يلزمه بصومِ بَعْضِه إتمامه.

وقوله: «وإنما يؤخذ من أمرِ رسول الله ﷺ الآخر فالآخر»: هذا محمولٌ على ما علموا منه النَّسْخَ أو رجحان الثاني مع جوازهما. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٤/ ٢٥١.

٣٦٤٧- عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِئَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١).

النُّصُب: الصنمُ المنصوبُ للعبادة، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما ذُبِحَ على النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٥].

وإنَّما فعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنامِ وعابديها، ولإظهارِ أنها لا تَنْفع ولا تضر، ولا تدفع عن نَفْسِها شيئاً. وفي تلاوته ﷺ للآيتين دليلٌ على استحباب تلاوتهما عند إزالة المنكر.

٣٦٤٨- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ النَّبيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أُسَامَةَ عَلَى القَصْوَاءِ، وَمَعَهُ بِلَالٌ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ حَتَّى أَنَاخَ عِنْدَ البَابِ، ثُمَّ قَالَ لعُثْمانَ: ائْتِنَا بِالمِفْتَاحِ، فَجَاءَهُ بِالمِفْتَاحِ، فَفَتَحَ لَهُ البَابَ، فَدَخَلَ النَّبيُّ ﷺ وَأُسَامَةُ وَبِلَالٌ وَعُثْمانُ، ثُمَّ غَلَقُوا عَلَيْهِمُ البَابَ، فَمَكَثَ نَهاراً طَوِيلاً، ثُمَّ خَرَجَ، فَابْتَدَرَ النَّاسُ الدُّخُولَ، فَسَبَقْتُهُمْ، فَوَجَدْتُ بِلالاً قَائِماً وَرَاءَ البَابِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: صَلَّى بَيْنَ ذَيْنِكَ العَمُودَيْنِ المُقَدَّمَيْنِ ـ وَكَانَ البَيْتُ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ شَطْرَيْنِ ـ صَلَّى بَيْنَ العَمُودَيْنِ مِنَ الشَّطْرِ المُقَدَّمِ، وَجَعَلَ بَابَ البَيْتِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَاسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الَّذِي يَسْتَقْبِلُكَ حِينَ تَلِجُ البَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِدَارِ قَالَ: وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَمْ صَلَّى. وَعِنْدَ المَكَانِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَرْمَرَةٌ حَمْرَاءُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٠٠).

و«القَصْواءُ» هي ناقة النبي ﷺ.

٣٦٤٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ، أَبَى أَنْ يَدْخُلَ البَيْتَ وَفِيهِ الآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا، فَأُخْرِجَتْ، فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الأَزْلَامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَاتَلَهُمُ اللهُ أَمَا وَاللهِ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ» فَدَخَلَ البَيْتَ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ، وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٢٨٨). و«الأزلام»: السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر.

والاستقسام: هو طلبُ نصيبه الذي قُسِم له، وقيل: هو التفكر والتروّي، يقال: تركت فلاناً يستقسم، أي: يفكِّر ويروِّي، ويقال: هو يُقسِّمُ أمره، أي: يقدِّره ويدبِّره.

وفي الحديث من الفقه: كراهية الصلاة في المكان الذي فيه صور، لكونها مَظِنَّةَ الشرك.

بابُ

غزوة حنين

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ الآيَةُ [التوبة: ٢٥].

قال ابن كثير في «التفسير» ٣٥٦/٢: يذكر الله تعالى للمؤمنين فَضْلَه عليهم، وإحسانَه لديهم في نصرِه إيَّاهم في مواطن كثيرةٍ من غزواتهم مع

رسوله، وأنَّ ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعدَدِهم ولا بعُدَدهم، ونبَّههم على أنَّ النصر من عنده سواءٌ قلَّ الجمعُ أو كثُر.

٣٦٥٠- قَالَ عَبَّاسُ بن عبد المطلب: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِب رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ على بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى المُسْلِمُونَ وَالكُفَّارُ وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ» فَقَالَ عَبَّاسٌ- وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتاً -: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ، قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ عَلى هَيْئَتِهِ فِيما أَرَى، قَالَ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِراً.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (١٧٧٥).

قوله: «أهداها له فروةُ بن نفاثة» فيه قبولُ هدية الكافر. وهذا القبولُ مخصوصٌ بمن طُمِع في إسلامه وتأليفه لمصلحةٍ يرجوها للمسلمين، فقد ردَّ صلوات الله عليه هديَّةَ مَنْ لم يطمع في إسلامه، ولم يكن في قبولها مصلحة، لأن الهدية توجبُ المحبة والمودة.

وأما فرارُ المسلمين، فإنه كان قريباً ولم يحصل من جميعهم بدليل عطفتِهم السريعة، وإنما فتحه عليهم مَنْ في قلبه مرضٌ من مُسْلمةِ أهل مكة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا.

وقوله: «الآن حمي الوطيس» هو مَثَلٌ يضربُ لشدَّة الحرب. والوطيس: شِبه التنُّور وهذا غايةُ البلاغة في التشبيه، وهي من الكلمات التي لم يسبق إليها ﷺ.

ومنها: قوله ﷺ: «مات حتف أنفه»، ومنها قوله: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»، ومنها: «يا خيل الله اركبي».

وقوله: كليلاً، أي: ضَعيفاً.

وفي الحديث دليلٌ على شجاعته صلوات الله عليه وسلامه، فإن ركوبه البغلةَ في موطن الحرب وعند اشتداد الناس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنهُ أيضاً يكون معتمداً يرجع إليه المسلمون، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٦/٣٥٩-٣٦١. وانظر «زاد المعاد» ٣/٤٨٣.

٣٦٥١- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى البَرَاء، فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ مَا وَلَّى، وَلٰكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ وَحُسَّرٌ إِلَى هٰذَا الحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْا بِرَشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ،

فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ:

«أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ   أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»

«اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ».

قَالَ البَرَاءُ: كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ البَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٧٧٦) (٧٩).

والأخِفَّاءُ: جمع خِفٍّ، يريد: القوم الذين ليس معهم سلاحٌ يثقِّلهم، والحُسَّرُ: جمع حاسِرٍ وهو الذي لا دِرْعَ له، ويقال: الذي لا سلاح له، والرَّشْقُ: الرَّميُ، وقوله: رِجْل من جَرادٍ، أي: جماعةٌ منها. وفي جواب البراءِ أدبٌ بديعٍ إذ قَصَرَ الفرارَ على جماعةٍ ممن خرج إلى المعركة.

وقوله: إذا احمرَّ البأس، أي: اشتدَّ الحرب، استقبلْنا العدوَّ برسول الله ﷺ، يقال: موتٌ أحمر، أي: شديد، وحمراء القيظِ شدة حرها، وسَنَةٌ حمراء: أي: شديدةٌ، والعرب تصِف عام الجدبِ بالحمرة، وتقول: إنَّ آفاق السماء تحمَرُّ أعوام القحط. قوله: نتَّقي به، أي: نجعله واقيةً لنا من العدوِّ، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فكيفَ تتقونَ إنْ كفرتم﴾ [المزمل: ١٧] أي: كيف يكون بينكم وبين العذاب واقيةٌ إنْ جحدتم يوم القيامة.

٣٦٥٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئاً، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً، فَهَدَاكُمُ اللهُ

بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ، فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟» كُلَّما قَالَ شَيْئاً، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟» قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئاً قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الهِجْرَةُ، لَكُنْتُ امْرأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً أَوْ شِعْباً، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

قوله: «في المؤلفة قلوبهم» هو بَدَلٌ من قوله: «في الناس». والمؤلفة قلوبهم هاهنا: مسلمون دخلوا في الإسلام، ولم يتمكن في قلوبهم، لقوله في رواية أخرى: «فإني أُعطي رجالًا حديثي عَهْدٍ بكُفْرٍ أتألَّفهم». وقد أطال ابن القيم النفس في التفقه في هذا الحديث في «زاد المعاد» ٣/ ٤٧٧ وأجاد في الاستنباط.

باب

حَجَّة الوَداع

٣٦٥٣- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِنى: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هٰذَا؟ «قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ هٰذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هٰذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هٰذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا».

أخرجه البخاري (٦٠٤٣).

وقَالَ هِشَامُ بْنُ الغَازِ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: وَقَفَ النَّبيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الجَمَرَاتِ فِي الحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ، بِهٰذَا. وَقَالَ: «هذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ»، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللهُمَّ اشْهَدْ». وَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هٰذِهِ حَجَّةُ الوَدَاعِ.

علّقه البخاري (١٧٤٢)، ووصله ابن ماجه (٣٠٥٨)، وأبو داود (١٩٤٥)، بإسنادٍ صحيح.

٣٦٥٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الوَدَاعِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَدَاعِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ- ثَلَاثاً-، إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ اليَمِينِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، أَلَا إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا، فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ «قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ- ثَلَاثاً- وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمْ انْظُرُوا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٤٤٠٢)، وأحمد (٦١٨٥) وفيه تمام تخريجه.

قوله: ولا ندري ما حَجَّةُ الوداع، قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٧١٠: كأنّه شيءٌ ذكره النبي ﷺ فتحدَّثوا به، وما فهموا أنَّ المراد بالوداعِ وَداعُ النبي ﷺ،

حتى وقعت وفاتُه ﷺ بعدها بقليل فعرفوا المراد، وعرفوا أنه ودَّعَ الناسَ بالوصية التي أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفَّاراً.

قوله: «إلَّا أنْذرَ أُمته» كأنَّ إنذارهم تعظيمٌ لفتنته وتقريبٌ لها، وبيانٌ منهم أنَّ وَقْتَها غير معلومٍ عندهم.

وفي الحديث: تعظيمُ حرمةِ دَمِ المؤمن وماله. وأنَّهما لا يستباحان إلّا بحقِّ الله تعالى.

بابٌ

في مَرَضِهِ ووفاته صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٦٥٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلى المِنبَرِ، فَقَالَ: «إنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فبَكَى أبُو بَكْرٍ، وقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إلَى هٰذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ المُخيَّرَ، وَكَانَ أبُو بَكْرٍ هُوَ أعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ مِنْ أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ إلَّا خُلَّةَ الإسْلَامِ، لَا تَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

والخَوْخة: مُخْتَرَقٌ بين بيتين أو دارين يُنصبُ عليها بابٌ.

قولُه: «إنَّ مِنْ أمَنِّ الناسِ عَليَّ» أي: أسمحُ بمالهِ وأجْوَدُ بذات يده، والمنُّ العطاء، وقد يكون المنُّ بمعنى الاعتداد بالصنيعة، وذلك مذمومٌ كما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿لا تُبْطِلوا صَدَقَاتِكُمْ بالمنّ والأذى﴾ [البقرة: ٢٦٤] وليس معنى الحديث هذا، إذ لا مِنَّةَ لأحَدٍ على رسول الله ﷺ، بل له المِنَّةُ على جميع الأمَّةِ. وقوله: «إلا خُلَّةَ الإسلام» أشار إلى أخوَّة الدِّين. وفي أمره بترك سدِّ خوخته الاختصاص كما خصَّهُ بالاستخلاف في الصلاة، وكل ذلك مما يؤكد خلافته رضي الله عنه.

٣٦٥٦- عن يزيد بن أبي حبيبٍ: أنَّ أبا الخير حدثه: أنَّ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الجُهَنِيَّ حَدَّثَهُمْ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى عَلى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ كَالمُوَدِّعِ لِلأحْيَاءِ، وَالأمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ، فَقَالَ: «إنِّي بَيْنَ أيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإنِّي لأنْظُرُ إلَيْهِ وَأنَا فِي مَقَامِي هٰذَا، وَإنِّي لَسْتُ أخْشَى عَلَيْكُمْ أنْ تُشْرِكُوا، وَلكِنْ أخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أنْ تَنَافَسُوهَا» فَقَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

قوله: «فَرَط» أي: سابق متقدّم.

وفي الحديث: إثباتُ حوض نبينا ﷺ لا حرمنا الله من الورود عليه. ونقل النووي في «شرح مسلم» ٨/ ٦٧ عن القاضي عياض قال: أحاديثُ الحوض صحيحة، والإيمانُ به فرضٌ، والتصديقُ به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهلِ السنة والجماعة، لا يُتأوّلُ ولا يُخْتَلَفُ فيه.

وفي الحديث: الحثُّ على الزهدِ في الدنيا وعدم التنافس فيها. وقد كثر في القرآن الإشارةُ إلى مَدْح الزهد فيها وإلى ذمِّ الرغبة فيها، قال تعالى: ﴿بل

تؤثرون الحياةَ الدنيا والآخرة خيرٌ وأبقى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧] وقال تعالى: ﴿تريدون عرضَ الدنيا والله يُريدُ الآخرة﴾ [الأنفال: ٦٧] وصحَّح الترمذي (٢٣٢٠) من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: «لو كانت الدنيا تعدلُ عند الله جناحَ بعوضةٍ، ما سقى كافراً منها شربة». وانظر: «جامع العلوم والحكم» ٢/ ١٧٧.

٣٦٥٧- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحدٍ صَلاَتَهُ عَلى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَـرَطُكُمْ وَأنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ الآنَ إِلَى حَوْضِي، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

قوله: «صلاته على الميت» أي: دعا لهم بدعاءِ صلاةِ الميت.

٣٦٥٨- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رسُولِ اللهِ ﷺ كَشَفَ السِّتَارَةَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، فَنظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، وَالنَّاسُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَشَارَ إِلَى النَّاسِ أَنِ اثْبُتُوا، وَأَبُو بَكْرٍ يَؤُمُّهُمْ، فَأَلْقَى السِّجْفَ وَتُوُفِّيَ مِنْ آخِرِ ذلِكَ اليَوْمِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

قوله: «كأنه ورقةُ مصحف»: عبارةٌ عن الجمال البارع، وحُسْنِ البَشَرَةِ وجمال الوجه واستنارته وزاد البخاري ومسلم: «ثم تبسَّم» قال النووي في «شرح مسلم» ٢/ ٣٧٩: وسببُ تبسُّمه ﷺ فَرَحُه بما رأى من اجتماعهم على الصلاة، واتباعهم لإمامِهم، وإقامتهم شريعتهم، واتفاق كلمتهم. فالواجبُ على المسلم أن يسعى بجهده لتوحيد صفِّ المؤمنين ويفرح بذلك.

قوله: «السّجف» بفتح السين وكسرها: السّتر. وقيل: الستران المقرونان بينهما فُرْجة.

٣٦٥٩- عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، تَخُطُّ رِجْلَاهُ فِي الأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ. قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، قَالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لم تُحلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ» فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَصَلَّى لَهُمْ وَخَطَبَهُمْ، وَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عَائِشَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ قَالَا: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ، كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذلِكَ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٤٢)، وأحمد (٢٤٨٥٨).

الأَوْكِيةُ جمعُ الوِكاءِ: وهو الخيط. قوله: «لمْ تُحْللْ أوكيتهنَّ» لأنَّ الماء الذي لمْ يُحْللْ عنه الوكاء يكون أطهرَ لعدم وصول الأيدي إليه، وخصَّ عدد

السَّبع تبركاً بها، لأنها تقع في كثير من أمور الشريعة، والمِخضب: شبه المِركنِ وهي إجانةٌ يُغسل فيها الثياب.

والخميصةُ: ثوبُ خزٍّ أو صوف. وقوله: «إذا اغتمَّ» يعني: أخذه نفسه من شدة الحرِّ. وفيه: التحذيرُ من اتخاذ القبور مساجد.

٣٦٦٠- عن عائشة قالت: إنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَإِنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ - شَكَّ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٤٩)، وأحمد (٢٤٢١٦).

قولها: بين سَحْرِي ونَحْرِي. النَّحْر: ما لزِقَ بالحلقوم من المريء، والسَّحْرُ: الرِّئةُ، يُقال انتفخ سَحْرُهُ.

وعبد الرحمن هو ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

وعُمرُ هو ابنُ سعيد بن أبي حسين النَّوْفليُّ المكيُّ أحد رواه الحديث.

قولها: فأمَرَّه بتشديد الراء، أي: أمَرَّه على أسنانه فاستاك به.

٣٦٦١- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَاتَ النَّبيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَداً بَعْدَ النَّبيِّ ﷺ.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه أحمد (٢٤٣٥٦)، والبخاري (٤٤٤٦) وغيرهما.

الحاقِنةُ: المطمئِنُّ بين التَّرْقُوَةِ والحَلقِ، والذَّاقِنةُ: نُقرةُ الذَّقن، ويقال: الذَّقنُ، ويقال ما يناله الذَّقنُ من الصَّدْمِ، وقال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ٣٥٦/٢: الذَّاقنةُ: طرف الحلقوم.

وفي الحديث دليلٌ على أن عائشة رضي الله عنها هي آخر الناسِ عهداً برسول الله ﷺ. وقد تتبَّع الحافظ في «الفتح» ٧٤٦/٧ جميع الأحاديث التي ذكرت أنَّ علياً رضوان الله عليه كان آخر الناس عَهْداً به، وخلص إلى أنها مما لا يحتج به لضعف رواتها.

٣٦٦٢- عن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير أنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْنَدٌ إِلَى صَدْرِهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأعْلَى».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٤٤٠)، ومسلم (٢٤٤٤).

قوله: «الرفيق الأعلى» قيل: هو من أسماء الله سبحانه وتعالى كأنه أراد ألحِقْني بالله، وقال الأزهريُّ: غلِطَ هذا القائل، والرفيق ها هنا: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى علِّيِّين اسم جاء على وزن فعِيلٍ، ومعناه الجماعة، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وحَسُنَ أولئِكَ رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩].

٣٦٦٣- عن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ». فَلَمَّا نُزِلَ بِهِ وَرَأْسُهُ فِي فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأعْلَى» فَقُلْتُ: إِذاً لَا تَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا، وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: وَكَانَتْ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأعْلَى».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٧).

وفي الحديث: ردٌّ على من يزعم أنَّ النبي ﷺ أوْصى إلى عليٍّ رضوان الله عليه بالخلافة، وأن يوفي ديونَه.

٣٦٦٤- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فيه أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شديدةٌ، فَسَمِعْتُهُ يقولُ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ» فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّتِه أخرجه البخاري (٤٥٨٦)، ومسلم (٢٤٤٤) (٨٦).

و«البُحَّةُ»: غِلَظٌ في الصوت. وقال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: مَنْ عمل بما أمره الله به ورسولُه، وتركَ ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عزَّ وجلَّ يسكنه دارَ كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بَعْدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين، وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم.

٣٦٦٥- عَن أنسٍ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبيُّ ﷺ جعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاكَرْبَ أبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبّاً دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَـأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِـمَةُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا التُّرَابَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٤٦٢)، وأبن ماجه (١٦٣٠).

قوله: ليس على أبيك كَرْبٌ بعد اليوم. يريد: لا يصيبه بعد اليوم نَصَبٌ ولا وَصَبٌ يجد له ألماً إذ أفضى إلى دار الآخرة والسلامة الدائمة.

وقوله: «يتغشّاه» أي: الكَرْبُ وشدَّةُ المرض. وقد سكت أنسٌ عن جوابها رضوان الله عليها رعايةً لها، ولسانُ حاله يقول: لم تطِبْ أنفُسنا بذلك، إلّا أنّا قهرناها على فعله امتثالاً لأمره. وقد أخرج البزار بسندٍ جيد عن أبي سعيد الخدري قال: «وما نَفَضْنا أيدينا من دَفْنِه حتى أنكرنا قلوبنا». يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الأُلفة والصفاء، لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأديب.

ويستفاد من الحديث جوازُ التوجع للميت عند احتضاره، وأنه ليس من النياحة المنهيِّ عنها.

٣٦٦٦- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً مَا نَسِيتُهُ قَالَ: «مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيّاً إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ» ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ.

أخرجه أحمد (٢٧)، والترمذي (١٠١٨)، وهو حديث قوي بطرقه، وتمام تخريجه في «المسند».

وقال عُرْوَةُ: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودفن في آخر الليل من ليلة الثلاثاء أو مع الصبح، ووليَ غسله وتكفينه علي والعباس، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، ونزل في قبره علي وأسامة، والفضل.

وقال عِكرِمَةُ: دُفِنَ ليلة الأربعاء.

٣٦٦٧- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا عَنِ التُّرَابِ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.

أخرجه أحمد (١٣٣١٢)، والترمذي (٣٦١٨) وغيرهما بسندٍ صحيح.

وفي رواية: فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلمَ منها كل شيء.

وقال حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنسٍ قال: ما رأيت يوماً قطُّ كان أحسنَ ولا أضوءَ من يومٍ دخل علينا فيه رسولُ الله ﷺ، وما رأيتُ يوماً كان أقبحَ ولا أظلمَ من يومٍ مات فيه رسول الله ﷺ. أخرجه أحمد (١٢٢٣٤) بسندٍ صحيح.

بابُ
تركة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم

وقد صنَّف فيه الإمام حماد بن إسحاق بن إسماعيل المالكي (٢٦٧هـ) كتاباً نافعاً استوعب فيه تركة النبي ﷺ والسُّبل التي وجَّهها فيها، وهو مطبوع.

٣٦٦٨- عَنْ عَمْرِو بْنِ الحَارِثِ الخُزَاعِيِّ، أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ قَالَ: لَا وَاللهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَاراً، وَلَا دِرْهَماً، وَلَا عَبْداً، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئاً إِلا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ وَسِلَاحاً وَأَرْضاً تَرَكَهَا صَدَقَةً.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٢٧٣٩)، والنسائي ٦/ ٢٢٩.

٣٦٦٩- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْداً وَلَا أَمَةً وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيراً.

٣٦٧٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَتْرُكْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيراً وَلَا أَوْصَى بِشَيْءٍ.

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (١٦٣٥)، والنسائي ٦/ ٣٤٠ وغيرهما.

وقد دلَّت الأحاديثُ على زهده صلوات الله عليه وسلامُه، وأنه لم يكن من الدنيا في شيء، وقد صحَّ عنه أنه قال: «مالي وللدنيا، إنَّما مَثَلي ومَثَلُ الدنيا كراكبٍ قال في ظلِّ شجرةٍ، ثم راح وتركها» صحَّحه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن حبان (٦٣٥٢).

٣٦٧١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَاراً، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نفقةِ نِسَائِي وَمَؤُونَةِ عَامِلِي، فَهُوَ صَدَقَةٌ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٠٩٦)، ومسلم (١٧٦٠).

قال سفيان بن عيينة: كان أزواج النبي ﷺ في معنى المعتدَّات إذ كُنَّ لا يجوز لهنَّ أنْ ينكحنَ، فجرت لهنَّ النَّفقةُ.

وقوله: «مَؤونةُ عاملي» أراد بالعامل: الخليفةَ بعدَهُ، وكان النبي ﷺ يأخذ نفقةَ أهلهِ من الصّفايا التي كانت له من أموال بني النَّضير وَفَدَكَ، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين، ثمَّ وَلِيها أبو بكر، ثم عمر كذلك، فلما صارت إلى عثمان، استغنى عنها بماله، فأقطعها مروان وغيره من أقاربه، فلم تزل في أيديهم حتى ردَّها عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

٣٦٧٢- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ لَهُنَّ عَائِشَةُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ».

هـذا حـديـثٌ متفـقٌ علـى صحتـه أخـرجـه البخـاري (٦٧٣٠)، ومسلـم (١٧٥٨).

والحكمةُ في أنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يورثون أنه لا يؤمن في الورثة من يتمنَّى مَوْتَه فيهلك، ولئلا يُظَنَّ بهم الرغبةُ في الدنيا لوارثه فيهلك الظان، وينفر الناس عنه.

بابُ
عُمره صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٦٧٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَعْنِي يُوحَى إِلَيْهِ، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٥١)، والترمذي (٣٦٥٢).

٣٦٧٤- عن جريرٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَخْطُبُ قَالَ: مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٥٢)، والترمذي (٣٦٥٤).

قوله: «وأنا أبن ثلاث وستين» قال النووي في «شرح مسلم» ١٥/ ١٠٣: هكذا هو في جميع النسخ وهو صحيح وتقديره: وأبو بكر وعمر كذلك، ثم استأنف، فقال: وأنا ابن ثلاث وستين، أي: وأنا متوقع موافقتهم، وأني أموت في سنتي هذه. قلنا: ومات وهو ابن ثمانين سنة على غير ما توقعه رضي الله عنه.

وروى عمّارٌ مَوْلى بني هاشمٍ عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابـن خمسٍ وستِّين قال: أقام بمكة بعد الوحي خمسَ عَشْرَةَ سَنةً وبالمدينة

عشرَ سنين. أخرجه مسلم (٢٣٥٣) قال محمد بن إسماعيل: وثلاث وستين أكثر.

باب

٣٦٧٥- عن همّام بن منبِّهٍ قال: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ لَا يَرَانِي، ثُمَّ لأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مِثْلِ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٣٦٤). ومعنى الحديث: يأتي على أحدكم يومٌ لا يراني، لأن يراني فيه لحظةٌ ثم لا يراني بَعْدَها أحبُّ إليه من أهله وماله جميعاً.

ومقصود الحديث: حثُّ الصحابة على ملازمة مجلسه الكريم، ومشاهدته حضراً وسفراً للتأدب بآدابه، لتعلُّم الشرائع وحِفْظِها ليبلّغوها. وإعلامُهم أنَّهم سيندمون على ما فرَّطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته، ومنه قول عمر رضي الله عنه: ألهاني عنه الصَّفْقُ بالأسواق. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٨/ ١٣٠.

٣٦٧٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ أَشَدِّ أُمتِي لِي حُبّاً نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ».

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (٢٨٣٢).

كتاب فضائل الصحابة

باب

مناقب قريش

٣٦٧٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «النَّاسُ تبعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هٰذَا الشَّأْنِ مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ، النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا، تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهٰذَا الشَّأْنِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٣٤٩٥) و (٣٤٩٦)، ومسلم (٢٥٢٦).

قوله: «الناسُ تَبَعٌ لقُريشٍ» معناه تفضيل قريشٍ على قبائل العرب وتقديمها في الإمامة والإمارة.

قوله: «مسلمهم تبعٌ لمسلمهم» أي: مَنْ كان مسلماً فيتبعهم ولا يخرج عليهم.

وقوله: «كافرُهم تبعٌ لِكافرهم» ليس على معنى الأول، إنما أخبرَ أنهم لن يزالوا متبوعين في زمان الكفر، إذ كان أمر البيت الذي هو شرفُهم إليهم.

وقوله: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهُوا» يريد أنَّ مَنْ كانت له مَأْثُرَةٌ وشرفٌ، فإذا أسلم وفَقُهَ، فقد حاز إلى ذلك ما استفاده بحقِّ الدِّين، ومَنْ لم يُسلِمْ، فقد هَدم شرفه وضيَّعه.

وقوله: «تجدون من خير الناس أشد الناس كراهيةً لهذا الشأن حتى يقعَ فيه» أراد أنَّ خيارهم الذين يحذَرون الإمارة، ويكرَهون الولاية. حتى يقع فيه، هذا يحتمل وجهين أحدهما: أنهم يَكرهون، فإذا وقعوا فيه عن رغبةٍ وحِرْصٍ عليه، زال عنهم حُسن الاختيار، كما جاء في الحديث: «ستحرِصون على الإمارة وستكون ندامة» أخرجه البخاري (٧١٤٨) وقال: «مَنْ جُعِلَ قاضِياً فقدْ ذُبِحَ بِغيرِ سِكِّينٍ» أخرجه أحمد (٧١٤٥) بسندٍ حسن وفيه تمام تخرجيه، والآخر: أنَّ خِيارَ الناسِ يَكرهون الولاية حتى يقعوا فيها، فإذا وقعوا فيها، لم يكرهوها وقاموا بحقها، وذلك لأن مَنْ كرِهَ الشيء تغافل عنه، ولم يقم بالحقِّ الواجب فيه. هذا كله معنى كلام الخطابي رحمه الله.

٣٦٧٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هٰذا الأمْرِ، خِيَارُهُمْ تَبَعٌ لِخِيَارِهِمْ، وَشِرَارُهُمْ تَبَعٌ لِشِرَارِهِمْ، النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٣٤٩٥)، ومسلم (١٨١٨).

قوله: «الناسُ تبعٌ لِقريشٍ في هذا الأمر» يريد في الولاية.

وقوله: «خيارُهم تبعٌ لِخيارِهم» يحتمل أنَّ معناه ما ذكرنا في قوله: «مُسلمهم تبعٌ لمسلمهم» ويحتمل أن يكون المعنى أنهم كانوا خياراً سلَّطَ اللهُ عليهم الخيارَ منهم، وإن كانوا شراراً سَلَّطَ اللهُ عليهم الأشرار كما قيل: أعمالكم عمَّالكم.

٣٦٧٩- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ للهِ ﷺ: «النَّاسُ تبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٨١٩).

٣٦٨٠- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ هٰذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ اثْنَانِ».

هـذا حـديثٌ متفـقٌ علـى صحتـه أخـرجه البخـاري (٣٥٠١)، ومسلـم (١٨٢٠).

وصحَّ عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمرَ في قريشٍ لا يُعاديهم أحدٌ إلا كبَّهُ اللهُ على وجهه ما أقاموا الدِّين». أخرجه البخاري (٣٥٠٠).

٣٦٨١- عن سعد بن أبي وَقَّاص، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدْ هَوَانَ قُرَيْشٍ، أَهَانَهُ اللهُ».

هذا حديثٌ حسن، أخرجه أحمد (١٤٧٣) و(١٥٢١) و(١٥٨٧)، والترمذي (٣٩٠٥) وتمام تخريجه في «المسند».

٣٦٨٢- عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِلْقُرَشِيِّ مِثْلُ قُوَّةِ الرَّجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ».

أخرجه أحمد (١٦٧٤٢) بإسنادٍ صحيح، وصحَّحه ٱبن حبان (٦٢٦٥) وفيه زيادةٌ: فسأل سائـلٌ ٱبن شهاب الزهري: ما يعني بذلك؟ قال: نُبْلُ الرأي.

بابُ
أسلم وغفار

٣٦٨٣- عن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٥١٣)، ومسلم (٦٧٩).

٣٦٨٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَعُصَيَّةُ عَصَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ».

قيل: إنما دعا لِغفار وأَسْلَمَ، لأن دخولهما في الإسلام كان من غيرِ حَرْبٍ، وكانت غِفار تُزَنُّ بسرقةِ الحُجاج، فدعا رسول الله ﷺ بأن يمحوَ عنهم تلك السُّبَّةِ، ويغفِرها لهم، وأما عُصيَّةُ، فهم الذين قتلوا القراء ببئر معونة، فكان النبي ﷺ يقنُتُ عليهم.

٣٦٨٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ وَجُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارُ وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلىً دُونَ اللهِ وَرَسُولِهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٥١٢)، ومسلم (٢٥٢٠).

قيل في قوله: «مَواليَّ»، أي: أوليائي، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وأنَّ الكافِرينَ لا مَوْلى لهم﴾ [محمد: ١١] أي: لا وليَّ لهم.

٣٦٨٦- عن عبد الله بن أبي بكرة عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَجُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ خَيْرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَعَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَأَسَدٍ وَغَطَفَانَ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٥٢٣)، ومسلم (٢٥٢٢).

٣٦٨٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَشَيْءٌ مِنْ جُهَيْنَةَ وَمُزَيْنَةَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ تَمِيمٍ وَأَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ وَهَوَازِنَ وَغَطَفَانَ».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٥١٧)، ومسلم (٢٥٢١).

وهذه القبائل كانت في الجاهلية دون قبائل تميم وهوازن وغطفان في القوة والمنعة، فلما جاء الإسلام كانوا أسرع دخولاً فيه، فانقلب الشرفُ إليهم بسبب ذلك. أفاده الحافظ في «الفتح» ٦/ ٦٢٧.

بابٌ

في بني تميم

٣٦٨٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا زِلْتُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلَاثٍ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِيهِمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلى الدَّجَّالِ»، قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا»، وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ: «أَعْتِقِيهَا، فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٢٥٤٣)، ومسلم (٢٥٢٥).

وفيه دليلٌ على جواز استرقاق العربي.

باب

خير القرون

٣٦٨٩- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْن أَوْ ثَلَاثاً، وَقَالَ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْماً يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

٣٦٩٠- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَنْشَأُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَفْشُو فِيهِمُ السِّمَنُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٥٣٥) (٢١٥).

قال محمد بن عِمران بن أبي ليلى في معنى قوله: يَظهر فيهم السِّمَن، يعني جَمعَ المالِ والحِرْصَ على الدنيا. فالمذمومُ من سعى في تحصيل أسباب السِّمَن من التوسُّع في المأكول والمشروب زائداً عن المعتاد.

وقوله: «وينذرون ولا يوفون» فيه: وجوبُ الوفاءِ بالنَّذْرِ، وهو واجبٌ بلا خلاف، وإنْ كان ابتداءُ النَّذْرِ المقيد منهياً عنه.

وقوله: «ويخونون ولا يؤتمنون» يعني أنهم يخونون خيانةً ظاهرةً بحيث لا يبقى معها أمانةٌ.

بابُ
فَضْلِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [الفتح: ٢٩] ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: السَّحْنَةُ، وَقَالَ مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ: التَّوَاضُعُ، وَقِيلَ: صُفْرَةُ الْوَجْهِ مِنَ السَّهَرِ، وَقِيلَ: نُورٌ وَبَيَاضٌ فِي وُجُوهِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَسُجُودِهِمْ.

قَوْلُهُ: شَطْأَهُ، أَيْ: فِرَاخَهُ، يُقَالُ: أَشْطَأَ الزَّرْعُ: إِذَا نَبَتَ فِي أُصُولِهِ مَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ. فَآزَرَهُ، أَيْ: قَوَّاهُ وَأَرَادَ أَنَّ الْحَبَّةَ الْوَاحِدَةَ تُنْبِتُ

سَبْعاً وَثَمانِياً وَعَشْراً، فَيَقْوَى بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَلَوْ كَانَتْ وَاحِدَةً، لَمْ تَقُمْ عَلى سَاقٍ، مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ إذْ خَرَجَ وَحْدَهُ، ثُمَّ قَوَّاهُ اللهُ بِأَصْحَابِهِ، كَمَا قَوَّى الْحَبَّةَ بِمَا يَنْبُتُ مِنْهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَلَامٌ عَلى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩] قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ: اصْطَفَاهُمُ اللهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣٦٩١- عَن أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

والنَّصِيف بمعنى النِّصف، وكذلك يقال للعُشْر عَشيرٌ، وللخُمس خميسٌ، وللتُّسع تسيعٌ، وللثُّمْن ثَمينٌ، واختلفوا في السُّبْع والسُّدُسِ والرُّبُع، فمنهم من يقول: سَبِيعٌ وسَدِيسٌ ورَبِيعٌ، قال أبو عبَيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٢٩٦: ولم نَسمَعْ أحداً يقول في الثلاثي شيئاً من ذلك.

ومعنى الحديث: أنَّ جُهدَ المُقِلِّ منهم واليسير من النفقة مع ما كانوا فيه من شدة العيش والضرِّ أفضلُ عندَ الله من الكثير الذي ينفقه مَنْ بَعدهم. قال النووي في «شرح مسلم» ٨/ ٣٣٤: ولأنَّ إنفاقَهم كان في نصرته ﷺ وحمايته، وذلك معدومٌ بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعاتهم... هذا مع ما كانوا عليه من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهادِ في الله حقَّ جهاده، وفضيلةُ الصحبة لحظة لا يُوازيها عمل، ولا تُنالُ درجتُها بشيء، والفضائلُ لا تؤخذ بالقياس.

٣٦٩٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ المُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً

بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ، فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ، فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي، فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ».

أخرجه أحمد (١٦٨٠٣)، والترمذي (٣٨٦٢)، وابن حبان (٧٢٥٦) وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد ويقال: عبد الله بن عبد الرحمن. قال الذهبي: لا يعرف، ومع ذلك فقد صحَّحه التقي السبكي في «الفتاوى» ٥٩٢/٢.

و«الغَرَضُ» الهدف.

٣٦٩٣- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوِ انْتَظَرْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ العِشَاءَ، فَانْتَظَرْنَاه، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْنَا: نُصَلِّي مَعَكَ العِشَاءَ، قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيراً مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى أَهْلَ السَّمَاءِ مَا يُوعَدُونَ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٥٣١).

قال النووي في «شرح مسلم» ٣٢٣/٨: قوله: «النجومُ أَمَنَةٌ للسماء» الأمنةُ بالتحريكِ: الأمْنُ والأمان. والمعنى: أنَّ النجوم ما دامت باقيةً فالسماءُ باقية، فإذا انكدرت النجوم، وتناثرت في القيامة، وَهَنَتِ السماءُ فانشقت وانفطرت.

وقوله: «فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون»، يعني من الفتن والحروب، وارتداد من ارتدَّ من الأعراب، واختلاف القلوبِ ونحو ذلك.

٣٦٩٤- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ أَصْحَابِي فِي أُمَّتِي كَالمِلْحِ فِي الطَّعَامِ لَا يَصْلُحُ الطَّعَامُ إلَّا بِالمِلْحِ».

قال الحسن البصري راوي الحديث عن أنس: فقد ذهب مِلْحُنا، فكيف نَصْلُحُ؟

أخرجه البزار (كشف الأستار: ٢٧٧١)، وأبو يعلى (٢٧٦٢) وفي إسناده إسماعيل بن مسلم وهو ضعيف.

٣٦٩٥- عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَأْتِي عَلى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أصحابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (٢٥٣٢).

و«الفِئام» الجماعات. وفي الحديث دليلٌ على فضل الصحابة والتابعين.

٣٦٩٦- عَنْ سَفِينَةَ أبي عبد الرحمٰن مولى رسول الله ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً» ثُمَّ قَالَ: أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشَرَةً، وَعُثْمَانَ

اثْنَيْ عَشَرَ، وَعَلِيٍّ سِتَّةً. قَالَ عَلِيٌّ: قُلْتُ لحَمَّادٍ: سَفِينَةُ القَائِلُ لَسَعِيدٍ: أمْسِكْ؟ قَالَ: نَعَمْ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ».

عليٌّ هو ابن الجعد، وحماد هو ابن سلمة بن دينار، وسعيد هو ابن جمهان، ثلاثتهم من رواة الحديث.

وهذا حديثٌ حسن الإسناد، أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، والترمذي (٢٢٢٦)، وأبو داود (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧)، وصححه ابن حبان (٦٦٥٧).

رُوي عن سعيد بن جُمهان، عن سفينةَ أبي عبد الرحمٰن قال: كنَّا مع النبي ﷺ في سَفرٍ، فكلما أعيا إنسانٌ، ألقى عَليَّ سَيفه وتُرسه حتى حَملتُ شيئاً كثيراً، فقال النبي ﷺ: «أنتَ سفينةٌ». أخرجه أحمد (٢١٩٢٤) بسندٍ حسن.

قوله: « الخلافةُ ثلاثون سنةً» قال حُميْدُ بن زنجويه: يريد أنَّ الخلافة حقَّ الخلافة إنما هي للذين صَدَّقُوا هذا الاسم بأعمالهم، وتمسكوا بسنَّة رسول الله ﷺ من بعده، فإذا خالفوا السنَّة، وبدَّلوا السيرة، فهم حينئذٍ ملوكٌ، وإنْ كانت أساميهم الخلفاء، ولا بأس أن يُسمَّى القائم بأمور المسلمين أميرَ المؤمنين والخلفاء، وإن كان مخالفاً لِبعض سِيرِ أئمةِ العدل لقيامه بأمرِ المؤمنين وسَمْعِ المؤمنين له، ويسمى خليفةً، لأنه خَلفَ الماضي قَبْلَهُ، وقام مقامه، ولا يسمَّى أحدٌ خليفةَ اللهِ بعد آدم وداودَ عليهما السلام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفةً﴾ [البقرة: ٣٠] وقال: ﴿يا داوُدُ إنا جَعلناك خليفةً في الأرض﴾ [ص: ٣٦].

رُوي عن ابن أبي مُليكة أنَّ رجلاً قال لأبي بكر: يا خليفةَ الله، قال: أنا خليفةُ محمد ﷺ وأنا راضٍ بذلك.

وعن إبراهيم عن همَّام قال رجلٌ من أهلِ الكتابِ لعُمرَ: يا مَلِكُ، فقال عمرُ: أكذاكَ تجدونه في كتابِكم أليسَ تجدونَ النَّبيَّ، ثم الخليفةَ، ثم أميرَ المؤمنين، ثم الملوكَ بَعدُ؟ قال: بلى.

وقال رجلٌ لعُمر بن عبدالعزيز: يا خليفةَ اللهِ، فقال: وَيحكَ لقد تناولتَ مُتناولًا بعيداً إنَّ أمّي سمّتني عمرَ، فلو دعوتني بهذا الاسم قبِلتُ، ثم كبِرتُ، فتكنَّيتُ أبا حفصٍ، فلو دعوتني به، قبِلتُ، ثم ولَّيتُموني أموركم، فسمَّيتموني أميرَ المؤمنين، فلوْ دعوتني بذلك، كفاك.

باب

فضائل أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان رضي الله عنه

وَكُنْيَةُ عُثْمانَ أَبُو قُحَافَةَ، وَيُقَالُ: اسْمُ أَبِي بَكْرٍ عَتِيقُ بْن عُثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ القُرَشِيُّ، مَاتَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَنَتَيْنِ وَأَشْهُرٍ فِي آخِرِ جُمَادَى الآخِرَةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَدُفِنَ مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَيْتِهِ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ﴾ [التوبة: ٤١].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَبُو سَعِيدٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَارِ.

علقه البخاري في «صحيحه» قبل الحديث (٣٦٥٢) في فضائل الصحابة: باب مناقب المهاجرين وفضلهم.

٣٦٩٧- عَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً، لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلكِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَخِي وَصَاحِبي، وَلَقَدْ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٣٦٥٦)، ومسلم (٢٣٨٣).

٣٦٩٨- عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي أَبْرَأُ إلَى كُلِّ خَلِيلٍ منْ خِلِّهِ غَيْرَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدِ اتَّخَذَ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً -يَعْنِي نَفْسَهُ-، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ خَلِيلاً».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

قوله: «ولكنَّ الله اتخذ صاحبكم خليلاً» أي: جعله مخصوصاً بالمحبة، يقال: دعا فلانٌ، فَخَلَّلَ، أي: خَصَّ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿واتخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً﴾ [النساء: ١٢٥]. وقيل: هو مِنْ تخلُّلِ المودَّةِ القلبَ، وتمكنِها منه، وقيل: الخليلُ: الفقيرُ، والخَلَّةُ: الحاجة كأنه لم يَجعل فقرهُ وحاجته إلا إليه، إلّا أنَّ الاسم من الفقر الخَلَّةُ بفتحِ الخاء ومن المحبَّة بضمِّ الخاء.

٣٦٩٩- عن محمد بن جُبير بن مُطْعِمٍ عَنْ أبيهِ قَالَ: أتَتِ النَّبيَّ ﷺ امْرَأَةٌ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأمَرَهَا أنْ تَرْجِعَ إلَيْهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أرَأَيْتَ إنْ رَجَعْتُ، فَلَمْ أجِدْكَ؟ كأنَّهَا تَعْنِي المَوْتَ. قَالَ: «إنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أبَا بَكْرٍ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).

٣٧٠٠- عن أبي عثمان قال: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ العَاصِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، فَأتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أيُّ النَّاسِ أحَبُّ

إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»، فَعَدَّ رِجَالاً.

هـذا حديثٌ متفقٌ على صحتـه أخـرجه البخـاري (٣٦٦٢)، ومسلـم (٢٣٨٤).

وفي الحديث دلالةٌ بيِّنةٌ في تفضيل أبي بكر وعمر على جميع الصحابة.

٣٧٠١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَحَداً بِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ.

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

قال أبو سليمان الخطابيُّ: وجهُ ذلك - والله أعلم - أنه أراد به الشيوخَ وذوي الأسنان منهم الذين كان رسولُ الله ﷺ إذا حَزَبه أمرٌ، شاوَرَهم فيه، وكان عليٌّ في زمن رسول الله ﷺ حديثَ السِّنِّ، ولم يُرِدْ ابنُ عمرَ به الإزراءَ بعليٍّ، ولا تأخيره عن الفضيلة بعد عثمانَ، وفضلُهُ مشهور لا يُنكِرُهُ ابن عمرَ ولا غيره من الصحابة، وإنما اختلفوا في تقديم عثمانَ عليه، فذهب الجمهورُ من السَّلف إلى تقديم عثمان عليه، وذهب أكثرُ أهل الكوفة إلى تقديمه على عثمانَ. وسئل سفيان الثوري: ما قولُك في التفضيل؟ فقال: أهلُ السُّنَّةِ مِنْ أهلِ الكوفة يقولون: أبو بكر وعمر وعثمانُ وعليٌّ. قيل: فما تقولُ أنت؟ قال: أنا رجلٌ كوفي. وقد ثبتَ عن سفيانَ أنه قال: آخر قوله أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ. وقد نقل الإمام المازريّ في «المُعْلم» ٣/ ١٣٧ عن الباقلاني: أنَّ هذه المسألة مسألة اجتهاد، ولو أهمل أحدُ العلماءِ النَّظر فيها أصلاً حتى لم يعرفْ فاضلاً من مفضول ما حَرج ولا أثِم، بخلافِ مسائل الأصول التي الحقُّ فيها واحد، ويُقْطَع على خطأ المخالف. وهذا كلامٌ دقيق المسلك من

هذا العلم البارع يوجه فيه الأنظار إلى ما هو أجدى وأنفع على المرءِ في معاشه ومعاده.

٣٧٠٢- عَنْ مُحَمدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ: ثُمَّ مَنْ، فَيَقُولُ: كَذَا، فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ، فَقَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمينَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٦٧١).

قال القرطبي في «المُفْهم»: الفضائلُ جمع فضيلة، وهي الخصلة الجميلةُ التي يحصل لصاحبها بسببها شرفٌ وعلوٌّ منزلةٍ، إمّا عند الحقِّ وإما عند الخلق، والثاني لا عِبْرَةَ به إلّا إنْ أوْصَلَ إلى الأول، فإذا قُلْنا: فلانٌ فاضل فمعناه أنَّ له منزلةً عند الله، وهذا لا تَوَصُّلَ إليه إلّا بالنقلِ عن الرسولِ، فإذا جاءَ ذلك عنه إنْ كان قطعياً قطَعْنا به، أو ظَنِّياً عَمِلْنا به. وإذا تقرَّر ذلك فالمقطوعُ به بين أهل السنة بأفضلية أبي بكر ثم عمر، ثم اختلفوا فيمن بعدهما: فالجمهورُ على تقديم عثمان، وعن مالك التوقف، والمسألة اجتهادية، ومستندها أن هؤلاء الأربعةَ اختارهم الله تعالى لخلافة نبيِّه وإقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة. والله أعلم.

٣٧٠٣- عن جُمَيْع بن عُمَيْرٍ قال: أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ: «أَنْتَ صَاحِبِي فِي الغَارِ، وَصَاحِبِي عَلَى الحَوْضِ».

أخرجه الترمذي (٣٦٧٠) وفي إسناده كثير بن إسماعيل النَّوَّاء وهو ضعيف.

باب

في فضائل عمر بن الخطاب بن نفيل أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه

وَلِيَ عَشْرَ سِنِينَ حَجَّهَا كُلَّهَا، قُتِلَ فِي ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ.

٣٧٠٤- عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ فِيما خَلَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَّةِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَهُوَ عُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨).

قوله: «مُحدَّثون» فالمُحدَّثُ: الملهَمُ يُلقى الشيءُ في رُوعه، يريد قوماً يصيبون إذا ظنوا، فكأنهم حُدِّثوا بشيء، فقالوه، وتلك منزلةٌ جليلةٌ من منازل الأولياء. ففيه إثباتُ كرامات الأولياء.

٣٧٠٥- عن محمد بن سعد، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلى النَّبيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْأَلْنَهُ، وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، تَبادَرْنَ الحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هؤلاء اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ، بَادَرْنَ الحِجَابَ»، فَقَالَ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: أَيْ

عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيْهِ يَا ابْنَ الخطَّابِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكاً فَجّاً إِلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦).

قوله: أتهَبنَني. من قولهم: هِبْتُ الرجُلَ: إذا وقَّرته وعظَّمته، يقال: هَبِ الناسَ يَهابونكَ، أي: وقِّرهم يُوَقِّرونكَ. والفجُّ: الطريق الواسع، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبُلاً فِجاجاً﴾ [نوح: ٢٠] أي: طرقاً واسعةً.

قال النووي في «شرح مسلم» ٨/ ١٨٠: وهذا الحديثُ محمولٌ على ظاهره: أنَّ الشيطان متى رأى عمرَ سالكاً فجّاً هربَ هيبةً من عمر، وفارق ذلك الفجَّ لشدة خوفه من بأسِ عمر أن يفعل فيه شيئاً. وذهب بعضُ أهل العلم إلى أنه يحتمَل أنه ضُرِبَ مثلاً لبُعْدِ الشيطان وإغوائه منه، وأنَّ عُمَرَ في جميع أموره سالكٌ طريق السَّداد أو خلافَ ما يأمرُ به الشيطان.

٣٧٠٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَضَعَ الحَقَّ عَلى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ».

أخرجه أحمد (٥١٤٥)، والترمذي (٣٦٨٣)، وصحَّحه ابن حبان (٦٨٨٩) وتمام تخريجه في «المسند».

ومعنى الحديث: أنَّ الله تعالى ألهمه الحقَّ، ووفَّقه للتكلُّم به.

٣٧٠٧- عَنْ غُضَيْفِ بْنِ الحَارِثِ، قَالَ: مَرَرْتُ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ كُمِّي رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا

فَتَى ادْعُ لِي بِخَيْرٍ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ. قَالَ: قُلْتُ: وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟ قَالَ: أَنَا أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ. قَالَ: قُلْتُ: يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَنْتَ أَحَقُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ يَقُولُ لَكَ: نِعْمَ الغُلَامُ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ وَضَعَ الحَقَّ عَلى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ».

أخرجه أحمد (٢١٢٩٥)، وأبو داود (٢٩٦٢)، وابن ماجه (١٠٨) وفيه عنعنة ابن إسحاق، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ٣/٨٦، ٨٧ ووافقه الذهبي، وهو يتقوى بحديث ابن عمر السابق.

٣٧٠٨- عن عليٍّ قال: مَا كُنَّا نُبْعِدُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلى لِسَانِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أخرجه علي بن الجعد (٢٤٩٤)، وعبد الله بن أحمد في زيادات «المسند» (٨٣٤) وسند الأخير قوي.

وقال ابنُ عُمَرَ: ما نزل بالناس أمرٌ قطُّ، فقالوا فيه، وقال فيه عمر رضي الله عنه إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال. أورده ابن حبان في «صحيحه» بإثر الحديث (٦٨٩٥).

وقال عبد الله بن مسعود: ما رأيت عمر قطُّ إلا وكأنَّ بين عينيه مَلَكاً يُسَدِّدُهُ. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٨١٣) وسنده حسن.

٣٧٠٩- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ بِنْتِ مِلْحَانَ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْراً مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هٰذَا يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ، فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»، قَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟!.

هـذا حـديـثٌ متفـقٌ علـى صحتـه، أخـرجـه البخـاري (٣٦٧٩)، ومسلـم (٢٣٩٤).

الخَشْفةُ: أصلها الحركة، ومعناها: هاهُنا: ما يُسمعُ من حسٍّ وقَعِ القدم.

٣٧١٠- عَـنْ أَبِـي سَعِيـدٍ الخُـدْرِيِّ قَـالَ: سَمِعْـتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «رَأَيْتُ النَّاسَ فِي المَنَامِ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِض عَلَيَّ عُمَرُ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ» فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ: مَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الدِّيْنَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٩٠).

ونقل النووي في «شرح مسلم» ١٧٧/٨ عن أهل العبارة: أنَّ القميص في النوم: الدِّين، وجَرُّه يدلُّ على بقاءِ آثاره الجميلة، وسُنَنه الحسنةِ في المسلمين بعد وفاته، ليُقتدى به.

٣٧١١- عن ابْنِ عُمَر قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «العِلْمَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩١).

وَوَجْه تفسير اللبن بالعلم لاشتراكهما في كثرة النفع، وفي أنَّهما سببُ الصلاح. فاللبنُ قوتُ الأبدان، والعلمُ سببٌ لصلاح الآخرة والدنيا.

٣٧١٢- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي على قَلِيبٍ عَلَيهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْباً، فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٦٧٦)، ومسلم (٢٣٩٢).

القليب: البئر تحفر فيُقلب ترابها قبل أن تُطوى.

والغَرْبُ: دَلوُ السَّانِيةِ وهي أكبر من الذَّنوب. والعبقريُّ يُوْصَفُ به كلُّ شيءٍ بلغ النهاية في معناه.

والعَطَنُ: مُناخُ الإبل إذا صَدَرَتْ عن الماء رواءً.

قوله: «حتى ضرب الناسُ بعطنٍ» معناه: حتى رَووا وأرْوَوْا إبلهم، فأبركوها وضربوا لها عطناً.

٣٧١٣- عن همام بن مُنبِّهٍ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قال: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ أَنِّي أَنْزِعُ عَلى حَوْضٍ أَسْقِي النَّاسَ، فَأَتَانِي أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ الدَّلْوَ مِنْ يَدِي لِيُرِيحَنِي، فَنَزَعَ دَلْوَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، قَالَ: فَأَتَانِي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ، فَلَمْ يَنْزِعْ رَجُلٌ نَزْعَهُ حَتَّى وَلَّى النَّاسُ وَالحَوْضُ يَنْفَجِرُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٧٠٢٢)، ومسلم (٢٣٩٢) (١٨).

قوله: أنزعُ أي: أستقي بالدَّلوِ باليد.

٣٧١٤- عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا عَلى بِئْرٍ أَسْتَقِي جَاءَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَنَزَعَ ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِيهِمَا ضَعْـفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُـمَّ جَاءَ عُمَرُ، فَنَزَعَ حَتَّى اسْتَحَالَتْ غَرْباً فِـي يَدِهِ، وَضَرَبَ النَّاسُ بِالعَطَنِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ».

انظر الحديثين السالفين.

قوله: «ثم استحالت غَرْباً» أي: انتقلت في يد عمر من الصِّغرِ إلى الكِبر.

ورواه ابن عمر، وفي روايته: «ثم أخذها ابن الخطاب من يَدِ أبي بكر، فاستحالتْ غَرْباً». والغَرْبُ: الدَّلوُ العظيمة، فإذا فتحت الرَّاء فهو الماء السائل بين البئر والحَوْض. وأراد أنَّ عمر لمَّا أخذ الدَّلوَ عظُمتْ في يده.

قوله: «وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ» لم يُرِدْ به نسبةَ التقصير إلى الصدِّيق في القيام بالأمر، فإنه جَدَّ بالأمر، وتحمَّلَ من أعباء الخلافة ما كانت الأمة تَعجِزُ عن تحملها - ولذلك قالت عائشة: توُفِّيَ رسول الله ﷺ، وارتدَّت العرَبُ، واشرأبَّ النِّفاق، ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الرَّاسيات، لَهاضَها. قال عمر في أبي بكر: يرحمه الله لقد أتعبَ من بَعدَه - بل ذلك إشارةٌ إلى أنَّ الفتوح كانت في زمن عمر أكثرَ مما كانت في زمن الصِّديقِ لِقصر مدة أيام ولاية الصِّديق، فإنه لم يَعِشْ في الخلافة أكثر من سنتين وشيءٍ، وامتدَّت ولاية عمر عشرَ سنين. وقيل: الذَّنوبان إشارة إلى خلافته سنتين وأياماً. والعبقريُّ: قال أبو عمرو بن العلاء: يقال: هذا عبقري قومٍ كما يُقال: سيِّدهم وكبيرهم وقويهم، والعبقريُّ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وعبقريٍّ حسانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] أي: طنافس ثخانٌ، قال أبو عبيدٍ في «غريب الحديث» ٢/ ١١٠: يقال للبُسْطِ كلها: عبقري.

فأما قوله: «لم أر عبقرياً يَفري فريَّه» أي: عمل عمله، ويقوى قوَّته، ويقطع قطعَه، يقال: تركتُه يَفري الفرِيَّ: إذا عَمِل عملاً فأجاد. وهذا كُله إشارة إلى ما أكرَم الله سبحانه وتعالى به عمر رضي الله عنه مِن امتداد مدَّة خلافته، ثم القيام فيها بإعزاز الإسلام، وحفظِ حدوده، وتقوية أهله، قال عبد الله بن مسعود: ما زلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر. أخرجه البخاري (٣٦٨٤)، ووهم الحاكم في استداركه عليه في «المستدرك» ٣/ ٨٤.

٣٧١٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسْلَامَ بِأبِي جَهْلٍ أوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» فَأصْبَحَ عُمَرُ فَغَدَا عَلى النَّبيِّ ﷺ فَأسْلَمَ.

حسن بطرقه وشواهده، أخرجه الترمذي (٣٦٨٤) وفي إسناده النضر بن عبدالرحمٰن الخزَّاز، وهو متفق على ضعفه، وأخرجه أحمد (٥٦٩٧)، وابن حبان (٦٨٨١) وغيرهما من حديث ابن عمر، وفي إسناده خارجة بن عبد الله الأنصاري، وهو صدوق له أوهام، وأخرجه الحاكم ٣/ ٨٣، والبيهقي ٦/ ٣٧٠ من حديث عائشة بلفظ: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة» وإسناده صحيح، وانظر تمام تخريجه وشواهده في «المسند».

٣٧١٦- عَنْ أنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: وَافقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثَةٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلّىً، فَأنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَلَوْ أمَرْتَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنينَ بِالحِجَابِ. فَأنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ الحِجَابِ، قَالَ: وَبَلَغَنِي بَعْضُ مَا آذَيْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ نِسَاؤُه، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ، فَجَعَلْتُ أسْتَقْرِيهِنَّ واحِدَةً وَاحِدَةً، قُلْتُ: وَاللهِ لَتَنْتَهِينَّ أوْ لَيُبَدِّلَنَّهُ اللهُ أزْوَاجاً

خَيْراً مِنْكُنَّ حَتَّى أَتَيْتُ عَلى زَيْنَبَ، فَقَالَتْ: يَا عُمَرُ أَمَا كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ حَتَّى تَعِظَهُنَّ أَنْتَ؟! قَالَ: فَخَرَجْتُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٤٤٨٣). وأخرجه مسلم (٢٣٩٩) من رواية ابن عمر قال: قال عمر: وافقت ربِّي في ثلاث: في مقامِ إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدرٍ.

قوله: أستقريهنَّ، أي: أتتبعهُنَّ يُقال: قَروْتُ واقتريتُ واستقريتُ، ومنه الحديث: «فخرج يستقري الرِّفاق» أخرجه أحمد (٢٦٦) بإسنادٍ صحيح وفيه تمام تخريجه.

وليس في ذكر هذه الثلاث الموافقات ما ينفي الزيادة عليها، فقد حصلت له الموافقة في أشياء أخرى غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين في الصحيح. وللحافظ السيوطي منظومة ذكر فيها موافقات عمر سمَّاها «قطف الثمر في موافقات عمر» أدرجها في كتابه «الحاوي للفتاوي» ٢/ ١١٣.

٣٧١٧- كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ عُمرَ بْنَ الخَطَّابِ كَانَ حِصْناً حَصِيناً للإِسْلَامِ، يُدْخَلُ فِيهِ وَلَا يُخْرَجُ مِنْهُ، فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ، انْثَلَمَ مِنَ الحِصْنِ ثُلْمَةٌ، فَهُوَ يُخْرَجُ مِنْهُ، وَلَا يُدْخَلُ فِيهِ، وَكَانَ إِذَا سَلَكَ بِنَا طَرِيقاً، وَجَدْنَاهُ سَهْلاً، فَإِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ، فَحَيَّ هَلاَ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، كَانَ فَصْلَ مَا بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَخْدُمُ مِثْلَهُ حَتَّى أَمُوتَ.

أخرجه عبدالرزاق (٢٠٤٠٧)، ورجال إسناده ثقات إلا أنه منقطع.

قوله: فحيَّ هلاّ بعمر. معناها: هلمّ، أي: فهاتِ وعجِّل بعمر، ومعنى قولهم: حيَّ على الصلاة، أي: هَلمّوا إليها وأقبلوا.

باب
في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

٣٧١٨- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلى النَّاسِ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «بيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ أَعْيَا، فَرَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهٰذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِحِرَاثَةِ الأَرْضِ» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَمَا هُمَا ثَمَّ، وَقَالَ: «بَيْنَما رَجُلٌ في غَنَمٍ لَه إِذْ عَدَا الذِّئْبُ عَلى شَاةٍ مِنْها، فَأَدْرَكَهَا صَاحِبُهَا، فَاسْتَنْقَذَهَا، فَقَالَ الذِّئْبُ: فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمَ! فَقَالَ: «أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَمَا هما ثَمَّ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨).

قوله ﷺ: «فإني أومن به وأبو بكر وعمر» فيه دليلٌ على ثقته بهما، لعلمه بصدق إيمانهما، وقوّة يقينهما، وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته. ففيه فضيلةٌ ظاهرةٌ لهما رضوان الله عليهما.

قوله: وما هُما ثَمَّ، أي: ليسا في المجلس.

وفيه: جواز كرامات الأولياء وخرق العوائد، كما هو مذهب أهل الحق. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٨/ ١٧٠.

٣٧١٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَما رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ أَعْيَا فَرَكِبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهذَا إِنَّما خُلِقْنا لِحِرَاثَةِ الأَرْضِ»، فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ! فَقَالَ: «إِنِّي آمَنْتُ بِهِ أنا وَأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ»، وَلَيْسَا فِي المَجْلِسِ، فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ: آمَنَّا بِمَا آمَنَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «وَبَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ شَاةً إِذْ عَدَا الذِّئْبُ عَلَيْهَا فَأَخَذَهـا، فَطَلَبَهُ، فَقَالَ: فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي»، فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ!، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فإِنِّي آمَنْتُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، وَلَيْسَا فِي المَجْلِسِ، فَقَالَ مَـنْ حَوْلَهُ: آمَنَّا بِمَا آمَنَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

انظر الحديث السابق.

قال ابن الأعرابيِّ في قوله: «مَنْ لها يوم السَّبْع» بسكون الباء يعني يوم القيامة. السَّبعُ: الموضع الذي عنده المحشر، والسَّبع الذُعرُ أيضاً، يُقال: سبعت الأسد: إذا ذعرته، وهو على هذا التفسير يوم الفزع.

٣٧٢٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَوا اللهَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَقَدْ وُضِعَ عَلى سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلى مَنْكِبِي يَقُولُ: يَرْحَمُكَ اللهُ إن كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صاحِبَيْكَ، لأَنِّي كَثيراً مِمَّا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ

وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، فَإِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩).

وفي الحديث: فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكر وعمر، وشهادةُ عليٍّ لهما بذلك رضوان الله عليهم أجمعين، وهذا ردٌّ على الروافض الذين يفترون الكذب على الشيخين رضي الله عنهما.

٣٧٢١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ العُلَى لَيَرَاهُم مَنْ تَحْتَهُمْ كما تَرَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي أُفقٍ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَاهُ».

حديث حسن بطرقه وشواهده، أخرجه أحمد (١١٢٠٦) و(١١٢١٣)، وأبو داود (٣٩٨٧)، والترمذي (٣٦٥٨)، وابن ماجه (٩٦)، والحميدي (٧٥٥)، وعبد بن حميد (٨٨٧)، وتمام تخريجه وشواهده في «المسند».

٣٧٢٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ عِلِّيِّينَ كَمَا تَرَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي أُفقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمُ، وَأَنْعَمَا».

انظر التعليق على الحديث السابق.

قوله: «أهل علِّيِّين»، أي: الذين في أعلى الأمكنة، وقال مجاهدٌ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ كتابَ الأبرار لفي علِّيِّين﴾ [المطففين: ١٨] قال: عِلِّيون: السماء السابعة، وقال قتادة: تحت قائمة العرش اليُمنى، وقال الفراء: هو واحدٌ كما يقال: لقيت منه البُرَحَيْنِ، وهو واحدٌ يراد به المبالغة، وهي الداهية.

وقوله: أنعما. يعني: زادا على ذلك، يقال: قد أحسنت إليَّ وأنعمت، أي: زِدْتَ على الإحسان. وفي بعض الروايات قيل لأبي سعيدٍ: ما أنعما؟ قال: أهلُ ذاك هما، وقيل: أنعما، أي: صارا إلى النعيم، ودخلا فيه، كما يقال: أجنبَ الرجُل: إذا دخل في الجنوب، وأشمل: إذا دخل في الشِّمال.

٣٧٢٣- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ».

حديث حسن بطرقه وشواهده، أخرجه أحمد (٢٣٢٤٥) و(٢٣٢٧٦)، والترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٢٢٦) و(١٢٢٧) و(١٢٢٨)، وله شاهد من حديث ابن مسعود، سيأتي بعد هٰذا الحديث، ولتمام تخريجه وشواهده انظر «المسند».

قوله: «ابن أُم عَبْد» يريد به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما سيأتي في الحديث اللاحق.

٣٧٢٤- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ».

حديث حسن لغيره، أخرجه الترمذي (٣٨٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٢٦)، والحاكم ٣/ ٧٥-٧٦ وإسناده ضعيف، لٰكن يشهد له حديث حذيفة السالف.

قوله: «اهتدوا بهدي عمَّارٍ» أي: سيروا بسيرته.

٣٧٢٥- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ».

ورواه الحسن بن الصباح، عن محمد بن كثير، وقال: «سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيِّين والمرسلين» حديث صحيح، أخرجه الترمذي (٣٦٦٤) ومحمد بن كثير ضعيفٌ يُعْتَبر به في المتابعات والشواهد كما في «تحرير التقريب» ٣/٣١١. وأخرجه ابن ماجه (١٠٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤١٧٤) من حديث أبي جحيفة، وسنده حسن، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» من حديث جابر برقم (٨٨٠٨) وفي سنده المقدام بن داود شيخ الطبراني، نقل ابن دقيق العيد توثيقه، وضعَّفه النسائي وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. وفي الباب عن عليٍّ عند أحمد (٦٠٢) بسندٍ صحيح وفيه تمام تخريجه.

٣٧٢٦- عَنْ أَنسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ رَأْسَهُ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانَا يَتَبَسَّمَانِ إِلَيْهِ وَيَتَبَسَّمُ إِلَيْهِمَا.

أخرجه الترمذي (٣٦٦٩) بسندٍ حسن.

باب

فضائل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن عمرو القرشي رضي الله عنه

وَيقَالُ: كُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَلِيَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَجَّهَا كُلَّهَا إِلَّا سَنَتَيْنِ، قُتِلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ.

٣٧٢٧- عن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعاً فِي بَيْتِهِ كَاشِفاً عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأذن لَهُ وَهُوَ كذلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ. قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمانُ، فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ؟! فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٤٠٢).

قوله: «قال محمد» هو محمد بن أبي حرملة أحد رواة الحديث.

وقد احتج المالكيةُ بهذا الحديث على أنَّ الفخذ ليست بعورة، قال النووي في «شرح مسلم» ٨/ ١٨٥: ولا حُجَّة فيه، لأنه مشكوكٌ في المكشوف، هل هو الساقان أم الفخذان؟ فلا يلزم منه الجَزْم بجوارِ كشف الفخذ.

وقولها: «تَهْتَشُّ» هو بمعنى تَهَشُّ، أي: تستبشر.

وفي الحديث فضيلةٌ ظاهرةٌ لعثمان، وجلالتُه عند الملائكة، وأنَّ الحياءَ صفةٌ جميلةٌ من صفاتِ الملائكة.

٣٧٢٨- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ عَلى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ فِي مِرْطٍ وَاحِدٍ، قَالَتْ: فَأَذِنَ لَهُ، فَقَضَى إِلَيْه حَاجَتَهُ وَهُوَ مَعِي فِي المِرْطِ، ثُمَّ خَرَجَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ، وَهُوَ عَلى تِلْكَ الحَالِ، ثُمَّ خَرَجَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ عُثْمانُ،

فَأصْلَحَ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ، وَجَلَسَ فقَضَى إلَيْهِ حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَأْذَنَ عَلَيْكَ أبُو بَكْرٍ، فَقَضَى إلَيْكَ حَاجَتَهُ عَلى حَالِكَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَيْكَ عُمَرُ، فَقَضَى إلَيْكَ حَاجَتَهُ عَلى حَالِكَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَيْكَ عُثْمانُ، فَكأنَّكَ تَحفَّظْتَ؟! فَقَالَ: «إنَّ عُثْمانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ وَلَوْ أنِّي أذِنْتُ لَهُ عَلى تِلْكَ الحَالِ خَشِيتُ أنْ لَا يَقْضِيَ حَاجَتَهُ».

أخرجه مسلم (٢٤٠٢)، وأحمد (٢٥٣٣٩).

٣٧٢٩- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ وَأبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ صَعِدُوا أُحُداً، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاري (٣٦٩٩) عن محمد بن بشارٍ، عن يحيى وقال: «اثبُتْ أُحُدُ فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان».

٣٧٣٠- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: أنَّ أُحداً ارْتجَّ وَعَلَيْهِ النَّبيُّ ﷺ وَأبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «اثْبُتْ أُحُدُ ما عَلَيْكَ إلَّا نَبيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ».

أخرجه أحمد (٢٢٨١١) بسندٍ صحيح.

وفي رواية الرَّماديِّ أحمد بن منصور راوي الحديث عن عبد الرزاق: أنَّ حِراءَ ارتجَّ وقال: «اثبُتْ ما عليك إلا نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان» أخرجه أحمد (١٦٣٠)، وابن ماجه (١٣٤) بسندٍ حسن.

وقال غير الرَّماديِّ: إنَّ أُحداً ارتجَّ، فقال: «اثبُتْ أُحدُ» وكذلك رواه أنسٌ عن النبي ﷺ. أخرجه محمد في «الصحيح» وقد قوَّى الحافظ في «الفتح» ٧/ ٧٢ احتمال تعدُّد القصة.

٣٧٣١- عن أبي عثمان النَّهدِيِّ: حَدَّثني أَبو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، كُنْتُ مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ فِي حَدِيقَةِ بَنِي فُلاَنٍ، وَالبَابُ عَلَيْنَا مُغْلَقٌ وَمَعَ النَّبيِّ ﷺ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ إذ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «قُمْ فَافْتَحِ البَابَ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ» فَقُمْتُ، ففتحت له البَابَ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، وَدَخَلَ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، وَأَغْلَقْتُ البَابَ، فَجَعَلَ النَّبيُّ ﷺ يَنْكُتُ بِذلِكَ العُودِ فِي الأَرْضِ، فَاسْتَفْتَحَ آخَرُ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ قُمْ فَافْتَحْ لَهُ البَابَ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ» فَقُمْتُ فَفَتَحْتُ لَهُ البَابَ، وَإِذَا بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَدَخَلَ وَسَلَّمَ، وَأَغْلَقْتُ البَابَ، وَجَعَلَ النَّبيُّ ﷺ يَنْكُتُ بِذلِكَ العُودِ فِي الأَرْضِ إِذِ اسْتُفْتِحَ البَابُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ قُمْ فَافْتَحْ لَهُ البَابَ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلى بَلْوَى تَكُونُ»، فَقُمْتُ فَفَتَحْتُ لَهُ البَابَ، فَإِذَا بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ، فَقَالَ: المُسْتَعَانُ اللهُ، أَوْ عَلَى اللهِ التُّكْلاَنُ، ثُمَّ دَخَلَ فَسَلَّمَ وَقَعَدَ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٦٩٣)، ومسلم (٢٤٠٣).

وقد دلَّ الحديثُ على فضيلة هؤلاء الثلاثة وأنهم من أهل الجنة.

وفيه: جوازُ الثناءِ على الإنسان في وَجْهه إذا أُمِنَتْ عليه فِتْنَةُ الإعجاب ونحوه.

وفيه: معجزةٌ ظاهرةٌ للنبي ﷺ، لإخباره بقصّةِ عثمان والبَلْوى، وأنَّ الثلاثةَ يستمرون على الإيمان والهدى. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٨/ ١٨٦.

٣٧٣٢- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ خَبَّابٍ السُّلَمِيِّ قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ حَضَّ عَلى جَيْشٍ قالَ: فَقَامَ عُثْمانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: عَلَيَّ مِئَةٌ مِنَ الإِبلِ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ: ثُمَّ حَضَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ عُثْمانُ: عَلَيَّ مِئَةٌ مِنَ الإِبلِ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبيل اللهِ، قَالَ: ثُمَّ حَضَّ النَّبيُّ ﷺ، فَقَالَ عُثْمانُ: عَلَيَّ مِئَةٌ مِنَ الإِبلِ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ: فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ المِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ».

أخرجه أحمد (١٦٦٩٦)، والترمذي (٣٧٠٠) في المناقب، وفي سنده فرقد أبو طلحة لا يعرف، وباقي رجاله ثقات. ولأحمد (٢٠٦٣٠)، والترمذي (٣٧٠١) من حديث عبد الرحمٰن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبيُّ ﷺ جيشَ العسرة، قال: فصبها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يرددها مراراً، وإسناده حسن، وحسنه الترمذي.

قوله: «بأحلاسِها» هو جمع حِلْس وهو كساءٌ يُجْعَلُ تحت ظهر البعير.

و«الأقتابُ» جمع قَتَبٍ وهو الإكافُ يُجْعَلُ على ظهر البعير.

٣٧٣٣- عَنْ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: ذَكرَ النَّبِيُّ ﷺ الْفِتْنَـةَ فَقَرَّبَهَا، فَمَرَّ رَجُلٌ مُتَقَنِّعٌ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: «هٰذَا يَوْمَئِذٍ وَأَصْحَابُهُ عَلى الهُدَى» فَقُمْتُ إِلَيْهِ، وَأَخَذْتُ بِمَنْكِبَيْهِ، فَأَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: هٰذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فإذا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أخرجه الترمذي (٣٧٠٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهو في «مسند أحمد» (١٨٠٦٨) وإسناده صحيح.

بابُ

فضائل علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم

ابن عبد مناف أبي الحسن الهاشمي رضي الله عنه

قُتِلَ فِي رَمَضَانَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ.

٣٧٣٤- عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ هٰذِهِ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ، غَدَوْا عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» قَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ»، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنا؟ قَالَ: «انْفُذْ عَلى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) والنسائي في «خصائص علي» (١٧)، وفي «فضائل الصحابة» (٤٦).

قوله: يَدوكون، أي: يخوضون، يقال: الناس في دَوْكَةٍ، أي في اختلاطٍ وخوضٍ، وأصله من الدَّوْكِ، وهو السَّحْقُ، وتسمَّى صلابةُ الطيب مَداكاً، شبَّه

الأمر فيه بمن دقَّ شيئاً ليستخرج لُبَّه ويعلم باطنه. وأراد بحُمرِ النَّعم: حُمُرَ الإبل وهي أعزُّها وأنفسها. يريد: لأنْ يهديَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك أجراً وثواباً من أن تكون لك حُمر النَّعم فتتصدَّق بها.

وقال النووي في «شرح مسلم» ٨/ ١٩٤:

وفي الحديثِ: فضيلةٌ ظاهرةٌ لعليّ رضوان الله عليه، وبيان شجاعته، وحُسْنُ مراعاته لأمرِ رسول الله ﷺ، وحُبُّه اللهَ ورسولَه وحُبُّهما إيَّاه.

وفيه: الدعاءُ إلى الإسلام قبل القتال، وقد قال بإيجابه طائفةٌ على الإطلاق. ومذهبُنا ومذهبُ آخرين أنَّهم إنْ كانوا ممَّن لم تبلغهم دعوةُ الإسلام وجَبَ إنذارهم قبل القتال، وإلّا فلا يجب، ولكن يستحب.

وفيه: دليلٌ على قَبول الإسلام سواءٌ كان في حال القتال أم في غيره وحسابه على الله تعالى.

وفيه: بيانُ فضيلة العلم والدعاءِ إلى الهدى وسَنِّ السنن الحسنة.

٣٧٣٥- عن مُصعب بن سعدٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيّاً، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي».

هٰذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

هٰذا مثلٌ ضربه عليه السلام لعليٍّ رضي الله عنه حين استخلفه على أهله حالة غيبته، كما استخلفَ موسى أخاه هارون حين خرج إلى الطُور، فكانت تلك الخلافةُ في حياته في وقتٍ خاصٍّ.

٣٧٣٦- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: عَهدَ إِلَيَّ النَّبيُّ ﷺ «أَنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُكَ إلَّا مُنَافِقٌ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٧٨)، والترمذي (٣٧٣٦)، والنسائي ٨/ ١١٦.

ومعنى الحديث: أنَّ مَنْ عَرَفَ من عليٍّ رضي الله عنه قُرْبَه من رسولِ الله ﷺ، وحبَّ النبي ﷺ له، وما كان منه في نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثم أحبَّه لهذا، كان ذلك من دلائل صحَّة إيمانه وصدْقِه في إسلامه لسروره بظهورِ الإسلام. ومَنْ أبغضه كان بضدِّ ذلك، واستُدلَّ به على نفاقه وفسادِ سريرته.

٣٧٣٧- عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيّاً يَقُولُ: وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبيِّ ﷺ إِلَيَّ أَنَّهُ «لَا يُحِبُّكَ إلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُكَ إلَّا مُنَافِقٌ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه مسلم (٧٨)، والنسائي ٨/ ١١٤، وابن ماجه (١١٤).

بابُ
ذكر إبراهيمَ بنِ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم

وُلِدَ فِي ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً، وَيُقَالُ: ابْنُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْراً، وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ.

٣٧٣٨- عن عديِّ بن ثابتٍ أنه سَمِعَ البَرَاءَ قَالَ: لَمَّا تُوفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ لَهُ مُرْضِعاً فِي الجَنَّةِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (١٣٨٢).

قوله: «إنَّ له مُرْضِعاً» قال الخطابيُّ: هذا يُروى على وجهين مَرْضَعاً بفتح الميم، أي: رَضاعاً، وبضم الميم، أي: مَنْ يُتِمُّ رضاعهُ، يقال: امرأةٌ مُرْضِعٌ بلا هاءٍ، ومرضعةٌ إذا بَنيْتَ على أرضعتْ. والله تعالى أعلم.

بابُ
مناقبِ أهلِ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] أيْ: الشَّكَّ وَالشِّرْكَ. وَالرِّجْسُ: العَمَلُ الَّذِي يُؤَدِّي إلَى العَذَابِ، قَالَ أبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ارْقُبُوا مُحَمَّداً ﷺ فِي أهْلِ بَيْتِهِ.

أخرجه البخاري (٣٧١٣).

٣٧٣٩- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ، فَجَلَسَ فَأَتَتْ فَاطِمَةُ، فَأَدْخَلَهَا فِيهِ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ، فَأَدْخَلَهُ فِيهِ، ثُمَّ جَاءَ حَسَنٌ، فَأَدْخَلَهُ فِيهِ، ثُمَّ جَاءَ حُسَيْنٌ، فَأَدْخَلَهُ فِيهِ، ثمَّ قَالَ: ﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٤٢٤)، وأبو داود (٤٠٣٢).

«المِرْط» بكسر الميم: الكساء.

والمرحَّلُ: الذي فيه خطوط شبه الرِّحالِ، يعني الموشَّى المنقوش عليه رِحالُ الإبل.

٣٧٤٠- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: فِي بَيْتِي أُنْزِلَتْ ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ﴾. قَالَتْ: فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى فَاطِمَةَ

وَعَلِيٍّ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، فَقَالَ: «هٰؤلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَمَا أَنَا مِنْ أَهْلِ البَيْتِ؟ قَالَ: «بَلَى إِنْ شَاءَ اللهُ».

أخرجه بنحوه أحمد (٢٦٥٠٨) لٰكن قال فيه: «إنك إلى خير» بدل قوله: «بلى إن شاء الله»، وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣/ ١٤٦ دون قوله: «قالت: فقلت: يا رسولَ الله» وفي إسناده ضعف، وهو في «المسند» (٢٦٥٤٠) من طريق آخر بنحوه بإسنادٍ ضعيف.

٣٧٤١- عن يزيد بن حيان قال: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيباً، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَوَّلُهما: كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَخُذُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَيْهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٤٠٨) عن زهير بن حربٍ عن إسماعيل ابن عُليَّة، عن أبي حيّان يحيى بن سعيد بن حَيَّان، ورواه سعيد بن مسروقٍ، عن يزيد بن حيّان وزاد: «وإنهما لنْ يتفرَّقا حتى يرِدا عليَّ الحَوْض».

قيل: سمّاها ثقَلين، لأنَّ الأخذ بهما، والعمل بهما ثقيلٌ، وقيل في تفسير قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ [المزمل: ٥] أي: أوامر الله وفرائضه ونواهيَه لا تؤدَّى إلا بتكلُّفِ ما يُثْقِلَ، وقيل: ﴿قولاً ثقيلاً﴾ أي: له وزن، وسمِّي الجنُّ والإنس ثقلين، لأنهما فُضِّلا بالتميزِ على سائر الحيوان، وكلُّ شيءٍ له وزنٌ وقَدرٌ يتنافس فيه، فهو ثقلٌ.

وقال زيد بن أرقم: أهلُ بيتِه مَنْ حُرِمَ الصَّدقة بعده: آل عليٍّ، وآل عقيلٍ، وآل جعفرٍ، وآل عبَّاسٍ. أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

٣٧٤٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللهِ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ».

حديث صحيح بشواهده دون قوله: «ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» أخرجه أحمد (١١١٠٤)، والترمذي (٣٧٩٠) في المناقب: باب مناقب أهل بيت الرسول ﷺ، وله شاهد من حديث زيد بن ثابت عند أحمد (٢١٥٧٨)، وآخر عند الترمذي (٣٧٨٦) من حديث جابر وإسنادهما ضعيف، وانظر الحديث السابق.

بابُ
مناقبِ طَلْحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب
ابن تيم التيمي أبي محمد رضي الله عنه

قُتِلَ يَوْمَ الجَمَلِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ.

٣٧٤٣- عَنِ الزبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانِ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَعَدَ طَلْحَةُ تَحْتَهُ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ. قَالَ الزُّبَيْرُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ».

أخرجه أحمد (١٤١٧)، والترمذي (٣٧٣٨)، والبزار (٩٧٢)، وإسناده حسن وصحَّحه ابن حبان (٦٩٧٩)، وتمام تخريجه في «المسند».

وقوله: «أوجب طلحة» يعني: عمل عملاً أوْجَبَ له الجنة.

٣٧٤٤- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ يَمْشِي عَلى وَجْهِ الأَرْضِ وَقَدْ قَضى نَحْبَهُ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هٰذَا».

أخرجه ابن ماجه (١٢٥)، والترمذي (٣٧٤٠)، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لا أعرفه إلا من حديث الصَّلتِ بن دينارٍ، وقد تكلمَ بعض الناس في الصَّلتِ من قِبلِ حفظه. قلنا: لٰكن جاء الحديث من وجه آخر حسن من حديث طلحة ابن عبيد الله نفسه عند الترمذي (٣٢٠٣) و(٣٧٤٢) وفيه: أن النبي ﷺ قال عن طلحة: «هٰذا ممن قَضى نَحْبَه».

قوله: «وقد قضى نحبه» أي: بذل جهده في الوفاء بعهده، فكان طلحةُ ممن ذكر اللهُ سبحانه وتعالى ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليهِ فمنهم مَنْ قضى نحبهُ﴾ [الأحزاب: ٢٣] أي: نذره وعهده، والنَّحْبُ: النَّذْرُ، ويقال: الموت، فكأنه ألزم نفسه الصبر على الجهاد، فوفى به حتى استُشْهِدَ.

٣٧٤٥- عَنْ قَيْسِ بن أبي حازم قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ، وَقَى بِهَا النَّبيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٧٢٤)، وأحمد (١٣٨٥) وفيه تمامُ تخريجه.

بابُ

مناقب الزبير بن العوام أبي عبد الله الأسدي القرشي

رضي الله عنه

قُتِلَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ.

٣٧٤٦- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَأْتِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟» يَوْمَ الأَحْزَابِ، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَأْتِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيّاً وَحَوارِيَّ الزُّبَيْرُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٢٧٤٧)، ومسلم (٢٤١٥).

قوله: «حواري الزُّبير» فالمرادُ منه الناصرُ، والحواريون من أصحاب عيسى عليه السلام كانوا أنصاراً له، سُمُّوا حواريين، لأنهم كانوا يغسلون الثياب، فيُحورونها، أي: يبيضونها. فالمرادُ من الحديث: أنَّ الزبير خاصةُ رسولِ الله ﷺ والمُفَضَّلُ عنده وناصره، وفي هذا مَنْقبةٌ عظيمة وفضيلةٌ ظاهرة لهذا الصحابي الكريم رضوان الله عليه.

٣٧٤٧- عَنْ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَأْتِي بَخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ؟» فَقُلْتُ: أَنَا أَذْهَبُ، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَ: «فِدَاكَ أُمِّي وَأَبي».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦).

بابُ

مناقبِ سعد بن أبي وقاص الزهري

وَهُوَ أَبُو إِسْحَاقَ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ وُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، وَبَنُو زُهْرَةَ أَخْوَالُ النَّبِيِّ ﷺ، تُوفِّيَ بَعْدَمَا مضَى مِن إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ عَشْرُ سِنِينَ.

٣٧٤٨- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا سَعْداً، فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ يَوْمَ أُحدٍ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي».

هذا حديثٌ متفقٌ عليه، أخرجه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١).

وفي الحديث من الفقه: جوازُ التفدية بالأبوين، وهو قولُ الجمهور، وكرهه بعضُ أهل العلم، والصحيح جوازهُ، لأنه ليس فيه حقيقةُ فداء، وإنَّما هو كلامٌ وألطافٌ وإعلام بمحبته له.

وقولُ علي رضي الله عنه محمولٌ على نفي علم نَفْسِه، وإلّا فقد سبق تفدية رسول الله ﷺ الزبير بأبويه، فلا تناقض بينهما.

٣٧٤٩- عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ قَالَتْ: أَنَا ابْنَةُ المُهَاجِرِ الَّذِي فَدَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ.

إسناده صحيح.

٣٧٥٠- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ يَعْنِي يَوْمَ أُحدٍ: «اللَّهُمَّ اسْدُدْ رَمْيَتَهُ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ».

أخرجه الحاكم ٣/ ٥٠٠ بسندٍ ضعيف. وأخرج الترمذي (٣٧٥٢) أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اللهم استجب لسعدٍ إذا دعاك» وإسناده صحيح، وصحَّحه ابن حبان (٦٩٩٠).

٣٧٥١- عن قيس بن أبي حازم قال: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: إِنِّي لأَوَّلُ رَجُلٍ أَهَرَاقَ دَماً فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنِّي لأَوَّلُ رَجُلٍ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَغْزُو فِي العِصَابَةِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا نَأْكُلُ إِلَّا وَرَقَ الشَّجَرِ وَالحُبْلَةَ حَتَّى إِنَّ أَحَدَنا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ أَوِ البَعِيرُ، فَأَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي فِي الدِّيْنِ لَقَدْ خِبْتُ إذاً وَضَلَّ عَمَلِي.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّتهِ، أخرجه البخاري (٦٤٥٣)، ومسلم (٢٩٦٦).

قوله: «إلا ورق الشجر والحُبْلَةَ» ويروى «إلا الحُبلةَ وورقَ السَّمُرِ» قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ٢/١٧٣: هما ضربان من الشجر، وقال ابن الأعرابيّ: الحُبلةُ ثمر السَّمُرِ شبه اللوبياء، وقيل الحُبلةُ: ثمرُ العِضاهِ.

قوله: تُعزِّرُني، أي: تُؤَدِّبني، ومنه التعزير وهو التأديب على الريبة، والمعنى: تعلِّمُني الصلاة وتُعيِّرني بأني لا أحسِنُها، وقيل: تعزِّرني، أي توقفني عليه، والتعزير في كلام العرب التوقيف على الفرائض والأحكام، والتعزير في قوله عزَّ وجل: ﴿وتُعزِّروه﴾ [الفتح: ٩] أي: تنصروه مرةً بعد أخرى، وقيل: معناه تردُّوا عنه أعداءه، وكذلك قولُه سبحانه وتعالى: ﴿آمنتم برسلي وعزرتموهم﴾ [المائدة: ١٢] أي: نصرتموهم بأن تردُّوا عنهم أعداءهم، والعَزْرُ في اللغة: الردُّ، يقال: عزَّرتُ فلاناً، أي: أدَّبته يعني فعلت به ما يردعُه عن القبيح.

باب
مناقب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أبي الأعور القرشي العدوي رضيَ الله عنه مات سنة إحدى وخمسين
وعبد الرحمن بن عوف أبي محمد الزهري القرشي رضي الله عنه مات في خلافة عثمان لست بقين منها
ومناقب هؤلاء التسعة رضي الله عنهم أجمعين

٣٧٥٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى صَخْرَةٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اهْدَئِي فَمَا عَلَيْكِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ».

هذا حديثٌ صحيح، وأخرجه مسلم (٢٤١٧) عن قُتيبة، عن عبد العزيز الدَّراوَرْدِيِّ، وقال: كان على حراء.

وفي الحديث معجزةٌ ظاهرةٌ لرسول الله ﷺ، فقد مات المذكورون كلهم شهداءَ عدا النبي ﷺ وأبا بكر، فقد قُتِلوا ظُلْماً، ومن قُتِل ظلماً فهو شهيد، والمراد شهداء في أحكام الآخرة، وعظيم ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويُصلَّى عليهم.

وفيه: إثباتُ التميز في الجمادات، وجوازُ التزكية والثناء على الإنسان في وَجْهه إذا لم يُخَفْ عليه فتنة بإعجابٍ ونحوه. أفاده النووي ٨/ ٢٠٥.

٣٧٥٣- عَنْ عَبدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ في الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّان فِي الجَنَّةِ، وَعَليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ».

قال أبو عيسى: وقد رُوي في هذا الحديثِ عن عبد الرحمٰن بن حُميدٍ عن أبيه عن سعيد بن زيدٍ وهو الأصحُّ. وأخرجه أحمد (١٦٧٥)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٤)، وصحَّحه ابن حبان (٧٠٠٢) وهو كما قال، وتمام تخريجه في «المسند».

٣٧٥٤- عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَشْرَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الجَنَّةِ: أَنَا فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ

ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ» ثُمَّ سَكَتَ سَعِيدٌ، فَقَالُوا لَهُ: مَنِ العَاشِرُ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا.

أخرجه أحمد (١٦٣١)، والترمذي (٣٧٥٧)، وأبو داود (٤٦٤٩) وصحَّحه ابن حبان (٦٩٩٦) وهو كما قال، وتمام تخريجه في «المسند».

ورُوي عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن أن عبد الرحمٰن بن عوفٍ أوصى بحديقةٍ لأمهاتِ المؤمنين بيعتْ بأربع مِئة ألفٍ. أخرجه الترمذي (٣٧٥١) بإسنادٍ لا بأس به.

باب

مناقب أبي عبيدة بن الجراح

وَهُوَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الجَرَّاحِ الفِهْرِيُّ القُرَشِيُّ، مَاتَ فِي عَهْدِ عُمَرَ بِالشَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٣٧٥٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩).

والأمانةُ صفةٌ مشتركةٌ بين جميع الصحابة، لكن النبي صلوات الله عليه وسلامه خصَّ بعضَهم بصفاتٍ غلبت عليهم وكانوا بها أخصَّ.

٣٧٥٦- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسولَ اللهِ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلاً قَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ» فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحته، أخرجه البخاري (٣٧٤٥)، ومسلم (٢٤٢٠).

قوله: «فاستشرف لها» أي: تطلَّعوا للولاية، ورغبوا فيها حرصاً على أن يكون المستشرفُ هو الأمينَ الموعود، لا حرصاً عل الولاية من حيث هي.

٣٧٥٧- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «أرْحَمُ أُمَّتِي أبُو بَكْرٍ، وَأشَدُّهُمْ فِي أمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمانُ، وَأفْرَضُهُمْ زَيْدٌ، وَأقْرأهُمْ أُبيٌّ، وَأعْلَمُهُمْ بِالحَلاَلِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أمِينٌ وَأمِينُ هٰذِهِ الأُمَّةِ أبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ».

إسناده صحيحٌ، أخرجه أحمد (١٢٩٠٤)، وابن ماجه (١٥٥)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٨٠٨)، وصححه ابن حبان (٧١٣١).

ورُوي عن معمر عن قتادةَ مرسلاً وفيه «وأقضاهمْ عليٌّ» قال أبو حاتم السَّجستاني يعني ابن حبان: هذه ألفاظٌ أطلقتْ بحذف «مِنْ» يريد: مِنْ أرحمِ أمتي، ومن أشدِّهم، ومن أصدقهم، ومن أفرضهم، وأقرئهم، يريد أنَّ هؤلاء من جماعةٍ فيهم تلك الفضائل، كقوله عليه السلام للأنصار: «أنتم أحبُّ الناسِ إليَّ» أي: مِن أحبِّ الناس. وانظر بَسْط ذلك في «شرح مشكل الآثار».

بابُ

مناقبِ أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين

ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: كَانَ بَيْنَ الحَسَنِ والحُسَيْنِ طُهْرٌ وَاحِدٌ يُقَالُ: مَاتَ الحَسَنُ سَنَةَ إحْدَى وَخَمْسِينَ بَعْدَمَا مَضَى مِنْ إمَارَةِ

مُعَاوِيَةَ عَشْرُ سِنِينَ، وَقُتِلَ الحُسَيْنُ يَوْمَ عَاشُورَاء وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ.

٣٧٥٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٧٥٢)، وابن حبان (٦٩٧٣).

وقال عُقبةُ بن الحارث: صلّى أبو بكر العصرَ، ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال:

بـأبـي شبيـهٌ بـالنبـي ليـس شبيهـاً بعلـي

وعلي يضحك. أخرجه البخاري (٣٧٥٠).

ورُوي عن أنس قال: أُتيَ عُبيد الله بن زيادٍ برأس الحسين، فجعل يقول بقضيبه في أنفه، ويقول: ما رأيتُ مِثْلَ هذا حُسْناً فقلتُ: أما إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ. أخرجه البخاري (٣٧٤٨).

وروى إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانىء بن هانىء، عن عليٍّ قال: الحسنُ أشبهُ الناسِ برسول الله ﷺ ما بين الصَّدر إلى الرأس، والحسينُ أشبهُ الناسِ به ما كان أسفلَ من ذلك. أخرجه أحمد (٧٧٤)، وحسَّنه الترمذي (٣٧٧٩)، وصحَّحه ابن حبان (٦٩٧٤) مع أن فيه هانىء بن هانىء، لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي، ولم يوثقه غير ابن حبان فهو في عداد المجهولين.

٣٧٥٩- عن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ والحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّهُ».

هذا حديثٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٢٤٢٢).

«العاتِقُ»: ما بين المنكب إلى العنق. وفيه ملاطفةُ الصبيان ورحمتُهم.

٣٧٦٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ المَدِينَةِ، فَانْصَرَفَ، فَانْصَرَفْتُ مَعَهُ، فَجَاءَ إِلَى فِنَاءِ فَاطِمَةَ، فَنَادَى الحَسَنَ: «أَيْ لُكَعُ أَيْ لُكَعُ، أَثَمَّ لُكَعُ؟» فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَانْصَرَفْتُ مَعَهُ، فَجَاءَ إِلَى فِنَاءِ عَائِشَةَ، فَجَاءَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَال أَبُو هُرَيْرَةَ: ظَنَنْتُ أَنَّ أُمَّهُ حَبَسَتْهُ لِتَجْعَلَ فِي عُنُقِهِ السِّخَابَ قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ، الْتَزَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَالْتَزَمَ هُوَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٢١٢٢)، ومسلم (٢٤٢١).

قوله: «أي لُكَع» سُئل بلالُ بن جريرٍ عن لُكَعٍ، فقال: هي في لغتنا الصغير، وإلى هذا ذهب الحسن إذا قال للإنسان: يا لكعُ، يريد يا صغيراً في العلم، فسماه لكعاً لِصباهُ وصغره، وما جاء في الحديث «لا تقوم الساعةُ حتَّى يكون أسعدَ الناس لُكَعُ بن لُكَع» أخرجه أحمد (٢٣٣٠٣)، والترمذي (٢٢١٠) بسندٍ صحيح. قال أبو عُبيد في «غريب الحديث» ١/ ٣٣٠: اللُّكَعُ عند العرب: العبد، قال الليث: لَكِعَ الرجُلُ يلكَعُ لَكعاً، فهو ألكعُ، يوصف بالحمق، والسِّخاب: خيطٌ يُنظمُ فيه الخرز، ويُلبس الصِّبيان، جمعُه سُخُبٌ قيل: هو من المعاذاتِ.

٣٧٦١- عن أبي موسى إسرائيل قال: سَمِعْتُ الحَسَنَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخرَى، وَيَقُولُ: «إنَّ ابْنِي هٰذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، وأحمد (٢٠٤٤٨)، والبزار (٢٦٣٩)، وصحَّحه ابن حبان (٦٩٦٤).

قيل: السيد: الذي لا يغلِبُه غضبه، وقيل: السيد: الحليم، وقيل: السيد: الذي يفوق قومه في الخير.

وقد خُرِّجَ مصداقُ هذا القول في الحسن بن علي رضي الله عنهما بتركه الأمرَ حين صارت الخلافة إليه خوفاً من الفتنة، وكراهةً لإراقة دماء أهل الإسلام، فأصلحَ اللهُ بين أهل العراق وأهل الشام، ويُسمى ذلك العام سنةَ الجماعة.

وفيه دليلٌ على أنَّ واحداً من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعلٍ عن ملةِ الإسلام، لأن النبي ﷺ جعلهم كُلَّهم مسلمين مع كون إحدى الطائفتين مصيبة، والأخرى مخطئة.

وهكذا سبيلُ كلِّ متأوِّلٍ فيما يتعاطاه من رأيٍ ومذهبٍ إذا كان له فيما يتأولُهُ شبهة، وإن كان مخطئاً في ذلك، وعن هذا اتفقوا على قبول شهادة أهل البغيِ، ونفوذ قضاء قاضيهم، واختار السلفُ تَرْكَ الكلام في الفتنة الأولى، وقالوا: تلك دماءٌ طهَّر الله عنها أيدينا، فلا نُلوِّثُ بها ألسنتنا.

وفي الحديث دليلٌ على أنه لو وقف شيئاً على أوْلاده يدخُل ولد الولدِ فيه، لأنَّ النبيَّ ﷺ سمَّى ابن ابنته ابناً.

٣٧٦٢- عن محمد بن أبي يعقوب سمعتُ ابنَ أبي نُعم قال: سمعتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عمرَ وَسَأَلهُ رَجُلٌ عَنِ المُحْرِمِ. قَالَ شُعْبَةُ: أَحْسِبُهُ يَقْتُلُ الذبَابَ، فَقَالَ: أَهْلُ العِرَاقِ يَسْأَلُونَ عَنِ الذُّبَابِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ! وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٧٥٣)، والترمذي (٣٧٧٣).

٣٧٦٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ».

أخرجه أحمد (١٠٩٩٩)، والترمذي (٣٧٦٨) بإسنادٍ صحيح.

ويُروى عن الحَكمِ بن عبد الرحمٰن بن أبي نُعْمٍ، عن أبيه بإسناده، وزاد: «إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا عليهما السلام» أخرجه ابن حبان (٦٩٥٩)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٩٦٧)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٦٦) وهو صحيح.

بابُ

مناقبِ جعفر بن أبي طالب أبي عبد الله الهاشمي ذي الجناحين رضي الله عنه

قُتِلَ يَوْمَ مُؤْتَةَ.

٣٧٦٤- عَنِ البَرَاءِ قَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذِي القَعْدَةِ فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الكِتَابَ، كَتَبُوا: هٰذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ

اللهِ، قَالُوا: لَا نُقِرُّ بِهٰذَا لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا مَنَعْنَاكَ شَيْئاً، وَلٰكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحُ رَسُولَ اللهِ» قَالَ: لَا وَاللهِ لَا أَمْحُوكَ أَبَداً، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الكِتَابَ وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ، فَكَتَبَ: هٰذَا مَا قَاضَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ لا يُدْخِلُ مَكَّةَ السِّلَاحَ إِلَّا السَّيْفَ فِي القِرَابِ، وَأَلَّا يُخْرِجَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَداً إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتْبَعَهُ، وَأَلَّا يَمْنَعَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَداً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا، فَلَمَّا دَخَلَ وَمَضَى الأَجَلُ، أَتَوْا عَلِيّاً، فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ: اخْرُجْ عَنَّا، فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ تُنَادِي: يَا عَمُّ يَا عَمُّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ حَمَلْتُهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: بِنْتُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: بِنْتُ أَخِي، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا، وَقَالَ: «الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ» وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ» وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي» وَقَالَ لِزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا»، قَالَ عَلِيٌّ: أَلَا تَتَزَوَّجُ ابْنَةَ حَمْزَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٦٩٩).

وقوله: فكتب. فيه حذف تقديره: فمحاها فأعادها إلى علي، فكتب. أو أطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة، وهو كثير في كلامهم، ومنه قوله كتب إلى كسرى وكتب إلى قيصر.

وعلى تقدير حمله على ظاهره، فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالماً بالكتابة، ويخرج عن كونه أمياً،

فإن كثيراً ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات، ويحسن وضعها بيده خصوصاً الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً.

وإنما قال زيدٌ: ابنةُ أخي، لأن النبيَّ ﷺ آخى بينه وبين حمزة، وقال يوسف بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق قال لعليٍّ: «امحُ رسول الله ﷺ» قال علي: والله لا أمحاه أبداً، قال: «فأرِنيه» فأراه إياه، فمحاه النبيُّ ﷺ بيده.

وفي حديث المِسْوَرِ ومروان قال النبيُّ ﷺ: «والله إني لرسولُ اللهِ، وإنْ كذَّبتموني، اكتبْ محمد بن عبد الله». فكتب. أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

وفي الحديثِ فضيلةٌ ظاهرةٌ لجعفر إذْ قال له رسولُ الله ﷺ: «أشْبَهْتَ خَلْقي وخُلُقي».

٣٧٦٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُرِيتُ جَعْفَرَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي الجَنَّةِ مَلَكاً ذَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ فِيهَا حَيْثُ شَاءَ مُضَرَّجَةً قَوَادِمُهُ بِالدِّمَاءِ».

أخرجه الحاكم ٣/ ٢٠٩، وذكره الحافظ في «الفتح» ٧/ ٩٦، وجَوَّدَ إسنادَه وعزاه للحاكم والطبراني. وحسَّنه الحافظ الدمياطي في «المتجر الرابح»: ٣٦٧، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الحاكم ٢/ ٢١٢، وإسناده حسن.

وصحَّ عن الشعبيّ أنّ ابن عمر كان إذا سلّم على ابن جعفرٍ قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. أخرجه البخاري (٣٧٠٩).

باب

مناقب زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى وابنه أسامة بن زيد حب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

يُكَنَّى أَبَا زَيْدٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ كَلْبٍ مِنَ اليَمَنِ.

٣٧٦٦- عن عبد الله بن دينارٍ أنه سمع ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْثاً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إمرَتِهِ، فَقَامَ رَسُول اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمْرَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقاً لِلإِمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هٰذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٦٢٧)، ومسلم (٢٤٢٦).

ورواه سالمٌ عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر وزاد: «وأوصيكم به، فإنه من صالحيكم» وهي روايةُ مسلم.

قوله: «خليقاً» أي: حقيقاً وجديراً.

وفي الحديث من الفقه: جوازُ إمارةِ العتيق. وجوازُ تقديمه على العرب، وجوازُ تولية الصغير على الكبير، والمفضول على الفاضل.

وفيه فضيلةٌ ظاهرة لزيد بن حارثة وولده أُسامة رضوان الله عليهما.

٣٧٦٧- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ حَدَّثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالحَسَنَ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا».

هذا حديث صحيح. أخرجه البخاري (٣٧٣٥).

ورُوي أنَّ ابن عمر رأى محمد بن أسامة، فقال: لو رآه رسولُ الله ﷺ لأحبّه. أخرجه البخاري (٣٧٣٤).

وروي أنه رأى حجاج بن أيمن بن أُمّ أيمن، فقال: لو رأى هذا رسول الله ﷺ لأحبّه، فذكر حبّه وما ولدته أم أيمن، وأيمن أخو أسامة لأمه. أخرجه البخاري (٣٧٣٧).

٣٧٦٨-عن يزيد بن أبي عُبيدٍ قال: سمعت سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ يَقُولُ: غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سبْعَ غَزَوَاتٍ، وَخَرَجْتُ فِيْما يَبْعَثُ مِنَ البُعُوثِ تِسْعَ غَزَوَاتٍ مَرَّةً عَلَيْنَا أبو بَكْرٍ، وَمَرَّةً عَلَيْنَا أُسَامَةُ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٢٧٢)، ومسلم (١٨١٥). وفي بعض روايات مسلم: «سبع غزوات».

بابُ

مناقبِ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبي العباس رضي الله عنه

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ المُحْكَمَ، يُرِيدُ المفَصَّلَ.

أخرجه أحمد (٢٢٨٣) بسندٍ صحيح.

ماتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتينَ، وَيُقَالُ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وُلِدَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلاثِ سِنِينَ عَامَ الشِّعْبِ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ إحدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٣٧٦٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءاً قَالَ: «مَنْ وَضَعَ هٰذَا؟» فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

وفي الحديث من الفقه: فضيلةُ العِلْمِ بالفقه إذْ خصَّه رسولُ الله ﷺ بهذه المرتبة الشريفة، ومصداقُه قوله تعالى: ﴿يؤتي الحكمةَ مَنْ يشاء ومن يؤتَ الحكمةَ فقد أُوتيَ خيراً كثيراً وما يذكَّر إلَّا أولوا الألباب﴾ [البقرة: ٢٦٩] يعني: المعرفة والفقه في دين الله تعالى، وقد كان ابن عباس كذلك حتى قيل له: تَرْجُمان القرآن. وحسبك بهذا فضيلة وشَرَفاً.

٣٧٧٠- عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ».

أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

قال محمد بن إسماعيل: حدثنا أبو مَعمرٍ، حدثنا عبد الوارث، وقال: «اللّهمَّ عَلِّمهُ الكتاب» وهو حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري بإثر الحديث السابق، وأخرجه الترمذي (٣٨٢٤)، وابن ماجه (١٦٦).

بابُ

مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب

أبي عبد الرحمن القرشي العدوي رضي الله عنه

مَاتَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِين.

٣٧٧١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي سَرَقَةً مِنْ حَرِيرٍ لَا أَهْوِي بِهَا إلَى مَكَانٍ فِي الجَنَّةِ إلا طَارَتْ بِي إلَيْهِ،

فَقَصَصْتُهَا عَلى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهُ عَلى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ أخَاكِ رَجُلٌ صَالِحٌ، أوْ إنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ».

هـذا حديثٌ متفق علـى صحته، أخرجه البخاري (١١٥٦)، ومسلم (٢٤٧٨).

قوله: «سَرَقةٌ من حريرٍ» أي: شُقّةٌ منها وهي اسمٌ للأبيض وقيل: هي كلمةٌ فارسيّةٌ، وأصلها سَرَهْ يَعني الجَيِّدَ.

و«الصالحُ» هو القائم بحقوق الله تعالى وحقوقِ العباد.

بابُ

مناقب عبد الله بن مسعود أبي عبد الرحمٰن الهذلي رضي الله عنه

مَاتَ قَبْلَ عُثْمانَ.

٣٧٧٢- عَنْ حُذَيفَةَ قال: إنَّ أشْبَهَ النَّاسِ دَلًّا وَسَمْتاً وَهَدْياً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَابْنُ أُمِّ عَبْدٍ مِنْ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى أنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ، لَا نَدْرِي مَا يَصْنَعُ في أهْلِهِ إذَا خَلاَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٧٦٢)، والترمذي (٣٨٠٩).

والدَّلُّ والسمْتُ والهدْيُ قريبٌ بعضها من بعضٍ، وهو السكينةُ والوقار، وحسنُ الهيئةِ، والمنظر، يريد شمائله في الحركة والمشي والتصرف في الدِّين لا في الزينةِ والجمال.

وقد رُوي عن ابن عبّاس أنّ نبيّ الله ﷺ قال: «الهديُ الصالحُ، والسمتُ الصالحُ، والاقتصادُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوة» أخرجه أحمد

(٢٦٩٨) بإسنادٍ حسن لغيره، وفيه تمام تخريجه. وأصل السَّمْتِ: الطريق، يقال: الزم هذا السمْت، ويقال: فلانٌ حَسَنُ السَّمتِ، أي: حَسَنُ القصدِ.

٣٧٧٣- عن أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ قال: قَدِمْتُ أنَا وَأخِي مِنَ اليَمَن، فَمَكَثْنَا حِيناً مَا نُرَى إلَّا أنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِ النَّبيِّ ﷺ لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ على النَّبيِّ ﷺ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٧٦٣)، ومسلم (٢٤٦٠).

٣٧٧٤- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّراً مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ، لأمَّرْتُ عَلَيْهِمُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ».

إسناده ضعيف لضعف الحارث الأعور، أخرجه أحمد (٥٦٦)، والبزار (٨٥٢) وتمام تخريجه في «المسند».

٣٧٧٥- قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً، وَقَالَ: «إن مِنْ أحَبِّكُمْ إلَيّ أحْسَنَكُمْ أخْلَاقاً» وَقَالَ: «اسْتَقْرِؤُوا القُرْآنَ مِنْ أرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه بتمامه البخاري (٣٧٥٩)، وأخرجه مسلم مختصراً (٢٣٢١).

٣٧٧٦- عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيساً صَالحاً، فَأتَيْتُ قَوْماً، فَجَلَسْتُ إلَيْهِمْ، فَإذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إلَى جَنْبِي. قُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: أبُو

الدَّرْدَاءِ، قُلْتُ: إنِّي دَعَوْت اللهَ أنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيساً صَالِحاً، فَيَسَّرَكَ لِي، فَقَالَ: مَنْ أنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أهْلِ الكُوفَةِ، قَالَ: أوَلَيْسَ عِنْدَكُمُ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالوِسَادِ وَالمِطْهَرَةِ، أفِيكُمُ الَّذِي أجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلى لِسَانِ نَبِيِّهِ، أوَلَيْس فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبيِّ ﷺ الَّذِي لَا يَعْلَمُ أحَدٌ غَيْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ يَقْرَأُ عَبْدُ اللهِ (وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى) قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أقْرَأنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فِيهِ إلى فِيَّ.

قلنا: التلاوة المجمع عليها ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ [الليل: ٣].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إسْمَاعِيلَ: حدثنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حدثنا شُعْبَةُ عَنْ مُغِيْرَةَ بِإسْنَادِهِ، وَقَالَ: ألَيْسَ فِيكُمْ أوْ مِنْكُمْ صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ يَعْنِي حُذَيفَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: ألَيْسَ فِيكُمْ أوْ مِنْكُمُ الَّذِي أجَارَهُ اللهُ عَلى لِسَانِ نَبِيِّهِ يَعْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ يَعْنِي عَمَّاراً.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٧٤٣)، وأحمد (٢٧٥٣٨).

وأراد بصاحب السرِّ حُذيفةَ، فإنَّ النبيَّ ﷺ أسرَّ إليه أسماءَ المنافقين. قال شقيق بن سلمة: خطبَنا عبد الله، فقال: واللهِ لقد أخذت من فِي رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، واللهِ لقد علم أصحابُ رسول الله ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم. قال شقيقٌ: فما سمعتُ راداً يقول غير ذلك. أخرجه البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢).

بابُ

مناقبِ بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

يُكْنَى أبا عَبْدِ الكَرِيمِ، وَيُقَالُ: أبو عَبْدِ اللهِ، وَيُقَالُ: أَبُو عَمْرو مَولى أبي بَكْر الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «رَأيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: بِلَالٌ.

أخرجه البخاري (١١٤٩).

وَقَالَ جَابِرٌ: كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلَالًا.

أخرجه البخاري (٣٧٥٤).

٣٧٧٧- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ الجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي، فَإِذَا بِلَالٌ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٤٥٧).

بابُ

مناقبِ عمار بن ياسر أبي اليقظان

مولى بني مخزوم رضي الله عنه قتل يوم صفين

٣٧٧٨- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عَمَّارٌ عَلى النَّبيِّ ﷺ، فَعَرَفَ صَوْتَهُ، فَقَالَ: «مَرْحَباً بِالطَّيِّبِ المُطَيَّبِ».

إسناده حسن، أخرجه الترمذي (٣٧٩٩)، وابن ماجه (١٤٦).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسنٌ صحيح، المراد بالطِّيب الطاهر.

٣٧٧٩- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ: «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩١٦)، وابن حبان (٦٧٣٦) وغيرهما.

وهذا الحديثُ حجَّةٌ ظاهرةٌ في أنَّ علياً - رضي الله عنه - كان مُحِقّاً مُصيباً، والطائفة الأُخرى بغاةٌ لكنهم مجتهدون، فلا إثْمَ عليهم. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٢٧٣.

وقال المازري في «المُعْلِم» ٣/ ١٣٩: ومعاويةُ من عُدولِ الصحابة وأفاضِلهم وما وقع من الحروب بينه وبين علي وما جَرى بين الصحابة من الدماءِ فعلى التأويلِ والاجتهاد، وكلٌّ يعتقد أنَّ ما فعله صواب وسَداد. وقد يختلفُ مالكٌ وأبو حنيفةَ والشافعي في مسائلَ من الدماءِ، حتى يوجبَ بعضُهم إراقةَ دمِ رجلٍ ويُحَرِّمُه الآخر، ولا يُسْتَنكِرُ هذا عند المسلمين ولا يُسْتَبْشَعُ لما كان أصله الاجتهاد وبه تعبَّد الله عزَّ وجلَّ العلماء، وكذلك ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم في هذه الدماءِ.

بابُ

مناقب خديجة بنت خويلد بن أسد رضي الله عنها

تُكْنَى أُمَّ هِنْدٍ، قَالَ عُرْوَةُ: تُوُفِّيَتْ قَبْلَ فَرْضِ الصَّلَاةِ.

٣٧٨٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ هٰذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ

شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

وأراد بالبيت: القَصْر، يُقال: هذا بيتُ فلانٍ، أي: قصره، وبَيْتُ الرجُل: قَصْرُه، قال أهل العلم واللغة: القَصَبُ في هذا الحديث: لؤلؤٌ مجوَّفٌ واسعٌ، كالقصرِ المنيفِ، والصَّخبُ: اختلاط الأصوات، والنَّصبُ والنُّصبُ: التعب، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِنُصْبٍ وعذابٍ﴾ [ص: ٤١] فنفى عنه النَّصَبَ والصَّخَبَ، لأنه ما من بيتٍ في الدنيا يَسكنُهُ قومٌ إلا كان بين أهله صَخَبٌ وجَلَبةٌ، وإلا كان في بنائه وإصلاحه نصَبٌ وتعبٌ، فأخبر أن قصور أهل الجنةِ خاليةٌ عن هذه الآفات.

٣٧٨١- عن عليٍّ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٨١٥)، ومسلم (٢٤٣٠).

٣٧٨٢- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاء العَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ».

أخرجه أحمد (١٢٣٩١)، وصحَّحه الترمذي (٣٨٧٨) وهو كما قال.

٣٧٨٣- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُها، وَلكِنْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا

ذَبحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، وَرُبَّما قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥).

بابُ

مناقب فاطمة الزهراء رضي الله عنها

تُوُفِّيَتْ بَعْدَ النَّبيِّ ﷺ بِستَّةِ أشْهُرٍ وَدُفِنَتْ لَيْلاً.

٣٧٨٤- عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أغْضَبهَا، أغْضَبَنِي».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٧٦٧).

و«البَضْعَةُ» بفتح فسكون: قطعةُ اللحم.

٣٧٨٥- عَنْ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ عَلى المِنْبَرِ: «إنَّ بَنِي هَاشِمِ بْنِ المُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أبِي طَالِبٍ، فَلاَ آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ إلَّا أنْ يُرِيد ابنُ أبي طَالِبٍ أنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي، وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيبُنِي مَا أرَابَهَا، وَيُؤْذِينِي ما آذاها».

هذا حديثٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩).

قال الفراء: راب وأراب بمعنى واحدٍ، ويقال: أرابني، أي: شككني وأوْهمني، فإذا استيقنْتَهُ، قلتَ: رابني.

وفي الحديث من الفقه والآداب: تحريمُ إيذاءِ النبي ﷺ بكُلِّ حال، وعلى كلِّ وجه، وإنْ تولَّد ذلك الإيذاءُ ممَّا كان أصلُه مباحاً وهو حيٌّ.

٣٧٨٦- عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا فَاطِمَةَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ، فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذٰلِكَ، فَقَالَتْ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي مَرَضِهِ هٰذَا، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ دَعَانِي، فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِنْ أَهْلِهِ فَضَحِكْتُ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٦٢٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

وفي الحديث: معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ الله ﷺ حيث وقعت الأمور كما أخبر.

وفيه: إيثارهم الآخرةَ، وسرورُهم بالانتقال إليها، والخلاصِ من الدنيا.

٣٧٨٧- عن عَائِشَةَ أُم المُؤْمِنِينَ قالت: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعاً لَمْ نُغَادِرْ مِنَّا وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي لَا وَاللهِ مَا يَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ، قَالَ: مَرْحَباً يَا بِنْتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً، فَلَمَّا رَأَىٰ حُزْنَها سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا مِنْ نِسَائِهِ خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَّكِ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ، قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِينِي، قَالَتْ: أَمَّا

الآنَ، فنعَمْ، فَأخْبرَتْني، قَالَتْ: أمَّا حِينَ سَارَّني فِي الأمْرِ الأوَّلِ، فَإنَّهُ أخْبرَني أنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، «وَأنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أرَىٰ الأجَلَ إلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أنَا لَكِ» قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأيْتِ، فَلَمَّا رَأىٰ جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ ألَا تَرْضَيْنَ أنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هٰذِهِ الأُمَّةِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

قال محمد بن إسماعيل: حدثنا أبو نُعيْم، حدثنا زكريا، عن فراسٍ بإسناده مثل معناه، وقال: «أما ترضيْنَ أن تكوني سيدةَ نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين» فضحكت لذلك، وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عبدالله بن نمير، عن زكريا وقال: «ألا ترضيْنَ أن تكوني سيدةَ نساء المؤمنين أو سيدةَ نساء هذه الأمَّة».

بابُ

مناقبِ عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها

تُـكْنَىٰ أُمَّ عَبْدِ اللهِ.

٣٧٨٨- عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَـا عَائِشُ هٰذَا جِبْرِيلُ يُـقْرِئُكِ السَّلَامَ» قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، قَالَتْ: وَهوَ يَرَىٰ مَا لَا أرَىٰ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).

واستدلَّ به الإمامُ النووي في «شرح مسلم» ٨/٢٢٧ على استحباب بَعْثِ السلام، وأنه يجبُ على الرسولِ تبليغهُ، وأنه جائز للرجل الأجنبي أن يبعثَ السلامَ إلى الأجنبية الصالحة إذا لم يترتب على ذلك مفسدة.

٣٧٨٩- عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١)، وابن حبان (٧١١٤).

والمرادُ بالكمالِ هنا: التناهي في جميع الفضائل وخصالِ البرِّ والتقوى حتى بلغتا درجةَ الولاية والصديقية، وهو قولُ الجمهور، وأما القولُ بنبوة مريم وآسية فهو قولٌ ضعيفٌ غريب.

«والثَّريد» فعيل بمعنى مفعول، أي: مَثْرود وهو الخُبْزُ يُفَتُّ ثم يُبَلُّ بالمرقِ.

٣٧٩٠- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ الطَّعَامِ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي عِيسَىٰ: «عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٣٧٧٠)، ومسلم (٢٤٤٦).

٣٧٩١- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اجْتَمَعَتْ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلْنَ فَاطِمَةَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْنَ لَهَا: قُولِي لَهُ: إِنَّ نِسَاءَكَ قَدِ اجْتَمَعْنَ،

وَهُنَّ يُنْشِدْنَكَ ٱلْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ نِسَاءَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ، وَهُنَّ يُنْشِدْنَكَ ٱلْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُحِبِّينَنِي؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَحِبِّيهَا» فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِمَا قَالَ لَهَا: فَقُلْنَ: إِنَّكِ لَمْ تَصْنَعِي شَيْئاً، فَارْجِعِي إِلَيْهِ قَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللهِ لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبَداً - قَالَ الزُّهرِيُّ: وَكَانَتِ ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَقّاً - فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ وَهُنَّ يُنْشِدْنَكَ ٱلْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ، فَشَتَمَتْنِي، قَالَتْ: فَجَعَلْتُ أُرَاقِبُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنْظُرُ طَرْفَهُ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِي أَنْ أَنْتَصِرَ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَشَتَمَتْنِي حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ مِنْهَا فَاسْتَقْبَلْتُهَا، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ أَفْحَمْتُهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «إِنها بِنْتُ أَبِي بِكْرٍ» قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً خَيْراً وَأَكْثَرَ صَدَقَةً وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَشَدَّ ابْتِذَالاً بِنَفْسِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ غَرْبِ حِدَّةٍ كَانَ فِيهَا يُوشِكُ مِنْهَا ٱلْفَيْئَة.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٢٥٨١) بأتم ممَّا هنا، وأخرجه مسلم (٢٤٤٢).

قولها: «ينشدنك العَدْلَ» يعني: يسألْنَك التسويةَ بينهن في محبة القلب، وإلا فقد كان صلوات الله عليه وسلامُه يُسَوِّي بينهن في الأفعال والمبيت ونحوه، ولا مؤاخذةَ شرعيةً على مَيْلِ القلب.

قولها: «تُساميني» أي: تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة.

وقولها: «ما عدا سَوْرةً من غَرْبٍ» أي ما خلا ثورة من حِدَّةٍ والغَرْبُ: الحدة، يقال: في فلان غرب، أي: حدَّةٌ، يُقال للمعرْبدِ: سوَّارٌ، لأنه يثور إلى الناس ويؤذيهم.

وعن أبي موسى الأشعريِّ قال: ما أشْكلَ علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديثٌ قطُّ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها فيه عِلماً. صحَّحه الترمذي (٣٨٧٧) وهو كما قال. وقال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصحَ من عائشة. صححه الترمذي (٣٨٧٨) وهو كما قال.

بابٌ

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ﴾. قَالَ ابْنُ عَرْقَةَ: لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ نِسَائِهِ، وَلَٰكِنْ إِذَا عَصَيْنَهُ، فَطَلَّقَهُنَّ عَلى الْمَعْصِيَةِ، فَمَنْ سِوَاهُنَّ خَيْرٌ مِنْهُنَّ.

٣٧٩٢- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَىٰ وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَىٰ زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٥٣٦٥)، ومسلم (٢٥٢٧).

ورواه سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وزاد قال: يقول أبو هريرة على أثر ذلك: ولم تَرْكب مريم بنت عمرانَ بعيراً قطُّ.

قوله: أحناهُ، من الحُنُوِّ وهو العطفُ والشفقةُ. وأرعاهُ، قال الخطابيُّ: من الإرعاء وهو الإبقاء، يقال: رعاه يرعاه رعياً من الرِّعاية، وأرعى عليه، أي: أبقى، إرعاءً، يقول: أحفظُ لمالهِ وأبقاهُ والله أعلم.

وفي الحديث: فضيلةُ نساءِ قريش، وفَضْلُ هذه الخصال، وهي الحنوُّ على الأولاد، والشفقةُ عليهم، وحسن تربيتهم إذا كانوا يتامى ونَحْو ذلك من مراعاةِ حقِّ الزوجِ في ماله، وحِفْظِه والأمانةِ فيه، وحُسْن تدبيرِه في النفقة وغيرِها، وصيانتِه ونحو ذلك. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٨/ ٣٢٠.

بابُ

فَضْلِ الأنصار رضي الله عنهم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآيَةَ [الحشر: ٩] وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠١] أَيْ: بِاسْتِقَامَةٍ وَسُلُوكٍ لِلطَّرِيقِ الَّذِي دَرَجَ عَلَيْهِ السَّابِقُونَ.

٣٧٩٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

والمعنى: أنَّ مَنْ عرفَ مرتبةَ الأنصارِ وما كان منهم في نصرةِ دين الإسلامِ والسَّعْيِ في إظهارِه وإيواءِ المسلمين، وقيامِهم في مهمَّات دين الإسلام حقَّ القيام، وحُبَّهم النبي ﷺ وحُبَّه إيَّاهم، وبذْلَهم أموالَهم وأنفُسَهم بين يَدَيْه، وقتالَهم ومعاداتَهم سائرَ الناسِ إيثاراً للإسلام، ثمَّ أحبَّهم لذلك كان ذلك من

دلائلِ صحَّةِ إيمانه، ومن أبغضهم كان بضدِّ ذلك. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٨/ ٣٤٢.

٣٧٩٤- عن البراء بن عازب قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ فِي الأنْصَارِ: «لَا يُحِبُّكُمْ إلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُكُمْ إلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أبْغَضَهُمْ، أبْغَضَهُ اللهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

٣٧٩٥- عَنْ أنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأنْصَارِ وَلِأبْنَاءِ الأنْصَارِ، وَلِأبْنَاءِ أبْنَاءِ الأنْصَارِ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٥٠٦)، والترمذي (٣٩٠٢).

٣٧٩٦- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَتِ الأنْصَارُ يَوْمَ الخَنْدَقِ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّداً عَلى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أبَداً

فَأجَابَهُمُ النَّبيُّ ﷺ:

لَا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ فَأكْرِمِ الأنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّتِه، أخرجه البخاري (٦٤١٣)، ومسلم (١٨٠٥).

وفي الحديث من الفقه: استحبابُ الرجز ونحوه من الكلام في حال البناءِ ونحوه.

وفيه: عَمَلُ الفضلاءِ في بناءِ المساجد ونحوها.

٣٧٩٧- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْلَا الهِجْرَةُ، لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأنْصَارِ، وَلَوْ أنَّ النَّاسَ أخَذُوا وَادِياً وَشِعْباً، وَسَلَكَتِ الأنْصَارُ وَادِياً وَشِعْباً، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

وأراد صلواتُ الله عليه وسلامُه تطييبَ قلوبهم لما شاهده من صفاءِ قلوبهم ورغبتهم عن الدنيا وزهرتها وليس المراد أنه يصير تابعاً لهم، بل هو المتبوعُ المطاعُ المفترضُ الطاعة على كلّ مؤمن.

٣٧٩٨- عن ثابت البُنانيِّ أنه سمع أبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الأنْصَارُ عَيْبَتِي الَّتي أوَيْتُ إلَيْهَا، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ، فَإنَّهُمْ قَدْ أدَّوُا الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٣٧٩٩).

٣٧٩٩- عَنْ أنَسٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الأنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَإنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠).

قوله: «كَرِشِي» أي: جماعتي وصحابتي الذين أثقُ بهم وأعتمدهم في أموري، والكَرِشُ: الجماعة، وقد يكون الكرِشُ عيالَ الرجُل وأهلهُ، وقيل: كَرِشي، أي: بطانتي. وضرَب المثلَ بالكَرِش، لأنه مُستقرُّ غذاء الحيوان الذي به يكون بقاؤه.

وقوله: «عَيْبَتي» أي: خاصَّتي ومَوْضِعُ سِرِّي، كما أنَّ عَيْبَةَ الرجُلِ مَوْضِعٌ لِحُرِّ مَتاعِهِ وثيابه، وفي الحديث «بيننا عَيبةٌ مكفوفةٌ» أخرجه أحمد (١٨٩١٠)

وأبو داود (٢٧٦٦) ورجاله ثقات، أي: صدرٌ نَقِيٌّ من الغلِّ، والعرب تكني عن القلب والصدر بالعَيْبَةِ، وهذا كما رُوي في الحديث المتفق عليه: «الأنصارُ شِعارٌ والناسُ دِثارٌ» يعني همُ البطانةُ والخاصَّةُ، فإنَّ الشعارَ اسمٌ للثوب الذي يلي الجسد.

٣٨٠٠- عن أنسٍ قال: قَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلأنْصَارِ: «إنكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمُ الحَوْضُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٧٠٥٧)، ومسلم (١٨٤٥).

الأثرةُ: اسْمٌ من: آثرَ يُؤْثِرُ إيثاراً، يريد يستأثرُ عليكم، فيُفضِّلُ غيرُكم نفسَه عليكم.

٣٨٠١- عن أنَس بْن مَالِكٍ أنَّ أُنَاساً مِنَ الأنْصَارِ قَالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أفَاء اللهُ عَلَىٰ رَسُولِه أمْوَالَ هَوَازِنَ، فَطَفِقَ النَّبيُّ ﷺ يُعْطِي رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ المِئَةَ مِنَ الإبِلِ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ، يُعْطِي قُرَيْشاً، وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ! قَالَ أنَسٌ: فَحُدِّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأرْسَلَ إلَىٰ الأنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أحَداً مِنْ غَيْرِهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟!» فَقَالَ الأنْصَارُ: أمَّا ذَوُو رَأْينَا فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً، وَأمَّا أُنَاسٌ حَدِيثَةٌ أسْنَانُهُمْ، فَقَالُوا كَذَا وَكَذَا لِلَّذِي قَالُوا، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّمَا أُعْطِي رِجَالاً حُدَثَاءَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ أتَألَّفُهُمْ» أوْ قَالَ: «أسْتَأْلِفُهُمْ أفَلاَ تَرْضَوْنَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأمْوَالِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إلَى رِحَالِكُمْ، فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبونَ بِهِ» قَالُوا: أجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ

قَدْ رَضِينَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ» قَالَ أَنَسٌ: فَلَمْ يَصْبِرُوا.

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩).

وقد دلَّ الحديثُ على قوَّة إيمانِ الأنصار وإيثارهم بنصيبهم من الدنيا في سبيل رضوان الله تعالى.

وفيه: أنَّ للإمام أن يصرفَ المال في مصالح المسلمين.

٣٨٠٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالُوا: يُؤْثِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا غَيْرَنَا، فَبَلَغَ ذٰلِكَ النَّبيَّ ﷺ، فَخَطَبَهُمْ ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ؟» قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا ضُلاَّلًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟» قَالُوا: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا فُقَرَاءَ، فَأَغْنَاكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ؟» قَالُوا: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: «أَلاَ تُجِيبُونِي، أَلاَ تَقُولُونَ: أَتَيْتَنَا طَرِيداً فَآوَيْنَاكَ، وَأَتَيْتَنَا خَائِفاً، فَأَمَّنَّاكَ، أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ تُدْخِلُونَهُ دُورَكُمْ، لَوْ أَنَّكُمْ سَلَكْتُمْ وَادِياً أَوْ شِعْباً، وَسَلَكَ النَّاسُ وَادِياً أَوْ شِعْباً، لَسَلَكْتُ وَادِيَكُمْ أَوْ شِعْبَكُمْ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

قوله: «لولا الهجرةُ لكنتُ امرأً من الأنصار» ليس المراد منه الانتقال عن النسب الولاديّ، لأنه حرامٌ مع أن نسبه عليه السلام أفضلُ الأنساب وأكرمِها، إنما المراد منه النَّسب البلاديُّ، معناه: لولا أن الهجرة أمرٌ ظاهرٌ كانت بسبب الدِّين، ونسبتها دينيةٌ لا يسعني تركها، لأنها عبادةٌ كنتُ مأموراً بها، لانتسبتُ إلى داركم، ولانتقلتُ عن هذا الاسم إليكم.

وقوله: «لو أنَّ الناس أخذوا وادياً وشعباً لسلكتُ واديَ الأنصار وشعبهم» أراد: أن أرض الحجاز كثيرةُ الأودية والشِّعاب، فإذا ضاق الطريق عن الجميع، فسلك رئيسٌ شعباً اتَّبعه قومُه حتى يُفضوا إلى الجادة. وفيه وجهٌ آخر أراد بالوادي: الرأيَ والمذهبَ، كما يُقال: فلانٌ في وادٍ، وأنا في وادٍ. هذا معنى كلام الخطابيّ رحمه الله.

٣٨٠٣- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فَأَعْطَىٰ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِئَةً مِنَ الإِبِلِ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ بَدْرٍ مِئَةً مِن الإِبِلِ، وَذَكَرَ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا: يُعْطِي غَنَائِمَنَا قَوْماً تَقْطُرُ مِنْ سُيُوفِنَا دِمَاؤُهُم، فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ، فَجَمَعَ الأَنْصَارَ فَقَالَ: «هَلْ فِيكُمْ غَيْرُكُمْ؟» قَالُوا: لَا، غَيْرَ ابْنِ أُخْتِنَا هٰذَا، قَالَ: «ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا، أَوْ بِالشَّاءِ وَالإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِمُحَمَّدٍ إِلَىٰ دِيَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَخَذَ النَّاسُ وَادِياً، وَأَخَذَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً، لأَخَذْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَلَوْلَا الهِجْرَةُ، لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه النسائي في «فضائل الصحابة» (٢٢١)، وأحمد (١٢٩٥٢)، وأبو يعلى (٣٢٢٩)، وصحَّحه ابن حبان (٧٢٦٨) وانظر الحديثين (٣٧٩٩) و(٣٨٠١).

٣٨٠٤- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، خَرَجَ يَوْماً غَاضِباً، فَتَلَقَّاهُ ذَرَارِيُّ الأَنْصَارِ وَخَدَمُهُمْ قَالَ: مَا هُمْ بِوُجُوهِ الأَنْصَارِ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَإِنِّي لأُحِبُّكُمْ» - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً - ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الأَنْصَارَ قَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي عَلَيْكُمْ، فَأَحْسِنُوا إِلَىٰ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه النسائي في «فضائل الصحابة» (٢٢٣)، وصحَّحه ابن حبان (٧٢٦٦).

٣٨٠٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِمِلْحَفَةٍ قَدْ عَصَّبَ بِعِصَابَةٍ دَسْمَاءَ حَتَّىٰ جَلَسَ عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ، وَيَقِلُّ الأَنْصَارُ حَتَّىٰ يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ المِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئاً يَضُرُّ فِيهِ قَوْماً، وَيَنْفَعُ فِيهِ الآخَرِينَ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ». فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٦٢٨).

قوله: عَصَّبَ بعصابةٍ دَسماءَ، أي: بعمامةٍ سوداء، والعِصابةُ: العِمامةُ، والدَّسْماءُ: السوداء، رُويَ عن عثمان أنه رأى صبيّاً تأخذهُ العينُ، فقال: دَسِّموا نونتهُ. النُّونةُ: النُّقرةُ في الذَّقن.

٣٨٠٦- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دَارُ

بَنِي الأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ».

هٰذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٧٨٩)، ومسلم (٢٥١١).

أراد بالدُّور: القبائل التي يسكنون الدُّورَ، والدُّورُ: هي المحالُّ التي فيها الدُّورُ. وتفضيلُهم على قَدْرِ سَبْقهم إلى الإسلام ومآثِرهم فيه. وفي هذا دليلٌ على جواز المفاضلة بغير مجازفة ولا وهوى.

بابُ

مناقبِ سعد بن معاذ الأنصاري أبو عمرو

مَاتَ قَبْلَ النَّبيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٣٨٠٧- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدِ اهْتَزَّ ٱلْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ».

هذا حديثٌ متَّفق على صحته، أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦).

وعن الأعمش قال أبو صالحٍ عن جابر عن النبيِّ ﷺ: «اهتزّ عرش الرحمٰن لموت سعدِ بن معاذ».

قوله: «اهتزَّ»، أي: ارتاحَ بروحهِ حين صُعِدَ بهِ. قيل: أراد بالاهتزاز: السُرورَ والاستبشار، ومعناه: أنَّ حملة العرش فرحوا بقدوم روحه، فأقامَ العرشَ مقامَ مَنْ حَملَهُ، كقوله: «هذا جبلٌ يحِبنا ونحِبُّهُ» أي: أهله.

والأَوْلى إجراؤه على ظاهره، وكذلك قولُه عليه السلام: «أحدٌ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه» ولا يُنْكَرُ اهتزاز ما لا روح فيه بالأنبياء والأولياء، كما اهتز أُحدٌ وعليهِ

رسول اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمر وعثمان، وكما اضطربتِ الأسطوانةُ على مفارقته. واختاره «النووي» في «شرح مسلم» ٨/ ٢٦١ وقال: لا مانع منه كما قال تعالى في وصف الحجارة: ﴿وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله﴾ [البقرة: ٧٤].

٣٨٠٨- عَنِ البَرَاء قَالَ: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنا نَلْمِسُهُ، وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَا» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هٰذَا».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٨٠٢)، ومسلم (٢٤٦٨).

قوله عليه السلام: «مناديل سعدٍ في الجنة خيرٌ من هذا» قال الخطابيُّ: إنما ضَرب المثل بالمناديل، لأنها ليست من عِليةِ اللباس، بل هي تبتذلُ في أنواعٍ من المرافق، فتُمسح بها الأيدي، ويُنفَضُ بها الغبار عن البدن، ويُغطَّى بها ما يُهدى في الأطباق، وتتَّخذ لفافاً للثياب، فصار سبيلُها سبيلَ الخادم وسبيلُ سائر الثياب سبيلَ المخدوم، أي: فإذا كانت مناديلُه، وليست هي من عِليةِ الثياب هكذا، فما ظنُّك بعلِّيتها؟

٣٨٠٩- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جِنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخفَّ جِنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبيَّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ المَلائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ».

هذا مرسلٌ. ورواه الترمذي (٣٨٤٩) عن عَبْد بن حُميد، عن عبد الرزاق، عن مَعمر، عن قتادة، عن أنسٍ وقال: هذا حديث حسنٌ صحيح. وهو كما قال.

بابُ

مناقبِ أبي بن كعب أبي المنذر الأنصاري الخزرجي

شهِدَ العَقَبَةَ وَبَدْراً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ورُوِيَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «أقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ».

أخرجه أحمد (١٢٩٠٤)، وصحَّحه ابن حبان (٧١٣١).

٣٨١٠- عَنْ أنَسٍ قَالَ: لَمْ يَخْتِمِ ٱلْقُرْآنَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ إلَّا أرْبَعَةٌ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأبُو زَيْدٍ، كُلُّهُمْ مِنَ الأنْصَارِ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٨١٠)، ومسلم (٢٤٦٥).

وقال قتادة راوي الحديث عن أنس: قلتُ لأنسٍ: مَنْ أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي.

ورواه سعيدٌ عن قتادة، عن أنسٍ قال: مات أبو زيدٍ ولم يترك عَقِباً وكان بدرياً. أخرجه البخاري (٣٩٩٦).

ورواه ثابتٌ وثمامةُ عن أنسٍ، وذكر أبا الدَّرداء، ولم يذكر أبيّ بن كعبٍ. أخرجه البخاري (٥٠٠٤).

واختلفوا في اسم أبي زيدٍ هذا قيل: اسمه سعدُ بن عُبيدِ بن النُّعمان، ويقال: ابن شهيدِ بنِ النُّعمانِ الخزرجي، وقيل: من الأوسِ وابنُه عمر بن سعدٍ والي عمر بن الخطاب على الشام، ويقال: اسمه قيسُ بن السَّكن الخزرجيُّ،

ويقال: ثابتُ بن زيدٍ، والأولى أصحُّ. استشهد بالقادسية سنة خمْسَ عشرة وهو ابن أربع وستين سنة. وانظر «الإصابة» ٣/ ٦٨.

وقد أجاد المازري رحمه الله في الردِّ على الطاعنين الذين حاولوا الاستدلال بهذا الحديث على قَدْح الثقةِ بنقل القرآن فقال في «المعلم» ٣/ ١٥٠:

قال الشيخ - وفقه الله -: هذا الحديث مما ذكره بعض الملحدة في مطاعنها وحاولت بذلك القدح في الثقة بنقل القرآن ولا مستَرْوِحَ لها في ذلك؛ لأنّا لو سلّمنا أن الأمر كما ظنّوه، وأنه لم يكمل القرآن سِوَى أربَعَةٍ، فَإنَّه قد حفِظ جميع أجزائه مئون لا يحصون، وما من شرط كونه متواتراً أن يحفظَ الكلُّ الكلَّ، بل الشيء الكثير إذا روى كلَّ جزء منه خلقٌ كثير عُلِمَ ضرورة وحَصَلَ متواتراً ولو أن «قفا نبكي» روى كلّ بيت مئة رجلٍ مثلاً لم يحفظ كل مئة سوى البيت الذي روته لكانت متواترة، فهذا الجواب عن قَدحِهم.

وأمّا الجواب عن سؤال من سأل عن وجه الحديث من الإسلاميّين فإنه يُقال له: قد عُلِمَ ضرورة مِن تَدَيّنِ الصّحابة رضي الله عنهم، ومبادرتهم إلى الطّاعات والقُرَبِ التي هي أدنى منزلة من حفظ القرآن، ما يعلم منه أنّه محال مع كثرتهم أن لا يحفظه منهم إلّا أربعة، كيف ونحن نرى أهل عصرنا يحفظه منهم ألوف لا تحصى مع نقصِ رَغبَتِهم في الخير عن رَغْبَةِ الصّحابة رضي الله عنهم، فكيف بالصّحابة على جلالة أقدارهم، هذا معلوم بالعادة.

ووجه ثانٍ وهو أنّا نعلم أنّ القرآن كان عندهم من البلاغة بحيث هو، وكان الكافرون في الجاهلية يعجبون من بلاغته وَيحَارون فيها، حتى ينسُبوها تارة إلى السّحر، وتارة إلى أساطير الأوّلين، ونحن نعلم من عادة العرب شدّة حرصها على الكلام البليغ وتحفّظها له، ولم يكن لها شغل ولا صَنعة سوى ذلك فلو لم يكن للصّحابة باعث على حفظ القرآن سوى هذا الذي ذكرناه لكان من أدلّ الدلائل على أنّ الخبر ليس على ظاهره.

فإذا ثبت بهاتين العادتين أنّ الخير متأوّل، وثبت ذلك أيضاً بطريقة أخرى وهي ما نقله أهل السّير، وذكره أهل الأخبار من كثرة الحافظين له في زَمَان النبي ﷺ.

وقد عدّدنا من حفِظنا منهم، وسمّينا نحو خمسة عشر صاحباً ممّن نُقِلَ عنه حِفْظُ جميع القرآن في كتابنا المترجم بـ «قطع لسان النّابح في المترجم بالواضح»، وهو كتاب نقضنا فيه كلام رجل، وصف نفسه بأنه كان من علماء المسلمين، ثم ارتدّ وأخذ يلفّق قوادِح في الإسلام، فنقضنا أقوالَه في هذا الكتاب، وأشبعنا القول في هذه المسألة، وبسطناه في أوراق، فمن أراد مطالعته فليقف عليه هناك، وقد أشرنا فيه إلى تأويلات لهذا الخبر، وذكرنا اضطراب الرّواة في هذا المعنى، فمنهم من زاد في هذا العدد، ومنهم من نقص عنه، ومنهم من أنكر أن يجمعه أحد.

وأنه قد يتأول على أن المراد به لم يجمعه بجميع قراءاته السبع وفقهه وأحكامه والمنسوخ منه سوى أربعة.

ويحتمل أيضاً أن يراد به أنه لم يذكر أحد عن نفسه أنّه أكمله في حياة النبي ﷺ سوى هؤلاء الأربعة. لأنّ من أكمله سواهم كان يتوقّع نزول القرآن ما دام ﷺ حيّاً فقد لا يستجيزُ النّطق بأنّه أكمله، وأكمله هؤلاء وَمُرَادُهم أنّهم أكملوا الحاصل منه.

ويحتمل أيضاً أن يكون من سواهم لم ينطق بإكماله خوفاً من المراءاة به، واحتياطاً على النيات كما يفعل الصّالحون في كثير من العبادات، وأظهرَ هؤلاء الأربعة ذلك لأنهم أمنوا على أنفسهم أو لرأي اقتضى ذلك عندهم.

وكيف تعرف النَّقَلة أنه لم يكمله سوى أربعة، وكيف تتصوّر الإحاطة بهذا وأصحاب النبي ﷺ مفترقون في البلاد، وهذا لا يتصوّر حتى يلقى النّاقلُ كلَّ رجلٍ منهم فيخبرَه عن نفسه أنّه لم يكمِل القرآن وهذا بعيد تصوّره في العادة، كيف وقد نقل الرّواة إكمال بعض النّساء لِقِرَاءَتِه، وقد اشتهر حديث عائشة

رضي الله عنها وقولها: «كنت جاريةً حديثة السّنّ لا أقرأ كثيراً من القرآن». ولم يُذكرْ في هؤلاء الأربعة أبو بكر الصديق، ولا عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنهما، وكيف يظنُّ بهذين اللّذين هما أفضل الصّحابة أنّهما لم يحفظاه وحفظه من سواهما، وهذا كلّه يؤكد ما قلناه.

على أنَّ الذي رواه مسلم ليس بنصّ جلي فيما أراده القَادِح، وذلك أنّه قُصَارى مَا ذَكَر أنَّ أنَساً قال: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار، فقد يكون المراد أنّي لا أعلم سوى هؤلاء الأربعة، ولا يلزمه أن يعلم كلَّ الحافظين لِكتاب الله تعالى، أو يكون أراد من أكمله من الأنصار، وإن كان قد أكمَلَه من المهاجرين خلق كثير، فإذا كان في الخبر هذه الطرائق الكثيرة التي أوضحناها، لم يبق فيه للخصم تعلّق.

٣٨١١- عَنْ أنَسٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعَا أُبيّاً، فَقَالَ: «إنَّ اللهَ أمَرَنِي أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ» قَالَ: اللهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللهُ سَمَّاكَ لِي» فَجَعَلَ يَبْكِي، قَالَ قَتَادَةُ: وَنُبِّئْتُ أنَّهُ قَرَأ عَلَيْهِ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١].

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩).

وقد فَسَّر أبو عبيد هذا الحديث في «فضائل القرآن»: ٢١٥، فقال: معنى هذا الحديث عندنا: أنَّ رسولَ الله ﷺ إنّما أراد بذلك العرض على أُبَيٍّ أن يَسْمعَ منه القراءة، ويستثبتَ فيها، وليكون عَرْضُ القرآن سنَّةً، وليس هذا على أن يستذكر النبي ﷺ منه شيئاً في ذلك العرض. وفي ذلك منقبةٌ عظيمة لأبي ابن كعب رضوان الله عليه.

٣٨١٢- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «إنَّ رَبِّي أمَرَنِي أنْ أقْرأ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ» قَالَ أُبَيٌّ: أوَسَمَّانِي؟ قَالَ: «وَسَمَّاكَ لِي» قَالَ فَبَكَى أُبَيٌّ.

هذا حديث متفق على صحته. قيل: أراد أن يحفظه أبيٌّ، وكان أبيٌّ مقدّماً على قرّاء الصحابة، قال عليه السلام: «أقرؤكم أبيّ».

بابُ

مناقب خزيمة بن ثابت رضي الله عنه

٣٨١٣- قال زَيْدُ بْنُ ثابتٍ: لَمَّا كَتَبْنَا الْمَصَاحِفَ، فَقَدْتُ آيَةً كُنْتُ أَسْمَعُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدْتُّهَا عِنْدَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ حَتَّى ﴿تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣] قَالَ: فَكَانَ هُوَ ثَمَّةَ يُدْعَى ذَا الشَّهَادَتَيْنِ، أَجازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَقُتِلَ مَعَ عَلِيٍّ يومَ صِفِّينَ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٨٠٧) عن أبي اليمان، عن شعيبٍ، عن الزهريّ، وقال مَعمر عن الزهريّ أو قتادة أو كلاهما: إنَّ يهودياً جاء يتقاضى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «قد قضيتُك» فقال اليهوديُّ: بيِّنتُكَ؟ فجاء خزيمةُ بن ثابتٍ، وقال: أنا أشهد أنه قد قضاك، فقال النبيُّ ﷺ: «وما يُدريك؟» قال: إني أصدِّقك بأعظم من ذلك بخبر السماء، فأجاز رسولُ الله ﷺ شهادَته بشهادة رجلين. أخرجه أحمد (٢١٨٨٣)، وأبو داود (٣٦٠٧) بسندٍ صحيح ولكن بغير هذه السياقة.

بابَ

مناقب أُسيد بن حُضَير الأنصاري أبي يحيى الأشهلي

وعباد بن بشر الأنصاري الحارثي رضي الله عنهما

مَاتَ أُسَيْدٌ فِي عَهْدِ عُمَرَ.

٣٨١٤- عن أنَس بْن مَالِكٍ: أنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَمَعَهُمَا مِثْلُ

الْمِصْبَاحَيْنِ يُضِيئَانِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، فَلَمَّا افْتَرَقَا صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّىٰ دَخَلَ إِلَىٰ أَهْلِهِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٨٠٥).

وأخرجه ابن حبان (٢٠٣٢) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وقال: كانا أُسيداً وعباد بن بشر.

٣٨١٥- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ الأَنْصَارِيَّ وَرَجُلاً آخَرَ مِنَ الأَنْصَارِ، تَحَدَّثَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَاجَةٍ لَهُمَا حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الظَّلْمَاءِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْقَلِبَانِ وَبِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُصَيَّةٌ، فَأَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا لَهُمَا حَتَّى مَشَيَا فِي ضَوْئِهَا، حَتَّى إِذَا افْتَرَقَتْ بِهِمَا الطَّرِيقُ، أَضَاءَتْ لِلآخَرِ عَصَاهُ، فَمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ حَتَّى بَلَغَ أَهْلَهُ.

هذا حديث صحيح، أخرجه أحمد (١٢٤٠٤)، وأخرجه بنحوه البخاري (٤٦٥).

بابُ

مناقبِ أنس بن مالك الأنصاري أبي حمزة النجاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ

سَكَنَ البَصْرَةَ وَتُوُفِّيَ بِهَا، آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ إِلَّا سَنَةً، وَيُقَالُ: ابْنُ مِئَةٍ وَثَلَاثِ سِنِينَ.

٣٨١٦- عَنْ أنَسٍ، عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ أنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أنَسٌ خَادِمُكَ، ادْعُ اللهَ لَه. قَالَ: «اللَّهُمَّ أكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أعْطَيْتَهُ».

هذا حديثٌ متَّفَقٌ على صِحَّتِه، أخرجه البخاري (٦٣٧٨)، ومسلم (٢٤٨٠).

ورواه إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس، وقال: قال أنسٌ: إنَّ مالي لكثير، وإنَّ ولدي وولدَ ولدي ليتعادُّون على نحو المئةِ اليومَ، أخرجه مسلم (٢٤٨١) (١٤٣).

ورُوي عن ثابتٍ عن أنسٍ قال: فأكثرَ اللهُ مالي حتى إنَّ كرماً يحمِلُ مرَّتين.

بابُ

مناقبِ عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي أبي يوسف رضي الله عنه

قَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ فِي رَؤْيَا رَآهَا: «فَأنْتَ عَلى الإسْلَامِ حَتَّىٰ تَمُوتَ».

أخرجه البخاري (٣٨١٣).

٣٨١٧- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عَنْ أبِيهِ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ لِأحَدٍ يَمْشِي عَلىٰ الأرْضِ: «إنَّه مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ إلَّا لِعَبْدِاللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَفِيهِ نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ عَلىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] قَالَ: لَا أدري قَالَ مَالِكٌ الآيَة أوْ فِي الحَدِيثِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).

قال الخطَّابيُّ: قد علم سَعدٌ أنَّ النبيَّ ﷺ أوجبَ له الجنَّة مع التسعةِ من أصحابه الذين هو عاشرُهم، ولكنه كرِهَ التزكيةَ لنفسه، ولم يَرَ لنفسه، ما رآه لأخيه.

بابُ

مناقبِ البراء بن مالك رضي الله عنه

٣٨١٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأبَرَّهُ، مِنْهُمُ ٱلْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ».

هذا حديثٌ حسنٌ، أخرجه الترمذي (٣٨٥٣) والحاكم ٢/ ٢٩١-٢٩٢، وفيه عنده قصة.

بابُ

فَضْل فقراء المهاجرين

٣٨١٩- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: جَلَسْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَسْتَتِرُ بِبَعْضٍ مِنَ ٱلْعُرِيِّ وَقَارِىءٌ يَقْرأ عَلَيْنَا إذْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَامَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، سَكَتَ ٱلْقَارِىءُ، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ قَارِىءٌ يَقْرَأُ عَلَيْنَا، فَكُنَّا نَسْتَمِعُ إلَىٰ كِتَابِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ» قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ وَسْطَنَا لِيَعْدِلَ نَفْسَهُ فِينَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هٰكَذَا فَتَحَلَّقُوا، وَبَرَزَتْ وُجُوهُهُمْ لَهُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَرَفَ مِنْهُمْ أَحداً غَيْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ بِالْفَوْزِ التَّامِّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِ النَّاسِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَذٰلِكَ مِقْدَارُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ».

حديث حسن، أخرجه أحمد (١١٦٠٤)، وأبو داود (٣٦٦٦) في العلم: باب في القصص، والعلاء بن بشير المزني-أحد رواة الحديث- لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات، ويشده ما أخرجه الترمذي (٢٣٥١) وابن ماجه (٤١٢٣) من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمس مئة سنة». ويشهد له حديث ابن عمر عند ابن ماجه (٤١٢٤) وفي سنده موسى بن عبيدة ضعيف، وفي الباب عن أبي هريرة عند الترمذي (٢٣٥٤)، وابن ماجه (٤١٢٢): «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام نصف يوم» وإسناده حسن، وصححه ابن حبان (٦٧٦).

بابُ

فَضْلِ من شهد بدراً والحديبية

حُكِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ لِأَهْلِ بَدْرٍ مِنَ السَّعَادَةِ ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].

أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٦٣٠٩). وفي إسناده شريك بن عبد الله، وهو سيىء الحفظ.

٣٨٢٠- عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ - وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ - قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟» قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ: «وَكَذَٰلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الْمَلَائِكَةِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٩٩٢).

٣٨٢١- عَنْ حَفْصَةَ قالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي لأرْجُو ألَّا يَدْخُلَ النَّارَ إنْ شَاءَ اللهُ أحَدٌ شَهِدَ بَدْراً أوِ الحُدَيْبِيَةَ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ألَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ: ﴿وَإن مِنكُمْ إلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾ [مريم: ٧١] قَالَ: فَكَمْ تَسْمَعِينَهُ يَقُولُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾ [مريم: ٧٢].

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٤٩٦)، وابن ماجه (٤٢٨١).

وقد قيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإنْ مِنكم إلا واردها﴾ الورود عند العرب: مُوافاةُ المكانِ قبل دخوله بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿إنَّ الذينَ سَبقتْ لهم منَّا الحُسنى أولئك عنها مُبعَدون﴾ [الأنبياء: ١٠١] وقد يكون الورودُ دخولاً، وهو المراد من قوله عز وجلَّ: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قاله ابن عبّاسٍ، وهذا مذهب أهل السُنَّةِ، وقالوا: النار يدخلها البرُّ والفاجر، ثم يُنجِّي اللهُ المؤمنين، لأن النجاة إنما تكون ممّا دخل فيه، وأيضاً قال: ﴿وَنذَرُ الظالمين فيها جِثِيّاً﴾ [مريم: ٧٢] هذا يدل على أنَّ الكلَّ داخلوها، فأخرج اللهُ البعضَ، وتَركَ البعضَ.

٣٨٢٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ ألْفاً وَأربعَ مِئَةٍ، وَقَالَ لَنَا النَّبيُّ ﷺ: «أنْتُمْ ٱلْيَوْمَ خَيْرُ أهْلِ الأرْضِ» قَالَ جَابِرٌ: لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لأرَيْتُكُمْ مَوْضِعَ الشَّجَرَةِ.

هذا حديثٌ متّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦).

بابُ

ذِكْرِ ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه

٣٨٢٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ، فَوَجَدَهُ جَالِساً فِي بَيْتِهِ مُنَكِّساً رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صوتِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبيَّ ﷺ، فَأَخبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلٰكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩).

وفي الحديث: مَنْقَبةٌ عظيمةٌ لثابت بن قيس رضي الله عنه وهي أنَّ النبي ﷺ أخبر أنه من أهل الجنة.

وفيه: أنه ينبغي للعالم وكبير القوم أن يتفقَّد أصحابَه ويسأل عمن غاب منهم.

بابُ

ذكر جُلَيْبِيبٍ رضي الله عنه

٣٨٢٤- عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ أَنَّ جُلَيْبِيباً كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَىٰ النساءِ يَمُرُّ بِهِنَّ، وَيُلَاعِبُهُنَّ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُنَّ جُلَيْبِيبٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَدْخُلْ عَلَيْكُنَّ لأَفْعَلَنَّ وَلأَفْعَلَنَّ، قَالَ: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيِّمٌ، لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّىٰ يُعْلِمَ النَّبيَّ ﷺ أَلَهُ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا؟ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ذَاتَ يَوْمٍ:

«زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ» قَالَ: نَعَمْ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ وَنِعْمَةَ عَيْنٍ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي» قَالَ: فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِجُلَيْبِيبٍ» قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُشَاوِرُ أُمَّهَا، فَأَتَىٰ أُمَّهَا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ وَنِعْمَةَ عَيْنٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ، وَإِنَّما يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبِيبٍ، فَقَالَتْ: أَلِجُلَيْبِيبٍ إِنِيهِ ثَلَاثاً، لَعَمْرُ اللهِ لَا نُزَوِّجُهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّهَا، قَالَتِ الجَارِيَةُ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا، فَقَالَتْ: أَتَرُدُّونَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ، ادْفَعُونِي، فَإِنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَنِي، قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُوهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: شَأْنُكَ بِهَا، فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيباً، وَخَرجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ لَهُ قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ»، قَالُوا: نَفْقِدُ فُلَاناً وَنَفْقِدُ فُلَاناً قَالَ: «انْظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ» قَالُوا: لَا، قَالَ: «لٰكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيباً، فَاطْلُبُوهُ فِي القَتْلَىٰ» قَال: فَطَلَبُوهُ، فَوَجَدُوه إِلَىٰ جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَامَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ، هٰذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هٰذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ سَاعِدِهِ، وَحَفَرَ لَهُ، مَالَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدُ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّه غَسَّلَهُ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٤٧٢) عن إسحاق بن عمر بن سَلِيط، عن حمّاد بن سلمة بهذا الإسناد: أنَّ النبي ﷺ كان في مَغزىً له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: هل تفقِدون من أحد إلى آخره.

قولها: «إنيه»: كلمةٌ تقولها العرب للاستنكار.

بابُ

مناقب سلمان الفارسي أبي عبد الله الخير رضي الله عنه

٣٨٢٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَما يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هٰؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ سَأَلهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ ٱلْفَارِسِيُّ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَىٰ سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيْمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هٰؤُلَاءِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).

قال القرطبي في «المُفْهم»: وقع ما قاله ﷺ عياناً، فإنه وُجِدَ منهم من ٱشتهر ذِكرهُ من حُفَّاظِ الآثارِ والعناية بها ما لم يشاركهم فيه كثيرُ أحدٍ غيرهم.

٣٨٢٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَذَهَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، أَوْ قَالَ: رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ حَتَّىٰ يَتَنَاوَلُوهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٥٤٦).

٣٨٢٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَلَا هٰذِهِ الآيَةَ ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هٰؤلَاءِ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتُبْدِلُوا بِنَا ثُمَّ لَا

يَكُونُوا أَمْثَالَنَا؟ فَضَرَبَ عَلَىٰ فَخِذِ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: «هٰذَا وَقَوْمُهُ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ ٱلْفُرْسِ».

أخرجه الترمذي (٣٢٦٠) و(٣٢٦١)، وفي سنده مقال.

بابُ

ذِكْرِ أهلِ اليمن وذكر أُوَيْس القَرَنيِّ رضي الله عنه

٣٨٢٨- عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوباً، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).

قوله: «الحكمةُ يمانيةٌ» أراد بها الفقه، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ويعلِّمُهُم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة:١٢٩] ويُروى «والفِقهُ يمانٍ» وهذا ثناءٌ على أهل اليمن لإسراعهم إلى الإيمان وحُسن قبولهم إيَّاه. وقوله: «أضعفُ قلوباً» ويُروى «ألْينُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً» قيل: هما قريبان من السواء، كرَّر ذكرهما لاختلاف اللفظين تأكيداً، والمراد بلين القلوب. سرعةُ خُلوصِ الإيمانِ إلى قلوبهم، ويُقال: إنَّ الفؤاد غشاءُ القلبِ، والقلبُ حَبَّتُهُ وسُوَيداؤُهُ، فإذا رقَّ الغِشاءُ، أسرعَ نفوذُ الشيءِ إلى ما وراءه. وقيل: قوله: «الإيمان يَمانٍ» أراد بهِ أنهُ مَكيٌّ، لأنه بدأ من مكةَ، وأضاف إلى اليمن، لأن مكة من أرض تِهامة، وتهامةُ من أرض اليمن، فتكون مكة على هذا يمانيةً. وقيل: إن النبي ﷺ قال هذا الكلامَ، وهو يومئذٍ بتبوك ناحيةِ الشام ومكة، والمدينة بينه وبين اليمن فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكةَ والمدينة يريدُ: الإيمانُ من هذه الناحيةِ، كما يُقال: سُهيلٌ اليماني لأنه يبدو من ناحية اليمن، وقيل: هم الأنصار، لأنهم نصروا الإيمان، وهم يَمانيةٌ، فنُسِبَ الإيمان إليهم.

وروى ٱبنُ جُرَيْج عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «غِلَظُ القلوب والجَفاء في الشرق، والإيمان في أهل الحجاز» أخرجه مسلم (٥٣).

وقيل أراد به الأنصارَ، وكذلك فيما يُروى مَرفوعاً «أجِدُ نَفَسَ الرحمٰن من قِبَلِ اليمنِ» أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص٤٦٢ ورجاله ثقات. قيل: عَنى به الأنصار، لأن الله سبحانه وتعالى نَفَّسَ الكَرْبَ عن المؤمنين بهم وهم يَمانون.

٣٨٢٩- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ ٱلْيَمَنِ، فَقَالَ: «الإيمَانُ يَمَانٍ هَاهُنَا، ألَا إنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ ٱلْقُلُوبِ فِي ٱلْفَدَّادِينَ عِنْدِ أُصولِ أذْنَابِ الإبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٣٨٧)، ومسلم (٥١).

قوله: «في الفدَّادينَ» قال أبو عمرو: قال في «الفدَادين» مخففةٌ واحدها فدانٌ بغير التشديد: وهي البقر التي يُحرَثُ عليها، وأهلها أهلُ جفاءٍ لبُعدِهِمْ من الأمصارِ، والأكثرون ذهبوا إلى أنها مشددة قال أبو العبَّاس: هم الجمَّالون والبقّارون والحمّارون. وقال الأصمعيُّ: هم الذين تعلو أصواتهم في حُروثهم وأموالهم ومواشيهم، ويُقال: فَدَّ الرجُل يفِدُّ فَديداً: إذا اشتدَّ صوته، وقال أبو عُبيدةَ: الفدَّادون: هم المُكثرون من الإبل الذي يملك أحدهم المئتين منها إلى الألف وهم جُفاةٌ وأهل خُيَلاء، ومنه الحديث «إنَّ الأرض تقولُ للميتِ ربَّما مَشيتَ عَليَّ فَداداً» أي: ذا مالٍ كثيرٍ وذا خُيلاء، وفي الجملة ذمَّ ذلك، لأنه يَشغل عن أمر الدِّين، ويُلهي عن الآخرة، فيكون معها قساوةُ القلب.

٣٨٣٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأْسُ ٱلْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الخَيْلِ وَالإبِلِ وَالفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ ٱلْغَنَمِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مالك ٢/ ٩٧٠، ومسلم (٥٢) (٨٥).

وقوله: «رأسُ الكفر نحو المشرق» أي: أكثر الكفر من جهة المشرق، وأعظمُ أسباب الكفر منشؤه منه، لأن أكثر فتن الإسلام ظهرت من تلك الجهة كفتنة الجمل وصفين والنهروان وقتل الحسين، وفتنة مصعب ودير الجماجم، فالكفر هنا: كفر النعمة، لأن إثارة الفتن وإراقة الدماء كفران نعمة الإسلام.

٣٨٣١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَىٰ المَشْرِقِ، وَيَقُولُ: «هَا إِنَّ ٱلْفِتْنَةَ هُنَا، ها إِنَّ الفِتْنَةَ هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٧٠٩٣)، ومسلم (٢٩٠٥).

بابٌ

في ذكر أويس القَرَنيّ رضي الله عنه

٣٨٣٢- عن أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: وَفَدَ أَهْلُ ٱلْكُوفَةِ إِلَىٰ عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَهَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ ٱلْقَرَنِيِّينَ؟ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا: «إِنَّـهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ ٱلْيَمَنِ، يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللهَ، فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مِثْلَ مَوْضِعِ الدِّينَارِ، أَوْ قالَ: مِثْلَ مَوْضِعِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٥٤٢) عن عمرَ قال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ خَيرَ التَّابعين رجلٌ يُقال له: أوَيْسٌ وله والدةٌ وكان به بياضٌ فمُروهُ، فليستغفرْ لكُمْ».

باب

ذكر الشام

٣٨٣٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: وَفِي نَجدِنَا قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَفِي نَجْدِنَا، فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَٱلْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ الشَّيْطَانُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٧٠٩٤)، والترمذي (٣٩٤٨).

ونقل الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٥١ عن المهلب شارح البخاري قال: إنما ترك الدعاءَ لأهل المشرق ليضعفوا عن الشرِّ الذي هو موضوعٌ في جهتهم لاستيلاء الشيطان بالفتن عليهم.

٣٨٣٤- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيَخْرُجُ نَارٌ مِنْ نَحْوِ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ حَضرَمَوْتَ تَحْشُرُ النَّاسَ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد (٤٥٣٦)، وأبو يعلى (٥٥٥١)، وصحَّحه ٱبن حبان (٧٣٠٥). وتمام تخريجه في «المسند» وللإمام عزالدين ابن عبد السلام رسالةٌ نافعة هي «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» وهي مطبوعة نافعة.

٣٨٣٥- عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: لَمَّا جَاءَتْنَا بَيْعَةُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: قُلْتُ: لَوْ خَرَجْتُ إِلَىٰ الشَّامِ فَتَنَحَّيْتُ مِنْ شَرِّ هٰذِهِ

ٱلْبَيْعَةِ، قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّىٰ قَدِمْتُ الشَّامَ، فَأُخْبِرْتُ بِمَقَامٍ يَقُومُهُ نَوْفٌ البِكَالِيُّ، فَجِئْتُهُ فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَاسِدُ ٱلْعَيْنَيْنِ، عَلَيْهِ خَمِيصَةٌ، وَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ، فَلَمَّا رَآهُ نَوْفٌ، أَمْسَكَ عَنِ الْحَدِيثِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: حَدِّثْ بِمَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ، فَقَالَ: أَنْتَ أَحَقُّ بِالْحَدِيثِ مِنِّي، أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ هٰؤُلَاءِ مَنَعُونَا عَنِ الْحَدِيثِ - يَعْنِي الأُمَرَاءَ - قَالَ: أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا حَدَّثْتَنَا حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ النَّاسِ إِلَى مُهَاجِرِ إِبْرَاهِيمَ لَا يَبْقَىٰ فِي الأَرْضِ إِلَّا شِرَارُ أَهْلِها، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللهِ، تَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ ٱلْقِرَدَةِ وَالخَنَازِيرِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ» قَالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ يَقْرَؤُونَ ٱلْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّما خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ -حَتَّىٰ عَدَّهَا زِيَادَةً عَلَىٰ عَشْرِ مَرَّاتٍ- كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ الدَّجَّالُ فِي نَفْسِهِمْ».

أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٩٠) وشهر بن حَوْشَب ضعيف.

قال الخطابيُّ: قوله: «ستكون هجرةٌ بعد هجرةٍ» فالهجرة الثابتة هي الهجرةُ إلى الشام يَرغب فيها خيار الناس. وقوله: «تَقذرهم نَفسُ الله» تأويله: أنّ اللهَ يكره خروجهم إليها ومقامهم بها، فلا يُوفِّقهم لذلك، فصاروا بالرَّد كالشيء يَـقْذرهُ نفس الإنسان فلا يقبله، وهذا مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولكن كَرِهَ اللهُ انبعاثهم فثبَّطهم﴾ [التوبة: ٤٦].

٣٨٣٦- عن قتادة: أن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ قَالَ لِكَعْبٍ: لَا تَتَحَوَّلْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فِيهَا مُهَاجَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَبْرُهُ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: إِنِّي وَجَدْتُ فِي كِتَابِ اللهِ الْمُنْزَلِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ الشَّامَ كَنْزُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، وَبِهَا كَنْزُهُ مِنْ عِبَادِهِ.

في سنده انقطاع.

وبهذا الإسناد عن مَعمر عن أبي طاوُوسٍ عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: موضع قدم إبليس بالبصرة وفرَّخ بمصر. وعبد الله بن عمرو كثير التحديث عن أهل الكتاب.

وبه عن ابن طاوُوسٍ عن أبيه أنَّ عمر أراد أن يسكن العراق، فقال له كعبٌ: لا تفعل فإن بها الدَّجال، وبها مردةُ الجنِّ، وبها تسعةُ أعشارِ السِّحر، وبها كلُّ داءٍ عُضالٍ يَعني الأهواء. وطاووس لم يدرك عمر. وكعب كثير التحدث بآراء أهل الكتاب.

وقد فسَّر أهل الحديث الداءَ العُضالَ بالبدع، وأصله الذي لا دواء له.

٣٨٣٧- عَنْ ذِي الأَصَابِعِ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنِ ابْتُلِينَا بِالْبَقَاءِ بَعْدَكَ أَيْنَ تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُكَ ذُرِّيَّةً يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ إِلَيْهِ» يَعْنِي مَسْجِدَ بَيْتِ المَقْدِسِ.

أخرجه أحمد (١٦٦٣٢) بسندٍ ضعيف.

بابُ

ظهورِ طائفةٍ من هذه الأمة على من خالفهم ودعاءِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم

٣٨٣٨- عن عمير بن هانىء أنه سمع مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ» قَالَ عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ: قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّامِ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٠٣٧).

قوله: «قائمةٌ بأمر الله» أي: متمسكةٌ بدينها، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿من أهل الكتاب أمَّةٌ قائمةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] أي: مُتمسِّكةٌ بدينها وهم قومٌ آمنوا بموسى وعيسى ومحمدٍ عليهم السلام.

وحمل بعضهم مُطلقَ هذا الحديثِ على القيام بتعلم العلم، وحفظ الحديث لإقامة الدين. قال أحمد بن حنبل: إنْ لم تكُنْ هذه الطائفةُ المنصورةُ أصحابَ الحديث، فلا أدري مَنْ هم؟ قال القاضي عياض: إنما أراد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهبَ أهلِ الحديث. وقال النووي في «شرح مسلم» ٧/ ٧٧: ويحتمل أنَّ هذه الطائفة مفرقةٌ بين أنواعٍ من المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء محدِّثون، ومنهم زهادٌ وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهلُ أعمال أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض، وهٰذا هو الصواب.

٣٨٣٩- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَنْ يَبْرَحَ هٰذَا الدِّينُ قَائِماً يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ المُسْلِمينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٩٢٢).

٣٨٤٠- عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الأنصاريِّ، أنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ جَاءَهُمْ ثُمَّ قَالَ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعَا فِي المَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ ثَلاَثاً، فَأَعْطَاهُ اثْنَتَينِ، وَمَنَعَهُ وَاحِدَةً، فَسَأَلَهُ أَلَّا يُسَلِّطَ عَلَىٰ أُمَّتِهِ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ، فَأَعْطَاهُ ذٰلِكَ، وَسَأَلَهُ أَلَّا يُهْلِكَهُمْ بِالسِّنِينَ، فَأَعْطَاهُ ذٰلِكَ، وَسَأَلَهُ أَلَّا يَجْعَلَ بَأسَ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَمَنَعَهُ ذٰلِكَ.

هذا حديث صحيح غريبٌ من هذا الوجه. ورُوي عن خبّاب بن الأرتِّ كذلك. أخرجه أحمد (٢١٠٥٣)، والترمذي (٢١٧٥).

٣٨٤١- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ مَرَرْنَا عَلَىٰ مَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، فَنَاجَىٰ رَبَّهُ طَوِيلاً، ثُمَّ قَالَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثَةً: سَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٩٠).

٣٨٤٢- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَىٰ لِيَ مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ ٱلْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي

لِأُمَّتِي أَلَّا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَلَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا، أَوْ قَالَ: مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢) وغيرهما.

قال أبو سليمان الخطابي في «معالم السنن» ٤/٣١٢: قوله: زَوَى لي الأرضَ معناه: جَمعها وقبضها، يُقال: انزوى الشيءُ إذا تقبّض وتجمّع.

وقوله: «ما زوى لي منها» يتوهم بعض الناس أنَّ حرف «مِنْ» ها هنا للتبعيض، فيقول: كيف اشترط في أوّل الكلام الاستيعاب وردَّ آخره إلى التبعيض، وليس ذلك على ما يُقدِّرونه، وإنما معناه التفصيل للجملة المتقدمة، والتفصيل لا يُناقض الجملة، لكنه يأتي عليها ويَستوْفيها جُزءاً جُزءاً، والمعنى: أنَّ الأرض زويَتْ جُملتُها له مَرَّةً واحدةً، فرآها: ثم هي يُفتح له جُزءٌ جُزءٌ منها حتى يأتيَ عليها كلِّها. والكنزان: هما الذهب والفضةُ.

وقوله: «ألا يُهلكها بسَنَةٍ عامَّةٍ» فإنَّ السَّنةَ: القحطُ والجَدْبُ، وإنما جرت الدعوةُ بألا تعمَّهُم السَّنةُ كافةً، فيهلكوا عن آخرهم، فأمَّا أنْ يُجدِبَ قوْمٌ، ويخصِب آخرون، فإنه خارجٌ عمَّا جرت به الدعوة.

وقوله: «يستبيح بيضتهم» يريد جماعتهم وأصلهم، قال الأصمعيُّ: بيضةُ الدار وسطها ومعظمها.

وقوله: «أعطيتُ كنزين» أراد كنوز كسرى من الذهب والفضة أفاء الله على أمته، وقيل: أراد العرب والعجم جَمعهُم على دينه ودعوته، كما جاء في الحديث «بُعثتُ إلى الأحمر والأسود» يريد العربَ والعجم.

٣٨٤٣- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذَا أَهْوَنُ، أَوْ هٰذَا أَيْسَرُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٤٦٢٨)، وأحمد (١٤٣١٦) وغيرهما.

قوله: ﴿عذاباً من فوقِكم﴾: الحجارةُ كما في قوم لوطٍ أو الطوفان كما في قوم نوحٍ. ﴿أوْ من تحتِ أرجُلكم﴾: الخسفُ كما على قارون، أو الريحُ كما على قوم عادٍ. ﴿أوْ يَلبِسكم شِيَعاً﴾ أي: يخلِطكم خَلط اضطرابٍ، وأراد به الأهواء المتفرقة، فيصيرون فِرَقاً مختلفةً. ﴿ويُذيقَ بعضكم بأس بعضٍ﴾: هو وقوع الهَرْجِ حتى يقتلَ بعضهم بعضاً. وهذانِ: وهو الافتراق والقتل ثابتٌ في هذه الأمَّةِ، وقد سُلَّ السيف من زمن عثمان، فلا يُغمَدُ إلى قيام الساعة.

ورُوي عن سَعد بن أبي وقاص عن النبيِّ ﷺ في هذه الآية ﴿قُلْ هو القادرُ على أن يَبعث عليكم عذاباً﴾ الآية قال: أما إنها كائنةٌ، ولم يأت تأويلها بَعدُ. حسَّنه الترمذي (٣٠٦٦)، وفي سنده ضعف لضعف بكر بن أبي مريم.

بابُ

فضل الله سبحانه وتعالى مع هذه الأمة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٩] يَعْنِي أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَلَفُوا سَائِرَ الأُمَمِ. وَقِيلَ: يَخْلُفُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً.

٣٨٤٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا أَجلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلاَ مِنَ الأُمَمِ مَا بَيْنَ صَلاَةِ ٱلْعَصْرِ إِلَىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّما مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ ٱلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالاً، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَىٰ نِصْفِ النَّهَارِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ ٱلْيَهُودُ إِلَىٰ نِصْفِ النَّهَارِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَىٰ ٱلْعَصْرِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَىٰ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَىٰ صَلاَةِ العَصْرِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلاَةِ ٱلْعَصْرِ إِلَىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَىٰ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؟ أَلاَ فَأَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، أَلاَ لَكُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، فَغَضِبَتِ ٱلْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ اللهُ وَهَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِكُمْ شَيْئاً؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٢٦٨)، وأحمد (٤٥٠٨)، وأبو يعلى (٥٨٣٨) وتمام تخريجه في «المسند».

ذكر الخطابيُّ على هذا الحديث كلاماً معناه: أنَّ هذا الحديث يُروى على وجوهٍ مختلفةٍ في توقيت العمل من النهار وتقدير الأجرة، ففي هذه الرواية قطع الأجرة لكلِّ فريقٍ منهم قيراطاً قيراطاً، وتوقيتُ العملِ عليهم زماناً زماناً، واستيفاؤه منهم وإيفاؤهم الأجرة، وفيه قطعُ الخصومة، وزوال العَتَبِ عنهم، وإبراؤهم من الذَّنب، وهذا الحديث مختصرٌ، وإنما اكتفى الرَّاوي منه بذكر مثال العاقبةِ فيما أصاب كل واحدةٍ من الفِرقِ من الأجر.

وقد روى محمد بن إسماعيل هذا الحديثَ بإسناده عن سالم بن عبد الله عن أبيه وقال فيه: «أُوتيَ أهلُ التوراةِ التوراة، فعمِلوا حتى إذا انتصف النهارُ،

عَجَزُوا، فأُعطوا قيراطاً قيراطاً، وأوتي أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ فعمِلوا إلى صلاةِ العصر، ثم عَجَزُوا فأُعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآن، فعمِلنا إلى غروب الشمس، فأُعطينا قيراطينِ قيراطين» الحديث أخرجه البخاري (٥٥٧).

فهذه الرواية تدل على أنَّ مَبلغ الأجرة لليهودِ لعملِ النهار كله قيراطان، وأجرةُ النصارى النِّصف الباقي قيراطان، فلما عجزوا عن العمل قبل تمامه، لم يُصيبوا إلا قدْرَ عملهم، وهو قيراطٌ، ثمَّ إنهم لمَّا رَأَوُا المسلمين قد استوفُوا قدْرَ أجرةِ الفريقين حاسَدوهم، فقالوا: نحن أكثرُ عملاً وأقلُّ أجراً.

وقد روى أبو عبد الله البخاري هذه القصة من طريق أبي موسى الأشعريّ بزيادة بيانٍ.

٣٨٤٥- عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ المُسْلِمينَ وَاليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْماً يَعْمَلُونَ لَهُ عَملاً يَوْماً إلىٰ اللَّيْلِ عَلىٰ أجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا إلَىٰ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إلَىٰ أجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا أكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، وَخُذُوا أجْرَكُمْ كَامِلاً، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ بَعْدَهُمْ، فَقَالَ: أكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ هٰذَا، وَلَكُمُ الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الأجْرِ، فَعَمِلُوا حَتَّىٰ إذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ ٱلْعَصْرِ قَالُوا: ما عَمِلْنا باطِلٌ، ولك الأَجرُ الذي جَعَلْتَ لنا فيه، فقال: أكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ فَإِنَّمَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَأَبَوْا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْماً أنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّىٰ غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أجْرَ ٱلْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا. فَذٰلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هٰذَا النُّورِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٥٥٨).

فهذه الرواية ورواية سالمٍ عن ابن عمر بخلاف رواية نافعٍ من ذكر عجزهم.

وقولهم: لا حاجة لنا إلى أجرِك، وهو إشارةٌ إلى تحريفِهم الكتب، وتبديلهم الشرائعَ والمللَ وانقطاعِ الطريق بهم عن بلوغهم الغاية، التي حُدَّت لهم، فحُرِموا تمام الأجرة لجناياتهم حين امتنعوا من إتمام العمل الذي ضمِنوه، فكان الصحيح من هذه القصة هذا بدليل قوله: «هل ظلمتكم من حقّكم شيئاً» ولو لم يكن صورةُ الأمر على هذا، لم يصحَّ هذا الكلامُ.

٣٨٤٦- عن أنسٍ قَالَ: نَزَلَتْ عَلىٰ النَّبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [الفتح: ١] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ مَرْجِعَهُ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، وَأَصْحَابُهُ مُخَالِطُو الحُزْنِ وَٱلْكَآبَةِ، فَقَالَ: «نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً، فَلَمَّا تَلاَهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْقَوْمِ: هَنِيئاً مَرِيئاً قَدْ بَيَّنَ اللهُ لَكَ مَا يَفْعَلُ بِكَ، فَمَاذَا يَفْعَلُ بِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥] حَتَّى خَتَمَ الآيَةَ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤١٧٢)، ومسلم (١٧٨٦).

كتابُ الرِّقاقِ

ويقال: الرقائق، سمِّيت هذه الأحاديثِ بذلك لأنَّها تُحدِثُ في القَلْبِ رِقَّةً بسبب ما اشتملت عليه من الوَعْدِ والوعيد والدعوة إلى الزهد، والتجافي عن الدار الفانية.

وقد صنَّف بعضُ أهل العلم كتباً مفردةً في الزهد والرقائق، كعبد الله بن المبارك، والإمام أحمد بن حنبل، ومن الكتب النافعة في هذا الباب: «طريق الهجرتين» لابن القيم، و«الحدائق» لابن الجوزي، و«الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا، ومثله لابن قدامة المقدسي، و«الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري.

٣٨٤٧- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٢٣٤٠)، والبخاري (٦٤١٢)، والترمذي (٢٣٠٥).

و«الغُبْنُ»: الخسارة وهو شراءُ الشيء بأضعافِ ثمنه، فمن صحَّ بدنُه وتفرَّغ عن الأشغالِ العائقة ولم يَسْعَ لصلاح آخرته، فهو كالمغبون في البيع. والمعنى: أنَّ غالبَ الناسِ لا ينتفعون بالصحةِ والفراغ، بل يصرفونهما في غير محلهما.

٣٨٤٨- عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُون الأَوْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ».

هذا حديثٌ مرسلٌ، أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» ٤/١٤٨ ولكنه صحَّ موصولاً من حديث ابن عباس عند الحاكم ٤/٣٠٦.

٣٨٤٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلَّا غِنىً مُطْغِياً، أَوْ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالَ، فَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ، وَقَالَ غَيرُهُ: أَوِ السَّاعَةَ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ».

أخرجه الحاكم ٤/ ٣٢٠، ٣٢١ وإسناده ضعيف لانقطاعه.

ورُوي عن محرر بن هارون، عن عبد الرحمٰن الأعرج، عن أبي هريرة متصلاً. أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) ومحرَّرُ بن هارون العبدي متروك.

قوله: هَرَمَاً مُفنّداً، أي: مُضْعِفاً مُعجزاً، يُقال: أفنَد الرجُلُ: إذا كثر كلامه من الكبر، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لولا أن تُفنِّدونِ﴾ [يوسف: ٩٤] أي: تُخرِّفوني، وتقولون لي: قد خَرفتَ.

وقال الحسن: أدركتُ أقواماً كل أحدهم أشحُّ على عمره منه على درهمه.

باب

مَثَل الدنيا والآخرة

قالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ: ﴿فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدنْيَا فِي الآخِرَةِ إلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

٣٨٥٠- عن المُسْتَوْرِدِ بْن شَدَّادٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ».

أخرجه مسلم (٢٨٥٨)، وابن ماجه (٤١٠٨)، والترمذي (٢٣٢٤).

«اليَمُّ»: البَحْرُ. والمعنى: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرةِ في قِصَرِ مُدَّتها، وفناءِ لذَّاتها، ودوامِ الآخرة، وبقاءِ لذَّاتها ونعيمها، إلَّا كنسبة الماءِ الذي يَعْلَقُ بالأصبع إلى باقي البحرِ.

٣٨٥١- عَنِ المُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ أَحَدِ بَنِي فِهْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ هٰذِهِ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ».

هذا حديث صحيح، انظر ما قبله.

بابُ

هوانِ الدنيا على الله سبحانه وتعالى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الحَيَاةُ الدنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَوْلَا أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً

وَاحِدَةً﴾ الآية [الزخرف: ٣٣]: أيْ: لَوْلَا أَنْ أَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُم كُفَّاراً، لَجَعَلْتُ لِبُيُوتِ ٱلْكُفَّارِ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ مِنْ فِضَّةٍ.

٣٨٥٢- عَنْ المُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ أحَدِ بَنِي فِهْرٍ قَالَ: كُنْتُ فِي الرَّكْبِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّخْلَةِ الْمَيْتَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أتَرَوْنَ هٰذِهِ هَانَتْ عَلَىٰ أهْلِهَا حِينَ ألْقَوْهَا؟» قَالُوا: مِنْ هَوَانِهَا ألْقَوْهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فالدنْيَا أهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ هٰذِهِ عَلَىٰ أهْلِهَا».

صحيح لغيره، أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وأحمد (١٨٠١٣).

وقد أخرجه مسلم (٢٩٥٧) من رواية جابر بن عبد الله.

٣٨٥٣- عن عثمان بن عبيد الله بن رافع أنَّ رَجُلاً مِنْ أصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدَّثُوهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا عِنْدَ اللهِ فِي الخَيْرِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مَا أعْطَىٰ مِنْهَا كَافِراً شَيْئاً».

٣٨٥٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقىٰ كَافِراً مِنْهَا قَطْرَةَ مَاءٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ بطرقه وشواهده، أخرجه ٱبن ماجه (٤١١٠)، والترمذي (٢٣٢٠) وغيرهما وله شاهد من حديث ابن عمر بن الخطيب ٩٢/٤، وإسناده صحيح.

وقال أبو الدرداء: الدنيا ملعونةٌ وملعونٌ ما فيها إلا ذكرَ الله وما أوى إليه، والعالم والمتعلِّمُ في الأجر شريكان، وسائر الناس همجٌ لا خير فيهم.

٣٨٥٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ضَمْرَةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلَّا ذِكْرَ اللهِ أوْ مُعَلِّماً أوْ مُتَعَلِّماً» وَيُرْوَىٰ عَنْ عَبْدِ اللهِ

ابْنِ ضَمْرَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ: «أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالاَهُ وَعَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً».

أخرجه الترمذي (٢٣٢٢) في الزهد، وابن ماجه (٤١١٢)، ولا بأس بإسناده، وله شاهد من حديث جابر عند أبي نعيم في «الحلية» ٣/ ١٥٧ و٧/ ٩٠، وصححه الضياء في «المختارة»، وآخر من حديث ابن مسعود عند البزار، يتقوى بهما الحديث، فيكون حسناً كما قال الترمذي.

بابُ

قِصَرِ الأمل

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدنيا إلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَتَاعُ الغُرُورِ: مَا يُلْهِيكَ عَنْ طَلَبِ الآخِرَةِ، وَمَا لَمْ يُلْهِكَ، فَلَيْسَ بِمَتاعِ الغُرُورِ، ولكِنَّهُ مَتَاعُ بَلَاغٍ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.

٣٨٥٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَقَال: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَداً.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤١٦)، وابن حبان (٦٩٨) وفيه تمام تخريجه.

وقد شرحه باستيعاب بالغ الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» ٢/٣٧٦ فقال: هذا الحديثُ أصلٌ في قِصَرِ الأملِ في الدنيا، وأنَّ المؤمنَ لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئنَّ فيها، ولكن ينبغي أن يكونَ فيها كأنه على جناحِ سفرٍ: يُـهَيِّىء جهازه للرحيل. فهو ينزلُ نَفْسَه كأنه غريبٌ في الدنيا، فهو غير متعلِّق القلب ببلد الغربة، بل قلبُه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه، ومن كان في الدنيا كذلك، فلا همَّ له إلَّا في التزود بما ينفعه عند عَوْده إلى وطنه، فلا ينافس أهْلَ البلد الذي هو غريبٌ عنهم في عزهم، كما قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب، لا يجزع من ذلّها، ولا ينافس في عِزِّها، له شأن وللناسِ شأن.

٣٨٥٧- عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: مَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا وَأُمِّي نُطَيِّنُ شَيْئاً، فَقَالَ: «مَا هٰذَا يَا عَبْدَ اللهِ؟» قُلْتُ: شَيْءٌ نُصْلِحُهُ، قَالَ: «الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ».

أخرجه أحمد (٦٥٠٢)، وأبو داود (٥٢٣٦) بإسنادٍ صحيح، وتمامُ تخريجه في «المسند».

قوله: «نُطَيِّنُ شيئاً»: وقع عند أبي داود: «حائطاً» وعند أحمد: «خُصّاً» وهو بَيْتٌ يكون من قَصَب.

٣٨٥٨- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ يُهْرِيقُ المَاءَ، فَيَتَيَمَّمُ بِالتُّرَابِ، فَأَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ المَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ، فَيَقُولُ: «مَا يُدْرِينِي لَعَلِّي لَا أَبْلُغُهُ».

أخرجه ابنُ المبارك في «الزهد» (٢٩٢)، وأحمد (٢٦١٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٧) وإسناده حسن.

٣٨٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِىءٍ، أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٤١٩).

«أعذر» أي: لم يُبْق له مجالاً للاعتذار بعد هذا العمر الطويل.

وسئل مالك عن الزُهد في الدنيا؟ قال: طيبُ الكَسْبِ، وقِصَرُ الأملِ.

بابُ
التَّجافي عن الدنيا

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. قَالَ مُجَاهِدٌ: الغَرُورُ: الشَّيْطَانُ. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١]. وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: كَانَ أَبِي إِذَا دَخَلَ عَلى مَنْ يَرَى عِنْدَهُ شَيْئاً مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا أَسْرَعَ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَقَامَ بِالبَابِ، فَنَادَى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، ثُمَّ يُنَادِي: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، فَيَقُومُونَ، فَيُصَلُّونَ أَجْمَعُونَ. وَأَرادَ اتِّبَاعَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾.

٣٨٦٠- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ» قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِي يَا نَبيَّ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ وَلكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ المَوْتَ والبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ».

أخرجه أحمد (٣٦٧١)، والترمذي (٢٤٥٨) في صفة القيامة، والحاكم ٣٢٣/٤، وإسناده ضعيف لضعف الصباح بن محمد. وانظر تمام الكلام عليه في «المسند».

قوله: «فليحفظِ الرأسَ وما وعى» فالوعيُ: الحفظُ، قلتُ: يريد - واللهُ أعلمُ - ما يحفظه الرأس من السمع والبصر واللسان حتى لا يستعملها إلا فيما يحِلُّ.

وقوله: «والبطن وما حوى» أي: ما جَمعَ، يعني: لا يَجمعُ فيه إلا الحلالَ، ولا يأكل إلا الطيب. ويروى: «ولا تنسَوا الجوفَ وما وَعَى، والرأسَ وما احتوى» قيل: أراد بالجوف البطن والفرجَ كما جاء في الحديث «أكثر ما يُدخِلُ أمتي النارَ الأجوفانِ» أخرجه أحمد (٧٩٠٧) بسندٍ حسن، وصححه ابن حبان (٤٧٦)، وقيل: أراد به القلبَ وما وَعَى من معرفة الله سبحانه وتعالى، والعلمِ بالحلال والحرامِ أنْ لا يُضيِّع ذلك. وأراد «بالرأس وما احتوى» الدِّماغَ، وإنما خص القلب والدماغ، لأنهما مجمعا العقل.

٣٨٦١- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَامَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَبْسُطَ لَكَ وَنَعْمَلَ، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد (٣٧٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩).

٣٨٦٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ، فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا».

هذا حديث ضعيفُ الإسناد، أخرجه الطيالسي (٣٧٩)، وأحمد (٣٥٧٩)، والترمذي (٢٣٢٨)، وتمام تخريجه في «المسند».

و«الضَّيْعَةُ»: حِرْفَةُ الرجل ومِهْنَتُه وطريقة كَسْبه. والمرادُ بالنهي عن ذلك هو التوسُّعُ في جَلْبِ حُطامِ الدنيا وإهمال الواجبات الشرعية المطلوبة، وأما الاحترافُ الذي يُفيدُ المحترف والمجتمع فهذا مطلوبٌ وقد حثَّ عليه الشرع.

٣٨٦٣- عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ المَالَ، وَأَكُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَلَكِنْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ: سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِنَ السَّاجِدِين، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ».

هذا مرسلٌ.

٣٨٦٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، قَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».

أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٩٧٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٤٣)، وإسناده ضعيف، وروي عن مجاهد مرسلاً بإسناد جيد عند أبي نعيم في «الحلية» ٨/ ٤١-٤٢.

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ الله تعالى يُحِبُّ الزاهدين في الدنيا وهو كما قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٢٠٣: شعارُ أنبياءِ الله وأوليائه وأحبائه. ودلَّ أيضاً على أنَّ الزهد فيما في أيدي الناسِ موجبٌ لمحبة الناس. قال الحسن البصري: لا تزالُ كريماً على الناسِ ما لم تعاطَ ما في أيديهم، فإذا فَعَلْتَ ذلك استخفُّوا بك، وكرهوا حديثك، وأبغضوك. وانظر شرح ابن رجب لهذا الحديث فإنه فائق مُحَرَّر.

٣٨٦٥- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَته، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ، أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلى مَا يَفْنَى».

حسن لغيره، أخرجه أحمد (١٩٦٩٧)، وابن حبان (٧٠٩) وإسناده ضعيف لانقطاعه، لٰكن له شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن أبي عاصم في «الزهد» (١٦١)، وإسناده حسن.

٣٨٦٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً بَعْدَ العَصْرِ، فَصَلَّى العَصْرَ يَوْمَئِذٍ بِنَهَارٍ، فَمَا تَرَكَ شَيْئاً إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، حَفِظَ مَنْ حَفِظَ وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ، ثُمَّ قَالَ: «أَلا إِنَّ هذِهِ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ».

أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

وَذَكَرَ أَنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ فِي الدنْيَا، وَلَا غَدْرَ أَكْثَرُ مِنْ غَدْرِ أَمِيرِ العَامَّةِ، يُغْرَزُ لِوَاؤُهُ عِنْدَ استِهِ.

أخرجه مسلم (١٧٣٨).

قَالَ: «وَلَا يَمْنَعَنَّ أَحداً مِنْكُمْ إِنْ رَأى مُنْكَراً أَنْ يُغَيِّرَهُ هَيْبَةُ النَّاسُ» فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ وَقَالَ: قَدْ رَأَيْنَاهُ فَمَنَعَنَا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ نَتكَلَّمَ فِيهِ.

أخرجه أحمد (١١٠١٧)، وإسناده صحيح وصححه ابن حبان (٧٣٦٨).

ثُمَّ قَالَ: «وَإِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلى طَبَقَاتٍ شَتَّى، فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِناً، وَيَحْيَا مُؤْمِناً، وَيَمُوتُ كَافِراً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِراً وَيَحْيَا

كَافِراً، وَيَمُوتُ مُؤْمِناً» قَالَ: وَذَكَرَ الغَضَبَ «فَمِنْكُمْ مَنْ يَكُونُ سَرِيعَ الغَضَبِ، سَرِيعَ الفَيْءِ، وَإِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، ومِنكُمْ مَنْ يكونُ بَطِيءَ الغَضَبِ بَطِيءَ الفَيْء، فإِحْداهُما بالأُخرَى، وَخِيَارُكُم مَنْ يَكُونُ بَطِيْءَ الغَضَبِ سَرِيعَ الفَيْءِ، وَشِرَارُكُم مَنْ يَكُونُ سَرِيعَ الغَضَبِ، بَطِيءَ الفَيْءِ»، وَقَالَ: «اتَّقُوا الغَضَبَ فَإِنَّهُ جَمْرَةٌ على قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ألا تَرَوْنَ إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، فَمَنْ أَحَسَّ ذَلِكَ، فَلْيَضْطَجِعْ، وَلِيَتَلَبَّدْ بِالأَرْضِ» قَالَ: وَذَكَرَ الدَّيْنَ، فَقَالَ: «مِنْكُمْ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ القَضَاءِ، وَإِذَا كَانَ لَهُ، أَفْحَشَ فِي الطَّلَبِ، فَإِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سَيِّءَ القَضَاءِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ، فَإِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، وَخِيَارُكُم مَنْ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ، أَحْسَنَ القَضَاءَ، وَإِذَا كَانَ لَهُ، أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ، وَشِرَارُكُم مَنْ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ، أَسَاءَ القَضَاءَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَفْحَشَ فِي الطَّلَبِ» حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ عَلى رَأْسِ النَّخْلِ وَأَطْرَافِ الحِيْطَانِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هٰذَا أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ تُوفِي سَبْعِينَ أُمَّةً هِيَ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

أخرجه أحمد (١١١٤٣)، والترمذي (٢١٩١) وفي سنده ضعف لضعف علي ابن زيد بن جُدْعان، ولأكثره طرق وشواهد يتقوَّى بها، انظرها في «المسند».

قوله: «تُوفي سبعين أمةً» أي: هي تمامُ سبعينَ تمَّ بهم عددُ السَّبعين.

وأخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطَّاهريُّ، أخبرنا جدِّي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزَّاز، أخبرنا محمد بن زكريا العُذافِرِيُّ، أخبرنا إسحاق الدَّبَرِيُّ، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعمر، عن علي بن زَيدٍ بن جُدعان بإسناده مثلَ معناه، وقال:

«إنَّ الناس خُلِقوا على طبقاتٍ، فيولد الرجلُ مؤمناً، ويعيش مؤمناً، ويموت مؤمناً، ويولد الرجُلُ كافراً، ويعيش كافر، ويموتُ كافراً، ويولد الرجُلُ مؤمناً، ويعيش مؤمناً، ويموت كافراً، ويولد الرجُلُ كافراً، ويعيش كافراً، ويموت مؤمناً، ثم قال في حديثه: «وما شيءٌ أفضلَ من كلمة عدلٍ تقالُ عند سُلطان جائرٍ» قال: «وإنكم تُتِمُّون سبعين أمَّةً أنتم آخرها وأكرمها على الله».

قال عبد الله بن مسعود: أنتم اليومَ أكثرُ صلاةً، وأشدُّ عبادة من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانوا خيراً منكم، قيل: لِمَ؟ قال: كانوا أزهدَ في الدنيا، وأرغبَ في الآخرة منكم.

وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: ارتحلتِ الدنيا مُدْبِرةً، وارتحلتِ الآخرة مقبلةً، ولكلِّ واحدٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليومَ عملٌ ولا حسابَ وغداً حسابٌ ولا عمل.

قال يحيى بن المتوكل: كنتُ أمشي مع سفيان الثوريّ، فمررتُ برجُل يبني بناءً قد شيّده، فقال لي: لا تنظرْ إليه، إنما بناه لينظرَ إليه.

بابُ
القناعة بالقليل من الدنيا

٣٨٦٧- عن همَّام عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

العَرَضُ - بفتحِ الرَّاء - متاع الدنيا وحُطامُها، وجمعُهُ أعراضٌ. والعَرْضُ - ساكِنةُ الراء - واحد العُروض وهي الأمتعةُ التي يُتَّجر فيها.

٣٨٦٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتاً».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

قوله: قوتاً، أي: ما يُمسِكُ رَمَقَهُ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقيتاً﴾ [النساء: ٨٥]، أي: مُقتدِراً يُعطي كلَّ إنسانٍ قوته.

٣٨٦٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٠٥٤)، والترمذي (٢٣٤٨) وغيرهما.

سُئِل سعيد بن عبد العزيز: ما الكفافُ من الرزق؟ قال: شِبعُ يومٍ، وجوعُ يومٍ. وفيه: فضيلةُ التقلُّلِ من الدنيا والاقتصار على القليلِ منها.

٣٨٧٠- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَغْبَطُ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الحاذِ، ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلاَةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً، فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَقَدَ بِيَدِهِ، فَقَالَ: عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، قَلَّتْ بَوَاكِيهِ، قَلَّ تُرَاثُهُ».

أخرجه أحمد (٢٢١٦٧)، والترمذي (٢٣٤٧)، وابن ماجه (٤١١٧) بإسنادٍ ضعيفٍ.

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يوماً، وَأَجُوعُ يَوْماً -أَوْ قَالَ ثَلَاثاً أَوْ نَحْوَ هٰذَا- فَإِذَا جُعْتُ، تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ، حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ».

أخرجه الترمذي بإثر الحديث السالف وبالإسناد نفسه.

قوله: «خفيفُ الحاذِ» أي: خفيف الحال قليل المال، وأصله قلة اللحم، والحال والحاذ واحدٌ، وهو ما وقع عليه اللِّبدُ من مَتن الفرس. «وكان غامِضاً» أي: مستورَ الحال. «وكان رِزقه كفافاً» أي: لا يَفضُلُ عمَّا لا بدَّ منه.

قوله: «نَقَدَ بيده» أي: ضَرَبَ من قولهم: نقدتُ رأسه بأصبعي، أي: ضَربْتُه. والتُراثُ: الميراث، قال الله سبحانه وتعالى ﴿وتَأكلونَ التُراثَ أكلاً لَمّاً﴾ [الفجر: ١٩].

٣٨٧١- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إلَّا بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، إنَّهُمَا لَيُسْمِعَانِ مَنْ على وَجْهِ الأَرْضِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، وَلَا آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَأَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً».

حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢١٧٢١)، والطيالسي (٩٧٩)، وصحَّحه ابن حبان (٣٣٢٩).

٣٨٧٢- عن مَسروق قال: قَالَتْ لِيَ عَائِشَةُ: قال لي رسول اللهِ ﷺ: «يا عائشةُ إنَّ الدُّنْيَا لَا تَنْبَغِي لِمُحَمَّدٍ وَلَا لآلِ مُحَمَّدٍ. يَا عَائِشَةُ إنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ مِنْ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ إلَّا بِالصَّبْرِ على مَكْرُوهِهَا، وَالصَّبْرِ عَنْ مَحْبُوبِهَا، لَمْ يَرْضَ إلَّا أَنْ كَلَّفَنِي مَا كَلَّفَهُمْ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وَإِنِّي واللهِ مَا بُدٌّ لِي مِنْ طَاعَتِهِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا بُدٌّ لِي مِنْ طَاعَتِهِ، وَاللهِ لأَصْبِرَنَّ كَمَا صَبَرُوا وَأَجْهَدَنَّ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ».

ذكره أبو الشيخ تعليقاً في «أخلاق النبي ﷺ» ص٢٧١ وفي إسناده مجالد ابن سعيد وهو ضعيف، والسري بن حبان، وهو مجهول.

٣٨٧٣- عن إبراهيم، عن علقمة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا الآخِرَةَ عَلى الدُّنْيَا».

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» ص٢٧٣، وابن ماجه (٤٠٨٢)، وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد، وأخرجه الحاكم ٤/ ٤٦٤ من طريق آخر عن إبراهيم، به. قال الذهبي: وهو موضوع.

٣٨٧٤- عَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».

هذا حديث حَسَنٌ، أخرجه أحمد (١٧١٨٦)، والترمذي (٢٣٨٠)، وصحَّحه ابن حبان (٥٢٣٦).

وهذا الحديثُ أصلٌ جامعٌ لأصول الطبِّ كلِّها، وروي أنَّ بعض الأطباء قال: لو استعمل الناسُ هذه الكلمات، سلموا من الأمراضِ والأسقام، وإنَّما قال هـذا، لأنَّ أصْلَ كلِّ داءٍ التُّخَمُ. فهذه بعضُ منافع تقليل الغذاء بالنسبة إلـى صلاح البدن وصحته. وأما منافعهُ بالنسبة إلى القلب وصلاحهِ فإنَّ قلَّة الغذاءِ توجبُ رقَّة القلب، وقوَّة الفهم، وانكسار النفس، وضَعْفَ الهوى والغضب، وكثرة الغذاءِ توجبُ أضدادَ ذلك. وكان يقال: مَنْ ملك بطنه ملك الأعمال الصالحةَ كلَّها. وما قلَّ طُعْمُ امرىءٍ قطّ، إلَّا رقَّ قلبُه ونديَتْ عيناه. أفاده الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٤٦٨. وفيه تمامُ شرحه.

٣٨٧٥- عن بقية بن الوليد: حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ عُثْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَتَجَشَّأُ فَقَالَ: «أَقْصِرْ مِنْ جُشَائِكَ، فَإِنَّ أَطْوَلَ النَّاسِ جُوعاً يَوْمَ القِيَامَةِ أَطوَلُهُمْ شِبَعاً فِي الدُّنْيَا».

إسناده ضعيف، وفي الباب عند الترمذي (٢٤٨٠)، وٱبنُ ماجه (٣٣٥٠) من حديث ابن عمر، وعن سلمان عند ٱبن ماجه (٣٣٥١)، وعن أبي جُحَيْفة عند الطبراني، فيتحسن الحديث.

وحكي عن الحسن قال: قال لقمان لابنه: يا بنيَّ لا تأكلْ شِبعاً فوق شِبعٍ، فإنك أنْ تنبِذَ إلى كلبٍ خيرٌ لك.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه نهى عن التبقُّر في الأهل والمال، أخرجه أحمد (٤١٨١) بسندٍ ضعيف.

قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/٢٣٦: يريد الكثرة والسِّعة، وأصل التبقُّر: التوسُّع والتفتح، يقال: بقَرْتُ بطنه: إذا شققته وفتحته.

قال أبو الدّرداء: أحبُّ الموتَ اشتياقاً إلى ربي، وأحبُّ المرض تكفيراً لخطيئتي، وأحبُّ الفقرَ تواضعاً لربي.

٣٨٧٦- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: جَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ فِي خَمِيلٍ وَقِرْبَةٍ وَوِسادَةِ أَدَمٍ حَشْوُهَا إِذْخِرٌ.

أخرجه أحمد (٦٤٣)، والنسائي ٦/ ١٣٥، وسنده قوي، وتمام تخريجه في «المسند».

قال محمد بن كعب القُرظيُّ: إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً، جعل فيه ثلاث خصالٍ: فِقْهاً في الدِّين، وزهادةً في الدنيا، وبَصيرةً بعيوبه.

وقال سفيان الثوري: إنَّ القراءةَ لا تصلح إلا بزهدٍ، ازهدْ ونَمْ وصلِّ الخمس.

بابُ

ما يتقى من فتنة المال

لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾ [الزمر: ٨] أَيْ أَعْطَاهُ وَمَلَّكَهُ، يُقَالُ: هُمْ خَوَلُ فُلَانٍ، أَيْ: أَتْبَاعُهُ، الوَاحِدُ خَائِلٌ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] قِيلَ: مَعْنَاهُ: امْتَنَعَ بِقُوَّتِهِ وَرِجَالِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١] قَالَ مُجَاهِدٌ: تَرَدَّى، أَيْ: مَاتَ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢] أَيْ: جَعَلَهُ عُدَّةً لِلدَّهْرِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣] أَيْ: جَعَلْنَا مُجْرِمِيهَا أَكَابِرَ، لِأَنَّ الرِّيَاسَةَ وَالدَّعَةَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الكُفْرِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ [المعارج: ١٩] الهَلُوعُ: مَا جَاءَ فِي الآيَةِ مِنَ التَّفْسِيرِ الَّذِي يَجْزَعُ، وَيَفْزَعُ مِنَ الشَّرِّ، وَيَحْرِصُ وَيَشِحُّ عَلَى المَالِ، وَقِيلَ: الهَلُوعُ: الضَّجُورُ الَّذِي لَا يَصْبِرُ عَلَى المَصَائِبِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِيْنَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤]. قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَلَّا نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهَا. قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: إِنَّمَا سُمِّيَ المَالُ مالاً لِأَنَّهُ يُمِيلُ القُلُوبَ.

٣٨٧٧- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ» [قيل: وما بَركاتُ الأرضِ؟] قَالَ: «زَهْرَةُ الدُّنْيَا» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا يَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ. قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ لِذَلِكَ، قَالَ: «لَا يَأْتِي الخَيْرُ إِلَّا بِالخَيْرِ، إِنَّ هٰذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حبطاً أَوْ يُلِمُّ، أَلَا إِنَّ آكِلَةَ الخَضِرَةِ تَأْكُلُ حَتَّى إِذَا اشْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَاجْتَرَّتْ وَثَلطَتْ وبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ، وَإِنَّ هٰذَا المَالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ المَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٢).

قوله: «خَضِرَةٌ» فالخَضِرَةُ: الغضَّةُ الحَسَنَةُ يريد أنَّ صورة الدنيا ومتاعها حَسنةُ المنظرِ تُعجِبِ الناظر، وكلُّ شي غض طَرِي، فهو خضِرةٌ، وأصله من خضرة الشجر، ومنه قيل للرجل إذا مات شاباً غضّاً: قدِ اخْتُضِرَ، ويقال: خذ هذا الشيءَ خَضِراً مَضِراً، فالخَضِرُ: الحَسنُ الغضُّ، والمَضِرُ إتباعٌ، ويقال: خُذهُ بلا ثمن، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فأخرجنا منه خَضِراً﴾ [الأنعام: ٩٩] أي: ورَقاً أخضر، يُقال: أخضرُ خَضِرٌ كما يقال: أعورُ عَوِرٌ، وكلُّ شيءٍ ناعم، فهو خَضِرٌ.

وقوله: «يقتل حَبَطاً» قال الأصمعي: الحَبَطَ: هو أن تأكل الدابةُ، فتُكثِرَ حتى تنتفخ لذلك بطنُها وتمرضَ، يقال منه: حَبِطت تحبط حَبطاً، قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٦٢: قوله: «أو يُلِمُّ» يعني يَقربُ من ذلك.

قال الأزهريُّ: فيه مَثَلان ضَربَ أحَدهما للمفرط في جمع الدنيا ومنعِها من حقِّها، وضرب الآخر للمقتصِد في أخذها والانتفاع بها.

فأما قوله: «وإنَّ مما يُنبتُ الربيعُ ما يقتُل حَبطاً» فهو مَثلٌ للمفرطِ الذي يأخذها بغير حقٍّ، وذلك أنَّ الربيع يُنبِت أحرارَ العشبِ، فتستكثِرُ منها الماشيةُ حتى تنتفِخ بطونها لما قد جاوزت حدّ الاحتمال، فينشقُّ أمعاؤها، فتهلِكُ كذلك الذي يجمع الدنيا من غير حِلِّها، ويَمنع ذا الحقِّ حقه يَهلِك في الآخرة بدخول النار.

وأما مثلُ المقتصِد، فقوله ﷺ: «ألا إنَّ آكِلة الخضِرة» وذلك أنَّ الخَضِر ليست من أحرار البقول التي يُنبتُها الربيع، فتستكثر منها الماشية، ولكنَّها من كلأ الصيف التي ترعاها المواشي بعد هَيْجِ البقول شيئاً فشيئاً من غير استكثارٍ، فضرَب مثلاً لمن يقتصِد في أخذ الدنيا، ولا يحمله الحرصُ على أخذها بغير حقِّها، فهو ينجو من وبالها.

وقوله: «استقبلتِ الشمس فاجترَّتْ وثلطتْ» أراد أنها إذا شبعت بركتْ مستقبلةَ الشمس تجترُّ وتستمرىء بذلك ما أكلت، فإذا ثلطتْ زال عنها الحَبط، وإنما تحبط الماشيةُ إذا كانت لا تثلِط ولا تبول. قال الخطابيُّ: وجَعل ما يكون من ثلْطِها وبولها مثلاً لإخراج ما يكسِبه من المال في الحقوق.

وفيه الحضُّ على الاقتصاد في المال، والحثُّ على الصدقة، وتركُ الإمساك للادِّخار.

قال الأزهري في قوله: «ألا إنَّ آكلة الخَضِرة» قال الخَضِرُ ها هنا: ضَرْبٌ من الجَنْبةِ، واحدها خَضِرةٌ وَالجَنْبةُ من الكلأ: ماله أصلٌ غامضٌ في الأرض كالنَّصِّيِّ والصِّليّان، والنَّصِّيُّ: نَبْتٌ معروف، يقال له: نصي ما دام رطباً، فإذا ابيض فهو الطريفة، فإذا ضخم ويبس فهو الحلي. والصِّليّان: نبت له سَنَمةٌ

عظيمة كأنها رأس القصبة إذا خرجت أذنابها تجذبها الإبل والعرب تسميه خبزة الإبل.

٣٨٧٨- عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمة: أنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الأَنْصَارِيَّ -وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْراً- أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ البَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ العَلاَءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الفَجْرَ، انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٢٥)، ومسلم (٢٩٦١).

قوله: «وتهلككم» يعني أنَّ المالَ مرغوبٌ فيه فترتاح النَّفْسُ لطلبه فَتُمْنَعُ منه فتقع العداوةُ المقتضية للمقاتلة فيقع الهلاك. قال ابن بطال: فيه أنَّ زهرة الدنيا ينبغي لمن فُتِحَتْ عليه أن يحذرَ من سوءِ عاقبتها وشرِّ فِتنتها. فلا يطمئنَّ إلى زخرفها ولا ينافِسْ غَيْرَه فيها. ذكره الحافظ في «الفتح» ٢٤٩/١١.

٣٨٧٩- عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَكَلَتْنَا الضَّبُعُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «غَيْرُ ذَلِكَ أَخْوَفُ عِنْدِي أَنْ تُصَبَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبّاً».

إسناده ضعيف، وله شاهدٌ يتقوَّى به من حديث أبي ذر عند أحمد (٢١٣٥٣)، وفي إسناده يزيد بن أبي زياد الهاشمي، وهو ضعيف.

قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٣٩٨: الضَّبُعُ: هي السنة المجدِبة.

٣٨٨٠- عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه أحمد (١٥٧٩٤)، والترمذي (٢٣٧٦)، والطبراني في «الكبير» ١٩/ (١٨٩)، وصحَّحه ابن حبان (٣٢٢٨). وقد بسط الإمامُ الحافظ ابن رجب الحنبلي الكلامَ في شَرْح هذا الحديث في رسالةٍ نفيسةٍ مطبوعة. وذكر أنَّ هذا الحديثَ مثلٌ عظيمٌ جدّاً ضربه النبي ﷺ لفسادِ دين المسلم بالحِرْصِ على المالِ والشرف في الدنيا. وأنَّ الحرصَ على نوعين: أحدهما شدَّة محبة المال مع شدَّة طلبه من وجوهه المباحة مع الجهد والمشقة. وهذا لو لم يكن فيه إلّا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له، وقد كان يمكن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم فضيَّعه في طلبِ رزق مضمون مقسوم، يتركه لغيره ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره، ويَقْدَمُ على مَنْ لا يعذره لكفاه بذلك ذمّاً للحرص.

والنوع الثاني: هو الزيادة في الطلب حتى يطلب المال من الوجوه المحرّمة، ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا هو الشحُّ المذموم. في كلام بالغ التجويد والتحرير.

٣٨٨١- عن عبد الله بن الشِّخِّير قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَقْرَأُ هذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَا لِي مَا لِي، وَهَلْ لَكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٥٨).

٣٨٨٢- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

٣٨٨٣- قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ؟» قَالُوا: يَا رسُولَ اللهِ مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ، قَالَ: «اعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» قَالُوا: مَا نَعْلَمُ إِلَّا ذلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ إِلَّا مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ» قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّما مَالُ أَحَدِكُمْ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٣٦٢٦)، والبخاري (٦٤٤٢) وتمام تخريجه في «المسند».

٣٨٨٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُجَاءُ بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذَجٌ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ، فَمَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ جَمَعْتُهُ،

وَثمَّرْتُهُ، فتَرَكْتُهُ أكْثرَ مَا كَانَ، فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ كُلِّهُ، فَيَقُولُ لهُ: أرِنِي مَا قَدَّمْتَ، فيَقُولُ: رَبِّ جَمَعْتُهُ، وَثَمَّرْتُهُ، فتَرَكْتُهُ أكْثرَ مَا كَانَ، فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ كُلِّهِ، فَإذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ خَيْراً فَيُمْضَى بِهِ إلَى النَّارِ».

إسناده ضعيف، أخرجه الترمذي (٢٤٢٧) وقال: وقد روى غيرُ واحد هذا الحديثَ عن الحسن، ولم يُسنِدوه، وفيه إسماعيل بن مسلم يُضعَّفُ في الحديث.

البَذَجُ: ولد الضأن، وجمعُه بِذْجانٌ، فالبذجُ من أولاد الضأن، والعتودُ من أولاد المعز، وهو ما شبَّ وقوي.

٣٨٨٥- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ، رَضِيَ، وَإنْ لَمْ يُعْطَ، سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإذَا شِيْكَ، فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ أشْعَثَ رَأسُهُ، مُغْبَرَّةً قَدَمَاهُ، إنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإنْ كَانَ فِي السَّاقة، كانَ في السَّاقَةِ، إنِ اسْتَأْذَنَ، لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإنْ شَفَعَ، لَمْ يُشَفَّعْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، وابن ماجه (٤١٣٥).

ويُروى «تعِس فلا انتعش، وشيك فلا انتقش» قوله: «تعِس» أي: انكبَّ وعثر، ومعناه: الدعاء عليه، أي: أتعسه الله، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فتعساً لهم﴾ [محمد: ٨] أي: عِثاراً وسقوطاً، وإذا سقط الساقط به، فأريد به الاستقامةُ، قيل: لعاً له، وإذا لم يُرد به الانتعاش، قيل: تعساً له. قوله: «وانتكس» يُقال: نكستُ الشيء: إذا قلَبتَه، والشيء منكوسٌ. والانتعاش: الارتفاع وسُمِّيَ نَعْشُ الجنازةِ نَعْشاً لارتفاعه. قوله: «فلا انتعش» أي: لا ارتفع، ويقال: انتعش العليل: إذا أفاق.

وقوله: «شيك فلا انتقش» أي: لا أخرجه من الموضع الذي دخله، ولا قدر على إخراجه، ونَقْشُ الشوكة: استخراجها، يقال: شاكه الشَّوْك يشوكه: إذا أصابه، وشاك يشاك: إذا دخل في الشَّوْك.

و«الساقةُ»: مؤخِّرةُ الجيش. والمرادُ أنه خاملٌ لا يقصد الذكْرَ والشهرةَ. ففي الحديثِ: فَضْلُ تَرْكِ حبِّ الرئاسة والشهرة وفَضْلُ الخمول والتواضع. وهو أمْرٌ صعبٌ لا يكاد يتحقَّقُ به إلّا المُخْبِتُ المُحْسِنُ.

٣٨٨٦- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ قَالَ: وَرَأى سِكَّةً وَشَيْئاً مِنْ آلَةِ الحَرْثِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ هذَا بَيْتَ قَوْمٍ إلَّا دَخَلَهُ الذُّلُّ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٣٢١). والسكَّةُ: الحديدةُ التي تُحْرَثُ بها الأرض. والمرادُ من اشتغل بذلك عن أداء الواجبات الشرعية.

قال عبد الرحمن بن عوفٍ: ابتُلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا، ثم ابتُلينا بالسرَّاء بعده، فلم نصبر.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك: إيَّاك أنْ تُدرككَ الصرعةُ عند الغِرَّةِ، فلا تُقالُ العثرةُ، ولا تُمكَّنُ من الرجعة، ولا يَحمدُكَ من خلَّفتَ بما تركتَ، ولا يَعذِرُكَ من تقْدَمُ عليه بما اشتغلت به، والسلام عليك.

بابُ
فَضْلِ الفقراء

٣٨٨٧- عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأى سَعْدٌ أنَّ لَهُ فَضْلاً عَلى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلَّا بِضُعَفَائِكُمْ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٨٩٦)، والنسائي ٦/ ٤٥.

وروي عن أبي الدَّرداء، عن النبي ﷺ قال: «ابغوني في ضعفائِكم، فإنما تُرزقون أو تُنصرون بضعفائِكم»، أخرجه أبو داود (٢٥٩٤)، والنسائي ٦/ ٤٥ بسندٍ صحيح.

وتأويلُ الحديثِ: أن الضعفاءَ أشدُّ إخلاصاً في الدعاء وأكثر خشوعاً في العبادةِ لخلاءِ قلوبهم عن التعلق بزخارف الدنيا. نقله الحافظ في «الفتح» ٦/ ١٠٥ عن ٱبن بَطَّال المالكي. وقال غيره: أراد النبي ﷺ حضَّ سَعْدٍ على التواضعِ ونَفْيِ الزَّهْوِ على غيرِه، وتَرْكِ احتقارِ المسلم في كلٍّ حال.

٣٨٨٨- عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَسِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ المُهَاجِرِينَ.

هذا حديثٌ مرسل، رجاله ثقات، أخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٢٤٨ وقال: هكذا قال عبد الرحمن يعني ٱبن مهدي، وهو عندي أميةُ بن عبد الله بن خالد بن أسيدٍ.

قال عبد الرحمن: يَستفتح، أي: يَستفتح القتال بهم، قال أبو عُبَيدٍ: كأنه يَتيمَّن بهم.

والصعاليك: هم الفقراء وقيل: يستفتح، أي: يستنصِر، والاستفتاح: الاستنصار، ويروى في التفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تستفتِحُوا فقد جاءكم الفتحُ﴾ [الأنفال: ١٩] يقول: إن تستنصروا، فقد جاءكم النصر.

٣٨٨٩- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَقُمْتُ عَلى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

٣٨٩٠- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا المَسَاكِينَ، وَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ، وَإِذَا أَهْلُ الجِدِّ مَحْبُوسُونَ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِ إِلَى النَّارِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٤٧).

قوله: «وإذا أهل الجِدِّ محبوسون» يعني: ذوي الحظِّ والغنى.

٣٨٩١- عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الدنْيَا، وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرْضَاكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ».

حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢٣٦٢٢) والترمذي بإثر (٢٠٣٦).

ويُروى هذا الحديثُ عن إسماعيل بن جعفرٍ، عن عمارة بن غَزيَّة، عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيدٍ، عن قتادة بن النُّعمان، عن النبي ﷺ، ومحمود بن لبيدٍ قد رأى النبيَّ ﷺ وهو غلامٌ صغيرٌ، أخرجه الترمذي (٢٠٣٧)، وصححه الحاكم ٤/ ٣٠٩ ووافقه الذهبي.

٣٨٩٢- عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: يَكْرَهُ المَوْتَ وَالمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ المَالِ وَقِلَّةُ المَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ».

إسناده جيد، أخرجه أحمد (٢٣٦٢٥)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» ٤/ ١٥٠ وقال: رواه أحمد بإسنادَيْن، رواةُ أحدهما محتجٌّ بهم في الصحيح.

٣٨٩٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ، فَقَالَ: «انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ» قَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي، فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تَجْفَافاً، لَلْفَقْرُ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ».

أخرجه الترمذي (٢٣٥٠) وإسناده ضعيف، ومَتْنُ الحديث منكر.

وقيل في قوله: «فأعِدّ للفقر تجفافاً» أي آلةً تدفع بها عن دينك ضرره من الصبر والقناعة والرضا.

٣٨٩٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هٰذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هٰذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هٰذَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤٤٧)، وابن ماجه (٤١٢٠).

وفي الحديث من الفقه: أن السيادة بمجرّد الدنيا لا أثر لها، وأن الاعتبار في ذلك يكون بالآخرة.

٣٨٩٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٢٢). ويُروى: «رُبَّ ذي طِمْرَينِ لا يُؤْبَهْ به» أي: لا يُحتفل به. و«الطِّمْرُ»: الثوبُ الخَلَقُ البالي.

قال معاذ بن جبلٍ: لا يبلغ عبدٌ ذُرى الإيمان حتى تكون الضَّعةُ أحبَّ إليه من الشرف، وما قلَّ من الدنيا أحبَّ إليه مما كثرَ، ويكون مَن أحبَّ ومَن أبغض عنده في الحقِّ سواءً، ويَحكم للناس كما يحكم لنفسه وأهل بيته.

وعن طاووسٍ عن ابن عباس أنه مرَّ بقومٍ بعد ما أُصيبَ بصرهُ وهم يُجذون حجراً، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قال: يُجذون حجراً، فقال: عمال الله أقوى من هؤلاء. الإجذاء: الإشالة، ويجذون حجراً، أي: يشيلونه ويرفعونه؛ لتعرف به شدة الرجل.

قال عمر بن عثمان: قال الله سبحانه وتعالى لموسى ﷺ: يا موسى إذا رأيت الغِنى مُقبلاً، فاعلم أنها عقوبة عُجِّلت، وإذا رأيتَ الفقرَ مُقبلاً، فقلْ: مرحباً بشعار المتقين.

وذُكِر للحسن فقراء المؤمنين، فقال رجُلٌ: يا أبا سعيدٍ ترجو أنْ أكون منهم؟ قال: تَجمع بين غداءٍ وعشاءٍ؟ قال: نعم. قال: لستَ منهم.

باب
كيف كان عيش النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وعيش أصحابه رضي الله عنهم

٣٨٩٦- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئاً عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئاً يَرُدُّ البَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِساً وَالرُّومَ

قَدْ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ، فَقَالَ: «أَوَفِي هٰذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟! إِنَّ أُولئِكَ قَوْمٌ عُجِّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، (٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩).

الرِّمال: نسيجٌ من السَّعف، يُقال: رَمَلْتُ الحصير، وأرمَلْتُ، والأهبةُ جمعُ إهابٍ، وقال الأزهريُّ: آهِبةٌ جمعُ إهابٍ مثل آلهةٍ جمعُ إلهٍ.

٣٨٩٧- عن سماك بن حَرْبٍ، قال: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ، وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بَطْنَهُ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٧٧)، والترمذي (٢٣٧٣).

و«الدَّقَلُ» بالتحريك: التمر الرديء.

٣٨٩٨- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ.

انظر الحديث التالي.

٣٨٩٩- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٧٠) (٢٢).

٣٩٠٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَقَدْ كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَاراً، وَمَا هُوَ إِلَّا المَاءُ وَالتَّمْرُ غَيْرَ أَنْ جَزَى اللهُ نِسَاءً مِنَ الأَنْصَارِ خَيْراً، كُنَّ رُبَّمَا أَهْدَيْنَ لَنَا شَيْئاً مِنَ اللَّبَنِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢).

٣٩٠١- عن سُلَيْم بن عامرٍ قال: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ: مَا كَانَ يَفْضُلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خُبْزُ الشَّعِيرِ.

حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢٢١٨٤)، والترمذي (٢٣٥٩).

٣٩٠٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ، وَقَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيا، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنَ الخُبْزِ الشَّعِيرِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٥٤١٤).

قوله: شاةٌ مَصليةٌ، أي: مَشويةٌ، ومنه يُقال: صَليتُ اللحم بالتخفيف: إذا شويته على جهة الصلاح، وصَلَّيتُ فلاناً بالنار بالتشديد، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وتصليةُ جَحيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤].

قوله: «فأبى أن يأكُلَ»: ليس هذا من تَرْكِ إجابة الدعوة لأنه في الوليمة لا في كل الطعام. وكأنَّ أبا هريرة رضوان الله عليه استحضر حينئذٍ ما كان النبي ﷺ فيه من شدَّةِ العيش فزهد في أكل الشاة.

٣٩٠٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِياً، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ.

أخرجه أحمد (٢٣٠٣)، والترمذي (٢٣٦٠) وإسناده صحيح.

٣٩٠٤- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعاً لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وَأَخَذَ مِنْهُ

شَعِيراً لِأَهْلِهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَاعُ بُرٍّ، وَلَا صَاعُ حَبٍّ، وَإِنَّ عِنْدَهُ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٠٦٩)، والنسائي ٧/ ٢٨٨ وغيرهما.

الإهالة: الدَّسم ما كان، والسَّنخةُ: المتغيرة الريح من طول الزمان.

٣٩٠٥- عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: شَكَوْنَا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ الجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ عَنْ حَجَرَيْنِ.

أخرجه الترمذي (٢٣٧١) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلنا: في سنده سيَّار بن حاتم العَنَزي. وهو ضعيف يعتبر به.

٣٩٠٦- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ وَمَا لِيَ وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ».

أخرجه أحمد (١٢٢١٢)، وابن ماجه (١٥١)، والترمذي (٢٤٧٤) بإسنادٍ صحيح.

٣٩٠٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٤٤٢). وأصحاب الصفة: هم فقراءُ المسلمين الذين كانوا يبيتون في صفةِ المسجد.

٣٩٠٨- عنَ المُطَّلِب بن عبد الله، عن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِرَاشٌ غَلِيظٌ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، جَعَلْتُ فِرَاشاً آخَرَ لِيَكُونَ أَوْطَأَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلْتُهُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا هٰذَا يَا عَائِشَةُ»؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ فِرَاشاً رَثّاً غَلِيظاً، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ هٰذَا أَوْطَأَ لَكَ، فَقَالَ: «أَخِّرِيهِ اثْنَانِ، وَاللهِ لَا أَقْعُدُ عَلَيْهِ حَتَّى تَرْفَعِيهِ» فَرَفَعْتُ الأَعْلَى الَّذِي صَنَعْتُ.

إسناده ضعيف لجهالة محمد بن خلَّاد الإسكندراني، ثم هو منقطع؛ لأن المُطَّلب بن عبد الله لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

٣٩٠٩- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ، فَمَخَطَ فِي أَحَدِهِمَا، فَقَالَ: بَخْ بَخْ يَتَمَخَّطُ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي الكَتَّانِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيّاً عَلَيَّ فَيَجِيءُ الجائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ على عُنُقِي يُرَى أَنَّ بِي جُنُوناً وَمَا بِي جُنُونٌ، وَمَا هُوَ إِلَّا الجُوعُ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٧٣٢٤)، والترمذي (٢٣٦٨).

قوله: «مُمَشَّقان» أي: مصبوغان بالمِشْقِ بكسر الميم وهو الطين الأحمر.

٣٩١٠- عن سَعد بن إبراهيم: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِماً، فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَكُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ، بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ، بَدَا رَأْسُهُ قَالَ: وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ

الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، وَقَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (١٢٧٥).

وفي الحديثِ من الفقه: أنه يجوز الاقتصار على ثوبٍ واحدٍ في التكفين ولا ينتظر بدَفْنِه ارتقابُ شيءٍ آخر.

وفيه: تواضع عبد الرحمن بن عوف في قوله: «وهو خير مني».

وفيه: إشارةٌ إلى تعظيم فَضْل من قُتِل في المشاهد الفاضلة مع النبي ﷺ. أفاده الحافظ في «الفتح» ٣/ ١٦٩.

٣٩١١- عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّابٍ نَعُودُهُ قَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إِلَّا التُّرَابَ، وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ، ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ يَبْنِي حَائِطاً لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ المُسْلِمَ يُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هٰذَا التُّرَابِ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٥٦٧٢).

وروي عن أبي أمامة عن خَبَّاب قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما أنفق المؤمنُ مِن نفقةٍ إلا أُجِرَ فيها إلا نفقته في هذا التراب» أخرجه الترمذي (٢٤٨٥).

ورُوي عن أنس بإسنادٍ غريبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقةُ كلها في سبيل الله إلا البناءَ فلا خير فيه» أخرجه الترمذي (٢٤٨٤) بسندٍ ضعيف.

وقال إبراهيم النخعيُّ: البناءُ كله وبالٌ، قيل: أرأيت ما لا بدَّ منه؟ قال: لا أجر ولا وِزْر.

٣٩١٢- عن خالد بن عُميرٍ العَدويِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْهَا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ عَاماً لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً، وَاللهِ لَتُملأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظُ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا فَالتَقَطْتُ بُرْدَةً، فَاشْتَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ حَيّاً إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيماً، وَعِنْدَ اللهِ صَغِيراً، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى تَكُونَ عَاقِبَتُهَا مُلْكاً، وَسَتَبْلُونَ أَوْ قَالَ: سَتَخْبُرُونَ الأُمَرَاءَ بَعْدِي.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٦٧)، والترمذي (٢٥٧٥).

وقوله: «آذَنَتْ» أي: أعلَمَتْ. و«الصُّرْمُ» بضم فَسكون: الانقطاع والذهابُ.

قوله: «ووَلَّتْ حَذَّاءَ»، أي: مسرعةً، قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ٢/٢٦٢: هي السريعةُ الخفيفةُ التي انقطع آخرها، ومنه قيل للقطاة: حَذَّاءُ لِقصَرِ ذنَبِها وخِفَّتِها، وحمارٌ أحَذُّ: قصيرُ الذنَبِ. و«صُبابةُ الإناء»: البقيَّةُ

اليسيرةُ تبقى في الإناء من الشراب. يتصابُّها أي: يشربها صاحبها. و«هو كظيظٌ»، أي: ممتلىءٌ، والكظيظ: الزِّحام، يقال: كظَّهُ الشراب، وكظَّه الغيظ: إذا ملأ صدره، يُقال: رأيتُ على بابه كظيظاً، أي: زِحاماً.

بابُ
طولِ الأملِ والحِرْص

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١] أيْ: أدْرَكَكُمُ المَوْتُ. وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَوْفَ أَتُوبُ سَوْفَ أَعْمَلُ يَعْنِي: يُقَدِّمُ الذَّنْبَ، وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَا يَسْأَمُ الإنسَانُ مِن دُعَاءِ الخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] أيْ: لَا يَفْتُرُ مِنْ طَلَبِ المَالِ وَمَا يُصْلِحُ دُنْيَاهُ.

٣٩١٣- عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مِنْهُ اثْنَانِ: الحِرْصُ عَلى المَالِ، وَالحِرْصُ عَلى العُمْرِ».

هذا حديثٌ متَّفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧).

٣٩١٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «قَلْبُ الكَبِيرِ شَابٌّ عَلى حُبِّ اثْنَيْنِ: حُبِّ الحَيَاةِ وَحُبِّ المَالِ».

هذا حديثٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٢٠)، ومسلم (١٠٤٦). ومعنى الحديث: أنَّ قَلْبَ الشيخ كاملُ الحبِّ للمال محتكمٌ في ذلك كاحتكام قوة الشباب في شبابه. وفي الحديث: ذمُّ الحرص على الدنيا والرغبة فيها. أفاده النووي في «شرح مسلم» ١٥/٤.

٣٩١٥- عن عطاء بن أبي رباحٍ قال: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقُولُ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغى ثَالِثاً، وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلى مَنْ تَابَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١٠٤٩).

قوله: «ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلّا التراب» هو كنايةٌ عن الموت، فكان المعنى: أنَّ الإنسان لا يشبع من الدنيا حتى يموت.

وقوله: «ويتوب الله على مَنْ تاب» أي: أنَّ الله تعالى يقبلُ التوبةَ من الحريصِ كما يقبلها من غيره. وفيه: إشارةٌ إلى ذمِّ الاستكثار من جَمْعِ المال وتمنِّي ذلك والحرص عليه، للإشارة إلى أنَّ الذي يترك ذلك يطلق عليه أنه تاب.

٣٩١٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ غرَزَ عُوداً بَيْنَ يدَيْهِ، وَآخَرَ إِلَى جَنْبِهِ، وَآخَرَ أَبْعَدَ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هٰذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هٰذَا الإِنْسَانُ، وَهٰذَا الأَجَلُ - أراهُ قَالَ: - وَهٰذَا الأَمَلُ، فَيَتَعَاطَى الأَمَلَ فَلَحِقَهُ الأَجَلُ دُونَ الأَمَلِ».

أخرجه أحمد (١١١٣٢) بإسنادٍ حسن.

٣٩١٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذَا ابْنُ آدَمَ وهٰذَا أَجَلُهُ» وَوَضَعَ يَدَهُ عِنْدَ قَفَاهُ، ثُمَّ بَسَطَ فَقَالَ: «وَثَمَّ أَمَلُهُ».

أخرجه الترمذي (٢٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٣٢) بسندٍ صحيح.

٣٩١٨- عَنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خطَّ النَّبيُّ ﷺ خَطّاً مُرَبَّعاً، وَخَطَّ خَطّاً فِي الوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إِلَى هٰذَا الَّذِي فِي

الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، فَقَالَ: «هٰذَا الإنسَانُ، وَهٰذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهٰذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهٰذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هٰذَا، نَهَسَهُ هٰذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هٰذَا نَهَسَهُ هٰذَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤١٧)، والترمذي (٢٤٥٦) وغيرهما.

وقال علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: إنما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل يُنسي الآخرة، وإن اتِّباع الهوى يَصدُّ عن الحقِّ. أخرجه ٱبن أبي الدنيا في «قِصَر الأمل»: ٢٦.

وقال عَوْنٌ: كم من مُستقبِلٍ يوماً لا يستكمله ومُنتظرٍ غداً لا يبلُغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغَضتم الأمل وغروره. قال سفيان الثوريُّ: ليس الزهدُ في الدنيا بلبس الغليظِ والخشِن، وأكل الجَشِب، إنما الزُّهد في الدُّنيا قِصَرُ الأمَلِ.

وقال بعضُ أهل العلم: مَنْ قَصُرَ أملُه قلَّ همُّه وتنوَّر قَلْبُه، لأنه إذا استحضر الموتَ اجتهد في الطاعةِ، وقلَّ همُّه، ورضي بالقليل. وكان ٱبن الجوزي كما في «صيد الخاطر» (٩٦) يذهبُ إلى التوسط، ويرى أنَّ قِصَرَ الأملِ يصرفُ عن التشاغلِ بالعلم والأخذِ بأسباب المعاش، فالصوابُ العكوفُ على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعاً لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم.

بابُ

استحبابِ طولِ العمر للطاعة وتمني المال للخير

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا حَسَدَ إلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلى هَلَكَتِه فِي الحَقِّ...» متفق عليه.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَعِمَّا بِالمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».

أخرجه أحمد ضمن الحديث (١٧٧٦٣) من حديث عمرو بن العاص بسندٍ صحيح.

٣٩١٩- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ».

هذا حديثٌ حسن، أخرجه أحمد (٢٠٤١٥)، والترمذي (٢٣٣٠) ولبعضه شاهد من حديث عبدالله بن بُسْر عند أحمد (١٧٦٨٠)، والترمذي (٢٣٢٩) وحسَّنه. وآخر من حديث أبي هريرة عند أحمد (٧٢١٢)، وصحَّحه ابن حبان (٤٨٤) وتمام تخريجه في «المسند».

٣٩٢٠- عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آخَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ مَاتَ الآخَرُ، فَصَلَّوا عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا قُلْتُمْ؟» قَالُوا: دَعَوْنَا اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَيَرْحَمَهُ وَيُلْحِقَهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ وَعَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ، أَوْ قَالَ: صِيَامُهُ بَعْدَ صِيَامِهِ، لَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».

وقال محمد بن كثيرٍ عن شُعبة: ومات الآخر بعده بجُمُعةٍ أو نحوها.

وهذا حديثٌ صحيح الإسناد، أخرجه أحمد (١٦٠٧٤)، وأبو داود (٢٥٢٤)، والنسائي ٤/ ٧٤. وصححه ابن حبان (٢٩٨٢).

٣٩٢١- عن أبي كَبْشَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ثَلاَثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً، فَاحْفَظُوهُ، فَأَمَّا الَّذِي أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: فَإِنَّهُ مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ بِصَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهِ عِزّاً، وَلَا فَتَحَ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ لَهُ بَابَ فَقْرٍ، وَإِنَّمَا الَّذِي أُحَدِّثُكُمْ، فَاحْفَظُوهُ، فَإِنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ فِيهَا مَالاً وَعِلْماً، فَهُوَ يَتَّقِي بِهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْمَلُ للهِ فِيهِ بِحَقِّهِ، فَهٰذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَتَخَبَّطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْمَلُ فِيهِ بِحَقٍّ، فَهٰذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلَا عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً، عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ نِيَّتُهُ، وَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ».

حديث حسن، أخرجه أحمد (١٨٠٢٤) و(١٨٠٣١)، والترمذي (٢٣٤٦).

٣٩٢٢- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ» فَقِيلَ: وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ المَوْتِ».

أخرجه أحمد (١٢٠٣٦)، والترمذي (٢١٤٣)، وصححه ابن حبان (١٨٢٢).

ويُروى: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عسله» قيل: ما عسلَهُ فذكر مثل معناه، والعسل: طيبُ الثناء.

قال حذيفة: ليس خياركم مَن ترك الدنيا للآخرة، ولا مَن ترك الآخرة للدنيا، ولكن خياركم مَن أخذ من كلٍّ.

وقال سعيد بن المسيِّب: لا خيرَ فيمن لا يجمع المال، فيكُفُّ به وَجْهَه، ويؤدِّي به أمانته، ويَصِل به رحمه. وحُكي أنه لمَّا مات ترك دنانير، فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أتركها إلا لأصونَ بها ديني وَحسبي.

قال سفيان الثوريُّ: كان المال فيما مضى يُكرَه، فأما اليوم، فهو تُرْسُ المؤمن، وقال: لولا هذه الدنانيرُ، لتمندل بنا هؤلاء الملوكُ.

وقال: من كان في يده مِن هذه شيءٌ، فليُصْلِحْهُ، فإنه زمانٌ إن احتاج، كان أول من يبذل دينه، وقال: الحلال لا يحتمِلُ السَّرفَ.

بابُ
النَّظَرِ إلى من هو أسفل منه

٣٩٢٣- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذَا نَظَرَ أحَدُكُمْ إلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إلَى مَنْ هو أسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

ونقل الحافظ في «الفتح» ١١/ ٣٣٠ عن ابن بَطَّال المالكي قال: هذا الحديثُ جامعٌ لمعاني الخير، لأنَّ المَرْءَ لا يكون بحالٍ تتعلق بالدين من عبادة ربِّه مجتهداً فيها إلَّا وَجَدَ مَنْ هو فَوْقَه، فمتى طلبت نفسُه اللَّحاقَ به استقصر

حاله فيكون أبداً في زيادةِ تُقرِّبُه من ربه. ولا يكون على حالٍ خسيسةٍ من الدنيا إلّا وجد من أهلها مَنْ هو أخسُّ حالاً منه، فإذا تفكر في ذلك علم أنَّ نعمة اللهِ وصلت إليه دون كثيرٍ ممن فُضِّل عليه بذلك من غير أمرٍ أوجبه، فيلزم نَفْسَه الشكر، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده.

٣٩٢٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالجِسْمِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ دُونَهُ فِي المَالِ وَالجِسْمِ».

هذا حديث متفق على صحته.

٣٩٢٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ» قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «عَلَيْكُمْ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٦٣).

٣٩٢٦- عن عمرو بن شعيب عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ، كَتَبَهُ اللهُ شَاكِراً صَابِراً، وَإِنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ شَاكِراً وَلَا صَابِراً: مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَاقْتَدَى، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ اللهُ فِيهِ عَلَيْهِ، كَتَبَهُ اللهُ شَاكِراً صَابِراً، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ شَاكِراً وَلَا صَابِراً».

هذا حديثٌ ضعيف، أخرجه الترمذي (٢٥١٢)، وآفتُه المثنى بن الصباح ضعيف.

٣٩٢٧-قال ابن أبي مريم: سمعت أبا هريرة يقول: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَغْبِطَنَّ فَاجِراً بِنِعْمَتِهِ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا هُوَ لَاقٍ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنَّ لَهُ عِنْدَ اللهِ قَاتِلاً لَا يَمُوتُ».

فبلغ ذلك وَهْبَ بنَ مُنَبِّهٍ فأرسلَ إليه وهبٌ أي: إلى ابن أبي مريم أبا داود الأعور، فقال: يا أبا فلانٍ ما قاتلاً لا يموت؟ قال ابنُ أبي مريم: النار.

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٧٩) وفي سنده جَهْمُ بن أوس لا يعرف، وعبد الله بن أبي مريم لم يوثقه غير ابن حبان.

وقال الحسن: لعمري لو كُشِفَ الغطاء، لشُغِلَ مُحسِنٌ بإحسانه ومسيءٌ بإساءته عن تجديدِ ثوب، أو تَرْطيل شعرٍ. أراد بترطيل الشّعر تليينه بالدُّهن وما أشبهه، يقال للرجل فيه لينٌ: رجُل رَطْلٌ بالفتح، والذي يوزَن به ويُكال رِطلٌ بكسر الراء.

قال عَوْن بن عبد الله: صحِبتُ الأغنياء، فلم أرَ أحداً أكبر همّاً منّي، أرى دابةً خيراً مِن دابّتي، وثوباً خيراً من ثوبي، وصَحِبتُ الفقراء فاسترحتُ.

وقال حُذيفة: إيّاكم ومواقفَ الفِتَنِ، قيل: وما مواقفُ الفِتن يا أبا عبدَ الله؟ قال: أبوابُ الأمراء يدخل أحدكم على الأمِير، فيُصدِّقه بالكذِب، ويقول له ما ليس فيه.

وقال ابنُ مسعود: إن على أبوابِ السلطان فِتَناً كمباركِ الإبل والذي نفسي بيده لا تُصيبون مِن دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دِينِكُم مِثلَيْه.

قال سفيان: إذا دَعوْكَ لتقرأ عليهم ﴿قُلْ هوَ اللهُ أحَدٌ﴾ فلا تأتِيهم يعني السلطان.

بابٌ

الدنيا سِجْن المؤمن

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] أيْ: فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَالإنْسَانُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي ضِيقٍ، ثُمَّ يُكَابِدُ مَا يُكَابِدُهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، ثُمَّ المَوْتُ إلَى أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ.

٣٩٢٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٥٦)، وأحمد (٨٢٨٩)، والترمذي (٢٣٢٤)، وتمام تخريجه في «المسند».

ومعنى الحديثِ: أنَّ كلَّ مؤمنٍ مسجونٌ ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرَّمة والمكروهة مكلَّفٌ بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعدَّه الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان. وأما الكافر فإنَّما له من ذلك ما حصَّل في الدنيا مع قلَّته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذابِ الدائم وشقاء الأبد. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/٣٣٣.

٣٩٢٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَسَنَتُهُ، وَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا، فَارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ».

إسناده ضعيف لجهالة حال عبد الله بن جُنادة المعافري أحد رواته، وأخرجه أحمد (٦٨٥٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٥٩٨)، والحاكم ٤/٣١٥، وصحَّحه

وسكت عليه الذهبي، وأصل الحديث في «الصحيح» كما مرَّ في الحديث السابق، وتمام تخريجه في «المسند».

و«السَّنَةُ»: القَحْطُ والجَدْبُ.

وأخرجه أحمد (٦٨٥٥)، وعبد الله بن جنادة المعافري لم يوثقه غير ابن حبان، ورواه الحاكم ٣١٥/٤ من طريق يحيى بن أيوب بهذا الإسناد، وسكت هو والذهبي عن الكلام عليه.

بابُ

التوكلِ على الله عز وجل

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١] أيْ: لِيَكِلُوا أُمُورَهُمْ إلَيْهِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] قَالَ الرَّبِيعُ ابْنُ خُثَيْمٍ: مِنْ كُلِّ مَا ضَاقَ عَلى النَّاسِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَها إبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَها مُحَمَّدٌ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إخْبَاراً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ أَنْسَى الشَّيْطَانُ يُوسُفَ ذِكْرَ رَبِّهِ حَتَّى اسْتَغَاثَ بِمَخْلُوقٍ ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ رُوِيَ عَنِ

الحَسَنِ البَصْرِيِّ قَالَ: دَخَلَ جِبْرِيلُ عَلى يُوسُفَ فِي السِّجْنِ فقَالَ لَهُ يُوسُفُ: يَا أخَا المُنْذِرِينَ مَاذَا تَعمَلُ بَيْنَ المُذْنِبِينَ؟ فقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا طَيِّبُ بْنَ الطَّيِّبِينَ يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ: أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي أنِ اسْتَغَثْتَ بِمَخْلُوقٍ مِثْلِكَ، وَعِزَّتِي لأُطِيلَنَّ حَبْسَكَ. فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: أهُوَ رَاضٍ عَنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إذاً لا أُبَالِي.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلى بَنِي إسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٦] وَيَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿وَنُرِيدُ أنْ نَمُنَّ عَلى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً﴾ [القصص: ٥].

٣٩٣٠- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ سَبْعُونَ ألْفاً مِنْ أُمَّتِي الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢١٨)، وأحمد (١٩٩١٣).

وروي عن المغيرة بن شُعبةَ أنَّ النبي ﷺ قال: «من اكتوى فقد برىء من التوكل»، أخرجه أحمد (١٨١٨٠)، والترمذي (٢٠٥٥)، وصحَّحه ابن حبان (٦٠٨٧) وهو كما قال.

وعن مُطرِّف بنِ عبد الله قال: قال عِمرانُ بنُ حُصينٍ كان يُسلِّم عليَّ، فلما اكتويْت رُفِع عنِّي، فلما تركتُ ذلك، عاد إليَّ. أخرجه مسلم (١٢٢٦).

وعن أبي التيَّاح، عن مُطرِّف، عن عِمران بنِ حُصينٍ قال: اعلم يا مُطرِّف أنه كان تُسلِّم الملائكة عليَّ عند رأسي، وعند باب البيت، وعند باب الحُجرة، فلما اكتويْتُ ذهبتْ تلك، فلما برَأ كَلْمُه قال: اعلمْ يا مُطرِّف أنه عاد إليَّ الذي كان، اكتمْ عليَّ يا مُطرِّفْ حتى أموت.

وقد ذكر ابن مُفْلح الحنبلي في «الآداب الشرعية» ٣٣٣/٢: أنَّ تَرْكَ التداوي هو الذي نصَّ عليه أحمد كما ذكره المروذي قال: العِلاجُ رخصةٌ وتَرْكهُ درجةٌ أعلى منه. وقيل: بل فِعْلُه أفضلُ. وهو مذهبُ الشافعية وجمهورُ السلف وعامة الخلف، وقطع به ابنُ الجوزي، واختاره ابنُ هبيرة في «الإفصاح» وقال: ومذهبُ أبي حنيفة أنَّه مؤكدٌ حتى يداني به الوجوب. قال: ومذهبُ مالك أنه يستوي فِعْلُه وتَرْكُه. وتفسير الحديث: أنهم كانوا في الجاهلية يسترقي الرجلُ بالكلمات الخبيثة، فذلك الذي حذر منه رسولُ الله ﷺ.

٣٩٣١- عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٢٠٥) والترمذي (٢٣٤٤)، وصحَّحه ابن حبان (٧٣٠)، وتمام تخريجه في «المسند».

الخماص: جمع الخميص البطن، وهو الضامر، والمخمصةُ: الجوع، لأن البطن يَضمُر به.

وهذا الحديثُ أصلٌ في التوكل وأنه من أعظمِ الأسباب التي يُسْتجلبُ بها الرزق، قال الله عز وجل: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وحقيقةُ

التوكل: هو صدقُ اعتمادِ القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفعِ المضارِّ من أُمورِ الدنيا والآخرة كُلِّها، وكِلَةُ الأمورِ كلِّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه.

واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدَّر الله سبحانه المقدورات بها، وجَرَتْ سُنَّتُه في خَلْقِه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمرِه بالتوكل فالسعيُ بالجوراح طاعةٌ له، والتوكلُ بالقلب عليه إيمانٌ به. كما قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ [النساء: ٧١]، أفاده الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٤٩٦.

٣٩٣٢- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ، أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالغِنَى إمَّا مَوْتاً عَاجِلاً، أَوْ غِنىً عَاجِلاً».

هذا حديثٌ حسن، أخرجه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (١٣٢٧)، وأحمد (٣٦٩٦) وفيه تمام تخريجه.

٣٩٣٣- عَنِ المُطَّلِبِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ إِلَّا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ قَدْ أَلْقَى فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْعِبَ كُلَّ الذِي كَتَبَ اللهُ لَهَا، فَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَلْيُجْمِلْ فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تُدْرِكُوا مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ».

حديث صحيح رجالُ إسناده ثقات، لكنه مرسل، ويشهدُ له حديثُ ابن مسعود الآتي، وآخر من حديث جابر بنحوه عند الحاكم ٢/ ٤، ومن حديثِ أبي أُمامةَ عند أبي نُعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٦ فيتقوى الحديث بهذه الشواهد.

٣٩٣٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».

رجاله ثقات لكن في سنده انقطاع، وانظر ما قبله.

٣٩٣٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ».

في سنده من لم يُسَمَّ، وانظر ما قبله.

أراد بالروح الأمين وبروح القُدُسِ: جبريل عليه السلام، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وأيَّدناه بروح القدس﴾ [البقرة: ٨٧].

٣٩٣٦- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَإِنَهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، أَلَا وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ رِزْقٍ أَنْ تَطْلُبُوا بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».

رجاله ثقات لكنه منقطع، وانظر الأحاديث السالفة.

قوله: «نفث في رُوعي» فالنَّفْثُ شبيهٌ بالنفخ، والتَّفل لا يكون إلا ومعه شيءٌ من الرِّيق. وقوله: في رُوعي، أي: في خَلَدِي ونفسي، معناه أوحيَ إليَّ. وفي حديث آخر: «إنَّ في كلِّ أمَّةٍ مُرَوَّعين ومُحدَّثين» متفق عليه.

والمُرَوَّعُ: الملهم كأنه يُلقى في رُوعِه الصواب. ورُوي عن أبي خالد الوالِهي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله يقول: ابن آدم تفرَّغ لعبادتي، أملأ صدرك غنىً، وأسدُّ فقرك، وإلا تفعل ملأتُ يدك شغلاً، ولم أسدَّ فقرك»، أخرجه أحمد (٨٦٩٦)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وابن حبان (٣٩٣) وسنده محتمل للتحسين، وتمام تخريجه في «المسند».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أبالي على أيِّ حالٍ أصبحتُ على ما أحِبُّ أو على ما أكره، لأني لا أدري الخير فيما أحِبُّ أو فيما أكره.

باب
الاجتناب عن الشهوات

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتبعوا الشهوات فسوف يلقونَ غَيّاً﴾ [مريم: ٥٩].

فذكر سبحانه أنه ﴿خلف من بعدهم خَلْفٌ﴾ أي: قرونٌ أُخَر، ﴿أضاعوا الصلاة﴾ وإذا أضاعوها فهم لما سواها أضْيَعُ، لأنها عمادُ الدين وقِوامُه، وخيرُ أعمالِ العباد، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غياً، أي: خساراً يوم القيامة. أفاده ابن كثير في «التفسير» ٣/ ١٣٤.

٣٩٣٧- عَنْ أنَسٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢).

وهذا من بديعِ الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها النبيُّ ﷺ من التمثيل الحَسَنِ، والمعنى: لا يُوصلُ إلى الجنة إلّا بارتكاب المكاره، والنارِ بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجابَ وصل إلى المحجوب، فهتكُ حجابِ الجنةِ باقتحام المكاره، وهتكُ حجابِ النار بارتكابِ الشهوات. فأمّا المكارهُ، فيدخل فيها الاجتهادُ في العبادات والمواظبة عليها، والصبرُ على مشاقها، وكَظْمُ الغيظ، والعفو والحلم والصدقة، والصبر عن الشهوات. وأما الشهوات فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنى والغيبة ونحوه. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٨٢.

٣٩٣٨- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «دَعَا اللهُ جِبْرِيلَ، فَأرْسَلَهُ إلَى الجَنَّةِ، فقَالَ: انْظُرْ إلَيْهَا وَمَا أعْدَدْتُ لِأهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إلَيْهِ، فقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أحَدٌ إلَّا دَخلَها، قَالَ: فَحُجِبَتْ بِالمَكَارِهِ، فقَالَ لَهُ: ارْجِعْ فَانْظُرْ إلَيْهَا، فَرَجَعَ إلَيْهِ، فقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أنْ لَا يَدْخُلَهَا أحَدٌ، ثُمَّ أرْسَلَهُ إلَى النَّارِ، فقَالَ: اذْهَبْ إلَيْهَا، وَانْظُرْ مَا أعْدَدْتُ لِأهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إلَيْهِ، فقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَدْخُلُهَا أحَدٌ سَمِعَ بِهَا، فَحُجِبَتْ بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: عُدْ إلَيْهَا فَانْظُرْ، فَرَجَعَ إلَيْهِ، فقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أنْ لَا يَبْقَى أحَدٌ إلَّا دَخلَها».

إسناده حسن، أخرجه أحمد (٨٣٩٨)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي ٧/ ٣، وتمام تخريجه في «المسند».

وفي رواية الفوراني «فحُفَّتْ بالمكاره، فحُفَّتْ بالشهوات».

٣٩٣٩- عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ رسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الكَيِّسَ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَإِنَّ العَاجِزَ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ».

أخرجه أحمد (١٧١٢٣)، والترمذي (٢٤٦١) وغيرهما بسندٍ ضعيف.

قوله: «دانَ نفسه» أي: استعبدها وأذلَّها يُقال: دِنْتُ القوم أَدينُهم: إذا فعلت ذلك بهم، وقيل: دانَ نفسه، أي: حاسَب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسَب في القيامة.

قال عمر بن الخطَّاب: حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تحاسَبُوا، وزِنوا أنفسكم قبل أن تُوزَنوا، وتجهزوا للعَرْض الأكبرِ، وإنما يَخِفُّ الحسابُ يومئذٍ على مَن حاسبَ نفسه في الدنيا. وقال: كفى بالمرءِ سَرَفاً أن يأكل كلَّ ما اشتهى.

قال أبو حازمٍ: شيئان إذا عَمِلْتَ بهما، أصبتَ بهما خيرَ الدنيا والآخرة، قيل: ما هما؟ قال: تحمِل ما تكرَهُ إذا أحبه الله، وتترُك ما تحبُّ إذا كَرِه الله.

وقال ابن مسعود: الحقُّ ثقيلٌ مَرِيٌّ، والباطل خفيفٌ وبِيٌّ، ورُبَّ شهوةٍ ساعة أورثتْ حُزناً طويلاً، ويُروى مثله عن حذيفة بنِ اليمان.

قال أبو الدرداء: لولا ثلاثٌ، لصلحَ الناس: شحٌّ مَطاعٌ، وهوًى متَّبعٌ، وإعجاب المرء بنفسه.

قال ابن عبَّاس: ليأتينَّ على الناسِ زمانٌ يكون هِمَّةُ أحدهم فيه بطنه ودينه هواه.

٣٩٤٠- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ المُؤْمِنَ حَسَنَةً، يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي

الآخِرَةِ، قَالَ: وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُعَظَّمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهِ خَيْراً».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٠٨).

وقوله: «إنَّ الله لا يظلم» أي: لا يترك مجازاته بشيءٍ من حسناته. قال النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٦٥: أجمع العلماءُ على أنَّ الكافر الذي مات على كُفْرِه لا ثوابَ له في الآخرة، ولا يُجازى فيها بشيءٍ من عمله في الدنيا، متقرباً إلى الله تعالى. وصرَّح في هذا الحديثِ بأن يُطْعَمَ في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقرباً به إلى الله تعالى ممَّا لا يفتقر صحته إلى النية كصلة الرحم والصدقة والعِتْق والضيافة وتسهيل الخيرات.

٣٩٤١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: رُئِيَ النَّبيُّ ﷺ فِي مَوْضِعٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَخرجَكَ؟ قَالَ: «الجُوعُ» قَالَ: أَنَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ أَخْرَجَنِي الجُوعُ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذلِكَ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِعِذْقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: «مَا كُنَّا نَصْنَعُ بِهٰذَا كُلِّهِ» قَالَ: تَأْكُلُونَ مِنْ بُسْرِهِ وَرُطَبِهِ، قَالَ: فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا عَلَيْهِ المَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٠٣٨).

وفي الحديثِ من الفقه: ما كان عليه النبي ﷺ وكبارُ أصحابه من التقلُّل من الدنيا، مما ابتلوا به من الجوع وضيق العيش في بعض الأوقات.

وفيه: جوازُ ذِكر الإنسان ما يناله من ألمٍ ونحوه لا على سبيل التشكي وعدم الرضا، بل للتسلية والتصبر.

٣٩٤٢- عن الضحاك بن عبد الرحمٰن بن عَرْزَم (ويقال: ابن عرزب) الأشعري قال: سَمِعْتُ أبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ أوَّلَ مَا يُسْأَلُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ جِسْمَكَ، وَنُرْوِكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟».

أخرجه الترمذي (٣٣٥٨) بإسنادٍ صحيح.

باب

حفظ اللسان

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

أي: ما يتكلم بكلمةٍ إلَّا ولها من يرقبُها مُعَدٌّ لذلك يكتبها لا يترك كلمةً ولا حركة. وقد اختلف العلماءُ هل يكتب الملكُ كلَّ شيءٍ من الكلام؟ وهو قولُ الحسن وقتادة، أو إنَّما يكتبُ ما فيه ثوابٌ وعقاب كما هو قولُ ابن عباس رضي الله عنهما؟ على قولين، وظاهرُ الآية الأول لعمومِ قوله تبارك وتعالى. أفاده ابن كثير في «التفسير» ٤/ ٢٣٩.

وقد عقد الإمام الغزالي كتاباً عظيم النفع في «إحياء علوم الدين» ٣/ ١١٧ تكلَّم فيه عن آفاتِ اللسان، وما يجب على المسلم من حفظِه ومُراعاته.

٣٩٤٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلَا يُؤْذِيَنَّ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ». وفي رواية القاضي: «أو ليسكُتْ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ من التزم شرائع الإسلامِ لزمَهُ إكرامُ ضيفه وجاره وبِرُّهما، وأنه إذا أراد أن يتكلَّم فإن كان ما يتكلَّم به خيراً محقَّقاً يثابُ عليه فليتكلم. وإن لم يظهر له أنه خيرٌ يثابُ عليه، فليمسك عن الكلام. ففيه فضيلةُ الصمت والإمساك عما لا يعني. وقد ذكر الإمام الغزالي في «الإحياء» ٣/١٢١: أن فضيلة الصمت ناشئة من كثرةِ آفات اللسان من الخطأ والغيبة والنميمة والكذب والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل.

٣٩٤٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٤٧٤)، والترمذي (٢٤١٠).

قوله: «من يضمن» هو بمعنى الوفاء بترك المعصية: فأطلق الضمان وأراد لازمَه وهو أداءُ الحقِّ الذي عليه، والمعنى: مَنْ أدَّى الحقَّ الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عما لا يعنيه، وأدَّى الحقَّ الذي على فرجه من وَضْعِه في الحلال وكفِّه عن الحرام. وفيه دليلٌ: على أنَّ أعظمَ البلاءِ على المرءِ في الدنيا لسانه وفرجُه، فمن وقي شرهما وُقي أعظمَ الشرِّ.

٣٩٤٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه أحمد (٨٤١١)، والبخاري (٦٤٧٨).

٣٩٤٦- عَنْ بِلَالِ بْنِ الحَارِثِ المُزَنِيِّ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ وَمَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَمَا يَظُنُّ أَنَّها تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ».

حديث صحيح لغيره، أخرجه أحمد (١٥٨٥٢)، والترمذي (٢٣١٩)، وقال: حسن صحيح، وصححه ابن حبان (٢٨٠)، ويشهد له حديث أبي هريرة السابق، وانظر تمام تخريج الحديث والكلام عليه في «المسند».

٣٩٤٧- عن عَلقمة بن وقّاصٍ اللَّيْثي أنَّ بِلَالَ بْنَ الحَارِثِ المُزَنِيِّ قَالَ لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ تَدْخُلُ عَلى هَؤُلَاءِ الأُمَرَاءِ وَتَغْشَاهُمْ، فَانْظُرْ مَاذَا تُحَاضِرُهُمْ بِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنَ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا يَكْتُبُ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ».

فَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ: رُبَّ حَدِيثٍ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا سَمِعْتُ مِنْ بِلَالٍ.

هذا حديث صحيح، انظر ما قبله.

٣٩٤٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: أَظُنُّهُ رَفَعَهُ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ لِلِّسَانِ، وَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ، اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا».

أخرجه أحمد (١١٩٠٨)، والترمذي (٢٤٠٩)، وسندهُ حسن.

قوله: تُكفِّرُ، أي: تذِلُّ وتخضع.

٣٩٤٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ أُمَّتِي النَّارَ الأجْوَفَانِ: الفَرْجُ وَالفَمُ».

هذا حديث حسن، وأخرجه أحمد (٧٩٠٧)، وفي إسناده داود بن يزيد الأودي ضعيف، لكنه لم ينفرد به، فقد رواه الترمذي (٢٠٠٥) في البر والصلة عن أبي كريب، عن عبد الله بن إدريس، عن أبيه إدريس بن يزيد الأودي، عن جده، عن أبي هريرة وقال: هذا حديث صحيح غريب، ورواه ابن ماجه (٤٢٤٦) في الزهد، وصحَّحه ابن حبان (٤٧٦). وتمامُ تخريجه في «المسند».

٣٩٥٠- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهنِيِّ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَقُلْتُ: مَا النَّجَاةُ؟ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ على خَطِيئَتِكَ».

حديث حسن، أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (١٣٤)، وأخرجه أحمد ضمن (١٧٣٣٤)، والترمذي (٢٤٠٨)، وفي سنده علي بن يزيد ضعيف، لكن رواه أحمد (١٧٤٥٢) من طريق إسماعيل بن عياش عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي، عن ذروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر بأطول من هذا. وهذا إسناد قوي فإن إسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده، وهذا منها، وفروة بن مجاهد اللخمي روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: كانوا لا يشكون أنه من الإبدال.

قوله: «امْلِكْ عليك لسانك» يقول: لا تُجْرِهِ إلا بما يكون لك لا عليك.

٣٩٥١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا».

حديث حسن، أخرجه أحمد (٦٤٨١)، وانظر تمام تخريجه فيه.

وسببُ النجاةِ أنَّ الكلام لا بُدَّ منه في الخَير، فإن تطرَّق إلى الشر فالصمتُ أولى. فليس الكلامُ مأموراً به على الإطلاق، ولا السكوتُ كذلك، بل لا بُدَّ من الكلام بالخير، والسكوت عن الشر. أفاده الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ١/ ٣٤١.

ونقل عن محمد بن عجلان قال: إنما الكلامُ أربعة: أن تذكرَ الله، وتقرأ القرآن، وتُسْألَ عن علمٍ فتُخبر به، أو تكلَّم فيما يعنيك من أمْرِ دنياك.

٣٩٥٢- عَن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِمَنْ يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ».

أخرجه أحمد (٢٠٠٢١)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والدارمي ٢/ ٢٩٦ بسندٍ حسن.

وفي الحديثِ: وعيدٌ شديدٌ لكلِّ من ابتذل نَفْسَه فجعل منها مهرِّجاً لإضحاك الناس، وهو الأمرُ الذي استطار شرره في زماننا هذا تحت ستار الفنون والتمثيل.

٣٩٥٣- وعن أبي هريرة عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «كَفَى بِالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» (٥).

قال ابن مسعود: إنْ كان الشُّؤم في شيءٍ، ففيما بينَ اللَّحيين يعني اللسان وما شيءٌ أحوج إلى سجنٍ طويلٍ من اللسان.

وقال: أنذرِكم فضولَ الكلام، بحَسْبِ أحدِكم ما بلغَ حاجته، وقال: أكثرُ الناس خطأً يوم القيامة أكثرُهم خوضاً في الباطل.

وقال أبو الدَّرداء: لا خير في الحياة إلا لأحد رجُلين: صَموتٍ واعٍ، وناطقٍ عالم. وقال عبد الله بن مسعود: البلاء موكَّلٌ بالقول. وقال عبد الله ابن عمرٍو: الكلام بمنزلة العُطاس، قليله دواءٌ، وكثيره داءٌ.

باب

ترك الإنسان ما لا يعنيه

٣٩٥٤- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ مِنْ حُسْنِ إسْلَامِ المَرْءِ تَرْكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

حديث حسنٌ لغيره، وأخرجه الترمذي (٢٣١٨)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وفي سنده قرة بن عبد الرحمن بن حيوئيل، وثقه قوم، وضعفه آخرون، وقال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً جداً، وأرجو أنه لا بأس به، وقال ابن عبد البر: هذا الحديث محفوظ عن الزهري بهذا الإسناد من رواية الثقات، وهذا موافق لتحسين الإمام النووي رحمه الله له في «الأربعين». وصحَّحه ابن حبان (٢٢٩)، وانظر تمام تخريجه فيه.

٣٩٥٥- عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ حُسْنِ إسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

إسناده صحيح لكنه مرسلٌ، أخرجه مالك ٢/ ٤٧٠.

وقال قتادةُ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿والذين همْ عنِ اللَّغو مُعرضون﴾ [المؤمنون: ٣] قال: أتاهم والله من أمر الله ما وَقذَهم عن الباطل. قوله: وَقذَهم أي: سَكَّنهم، يقال: وقذَه الحِلْمُ: إذا سكَّنه، وقالت عائشةُ تصِف

أباها: وكان وقيذَ الجوانحِ، تريد: محزونَ القلبِ، كأن الحُزنَ قد ضَعَّفه وكسره.

وليس المراد: أنه يترك ما لا عنايةَ له ولا إرادة بحكم الهوى وطلبِ النَّفْس، بل بحكم الشَّرْع والإسلام، فإذا حَسُنَ إسلامُ المَرْءِ، ترك ما لا يعنيه في الإسلام من الأفعال، فإنَّ الإسلامَ يقتضي فِعْلَ الواجبات. . . ويقتضي ترك ما لا يعني من المحرَّمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يُحتاج إليها، فإن هذا كلّه لا يعني المسلمَ إذا كمل إسلامُه، أفاده ٱبن رجب في «جامع العلوم» ١/ ٢٨٨.

باب

الرِّياءِ والسمعة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [النساء: ٣٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أيْ: إلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللهِ. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠] قَالَ: أَصْحَابُ الرِّيَاءِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ﴾ [الروم: ٣٩]. قَالَ: مَا أَعْطَيْتُمْ مِنْ عَطِيَّةٍ لِتُثَابُوا عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا، فَلَيْسَ فِيهَا أَجْرٌ.

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١١] أيْ: لَا يَعْبُدْ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَا يَعْمَلْ عَمَلاً فِيهِ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ، وَلَا يَكْتَسِبِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ.

٣٩٥٦- عن سَلمةَ هو ابن كُهَيْلٍ قال: سَمِعْتُ جُنْدُباً يَقُولُ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

قوله: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به» يريد: مَنْ عمِلَ عملاً على غير إخلاصٍ، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه.

وقوله: «سَمَّع اللهُ به» يريد: يجازيه على ذلك بأن يَشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يُسِرُّهُ من ذلك.

٣٩٥٧- عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي العِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُون فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

محمود بن لبيد رأى النبي ﷺ وهو صغيرٌ.

أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، وإسناده قوي، وجوَّد إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب».

وفي الحديث من الفقه: التحذيرُ من الرياء، والحثُّ على الإخلاص، وهو كما قال الهروي في «منازل السائرين»: تصفيةُ العملِ من كلِّ شَوْب. وشرحه

ٱبن القيم في «مدارج السالكين» ٢/٩٣ بقوله: أي لا يمازجُ عملَه ما يشوبُه من شوائب إرادات النفس: إما طلبُ التزين في قلوب الخلق، وإما طلبُ مَدْحِهم، والهرب من ذمِّهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عَقْدُ متفرقاتها: إرادةُ ما سوى الله بعمله، كائناً مَنْ كان.

٣٩٥٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: إِنِّي أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرِيكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ هوَ لِلَّذِي عَمِلَهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، وٱبن ماجه (٤٢٠٢).

والمرادُ: أن عَمَلَ المرائي باطل لا ثوابَ فيه، ويأثم به. وقد تكلم الحافظ ٱبن رجب كلاماً نبيلاً جليلاً على أقسام الرياء في «جامع العلوم والحكم» ١/٧٩.

٣٩٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً، فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ».

وإسناده صحيح، وهو بمعنى ما قبله.

ويُـروى مرفوعاً «لا أجر لمن لا حِسْبَة له» ولا يصحُّ، والصواب أنه مرسلٌ من حديث القاسم بن عبد الرحمن، أخرجه ٱبن المبارك في «الزهد» (١٥٢).

وقال الحَسن: أعِزَّ أمرَ اللهِ، يُعِزَّكَ اللهُ.

٣٩٦٠- عن عمرو بن مُرَّةَ قال: حدثنا رجلٌ في بيتِ أبي عُبيدةَ أنه سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ

يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ أَسَامِعَ خَلْقِهِ وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ» فَذَرَفَتْ عَيْنَا ابْنِ عُمَرَ.

أخرجه أحمد (٦٥٠٩) بإسنادٍ صحيح، والرجل المبهم هو خيثمة بن عبدالرحمن كما ذكره الطبراني في «الكبير» فيما ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٢٢٢.

يقال: سمَّعتُ بالرجل تسميعاً: إذا شهرته.

وقوله: «أسامِعَ خَلقِه» هي جمع أسمع، يقال سمعٌ وأسمعٌ وأسامعُ جمعُ الجمعِ. يريد أن الله سبحانه وتعالى يُسمِّع أسماعَ خلقه به يوم القيامة، ويحتمل أن يكون أراد به أن الله سبحانه وتعالى يُظهِر للناس سريرته، ويملأ أسماعهم بما ينطوي عليه من خُبث السرائر جزاءً لفعله كما قال عليه السلام: «مَنْ تتبَّعَ عَوْرَاتِ المسلمين، تتبع الله عورته حتى يفضحه»، أحمد (١٩٧٧٦)، وأبو داود (٤٨٨٠) وغيرهما.

ويروى «سَمَّعَ اللهُ به سامِع خَلقِه» مرفوعاً، فيكون السامِعُ من نَعْتِ الله عز وجل يريد: سَمَّعَ الله الذي هو سامع خَلقهِ يعني: يفضحه الله.

قال أبو هريرة: تعوَّذوا بالله من خشوع النِّفاق، قيل: ما هو؟ قال: أنْ يُرى الجَسدُ خاشعاً، والقلب ليس بخاشعٍ.

بابُ

من عمل لله فحمد عليه

٣٩٦١- عن أبي عمران الجَوْنيِّ قال: سَمِعْتُ عَبْدَالله بْنَ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا رَسُولَ اللهِ الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ، وَيُحِبُّهُ النَّاسُ، قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ».

٣٩٦٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ للهِ يُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ ﷺ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٦٤٢)، وابن ماجه (٤٢٢٥).

ومعنى الحديث: أنَّ هذه البشرى معجَّلةٌ له بالخير، وهي دليلٌ على رضوان الله تعالى عليه، ومحبَّته له، فيُحبِّبه إلى الخلق، ثم يوضع له القَبولُ في الأرض، وهذا كلُّه إذا حَمِدَهُ الناسُ من غير تعرُّضٍ منه لحمدهم، وإلّا فالتعرض مذموم.

٣٩٦٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَا أَنَا فِي بَيْتِي فِي مُصَلَّايَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ، فَأَعْجَبَنِي الحالُ الَّتِي رَآنِي عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَكَ اللهُ أَبَا هُرَيْرَةَ لَكَ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ العَلَانِيَةِ».

في إسناده سعيد بن بشير ضعيفٌ يُعْتَبَرُ به، وقد تابعه حبيب بن أبي ثابت عند الترمذي (٢٣٨٤)، وابن ماجه (٤٢٢٦)، وابن حبان (٣٧٥).

وفسَّر بعضُ أهلِ العلم هذا الحديث، فقال: فأعجبه: معناه: أنْ يُعجِبه ثناءُ الناس عليه، كقول النبيِّ ﷺ فيما أخرجه مسلم (٩٤٩) «أنتم شهداء الله» أما إذا أعجبه ليُعلمَ منه الخيرُ ويُعظَّمَ عليه، فهو رياءٌ، وقيل: معناه: فأعجبه رجاءَ أن يعملَ من رآه بمثل عمله، فيكون له مثلُ أجره. هذا معنى قول عبد الرحمن بن مهدي قال: إنما يُسَرُّ ليستنَّ به مَنْ بعده. قال أبو عُبيدٍ: وليس للحديث عندي وجهٌ إلا ما قال عبد الرحمن، لأن الآثارَ كلَّها تُصدِّقه، من ذلك الحديث المرفوع: «مَنْ سَنَّ سُنةً حسنةً كان له أجر مَنْ عمِل بها»، أخرجه مسلم (١٠١٧) ومما يوضِحُ ذلك حديثٌ آخرُ: أنَّ رجلاً قام من الليل يصلِّي فرآه جارٌ له فقام يُصلِّي، فغُفِرَ للأوَّل.

باب
من يريد الدنيا بعمله

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حرْثَ الدُّنْيَا نؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخسُونَ أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ [هود: ١٥ و١٦] قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هٰذِهِ الآيَةِ: أَهْلُ الرِّيَاءِ أَهْلُ الرِّيَاءِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هٰذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران: ١١٧] قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ أَيْ: بَرْدٌ شَدِيدٌ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾ [القمر: ١٩] أَيْ: شَدِيدَةَ البَرْدِ.

٣٩٦٤- عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الآخِرَةِ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا، وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيَا، جَعَلَ اللهُ الفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَلَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ».

أخرجه الترمذي (٢٤٦٧) وفي إسناده يزيد الرقاشي ضعيف. ولكن للحديث شاهدٌ يتقوّى به من حديثِ زيد بن ثابت بنحوه، أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥)،

وأحمد (٢١٥٩٠) وسنده صحيح، وصحَّحه البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٣/ ٢٧١.

٣٩٦٥- عن شُفَيٍّ الأصْبَحِي: أنَّهُ دَخَلَ المدِينَةَ فإذَا هُوَ بِرَجُلٍ قدِ اجْتَمعَ عَلَيهِ النَّاسُ، فقَالَ: مَنْ هٰذَا؟ فقَالُوا: أبُو هُرَيْرَةَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكتَ وَخَلاَ، قُلْتُ لَهُ: نَشَدْتُكَ بِحقٍّ وَبِحقٍّ لَمَا حَدَّثْتني حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ فقَالَ أبُو هُرَيْرَةَ: أفْعلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمكَثَ قَلِيلاً، ثُمَّ أفَاقَ، فقَالَ: لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هٰذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى، فَمكَثَ كَذلِكَ، ثُمَّ أفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ فقَالَ: أفْعَلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنَا وَهُوَ فِي هٰذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارّاً على وَجْهِهِ، وَأسْنَدْتُهُ طَوِيلاً، ثُمَّ أفَاقَ، فقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أنَّ اللهَ تبَارَكَ وَتَعالَى إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِىءِ: ألَمْ أُعلِمكَ مَا أنْزَلْتُ عَلى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أرَدْتَ أنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: ألَمْ

أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وَأَتَصَدَّقُ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذٰلِكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ لَهُ؟ فِيمَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَمَرْتَ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذٰلِكَ» ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى رُكْبَتَيَّ، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولٰئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقٍ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

قَالَ الوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ أَنَّ شُفَيّاً هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهٰذَا، فَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي العَلاَءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ أَنَّهُ كَانَ سَيَّافاً لِمُعَاوِيَةَ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَحَدَّثَهُ بِهٰذَا الحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهٰؤُلاَءِ هٰذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيداً حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ جَاءَنَا هٰذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) بإسنادٍ حسن، وصحَّ من غير هذه الطريق عن أبي هريرة عند مسلم (١٩٠٥)، وأحمد ١٤/ ٢٩، وصحَّحه ابن حبان (٤٠٨).

قوله: نَشَغَ، النشغُ: الشهيقُ حتى يكادَ يَبْلُغُ به الغشيَ، يقال: نَشَغَ يَنْشَغُ نَشغاً، وإنما يفعله الإنسانُ شَوقاً إلى صاحبه، وأسفاً عليه.

وفي الحديثِ: دليلٌ على تغليظ تحريم الرِّياءِ وشدَّة عقوبته، وعلى الحثِّ على وجوبِ الإخلاصِ في الأعمالِ كما قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلّا ليعبدوا اللهَ مخلصين له الدين﴾ [البينة: ٥].

وفيه: أنَّ العموميات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كلُّه محمولٌ على مَنْ فعل ذلك لله تعالى مخلصاً. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٧/ ٥٩.

٣٩٦٦- عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هٰذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ».

انظر الحديث التالي.

٣٩٦٧- عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ».

أخرجه أحمد (٢١٢٢٢) بسندٍ قوي، وصححه ابن حبان (٤٠٥) وفيه تمام تخريجه.

وقال أبو الدَّرداء: إنَّ أخوف ما أخاف إذا وُقِفتُ على الحساب أن يُقال لي: قد عَلِمْتَ فما عملتَ فيما عِلِمْتَ؟

وقال: إنَّ من شرِّ الناس منزلةً عند الله يوم القيامة عالمٌ لا ينتفع بعلمه.

قال إسماعيل بن أبي أُوَيْس: سمعتُ خالي مالك بن أنس يقول: قال لي ربيعة الرأي قال: وكان أستاذَ مالكٍ: يا مالكُ مَنِ السَّفَلَةُ؟ قال: قلتُ: مَنْ

أكلَ بدينه، قال: فقال لي مَنْ سَفِلةُ السَّفلةِ؟ قال: قلت: مَنْ أصلحَ دنيا غيره بفساد دينه. قال: فصدَّرني.

بابُ

إماطة الأذى عن الطريق

قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أعْلاَهَا شَهَادَةُ أنْ لاَ إلهَ إلَّا اللهُ، وَأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ».

متفق عليه.

٣٩٦٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلى الطَّرِيقِ فأَخَّرَه، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغُفِرَ لَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٢٤٧٢)، ومسلم (١٩١٤).

وفيه: أنَّ قليل الخير قد يحصلُ به الأجر الكثير، وفضيلةُ إماطةِ الأذى عن الطريق.

٣٩٦٩- عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: دُلَّنِي عَلى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ قَالَ ﷺ: «أمِطِ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٦١٨).

بابُ

ثوابِ من عمل حسنةً أو همَّ بها

٣٩٧٠- عن همام بن مُنبِّهٍ قال: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ

حَسَنَةً، فَأنَا أكْتُبُهَا لَهُ حَسنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فإذا عَمِلَهَا، فَأنَا أكْتُبُ لَهُ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا، وَإذَا تَحَدَّثَ بِأنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأنَا أغْفِرُهَا مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإذَا عَمِلَهَا، فَأنَا أكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَتِ المَلائِكَةُ: يَا رَبِّ ذَاكَ عَبْدٌ يُرِيدُ أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإنْ عَمِلَهَا، فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإنْ تَرَكَهَا، فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إنَّهُ تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذَا أحْسَنَ أحَدُكُمْ إسْلامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا، تُكْتَبُ بِعَشْرَةِ أمْثَالِهَا إلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٧٠٥١)، ومسلم (١٢٩).

قوله: «إلى سبع مئة» هو من باب التكثير والتضعيف لا مِن باب حصرِ العدد، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنبتت سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سنبلة مئةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] وكذلك قولُه عز وجل: ﴿إنْ تَسْتَغْفِرْ لهم سَبْعِينَ مَرَّةً فلن يَغْفِرَ اللهُ لهم﴾ [التوبة: ٨٠] لم يُرِدْ أنه عليه السَّلامُ إنْ زاد على السبعين غفر لهم، ولكن معناه: فإن استكثرتَ مِن الدعاءِ للمنافقين والاستغفارِ لهم، لم يغفر الله لهم، والعرب تضع التسبيع موضعَ التضعيف، وإن جاوز السبع. حُكي أنَّ أعرابياً أعطاه رجلٌ درهماً، فقال: سَبَّع اللهُ له الأجرَ. أرادَ التضعيف.

٣٩٧١- عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَعْمَلُ الحَسَنَاتِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ

دِرْعٌ ضَيِّقَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ، ثُمَّ عَمِلَ أُخْرَى، فَانْفَكَّتْ أُخْرَى حَتَّى يَخْرُجَ».

إسناده حسن، أخرجه أحمد (١٧٣٠٧).

بابُ

التقوى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وَقَالَ عَطَاءٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ﴾ [الحج: ٣] قَالَ: المَعَاصِي. مَعْنَاهُ: وَمَنْ يُعَظِّمْ مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَجْتَنِبَهُ، وَقِيلَ: حُرُمَاتِ اللهِ، يَعْنِي: فُرُوضَهُ، وَالحُرْمَةُ: مَا وَجَبَ القِيَامُ بِهِ، وَحَرُمَ التَّفْرِيطُ فِيهِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] أَيْ: لَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَا يُعَدُّ لَكُمْ بِهِ ثَوَابُهُ إِلَّا التَّقْوَى.

وَقَالَ الحَسَنُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]. قَالَ: الحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا: العِلْمُ وَالعِبَادَةُ، وَالحَسَنَةُ فِي الآخِرَةِ: الجَنَّةُ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ. هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣] أَيْ: ذَوُو دَرَجَاتٍ، أَيْ: طَبَقَاتٍ فِي الفَضْلِ.

٣٩٧٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٥٦٤)، وابن ماجه (٤١٤٣) وغيرهما.

ورُوِيَ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «التقوى ها هنا» ويشير إلى صدره. أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

قال مُطرِّف بن عبد الله: ليعْظُمْ جلالُ الله في صدوركم، فلا تذكروه عندَ مثلِ قولِ أحدكم للكلب: اللهم أخزه، وللحمار والشاة. وقال: لأن أبيتَ نائماً، وأصبحَ نادماً أحبُّ إليَّ مِن أن أبيت قائماً وأصبحَ معجباً.

قال عمر بن عبد العزيز: التقيُّ مُلجَمٌ لا يفعل كُلَّ ما يريد.

بابُ

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧٢]. وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

واعلم أنَّ هذا الباب كما يقول الإمام الغزالي في «الإحياء» ٢/ ٣٣٣: هو القُطبُ الأعظمُ في الدين، وهو المهمُّ الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوِيَ بساطُه وأُهملَ عِلْمُه وعملُه لتعطّلت النبوة واضمحلَّت الديانة وعمَّت الفترةُ وفشت الضلالة. وقد عقد له الغزالي باباً عظيم النفع في «الإحياء» وأفرده بالتصنيف طائفة منهم: أبو بكر الخلال وعبد الرحمن بن أبي بكر بن

داود الدمشقي كلاهما من أعيان الحنابلة، وانظر «الآداب الشرعية» ١/ ١٧٩.
وللإمام العزّ ابن عبد السلام كلامٌ نفيس في كتابه «قواعد الأحكام».

٣٩٧٣- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الوَاقِعِ فِي حُدُودِ اللهِ وَالمُدَاهِنِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا فِي السَّفِينَةِ، فَاسْتَهَمُوا عَلَيْهَا، فَرَكِبَ قَوْمٌ عُلْوَهَا وَرَكِبَ قَوْمٌ سُفْلَهَا، وَكَانُوا إِذَا اسْتَقَوْا، آذَوْهُمْ وَأَصَابُوهُمْ بِالمَاءِ، فَقَالُوا: إِنكُمْ قَدْ آذَيْتُمُونَا مِمَّا تَمُرُّونَ عَلَيْنَا، فَأَعْطَوْا رَجُلاً فَأْساً، فَنَقَبَ عِنْدَهُمْ نَقْباً، قَالُوا: مَا هٰذَا الَّذِي تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: تَأَذَّيْتُمْ بِنَا، فَنَنْقُبُ عِنْدَنَا نَقْباً نَسْتَقِي مِنْهُ، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ، هَلَكُوا وأَهْلَكُوا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلى أَيْدِيهِمْ، نَجَوْا وَنَجَوْا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٦٨٦)، وأحمد (١٨٣٦١) وغيرهما.

قوله: «والمداهِن». والمداهَنة والإدْهان: المقاربة في الكلام والتليين، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ودُّوا لوْ تُدْهِنُ فيُدْهِنونَ﴾ [القلم: ٩] أي: تلينُ لهم فيلينون لك، وقال الحسن: لوْ تُصانِعُهم في دينك، فيُصانعون في دينهم، وقيل: لو تكفرُ فيكفرون، كما قال في موضعٍ آخر: ﴿ودُّوا لو تكفرون كما كفَرُوا﴾ [النساء: ٨٨] وقيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أفبهذا الحديثِ أنتم مُدهنون﴾ [الواقعة: ٨١] أي: كافرون.

والاستهام: الاقتراعُ. وفيه إثبات القُرْعَة في سُكنى السفينة ونحوها من المنازل التي ينزلها أبناءُ السبيل إذا جاؤوا معاً، فإن سبق واحدٌ، فهو أحقُّ.

وفيه أيضاً: استحقاقُ العقوبةِ بترك الأمرِ بالمعروف لقوله: «هلكوا وأهلكوا».

وفيه: تبيين العالِم الحكمَ بضَرْبِ المثل ووجوبُ الصبر على أذى الجارِ إذا خُشي وقوعُ ما هو أشدُّ ضرراً، وأنه ليس لصاحبِ السُّفْلِ أن يُحْدِثَ ما يضر بصاحبِ العُلْوِّ.

٣٩٧٤- عن الشعبي قال: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ عَلى المِنْبَرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَلى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قَوْماً رَكِبُوا البَحْرَ فِي سَفِينَةٍ، فَاقْتَسَمُوهَا، فَأَصَابَ كُلٌّ وَاحِدٍ مَكَاناً، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمُ الفَأْسَ، فَنَقَرَ مَكَانَهُ، فَقَالُوا: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: مَكَانِي أَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتُ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلى يَدَيْهِ، نَجَوْا وَنَجَا، وَإِنْ تَرَكُوهُ، غَرِقَ وَغَرِقُوا» فَخُذُوا عَلى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكُوا.

انظر ما قبله.

٣٩٧٥- عن قيس بن أبي حازمٍ قال: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هذِهِ الآيَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَراً، فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ».

إسناده صحيح، أخرجه أحمد (١)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والبزار (٦٥)، وصحَّحه ابن حبان (٣٠٤).

وروي عن عبد الله بنِ مسعود عن رسولِ الله ﷺ قال: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتم علماؤُهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم، فضربَ اللهُ قلوبَ بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى

ابن مريم. قال: فجلس النبي ﷺ وكان مُتَّكِئاً، فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تَأطِرُوهُم أطْراً» أي: تعطِفوهم عطفاً. وهذا حديثٌ ضعيفُ الإسناد لانقطاعه، فإن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود، وأخرجه أحمد (٣٧١٣)، والترمذي (٣٠٤٧) وغيرهما، وتمام تخريجه في «المسند».

٣٩٧٦- عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ، فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ».

حسن لغيره، أخرجه أحمد (٢٣٣٠١)، والترمذي (٢١٦٩) وفي سنده عبدالله بن عبدالرحمٰن الأنصاري الأشهلي لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وقال الترمذي: هٰذا حديث حسن، وله شاهد ضعيف من حديث عائشة عند ابن ماجه (٤٠٠٤).

وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تقتلوا إمامَكم، وتجتلِدُوا بأسيافكم، ويَرِثَ دنياكم شرارُكم» أخرجه أحمد (٢٣٣٠٢)، والترمذي (٢١٧١)، وابن ماجه (٤٠٤٣)، وقال الترمذي: حديث حسن!

وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ أسعدَ الناسِ بالدنيا لُكعُ بنُ لكع».

أخرجه أحمد (٢٣٣٠٣)، والترمذي (٢٢٠٩)، وابن ماجه (٤٠٤٣) وقال الترمذي: حديث حسن.

أراد: العبيدَ والسَّفِلة، ويقال للأمةِ: اللّكاع، كما يقال غُدَرٌ وغَدَارِ من الغَدْرِ.

٣٩٧٧- عن عدي بن عُميرة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ العَامَّةَ بِعَمَلِ الخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا المُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ،

وَهُمْ قَادِرُونَ عَلى أنْ يُنْكِرُوهُ، فَلاَ يُنْكِرُوهُ فَإذَا فَعَلُوا ذلِكَ، عَذَّبَ اللهُ العَامَّةَ وَالخَاصَّةَ».

حسن لغيره، أخرجه أحمد (١٧٧٢٠)، وابن المبارك في «الزهد» (١٣٥٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١٧٥) وفيه مجهول. وللحديث شواهد يتقوى بها، انظر ما في «المسند».

وقال علي بن أبي طالبٍ على المنبر: واللهِ لتجدُّنَّ في أمر الله، ولتقاتِلُنَّ على طاعة الله، أو ليسوسنَّكم أقوامٌ أنتم أقربُ إلى الحقِّ منهم، فليُعذِّبَنَّكم، ثم ليعذبنَّهم الله عز وجل.

٣٩٧٨- عن عمرو بنِ جارية اللَّخميِّ حَدَّثنَا أبُو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيُّ قَالَ: أتَيْتُ أبَا ثَعْلَبَةَ الخُشنِيَّ فَقُلْتُ: يَا أبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَصْنَعُ فِي هٰذِهِ الآيَةِ؟ قَالَ: أيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٨] فَقَالَ: أمَا وَاللهِ لَقَدْ سَألْتَ عَنْهَا خَبِيراً، سَألْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ حَتَّى إذَا رَأيْتَ شُحّاً مُطَاعاً، وَهوىً مُتَّبعاً، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأيْتَ أمْراً لَا بُدَّ لَك مِنْهُ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ، وَدَعْ أمْرَ العَوَامِّ، فَإنَّ وَرَاءَكُمْ أيَّامَ الصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ فِيهِنَّ، قَبَضَ عَلى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ» وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» يَقُولُ ابْنُ المُبَارَكِ: وَزَادَني غَيْرُهُ. قِيلَ: الشُّحُّ المُطَاعُ: هُوَ أنْ يُطِيعَهُ صَاحِبُهُ فِي مَنْعِ الحُقوقِ الَّتِي أوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْهِ.

أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١١٧١) و(١١٧٢)، وفي سنده: عمرو بن جارية وأبو أمية الشعباني لم يوثقهما غير ابن حبان. ولبعضه شواهدُ تقويه، منها ما أخرجه أحمد (٦٥٠٨)، والطحاوي في «شرح المشكل» ٣/ ٢٢٠، وأبو داود (٤٣٤٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا بقيت في حُثالةٍ من الناس؟» قال: قلت: يا رسول الله كيف ذلك؟ قال: «إذا مرجت عهودهم وأماناتهم وكانوا هكذا» وشبك أحد الرواة بين أصابعه يصف ذلك، قال: قلت: ما أصنع عند ذلك يا رسول الله؟ قال: «اتق الله عز وجل، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصتك، وإياك وعوامهم» وإسناده حسن، وصححه الحاكم ٤/ ٤٣٥ و٥٢٥، ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري والعراقي، وأخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة (٥٩٥٠).

ومنها ما أخرجه ابن نصر في «السنة» ص٩ من حديث عتبة بن غزوان أخبرني مازن بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال: «إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بل منكم» ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، وله شاهد من حديث ابن مسعود، أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٩٤).

وقد ذهب الطحاوي ٣/ ٢١٥ إلى ظاهرِ هذا الحديث، وأنَّ الآثار تحثُّ على الأمرِ والنهي حتى يكون الزمانُ الذي ينقطع ذلك فيه، وهو الزمانُ الذي وصفه رسولُ الله ﷺ في حديث أبي ثعلبة الذي لا منفعةَ فيه بأمرٍ بمعروفٍ، ولا بنَهْيٍ عن المنكر، ولا قوّةَ مع مَنْ ينكره على القيامِ بالواجب في ذلك فسقط الفرضُ عنه فيه، ويرجعُ أمرُهُ فيه إلى خاصةِ نَفْسِه، ولا يضره مع ذلك من ضَلَّ.

٣٩٧٩- عَنْ أَبِي البَخْتَرِيِّ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ».

أخرجه أحمد (١٨٢٨٩)، وأبو داود (٤٣٤٧) بسندٍ صحيح.

قوله: حتى «يَعذِروا» أي: يُكثِروا ذنوبهم، ويستوجبوا العقوبة، فيكون لمن يعذبهم العُذْر، يقال: أعذَرَ الرجل إعذاراً: إذا صار ذا عيْبٍ وفسادٍ، وقال بعضهم: عَذَرَ يَعذِرُ بمعناه، وهو كالحديث الآخر: «لن يهلِك على الله إلا هالك»، أخرجه مسلم (٢٠٨).

قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٨٥: ويقال في غير هذا المعنى: أعذَرْتُ في طلب الأمر: إذا بالغتَ فيه، وعذرْتُ: إذا قصَّرتَ ولم تبالغ، وأعذرت الغلامَ وعذَرْته لغتان، ومعناهما: الخِتان، وعذَرتُه: إذا غَمَزْتَ عَذْرَتَـهَ، وهي وَجعٌ في الحَلْقِ.

وعن أبي سعيد الخدريِّ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رأى منكم منكراً، فليغيرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يَستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، أخرجه مسلم (٤٩)، وأحمد (١١٠٧٣/أ)، وابن حبان (٣٠٦)، وبسط الكلام عليه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم» ٢/ ٢٤٣.

وقال ابن مسعود: جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا فبألسنتكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكْفَهِرُّوا في وجوهكم، فاكْفهِرُّوا.

قال بلال بن سعدٍ: إن المعصية إذا أخفِيتُ، لم تضرَّ إلا صاحبها، فإذا أُعلِنتْ، فلم تُغيَّرْ، ضرَّت العامَّةَ.

وقال سفيان عن منصور عن إبراهيم: كانوا إذا رأوا الرجل لا يحسِنُ الصلاة علّموه، قال سفيان: أخشى أن لا يَسعَهم إلا ذلك.

بابُ

وعيد من يأمر بالمعروف ولا يأتيه

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَاراً عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] أَيْ: لَسْتُ أَنْهَاكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَأَدْخُل فِيهِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ: العَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الكَلَامَ الطَّيِّبَ إِلَى اللهِ، فَإِذَا كَانَ كَلَامٌ طَيِّبٌ وَعَمَلٌ سَيِّءٌ، رُدَّ القَوْلُ عَلى العَمَلِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قَالَ: يَرْفَعُ اللهُ العَمَلَ الصَّالِحَ لِصَاحِبِهِ.

٣٩٨٠- عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قِيلَ لِأُسَامَةَ: لَوْ أَتَيْتَ فُلَاناً، فَكَلَّمْتَهُ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا سِمْعَكُمْ أَنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَاباً لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُول لِرَجُلٍ إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيراً: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ! مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

وقال شُعبةُ عن الأعمش: فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه.

قوله: «لا أكلِّمُهُ إلا سِمْعَكُمْ» أي: بحيث تسمعون بكسر السِّين.

قوله: «تندَلِقُ أقتابُه» أي: تَخرُج أمعاؤه. فالاندلاق: خروج الشيء من مكانه، وكل شيء بَدَرَ خارجاً، فقد اندلق، يقال: اندلق السيفُ من الغمد: إذا شقَّه فخرج منه، والأقتاب: الأمعاء، قاله الأصمعيُّ، واحدها: قِتبة، وقال الكسائي: واحدها قِتبٌ، وقال أبو عُبيدة: القتبُ ما تحوَّى في البطن يعني استدار وهي الحَوايا، فأما الأمعاء، فإنها الأقصاب، واحدها قُصبٌ. قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «رأيتُ عمرو بن عامر الخزاعيَّ يجرُّ قُصْبَه في النار، وكان أول من سيَّب السوائب» أخرجه البخاري (٣٥٢١).

وفي الحديثِ من الفقه: التحذيرُ والوعيدُ الشديد للمخالفة بين القَوْلِ والعمل.

وفيه كما قال النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٣٤٥: الأدبُ مع ولاةِ الأمرِ ووعظُهم سِرّاً، وتبليغهم ما يقول الناسُ فيهم، لينكفوا عنه، فإن لم يمكن الوعظُ سِرّاً والإنكار فليفعله علانيةً لئلاّ يضيعَ أَصْلُ الحقِّ.

٣٩٨١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَنْ هؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هؤلاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد (١٢٢١١)، وابن حبان (٥٣).

بابُ

وعيدِ الظالم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] وَقَالَ تبارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٤] أيْ: لَا تَمِيلُوا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٤] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾ الآية [النمل: ٥٠]. وَالمَكْرُ مِنَ اللهِ: هُوَ اسْتِدْرَاجُهُمْ مِنْ حَيثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوصَفُ بِالمَكْرِ، وَلَا يُوصَفُ بِالاحْتِيَالِ، لِأَنَّ المُحْتَالَ مَنْ يُقَلِّبُ الفِكْرَةَ ليَهْتَدِيَ إِلَى وَجْهِ مَا يُرِيدُ، وَالمَاكِرُ الَّذِي يَسْتَدْرِجُ، فَيَأْخُذُ مِنْ وَجْهِ غَفْلَةٍ مِنَ المُسْتَدْرَجِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. وَسُئِلَ ثَابِتٌ البُنَانِيُّ عَنِ الاسْتِدْرَاجِ؟ فَقَالَ: مَكْرُ اللهِ بِالعِبَادِ المُضَيِّعِينَ، وَقِيلَ: هُوَ الأَخْذُ على غِرَّةٍ. وَقَالَ سُفْيَانُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَالَ: يُسْبِغُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ، وَيَمْنَعُهُمُ الشُّكْرَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: كُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْباً أُحْدِثَتْ لَهُمْ نِعْمَةٌ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّماءِ﴾ [الكهف: ٣٥-٤١] أيْ: عَذَاباً، قَالَ الأَزْهَرِيُّ: الحُسْبَانُ المَرَامِيُّ الصِّغَارُ، شَبَّهَ مَا يُرْسِلُ اللهُ

عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاء مِنْ بَرَدٍ، أَوْ حِجَارَةٍ بِالحُسْبَانِ، وَقِسِيُّ الحُسْبَانِ مَعْرُوفَةٌ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠١] أَيْ: مِنْهَا بَادٍ يُرَى، وَحَصِيدٌ قَدْ ذَهَبَ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً﴾ أَيْ: حُصِدُوا بِالسَّيْفِ وَالمَوْتِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢] أَيْ: لَا أَنِيسَ فِيهَا، يُقَالُ: خَوَتِ الدَّارِ تَخْوِي خِوَايَةً وَخَوَاءً، وَخَوِيَ الرَّجُلُ، فَهُوَ خَوٍ: إِذَا خَلَا جَوْفُهُ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٧] هِيَ الَّتِي انْقَلَعَتْ مِنْ أُصولِهَا، فَخَوَى مِنْهَا مَكَانُهَا، أَيْ: خَلَا، وَالخَوَاءُ: المَكَانُ الخَالِي، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥] أَيْ: اسْتَأْصَلَ اللهُ شَأْفَتَهُمْ، وَدَابِرُهُمْ: أَصْلُهُمْ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٨] أَيْ: مَا أَصَابَكَ مِنْ أَمْرٍ يَسُوؤُكَ فَمِنْ ذَنْبٍ أَذْنَبَتْهُ نَفْسُكَ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدّاً﴾ [مريم: ٧٥]. لَفْظُهُ أَمْرٌ، وَمَعْنَاهُ الخَبرُ، وَتَأْوِيلُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ جَزَاءَ ضَلَالَتِهِ أَنْ يَمُدَّهُ فِيهَا، وَإِذَا جَاءَ الخَبَرُ فِي لَفْظِ الأَمْرِ كَانَ أَوْكَدَ وَأَلْزَمَ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ٩٩] أَيْ: لَمْ نُبَيِّنْ

لَهُمْ وِرَاثَتَهُمُ الأَرْضَ عَنِ القَوْمِ المُهْلَكِينَ إنَّا لَوْ نَشَاءُ، أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مَنْ وَرِثُوا أَرْضَهُ.

٣٩٨٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

قال ابن الجوزي رحمه الله: الظلم يشتمل على معصيتين: أخْذُ مال الغير بغير حقٍّ، ومبارزةُ الربِّ بالمخالفة. والمعصيةُ فيه أشدُّ من غيرها، لأنه لا يقع غالباً إلّا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنَّما ينشأ الظلم عن ظلمةِ القلب، لأنه لو استنار بنورِ الهدى لاعْتَبَرَ، فإذا سعى المتَّقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى، اكتنفت ظلماتُ الظلمِ الظالمَ حيث لا يُغني عنه ظُلْمُه شيئاً. نقله الحافظ في «الفتح» ٥/ ١٠٠.

٣٩٨٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلى أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

قيل: الشُّحُّ: هو الحِرْصُ الشديدُ الذي يحمله على ارتكاب المحارم من سَفْك الدماء، وأكل الرِّبا، وأخْذِ الحرام، وإتيانِ الفواحش كما جاء في الحديث «حَمَلَهم على أن يسفِكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم».

وعن عبد الله بن عمرو أنَّ النبي ﷺ قال: «إيَّاكم والشُحّ، فإنه أهلك مَن كان قبلكم، أمرهم بالبُخل فبخلوا، وأمرهم بالفُجور ففجروا»، أخرجه أبو داود (١٦٩٨)، والحاكم ١/ ١١ بسندٍ صحيح.

وجاء رجلٌ إلى عبد الله بن مسعود فقال: إني أخاف أنْ أكونَ قد أُهلِكْتُ، فقال: ما ذاك؟ قال: أسمعُ اللهَ يقول: ﴿وَمَنْ يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩] وأنا رجل شحيحٌ لا يكاد أن يخرج من يدي شيءٌ، فقال عبد الله: ليس ذلك بالشُحّ الذي ذكر اللهُ، إنما الشُحُّ أن تأكل مالَ أخيك ظُلماً، ولكن ذاك البخل، وبئس الشيء البُخل.

وقال سعيدُ بنُ جُبير: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه﴾ قال: الشُحَّ إدخالُ الحرام، ومنعُ الزكاة.

٣٩٨٤- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ الظَّالِمَ، فَإِذَا أَخَذَهُ، لَمْ يُفْتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٦٨٦) عن صدقة بن الفضل، وأخرجه مسلم (٢٥٨٣) عن محمد بن عبد الله بن نُمَيرٍ، كلاهما عن أبي معاوية، وقالا: «لمْ يُفْلِته» أي: لمْ ينفلِت منه.

٣٩٨٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ عِرْضٍ أَوْ مَالٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ تُؤْخَذَ مِنْهُ يَوْمَ لَا دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

قوله: «فليتحلَّلْهُ» أي: ليسأله أن يجعله في حلٍّ من قِبَلِه، يقال: تحلَّلتُه واستحللتُه: إذا سألتَه أن يجعلك في حِلٍّ، ومعناه: أن يَقطع دعواه ويترك مَظلمته، فإن ما حَرَّمه الله من الغيبة لا يمكن تحليله، وإذا تحلَّل المال، فإنما يَصحُّ إذا كان معلوماً، وكان دَيناً أو مَنفعةَ عَينٍ استوفاها غصباً، فإنْ كانت

العين التي غصبها قائمةً، فلا يَصحُّ منها التحلُّلُ إلا بهِبةٍ وقبولٍ، وقال بعض أهل العلم: إذا اغتاب رجلاً، فإنْ بلغه، فلا بدَّ من أن يستحِله، وإن لم يبلغه، فإنه يستغفرُ الله له، ولا يخبِره.

٣٩٨٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ وَلَا مَتَاعَ لَهُ، قَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هٰذَا، وَقَذَفَ هٰذَا، وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا، وَضَرَبَ هٰذَا، فَيُقْضَى هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ».

أخرجه مسلم (٢٥٨١).

والجَلْحاء: هي التي لا قَرْنَ لها.

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ الخاسرَ هو مَنْ كان مصيره إلى النار، وأنَّ موازين الدنيا لا اعتبارَ لها في مقامات الناس. وفيه تصريحٌ بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها كما يعاد أهلُ التكليفِ من الآدميين، وكما يُعاد الأطفال والمجانين، ومَنْ لم تبلغه دعوةٌ، وعلى هذا تظاهرت دلائلُ القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿وإذا الوحوشُ حُشِرَت﴾ [التكوير: ٥]، وإذا ورد لفظٌ في الشرع، ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقلٌ ولا شرع، وَجَبَ حملُه على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الحشرِ والإعادة في القيامة المجازاةُ

والعقابُ والثواب، وأما القصاص من القَرْناءِ للجَلْحاءِ فليس هو من قصاص التكليف، إذْ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٨/ ٣٨٠-٣٨١.

٣٩٨٧- عن الزهريِّ، أخبرني سالم بن عبد الله عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا مَرَّ بِالحِجْرِ قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أصابَهُمْ» قَالَ: وَتَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحلِ.

هـذا حـديـثٌ متفـقٌ علـى صِحَّتـه، أخـرجـه البخـاري (٣٣٨٠)، ومسلـم (٢٩٨٠).

وقال عبد الرزاق عن مَعمرٍ: ثم قنَّع رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

قولُه: «أنْ يُصيبكم» أي: حَذَراً أن يُصيبكم كقولك: لا تقرب الأسد أنْ يفترسك، أي: حذراً أن يفترسك.

٣٩٨٨- عن عبد الله بن دينارٍ أنه سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِ الحِجْرِ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤلَاءِ القَوْمِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أصابَهُمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه ابن حبان (٦٢٠٠) وفيه تمامُ تخريجه.

قال الخطابيُّ: معناه أنَّ الداخلَ في دار قومٍ أهلِكوا بخسفٍ أو عذابٍ إذا لم يكن باكياً إمَّا شفقةً عليهم، وإما خوفاً من حلول مثلِها به، كان قاسي القلب، قليلَ الخشوع، فلا يأمن إذا كان هكذا أن يصيبه ما أصابهم.

وفيه دليلٌ أنَّ ديار هؤلاء لا يُتخذ مسكناً ووطناً، لأنه لا يكون دهره باكياً أبداً، وقد نَهى أن يدخلها إلا هكذا.

٣٩٨٩- عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَلَّا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا، وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ العَجِينَ، ويُهَرِيقُوا ما اسْتَقَوْا مِنْ بِئَارِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، متفقٌ عليه، أخرجه البخاري (٢٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١).

قال مَعمرٌ عن الحسن وقتادةَ قالا: الظلم ثلاثةٌ: ظلمٌ لا يُغفر، وظلمٌ لا يُترك، وظلمٌ يُغفر، فأما الظلم الذي لا يُغفر، فالشِّرك بالله عز وجل، وأما الظلم الذي لا يُترك، فظلمُ الناس بعضهم بعضاً، وأما الظلمُ الذي يُغفر، فظلمُ العبد نفسه فيما بينه وبين ربه عزَّ وجلَّ.

قال الأعمش: ذُكِرَ عند إبراهيم الرجلُ السوءُ يُعطي المال، ويصنع المعروف؟ قال: إنه يُدفع عنه، ويُرزق به.

بابُ

البكاءِ من خشية الله تعالى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٩]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ: رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

متفق عليه.

ولابن أبي الدنيا كتابُ «الرقة والبكاء» ولابن قدامة المقدسي وهما مطبوعان.

٣٩٩٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخِرَيْ مُسْلِمٍ أَبَداً».

هذا حديث صحيح، ورواه أحمد (١٠٥٦٠)، والترمذي (١٦٣٣)، والنسائي ٦/ ١٢، والحاكم ٤/ ٢٦٠، وفي سنده عبد الرحمن المسعودي صدوق إلا أنه اختلط قبل موته، وقد رواه النسائي ٦/ ١٢، وابن ماجه (٢٧٧٤) من طريق آخر، وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٤٦٠٧)، وله طريق ثالث بنحوه عند النسائي، وإسناده حسن، وصححه ابن حبان (٤٦٠٦)، وللترمذي (١٦٣٩) من حديث ابن عباس مرفوعاً: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» وفي سنده ضعف، وله شاهد من حديث أنس، أخرجه أبو يعلى بسند قال فيه المنذري: رجاله ثقات.

وفي الحديث «عَجِب ربكم من إِلِّكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» يُروى هذا من إِلِّكُمْ بكسر الهمزة، قال أبو عُبيدٍ: إني أحسِبُها من أَلِّكُمْ بالفتح وهو أشبه بالمصادر، ويقال: ألَّ يؤلُّ ألّاً وأللاً وأَليلاً وهو أن يرفع الرجل صوته بالدعاء والبكاء ويَجأر فيه.

بابُ

الخوف من الله عز وجل

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٢].

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يُعْطُونَ مَا أَعْطَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَ: يَخْشَوْنَ المَوْقِفَ، وَيَعْلَمُونَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ الحِسَابِ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] أَيْ: أَمِنُوا فِيهِ مِنَ العَذَابِ وَالغِيَرِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً﴾ [نوح: ١٣] أَيْ: لَا تَخَافُونَ للهِ عَظَمَةً.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ٧] أَيْ: لَا يَخَافُونَ، وَكُلُّ رَاجٍ مُؤَمِّلٌ مَا يَرْجُوهُ وَخَائِفٌ فَوْتَهُ، فَلِلرَّاجِي هَاتَانِ الحَالَتَانِ، فَإِذَا انْفَرَدَ بِالخَوْفِ أُتْبِعَ بِحَرْفِ النَّفْيِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١] وَالإِنْذَارُ: الإِعْلَامُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُحْذَرُ مِنْهُ، وَكُلُّ مُنْذِرٍ مُعْلِمٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُعْلِمٍ مُنْذِراً.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ مَنْ يَهُمُّ بِالمَعْصِيَةِ، فَيَذْكُرُ اللهَ فَيَتْرُكُهَا. قَالَ سُفْيَانُ: مَا فِي القُرْآنِ آيَةٌ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ ﴿لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٧١].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي صِفَةِ الأَنْبِيَاءِ: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ﴾ [التوبة: ١١٥] وَهُوَ كَثِيرُ التَّأَوُّهِ خَوْفاً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي صِفَةِ المَلائِكَةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهوَ شَدِيدُ المِحَالِ﴾ [الرعد: ١٤] أيْ: النِّقْمَةِ، وَقِيلَ: أيْ القُوَّةِ وَالشِّدَّةِ، وَقِيلَ: شَدِيدُ العُقُوبَةِ وَالمَكْرِ، وَقِيلَ: هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ العَرَبِ مَحَلَ فُلَانٌ بِفلانٍ: إذَا سَعَى بِهِ إلَى السُّلْطَانِ، وَعَرَّضَهُ لِمَا يُهْلِكُهُ.

٣٩٩١- عن هَمَّام بن مُنبِّهٍ قال: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٦٣١).

٣٩٩٢- عن موسى بن أنسٍ قال: سَمِعْتُ أَنَساً أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٨٦)، ومسلم (٢٣٥٩).

والمراد بالعلم هنا: ما يتعلق بعظمة الله تعالى وانتقامِه ممَّن يعصيه، والأهوال التي تَقَعُ عند النَّزْعِ والمَوْتِ وفي القبر ويومَ القيامة. وعن الحسن البصري قال: مَنْ علم أنَّ الموتَ موردُه، والقيامة موعده، والوقوف بين يدي الله تعالى مَشْهده، محقُّه أن يطولَ في الدنيا حزنه. ذكره الحافظ في «الفتح» ١١/ ٣٢٧.

٣٩٩٣- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ. أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا فِيهَا أَرْبَعُ أَصَابعَ إلَّا وَمَلَكٌ يمَجِّدُ اللهَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا

أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءَ عَلى الفُرُشَاتِ وَلَصَعَدْتُمْ إلى الصُعُدات تَجْأرُونَ: رَبَّنَا» قَالَ أَبُو ذرٍّ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ.

قال الترمذي: هذا حديث حسنٌ غريبٌ، وأخرجه (٢٣١٢) عن أحمد ابن مَنيعٍ، عن أبي أحمد الزُّبيريِّ، عن إسرائيل، وقال: «إلا وملكٌ واضعٌ جبهته ساجداً لله تعالى» وأخرجه أحمد (٢١٥١٦)، وابن ماجه (٤١٩٠). وهو حديث حسن بشواهده، وانظر تمام تخريجه وشواهده في «المسند».

قوله: «أطَّت» هو من الأطيط، وهو صوتُ اضطرابِ الرَّحْلِ إذا كان عليه ثِقَل، قال السندي في حاشية «سنن ابن ماجه» ٥٤٧/٢: هذا مَثَلٌ لكثرة الملائكة وهو كلامُ تقريبٍ أُريدَ به تقريرُ عظمة الله تعالى.

و«الصُّعُدات»: بالضم: الطرقُ. وقوله: «تجأرون» أي: تستغيثون.

٣٩٩٤- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أدْلَجَ، وَمَنْ أدْلَج، بَلَغَ المَنْزِلَ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ ألا إنَّ سلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ».

أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، والحاكم ٣٠٧/٤ وفيه يزيد بن سنان وهو ضعيف، لكن له شاهد حسن عند الحاكم ٣٠٨/٤ من حديث أبي بن كعب يتقوى به.

والدُّلجةُ والدَّلجُ: سير الليل، يقال: أدلج: إذا سار آخره.

٣٩٩٥- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الجَنَّةُ أقْرَبُ إلَى أحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلِكَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٣٦٦٧)، والبخاري (٦٤٨٨) وتمام تخريجه في «المسند».

وشراك النعل: هو أحدُ سيورِ النعل، ومعنى الحديث: أنَّ استحقاق كلّ من الجنة والنار يحصلُ بأدنى شيءٍ من قولٍ أو فعل لا يُبالي به صاحبُه. وقد يكون بياناً لقُرْبِ الموت الموصل لصاحب الجنة إليها، ولصاحب النار إليها.

٣٩٩٦- عن يحيى بن عُبيد الله قال: سمعت أبي يقول: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا».

أخرجه الترمذي (٢٦٠٤)، وقال: هذا حديثٌ إنما نعرفُه من حديث يحيى ابن عبيد الله، ويحيى بن عبيد الله ضعيفٌ عند أكثر أهل الحديث. وفي الباب عن أنس عند الطبراني في «الأوسط» (١٦٦٠).

٣٩٩٧- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شِبْتَ قَالَ ﷺ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالوَاقِعَةُ وَالمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».

هذا حديثٌ حسن الإسناد، أخرجه الترمذي (٣٢٩٧)، والحاكم ٢/٣٤٣.

وفي بعض الأحاديث: كان داود صلوات الله عليه إذا ذكر عقابَ الله تخلعت أوصاله، لا يشُدَّها إلا الأسْرُ أي: العصبُ والشدُّ.

قال عبد الله بن عامر بن ربيعة: رأيتُ عمر بن الخطاب أخذ تبنةً من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكن شيئاً ليتَ أمي لم تلِدني، ليتني كنتُ نسياً مَنسياً.

وقال ابن عمر: كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضعْ رأسي، قال: فوضعته على الأرض، فقال: وَيْلي ووَيْلُ أمي إن لم يرحمني ربي.

وقال المِسوَرُ بن مَخرَمَة: لمَّا طُعِنَ عمر قال: لو أنَّ لي طِلاعَ الأرض ذهباً، لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.

وبكى أبو هريرة في مرضه، فقيل له: ما يُبكيكَ؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعدِ سَفري وقلة زادي، وأني أمسيتُ في صعودٍ على جنةٍ أو نارٍ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي.

وقال عبد الله بن مسعود: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه جالسٌ في أصل جبلٍ يخشى أن ينقلِب عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا.

قال الحسن: ما عُبِدَ الله بمثل طول الحُزن، وقال: ما خافه إلا مؤمنٌ، ولا أمِنه إلا منافقٌ.

وقال الحسن: لقد مضى بين أيديكم أقوامٌ لو أنَّ أحدهم أنفق عدد هذا الحصى، لخشي أن لا ينجوَ من عظم ذلك اليوم.

وقال أبو أيوب الأنصاريُّ: إن الرجل ليعمل المحقِّرات حتى يأتي اللهَ وقد أَحَطْنَ به، وإن الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها حتى يأتي اللهَ آمناً.

وقال أبو حازم: إن الرجل ليعمل السيئة إنْ عمِل حسنةً قطُّ أنفع له منها، وإنه ليعمل الحسنة إن عمل سيئةً قطُّ أضرَّ عليه منها.

وكان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجلٌ: لِمَ تقنِّط الناس؟ قال: وأنا أَقْدِر أن أقنِّط النَّاسَ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يا عِبادِيَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر: ٥٣] ويقول: ﴿وأن المسرفين هم

أصحاب النار﴾ [غافر: ٤٣] ولكنَّكم تحِبُّون أن تبشّروا بالجنة على مساوىء أعمالكم، وإنما بَعث الله تعالى محمداً ﷺ مبشِّراً بالجنة لمن أطاعه، ومُنذِراً بالنار لمن عصاه.

بابُ

الرجاءِ وَسَعةِ رحمةِ الله عز وجل

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ [غافر: ٧] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَإِنْ عُصِيتُ، فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ».

وهو في «صحيح مسلم» (٢٨٧٧).

وَقَالَ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».

أخرجه الشيخان.

٣٩٩٨- عن همّام بن مُنبّهٍ قال: حدثنا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ كِتَاباً فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته.

قوله: «لمَّا قضى الله الخَلْقَ» أي: خلقهم، كقوله سبحانه وتعالى ﴿فقضاهنَّ سَبع سماواتٍ﴾ [فصلت: ١٢] أي: خلقهنَّ.

٣٩٩٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ كِتَاباً، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحَّتِه، أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

قال أبو سليمان الخطابي في معنى الحديث: القول فيه - والله أعلم - أنه أراد بالكتاب أحد شيئين، إما القضاء الذي قضاه وأوجبه، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿كتب اللهُ لأغلبنَّ أنا ورُسلي﴾ [المجادلة: ٢١] أي: قضى الله، ويكون معنى قوله: «فهو عنده فوق العرش» أي: فعِلمُ ذلك عند الله فوق العرش لا ينساه ولا ينسخه ولا يُبدِّله، كقوله عز وجل: ﴿ قال عِلْمها عند ربي في كتابٍ لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢] وإما أن يكون أراد بالكتاب: اللوحَ المحفوظَ الذي فيه ذِكرُ الخلق، وبيانُ أمورهم، وذِكرُ آجالهم وأرزاقهم، والأقضِيةِ النافذة فيهم، ومآل عواقب أمورهم.

ومعنى قوله: «فهو عنده» أي: فذكرُه عنده فوق العرش.

قال الإمام البغوي: الأوْلى فيه بالمرء وفي أمثالها إمرارُها على ظاهرها كما جاء من غير أن يتصرَّف فيها. وهو الذي فاءَ إليه الخطابي رحمه الله كما ذكره ابن رجب في «فتح الباري» ٧/ ٢٣٣.

٤٠٠٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ، وَاحِدَةٌ بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا يَتَعَاطَفُ الوُحُوشُ عَلَى أَوْلَادِهَا، وَأَخَّرَ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

وفي الحديث: بشارةٌ عظيمةٌ للمسلمين، لأنه إذا حصل للإنسان من رحمةٍ واحدةٍ في هذه الدار المبنية على الأكدار - بالإسلام والقرآن والصلاة وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به عليه، فكيف الظنُّ بمئة رحمةٍ في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء.

٤٠٠١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، وَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤٦٩).

وفحوى الحديث: أنَّ المكلَّفَ ينبغي له أن يكون بين الرجاء والخوف، حتى لا يكون مُفرِطاً في الرجاءِ بحيث يصير من المرجئة القائلين: لا يضرُّ مع الإيمان شيءٌ. ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحبه الكبيرة إذا مات عن غير توبةٍ في النار، بل يكون وسطاً بينهما كما قال تعالى: ﴿يرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧] ومن تتبَّع دينَ الإسلام وجد قواعده أصولاً وفروعاً كلها في جانب الوسط. أفاده الحافظ في «الفتح» ١١/ ٣٠٩.

٤٠٠٢- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيّاً فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا، وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرَوْنَ هٰذِهِ

طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلى أنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «اللهُ أرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هٰذِهِ بِوَلَدِهَا».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

٤٠٠٣- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أصَابَ فِي الدُّنْيَا ذَنْباً، فَعُوقِبَ بِهِ، فَاللهُ أعْدَلُ مِنْ أنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ، وَمَنْ أذْنَبَ ذَنْباً، فَسَتَرَهُ اللهُ، فَاللهُ أكْرَمُ مِنْ أنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ».

إسناده حسن، أخرجه أحمد (٧٧٥)، وابن ماجه (٢٦٠٤)، والترمذي (٢٦٢٦) وتمام تخريجه في «المسند».

٤٠٠٤- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ قَطُّ خَيْراً لِأهْلِهِ: إذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ، لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لَا يُعَذِّبُهُ أحَداً مِنَ العَالَمِينَ، قَالَ: فَلَما مَاتَ، فَعَلُوا مَا أمَرَهُمْ، فَأمَرَ اللهُ البَحْرَ، فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وأَمَرَ البَرَّ، فَجَمَعَ ما فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ هٰذَا، فَقَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ وَأنْتَ أعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٤٨١)، وأخرجه مسلم (٢٧٥٦) عن محمد بن مرزوق، عن روح، كلاهما عن مالك، وفي رواية: «لم يبتئر خيراً قطُّ» يعني: لم يقدِّم خيراً، ولم يَدَّخر، يقال: بأرت الشيء وابتأرتُه: إذا خبأته وادَّخرته.

ورواه أبو سعيد الخدري، عن النبي ﷺ «أنَّ رجلاً كان قبلكم رَغسهُ الله مالاً، فقال لبنيه لما حُضِر». أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٧).

قوله: رَغَسَهُ، أي: أكثر له منه، وبارك له فيه، ورجلٌ مرغوسٌ، أي: كثير الخير، ورواه حذيفة وعُقبة بن عمرٍو وقال: كان نبّاشاً.

٤٠٠٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ قَالَ: «أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ، أَوْصَى بَنِيهِ، فَقَالَ: إِذَا مِتُّ، فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي البَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذاباً مَا عَذَّبَهُ أَحداً، فَقَالَ: فَفَعَلُوا بِهِ ذلِكَ، فَقَالَ اللهُ لِلأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ، أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ بِذٰلكَ» قَالَ - أي الزهري ـ: وَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ» قَالَ الزُّهْرِيُّ: ذٰلِكَ لِئلاَّ يَتَّكِلَ أَحدٌ، وَلاَ يَيْأَسَ أَحدٌ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٤٨١، ٣٤٨٢)، ومسلم (٢٧٥٦) (٢٥).

قيل في قوله: «لئن قدرَ علي ربي» معناه: قدَّر بالتشديد من التقدير لا من القدرة، ومثله قوله سبحانه وتعالى في قصة يونس: ﴿فظنَّ أن لن نَقْدِرَ عليه﴾ [الأنبياء: ٨٧] قيل: هو من التقدير، أي: لن نقدِّر عليه بلاءً وعقوبةً، وهو ما قدَّر من كونه في بطن الحوت، يقال: قدَر وقدَّر بمعنى واحد، وليس من القدرة، وقيل: معناه: فظنَّ أن لن نضيِّق عليه من قوله سبحانه وتعالى: ﴿فقدَر عليه رزقه﴾ [الفجر: ١٦] أي: فضيَّق.

وفي بعض الروايات: «فاذروني في الريح فلعلي أَضِلُّ الله فلعلي أفوته» يقال: ضَلَّ الشيءُ: إذا فات، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿في كتابٍ لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢] أي: لا يفوته، وقيل: معناه لعلَّ موضعي يخفى عليه.

فإن قيل: كيف غفر له وهو منكِرٌ للبعث؟ قلنا: لم يكن منكراً للبعث ولكن كان يفعله من خَشْيةِ البعث، ولكنه كان جاهلاً ظنَّ أنه إذا فعل ذلك، تُرِك، فلم يُنشر، ولم يُعذَّب، أو ظنَّ أنَّ هذه الحيلة تُنجيه مما يخافه. وانظر بَسْطَ الكلام عليه في «شرح مسلم» للنووي ٩/ ٨٥.

و«خَشاشُ الأرض»: دوابُّها وهي الحشراتُ. وقد دلَّ الحديثان على عظيم فقه الإمام الزهري فإنه لما ذكر الحديث الأول خاف أن يتكل سامعُه على ما فيه من سَعَةِ الرحمة، وعِظَم الرجاء، فضمَّ إليه حديث الهرة الذي فيه التخويف ضد ذلك؛ ليجتمع الخوفُ والرجاء في قلب العبد.

٤٠٠٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَاناً، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِباً فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: أَلَهُ تَوْبَةٌ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، وَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ العَذَابِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هٰذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى إِلَى هٰذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هٰذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغَفَرَ لَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

وفي الحديث دليلٌ على صحَّة توبة القاتل، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يمنع من ذلك زَجْراً عن القتل، والجمهور على خلافه.

وفيه: استحبابُ مفارقة التائب للمواضع التي أصابَ فيها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على ذلك، وأن يستبدل بهم صحبةَ أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين ومَنْ يُقْتدى بهم. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٩٧.

٤٠٠٧- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً وَلَا يُبَالِي».

أخرجه الترمذي (٣٢٣٧) وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي.

٤٠٠٨- عن ضَمْضَم بْن جَوْسٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ المَدِينَةِ، فَنَادَانِي شَيْخٌ، فَقَالَ: يَا يمامِيُّ تَعَالَ وَمَا أعْرِفُهُ، فَقَالَ: لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللهِ لَا يَغفِرُ اللهُ لَكَ أبداً، وَلَا يُدْخِلُكَ اللهُ الجَنَّةَ، قُلْتُ: وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ هٰذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذَا غَضِبَ، أَوْ لِزَوْجَتِهِ، أَوْ لِخَادِمِهِ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيل مُتَحَابَّيْنِ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي العِبَادَةِ، وَالآخَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُولُ خَلِّنِي وَرَبِّي، قَالَ: حَتَّى وَجَدَهُ يَوْماً عَلى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيْنَا رَقِيباً؟! فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَبَداً،

وَلَا يُدْخِلُكَ اللهُ الجَنَّةَ أبداً، قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ إلَيْهِمَا مَلَكاً، فَقَبَضَ أرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلمُذْنِبِ: ادْخُلِ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: أتَسْتَطِيعُ أنْ تَحْظُرَ على عَبْدِي رَحْمَتِي، فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إلَى النَّارِ، قَالَ أبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

هذا حديثٌ حسنُ الإسناد، غريبُ المَتْنِ، أخرجه أحمد (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١)، وابن حبان (٥٧١٢) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله: «أقْصِر» من الإقصار وهو: الكَفُّ عن السَّعْيِ مع القدرة عليه.

٤٠٠٩- عَنْ جُنْدَبٍ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ أنَّ رَجُلاً قَالَ: «وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَألَّى عَلَيَّ أنِّي لَا أغْفِرُ لِفُلَانٍ، فَإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أوْ كَمَا قَالَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٦٢١).

الحديث: دليلٌ لأهل السنة في غفران الذنوب بلا توبةٍ إذا شاء الله غفرانها. واحتجت به المعتزلة في إحباطِ الأعمال بالمعاصي الكبائر. ومذهبُ أهل السنة أنها لا تحبط إلَّا بالكفرِ، ويُتأوّل حبوطِ عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته. أفاده النووي في «شرح صحيح مسلم» ٨/ ٤٢٢.

٤٠١٠- عَنْ أبِي الدَّرْدَاءِ أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُصُّ عَلى المِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] قُلْتُ: وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الثَّانِيَةَ:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فَقُلْتُ الثَّانِيَةَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الثَّالِثَةَ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فَقُلْتُ الثَّالِثَةَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ».

إسناده صحيحٌ، أخرجه أحمد (٨٦٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٦٠)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٣٩٩٣). وتمامُ تخريجه في «المسند».

قال الطحاوي: تأملنا هذا الحديثَ لنقفَ على المراد به إنْ شاءَ الله، فوجدنا خَوْفَ مقامِ الربِ عزَّ وجلَّ مرتبةً جليلة، ووجدنا ثوابها عنده عزَّ وجلَّ ثواباً عظيماً، ووجدناها تمنع من صغير معاصي الله عزَّ وجلَّ وكبيرها، وكما روي عن مجاهدٍ في قول الله عز وجل: ﴿ولمن خاف مقام ربّه جنتان﴾ قال: إذا همَّ بمعصية، فذكر مقام الله عزَّ وجل عليه في الدنيا فتركها.

٤٠١١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِه: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا»

إسناده صحيح، أخرجه الترمذي (٣٢٨٠) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق.

قوله: «جمّاً» أي: كثيراً، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وتحبّون المال حُبّاً جمّاً﴾ [الفجر: ١٩] أي: كثيراً، قوله: «لا ألمّا» أي: لم يُلمَّ بمعصيةٍ، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إلا اللّمم﴾ وهو أن يُلمَّ بذنبٍ ثم لا يُعاوده، و«لا» مع الماضي بمنزلة «لمْ» مع المستقبل. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾

[البلد: ١١] أي: لم يقتحم. وقال طاوُوسٌ عن ابن عمر: إن ابن آدم خُلِقَ خطَّاءً إلا ما رحمَ الله.

٤٠١٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «مَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي مَا لَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئاً».

في إسناده إبراهيم بن الحكم ضعيف، وأبوه وإن كان صدوقاً له أوهام، وأخرجه الحاكم ٤/ ٢٦٢ من طريق حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: العدني واه.

وروي أنَّ حمادَ بنَ سلمةَ عاد سفيان الثوري، فقال له: يا أبا سلمة أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حمَّاد: والله لو خيِّرْتُ بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبويَّ، لاخترتُ محاسبة الله على محاسبة أبويَّ، وذلك أنَّ الله أرحم بي من أبويَّ.

بابُ
القَصْدِ في العمل والعلم بأن لا نجاة إلا برحمة الله تعالى

٤٠١٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

«الدُّلْجَة»: بضم الدال وسكون اللام ويجوز فتحها: سَيْرُ الليل. وفيه: إشارةٌ إلى الحثِّ على الرفقِ في العبادة.

واستدلَّ أهلُ السنة بهذا الحديثِ وأشباهه على أنه لا يثبت بالعقل ثوابٌ ولا عقابٌ ولا إيجابٌ ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلُّها ولا غيرها إلّا بالشرع. ومذهبُ أهلِ السنة أيضاً: أنَّ الله تعالى لا يجبُ عليه شيءٌ، بل العالَمُ مُلْكُه، والدنيا والآخرةُ في سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذَّب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عَدْلاً منه، وإذا أكرمهم ونعَّمهم وأدخلهم الجنة فهو فَضْلٌ منه. ولو نعَّم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صِدْقٌ: أنه لا يفعل ذلك، بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته، ويعذب المنافقين والكافرين ويخلدهم في النارِ عَدْلاً منه.

وقد دلَّ ظاهرُ الحديث على أنه لا يستحقُّ أحدٌ الثوابَ والجنة بطاعته. وأما قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل: ٣٢] ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمالَ يُدخَلُ بها الجنة، فلا يعارضُ بها الحديث، والمعنى: أنَّ دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمالِ والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمةِ الله تعالى وفضله، فيصحُّ أنه لم يدخل بمجرد العمل، أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٧٧.

٤٠١٤- عن همَّام بن مُنبِّه قال: حدثنَا أبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ أحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا» قَالُوا: وَلَا أنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أنَا إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ».

هذا حديث متفق على صحته.

٤٠١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ».

هذا حديث متفق على صحته.

قوله: «سدِّدوا» أي: اقصِدوا السَّداد وهو الصواب، والمقاربة: القصد في الأمر الذي لا غُلُوَّ فيه ولا تقصير، وقيل: قاربوا، أي: لا تعجلوا. وقوله: «إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ» أي: يسترني بها، مأخوذ من غِمدِ السيف لأنك إذا غمدته، فقد سترته.

قال عميرٌ: مَن أدركتُ من أصحاب النبي ﷺ أكثر من سبعين، فما رأيتُ قوماً أهونَ سيرةً ولا أقلّ تشديداً منهم.

قال إبراهيم: إذا بلغك في الإسلام أمران، فخذ أيسرهما.

وقال الشعبيُّ: إذا اختُلِفَ عليك في أمرين، فخذ أيسرهما، فإن أيسرَهما أقربُهما من الحقِّ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يريد الله بكم اليُسر، ولا يريد بكم العُسر﴾ [البقرة: ١٨٥].

بابُ
تَغَيُّرِ الناس وذهاب الصالحين

٤٠١٦- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «النَّاسُ كَالإِبِلِ المِئَةِ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٧).

الراحلة: التي يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وحُسن المنظر، وقد تقع على الناقة النجيبة، والجمل النجيب، والهاء فيه للمبالغة وهي «فاعلةٌ» جاءت بمعنى «مفعولةٍ»، والعرب تقول للمئة من الإبل: الإبل، تقول: لفلانٍ إبلٌ، أي: مئةٌ منها، وإبلانِ إذا كانت مئتان، يقول: إنَّ الناس كمئةٍ من الإبل حمولةٍ لا تجد فيها ذلولاً تصلح للركوب، وأراد به أنه يقلُّ الزاهد في الدنيا والراغب في الآخرة، فيكون رغبةُ أكثرهم في الدنيا والمنافسة فيها كأنه يقول: لا تواخِ منهم إلا أهلَ الفضل، وعددهم قليل بمنزلة الراحلة في الإبل الحمولة.

٤٠١٧- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً شِبْراً، وَذِرَاعاً ذِرَاعاً حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟!».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

قوله: «السَّنَن» بفتح السين والنون، هو الطريق. والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب شدة الموافقة لهم. وهي موافقةٌ في المعاصي والمخالفات لا في الكفر. وفي هذا معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ الله ﷺ. فقد وقع ما أخبر به منذ زمن طويل.

٤٠١٨- عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحونَ الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤٣٤).

حُفالةُ التمر: رُذالتُه، ومثلُها الحثالة، والفاء والثاء يتعاقبان، كقولهم ثومٌ وفومٌ، وجَدثٌ وجَدفٌ.

وقوله: «لا يباليهم الله بالةً» أي: لا يرفع لهم قدْراً، ولا يُقيم لهم وزناً، يقال: باليتُ بالشيء مبالاةً وباليةً وبالةً، يقال: ليس هذا من بالي، أي: مما أباليه.

وفي الحديثِ من الفقه: أنَّ موتَ الصالحين من أشراطِ الساعة.

وفيه: الندبُ إلى الاقتداءِ بأهل الخير، والتحذيرُ من مخالفتهم خشيةَ أن يصيرَ مَنْ خالفهم ممَّن لا يعبأُ الله به.

وفيه: أنه يجوز انقراضُ أهلِ الخيرِ في آخر الزمان حتى لا يبقى إلا أهل الشرِّ. أفاده الحافظ في «الفتح» ١١/ ٢٥٧.

٤٠١٩- عَنْ أنَسٍ قَالَ: مَا أعْرِفُ مِنْكُمْ شَيْئاً كُنْتُ أعْهَدُهُ عَلى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ لَيْسَ قَوْلَكُمْ لَا إلَهَ إلّاَ اللهُ. قُلْنَا: يَا أبَا حَمْزَةَ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَ: قَدْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أفَكَانَتْ تِلْكَ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟! ثُمَّ قَالَ: عَلى أنِّي لَمْ أرَ زَمَاناً خَيْراً لِلْعَامِلِ مِنْ زَمَانِكُمْ هٰذَا إلّاَ أنْ يَكُونَ زَمَانٌ مَعَ نَبيٍّ.

أخرجه أحمد (١٣٨٦١) بإسناد صحيح، وتمام تخريجه فيه.

٤٠٢٠- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذَا مَشَتْ أُمَّتِي المُطَيْطِيَاءَ، وَخَدَمَتْهُمْ أبَنَاءُ المُلُوكِ أبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ سَلَّطَ اللهُ شِرَارَهَا عَلى خِيَارِهَا».

هٰذا حديث غريب. أخرجه الترمذي (٢٢٦١) بسندٍ ضعيف، ولكن رواه من طريق آخر بسندٍ صحيح، وله شاهدٌ عند الطبراني في «الأوسط» (١٣٢) و(٣٥٨٧) من حديث أبي هريرة، وسنده حسن.

والمطيطياء: مِشيةٌ فيها تبخترٌ ومدُّ يدين، والتمطي من ذلك، لأنه إذا تمطَّى مدَّ يديه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطَّى﴾ [القيامة: ٣٣] أي: يتبختر.

قال سعيد بن المسيِّب: ثارت الفتنة الأولى، فلم يبقَ ممن شهِد بدراً أحدٌ، ثم كانت الثانية، فلم يبق ممن شهد الحديبية أحدٌ، قال: وأظنُّ لو كانت الثالثةُ لم ترتفع وفي الناس طباخٌ. أراد بالفتنة الأولى: مقتل عثمان، وبالثانية: الحَرَّةَ. وقوله: طباخٌ، أي: خير ونفع، يقال: فلان لا طباخ له، أي: لا عقل له.

قال مِسْوَرُ بن مخرَمَة: لقد وارت الأرض أقواماً لو رأوني جالساً معكم، لاستحييتُ منهم.

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لإنسانٍ: إنك في زمانٍ قليلٍ قرَّاؤه، كثيرٍ فقهاؤه، تحفظُ فيه حدود القرآن، وتُضيَّعُ حروفه، قليلٌ مَن يسأل، كثيرٌ من يُعطي، يُطيلون فيه الصلاة، ويقصرون فيه الخُطبة، يبدؤون فيه بأعمالهم قبل أهوائهم، وسيأتي على الناس زمانٌ كثيرٌ قراؤه، قليلٌ فقهاؤه، تُحفظ فيه حروف القرآن، وتُضيَّعُ حدوده، كثيرٌ من يسأل، قليل من يعطي، يُطيلون فيه الخطبةَ، ويقصرون الصلاة، يبدؤون بأهوائهم قبل أعمالهم.

وقال أبو الدرداء: إن الناس كانوا وَرقاً لا شوك فيه، فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه.

بابُ

خَوْفِ الهلاك إذا كثر الخَبَث

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٥- ٤٧] أيْ: تَنَقُّصٍ. قَالَ الأَزْهَرِيُّ: مَعْنَى التَّنَقُّصِ: أَنْ يَتَنَقَّصَهُمْ فِي أَبْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَثِمَارِهِمْ، يُقَالُ: تَخَوَّفَهُ الدَّهْرُ: إِذَا انْتَقَصَهُ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ [إبراهيم: ٥]. قَالَ الأَزْهَرِيُّ: أَيَّامُ اللهِ: نِقَمُهُ الَّتِي انْتَقَمَ بِهَا مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بِنِعَمِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ أَنْجَاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الغَمَامَ.

٤٠٢١- عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يوماً فَزِعاً يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ: فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هٰذِهِ» وَحَلَّقَ بِأُصْبعَيْهِ الإِبْهامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبْثُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

قوله: «إذا كثُر الخُبث»، أي: الفسق والفجور.

وروى هذا الحديث الحُميديُّ وعليُّ ابن المدينيُّ وغيرُ واحدٍ من الحفاظ عن سفيان بن عيينةَ، وقالوا فيه: عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة، عن

أم حبيبة، عن زينب بنت جحشٍ. وقال سفيان: حفظتُ من الزهريِّ في هذا الحديث أربع نسوةٍ زينب بنت أبي سلمة، وحبيبةَ بنتَ جحش وزوجتي النبي ﷺ. وروى بعض أصحاب ابن عيينة هذا الحديث، ولم يذكروا فيه حبيبة، وكذلك رواه مَعمرٌ عن الزهريّ.

٤٠٢٢- عَنْ أنسٍ قَالَ: إنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أعْمَالاً هِيَ أدَقُّ فِي أعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ.

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٦٤٩٢).

قال مالكٌ: إني لأكره المقام بالبلدة التي يُعصى الله فيها علانيةً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ألَمْ تكُنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتهاجروا فيها﴾ [النساء: ٩٦].

٤٠٢٣- عَنْ أبِي حَازِمٍ قَالَ: لَا أعْلَمُهُ إلَّا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَثَلُ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَ هٰذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ هٰذَا بِعُودٍ، وَجَاء هٰذَا بِعُودٍ، فَأطَبَخُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ لَمُوبِقَاتٌ».

أخرجه أحمد (٢٢٨٠٨)، وإسناده صحيح، وحسنه الحافظ في «الفتح» ١١/ ٢٨٣، وله شاهد من حديث ابن مسعود عند أحمد (٣٨١٨)، وجود إسناده الحافظ العراقي، وآخر من حديث عائشة عند أحمد (٢٤٤١٥)، والدارمي ٢/ ٣٠٣، وابن ماجه (٤٢٤٣) بلفظ: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله عز وجل طالباً»، وصححه ابن حبان (٥٥٦٨).

ومعنى الحديث: أن اعتياد مقارفة الصغائر قد يفضي إلى ارتكاب الكبائر، فإن مَنْ حام حول الحِمى يوشك أن يَقَعَ فيه.

باب

إذا هلكوا بالعذاب بعثوا على نياتهم

٤٠٢٤- عن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلى أَعْمَالِهِمْ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١٠٨)، ومسلم (٢٨٧٩).

٤٠٢٥- عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم قال: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَغْزُوا جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلى نِيَّاتِهِمْ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٣).

ورواه عبد الله بن الزبير عن عائشة عن رسول الله ﷺ وقال: «يَهلِكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتّى، يبعثهم الله على نيَّاتهم»، أخرجه مسلم (٢٨٨٤).

البيداء: مفازةٌ لا شيء بها، وبين المسجدين أرضٌ ملساء اسمها البيداء.

وقال النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٢٣٤: في هذا الحديث من الفقه: التباعدُ من أهل الظلم، والتحذير من مجالستهم ومجالسةِ البغاةِ ونحوِهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبون به.

وفيه: أنَّ مَنْ كثَّر سوادَ قومٍ جرى عليه حكمُهم في ظاهر عقوبات الدنيا.

٤٠٢٦- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلى شَيْءٍ، بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْهِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

٤٠٢٧- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ على مَا مَاتَ عَلَيْهِ، المُؤْمِنُ عَلى إيمَانِهِ، وَالكَافِرُ عَلى كُفْرِهِ».

أخرجه مسلم (٢٨٧٨) دون قوله: «المؤمن على إيمانه والكافر على كفره».

بابُ

فتنة الشيطان

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٦] وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢] أَيْ: قَرَّبَهُمَا إلَى المَعْصِيَةِ بِغُرُورِهِ، وَقِيلَ: دَلَّاهُمَا مِنَ الجَنَّةِ إلَى الأَرْضِ، وَقِيلَ: فَأَطْعَمَهُمَا، وَقِيلَ: فَجَرَّأَهُمَا، وَالأَصْلُ: دَلَّلَهُمَا مِنَ الدَّلِّ، وَهُوَ الجُرْأَةُ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ إخْبَاراً عَنْ إبْلِيسَ: ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ [النساء: ١١٨].

قَالَ الحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ: أَيْ: دِينَ اللهِ، يَعْنِي حُكْمَ اللهِ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ [الإسراء: ٦٢] أَيْ: لأَقْتَادَنَّهُمْ إلَى طَاعَتِي، يُقَالُ: احْتَنَكَ

دَابَّتَهُ: إذَا قَادَهَا، وَقِيلَ: لأسْتَأْصِلَنَّهُمْ بِالإغْوَاءِ، يُقَالُ: احْتَنَكَ البَعِيرُ الصِّلِّيَانَةَ: إذَا اقْتَلَعَهَا مِنْ أَصْلِهَا.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ [الإسراء: ٦٤] أيْ: اسْتَدْعِهِمْ اسْتِدْعَاءً تَسْتَخِفُّهُمْ بِهِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أنَّ خَيْلَهُ كُلُّ رَاكِبٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَرَجْلَهُ: كُلُّ مَاشٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ.

قراءة الجمهور ﴿ورَجْلِكَ﴾، وقرأ حفص عن عاصم بكسر الجيم. «كتاب السبعة»: ٣٨٢، ٣٨٣، لابن مجاهد.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦١]. قَوْلُهُ: أرَأَيْتَكَ وَأَرَأَيْتَكُمْ: مَعْنَاهُ الاسْتِخْبَارُ تَقُولُ: أخْبِرُونِي، تَقُولُ: وَأَرَأَيْتَكُمْ مَفْتُوحَةَ التَّاءِ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، فَإذَا كَانَ بِمَعْنَى الرُّؤْيَةِ قُلْتَ: أرَأَيْتُ وَأَرَأَيْتُمَا وَأَرَأَيْتُمْ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ١٦٩] أيْ: بِمَا يَسُوؤُكُمْ عَوَاقِبُهُ فِي مُنْقَلَبِكُمْ.

قَوْلُهُ تبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أيْ: اسْتَنْفَعَ، وَاسْتِمْتَاعُ الإنْسِ بِالجِنِّ: اسْتِعَاذَتُهُمْ بِهِمْ كَانَ الرَّجُلُ إذَا سَافَرَ، فَنَزَلَ وَادِياً قَالَ: أعُوذُ بِرَبِّ الوَادِي، وَاسْتِمْتَاعُ الجِنِّ بِالإنْسِ تَعْظِيمُهُمْ إيَّاهُمْ حَيْثُ يَسْتَعِيذُونَ بِهِمْ، قَالَهُ الأزْهَرِيُّ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] يَعْنِي: مَسَالِكَهُ وَمَذَاهِبَهُ، أيْ: لَا تَسْلُكُوا الطُّرُقَ الَّتِي يَدْعُوكُمْ

إِلَيْهَا الشَّيْطَانُ، وَوَاحِدُ الخُطُوَاتِ: خُطْوَةٌ، وَهِيَ مَا بَيْنَ القَدَمَيْنِ، وَالخَطْوَةُ - بِالفَتْحِ - المَصْدَرُ، يُقَالُ: خَطَوْتُ خَطْوَةً، وَجَمْعُهَا خَطَوَاتٌ.

٤٠٢٨- عن الزهريِّ، أخبرني عليُّ بن الحسين: أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي المَسْجِدِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، وَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئاً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

الشيطان من الشَّطْنِ: وهو البُعْدُ، ويقال للحبل الطويل: شطنٌ، سمي به لبُعده من الخير، وطوله في الشرّ، وقيل في قوله: «يبلغ مبلغ الدم»، ويروى: «يجري مجرى الدم»: أراد به: أنه يتسلط عليه، لا أن يدخل جَوْفه، وهو مثل.

وفي الحديث: استحبابُ التحرُّز عن مظانِّ السوء، وطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة.

ويُحكى عن الشافعيِّ رضي الله عنه في معنى الحديث أَنَّ النبي ﷺ خاف على الرجلين الكُفرَ، إذ لو وقع في قلوبهما ريبةٌ في أمره، لَكَفرا به، فابتدر إليهما بتلك الكلمة شفقة عليهما. والله أعلم.

٤٠٢٩- عن سعيد بن المسيِّب قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَم وَابْنِهَا» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦).

وروى سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صياح المولود حين يقع نزغةٌ من الشيطان» أخرجه مسلم (٢٣٦٧).

وفي الحديث فضيلةٌ لعيسى ابن مريم وأمِّه عليهما السلام، وظاهرُ الحديث اختصاصهما بذلك، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها.

٤٠٣٠- عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ المُجَاشِعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مِمَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هٰذَا، وَإِنَّهُ قَالَ: وَإِنَّ كُلَّ مَا لِي نَحَلْتُهُ عِبَادِي، فَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، فَأَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سلْطَاناً، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشاً، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ إِنَّهُمْ إِذاً يَثْلَغُوا رَأْسِي حَتَّى يَدَعُوهُ خُبْزَةً فَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَاباً لَا يَغْسِلُهُ المَاءُ تَقْرَؤهُ فِي المَنَامِ وَاليَقْظَةِ، فَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ نُنْفِقْ

عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشاً نُمْدِدْكَ بِخَمْسَةِ أَمْثَالِهِمْ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، ثُمَّ قَالَ: أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: إِمَامٌ مُقْسِطٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ غَنِيٌّ عَفِيفٌ مُتَصَدِّقٌ، وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعٌ لَا يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ أَهْلاً وَلَا مَالاً، وَرَجُلٌ لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا ذَهَبَ بِهِ، وَالشِّنْظِيرُ الفَاحِشُ» وَذَكَرَ البُخْلَ والكَذِبَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

قوله: «حُنفاء» جمع حنيف من الحَنَف، والحَنَفُ: إقبال إحدى القدمين على الأخرى، فالحنيف: الصحيحُ الميل إلى الإسلام، الثابت عليه، وقيل: الحَنَفُ: الاستقامة، وقيل للمائل الرِّجل: أحنفُ تفاؤلًا بالاستقامة.

وقوله: «فاجتالتهم» أي: استخفتهم فجالوا معهم، يقال: اجتال الرجل الشيءَ: إذا ذهب به وساقه، والمقتُ أشدُّ البغض. وقوله: «يثلغوا رأسي» أي: يشدخوه كما تُشدخُ الخبزة.

وقوله: «أنزَلْتُ عليك كتاباً لا يغسله الماء» أي: لا ينمحي أبداً، بل هو محفوظٌ في صدور الذين أوتوا العلم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقوله: «تقرؤه في المنام واليقظة»، أي: تجمعه حفظاً وأنت نائم، كما تجمعه وأنت يقظان، وقيل: معناه: تقرؤه في يُسرٍ وسهولةٍ ظاهراً، يقال للرجل إذا كان قادراً على الشيء: هو يفعله نائماً، كما يقال: هو يسبقه قاعداً، والقاعد لا سبق له.

وقوله: «لا زَبْرَ له» أي: لا عقل له. والشِّنظير: السَّيِّىء الخُلْق.

٤٠٣١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمُ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٨١٤).

وقال سفيان عن منصور: وكل به قرينه من الجنِّ، وقرينه من الملائكة.

قال سفيان بن عُيينة في تفسير قوله: «فأسْلمُ» بمعناه: أسْلمُ أنا منه، والشيطان لا يُسْلِمُ، وقيل: أسْلَمَ أي: استسلم يقول ذَلَّ. وهو الذي رَجَّحه القاضي عياض واختاره النووي لقوله: «فلا يأمرني إلّا بخير» والأمةُ مجمعةٌ على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جِسْمه وخاطره ولسانه.

وفي الحديث من الفقه: التحذيرُ من فتنة القرين ووسوسته وإغرائه.

٤٠٣٢- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ» قَالَ الأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨١٣).

والعرشُ هنا: سريرُ الملك، ومعناه: أنَّ مركزه البحر. وقوله: «فيدنيه منه» يعني إعجاباً بصنيعه وبلوغه الغاية التي أرادها. فيلتزمه، أي: يضمه إلى نَفْسِه ويعانقه.

باب

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

٤٠٣٣- عن عبد الوهاب بن الورد عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أَنْ اكْتُبِي إِلَيَّ بِكِتَابٍ تُوصِينَنِي فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَأَنْسَى، فَكَتَبَتْ: مِنْ عَائِشَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاه اللهُ مَؤونَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ سَخَطَ اللهِ بِرِضَا النَّاسِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ» وَالسَّلَامُ.

أخرجه الترمذي (٢٤١٣) وفيه رجلٌ لم يُسَمَّ. وروى ابن حبان في «صحيحه» (٢٧٦) المرفوع منه فقط، وسنده حسن وفيه تمامُ تخريجه.

٤٠٣٤- عَنْ أَبِي غَسَّانَ مُحَمَّد بْنِ مُطَرِّفٍ المَدِينِيِّ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ بِحدِيثٍ سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَعَلِّي أَعْمَل بِهِ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَائِشَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ العِبَادِ، كَفَاهُ اللهُ مَؤونَتَهُمْ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللهَ بِرِضَا العِبَادِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَيْهِم».

في سنده انقطاع، ويشهد له ما قبله.

كتاب الفِتَن

الفِتَنُ جَمْعُ فتنة، مأخوذٌ من الفَتْنِ وهو إدخالُ الذهب في النارِ لتظهرَ جَوْدَتُه من رداءَته. والمرادُ هنا: اختبارُ النفسِ الإنسانية بالأمْرِ والنَّهْي ليظهر صِدْقُ الإنسانِ من كَذِبه، وتحقيقُه من دعواه. وهي سنةٌ قدريةٌ شرعيةٌ قال تعالى: ﴿الٓمٓ. أحسبَ الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: ١-٢]. وقد بسط الإمام ابن القيم الكلام على هذا المعنى في كتابه النفيس «الفوائد»: ٢٦٧ نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٤٠٣٥- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: لَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَاماً مَا تَرَكَ شَيْئاً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، فَإِنِّي قَدْ أرَى الشَّيْءَ قَدْ كُنْتُ نَسِيتُهُ، فَأَرَاهُ فَأَعْرِفُهُ كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ إذَا غَابَ عَنْهُ، فَرَآهُ فَعَرَفَهُ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٩١) (٢٣)، والطبراني في «الأوسط» (٥٦٤٠).

ورُوِيَ عن طارق بن شهاب قال: سمعت عمر يقول: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهلُ الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك مَنْ حفظه، ونسيه مَنْ نسيه. علَّقه البخاري (٣١٩٢)، وانظر «تغليق التعليق» ٣/ ٤٨٦-٤٨٧.

٤٠٣٦- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ على أُطُمٍ مِنْ آطَامِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «إِنِّي لأَرَى الفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ المَطَرِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧٠٦٠)، ومسلم (٢٨٨٥).

الأُطُم: بناءٌ مرفوعٌ من الحجارة كالقصر، وآطام المدينة: حصونُها، وكذلك آجامها واحدها: أُجُمٌ.

ووقع التشبيه بمواقع القَطْرِ - وهو المطر - إرادةَ الكثرة والعموم، والمعنى: أنَّها كثيرةٌ وتعمُّ الناسَ، لا تختصُّ بها طائفةٌ. وفي هذا إشارةٌ إلى الحروب الجارية بين الصحابة كوقعة الجمل، وصفين، ومقتل عثمان رضي الله عنه، ووقعة الحَرَّة. وغير ذلك. وفي ذلك معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ الله ﷺ.

٤٠٣٧- عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ القُرْآنُ، فَقَرَؤُوا مِنَ القُرْآنِ، وَعَمِلُوا مِنَ السُّنَّةِ» ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِها قَالَ: «تُرْفَعُ الأَمَانَةُ، فَيَنَامُ الرَّجُلُ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ، وَقَدْ رُفِعَتِ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَبْقَى أَثَرُهَا كَالوَكْتِ، أَوْ كَالمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَهُوَ يَرَى أَنَّ فِيهِ شَيْئاً، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَتُرْفَعُ الأَمَانَةُ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلاً أَمِيناً» وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي حَدِيثاً، وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ أُبَايِعُ لَئِنْ كَانَ مُسْلِماً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ إِسْلَامُهُ، وَلَئِنْ كَانَ مُعَاهَداً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَاناً وَفُلَاناً.

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٩٧) عن محمد بن كثير، عن سفيان، وأخرجه مسلم (١٤٣) عن أبي كُريب وأبي بكر بن أبي شَيْبَة، عن أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، وقالا فيه: «فتُقبَضُ الأمانةُ، فيبقى أثرها مثلُ أثر المَجْلِ دَحْرَجْتَه على رجلك فنفِط، فتراه مُنتَبِراً وليس فيه شيءٌ، ويُصبحُ الناسُ يتبايعون، ولا يكادُ أحدٌ يؤدي الأمانة، ويقال للرجل: ما أعقلَه وما أظرفه، وما أجلدَه وما في قلبه مثقال حبّةِ خردَلٍ من إيمان».

قوله: في جَذْرِ قلوب الرجال. الجذر: الأصل من كل شيء. الوَكْتُ: جمع وَكْتةٍ، وهي الأثرُ اليسير، ومنه قيل للبُسر إذا وقعت فيه نكتةٌ من الإرطاب: قد وَكَّتَ، والمَجْلُ من قولهم: مَجَلَتْ يده مجلاً: إذا خرج منها شيءٌ يشبه البَثرَ من العمل، ويغلظ جلدها. وقوله: «فتراه مُنتبراً» المنتبر: المنتفِط، يقال: انتبرتْ يده، أي: انتفطتْ. وقوله: «ليردنّه علي ساعيه» يعني رئيسهم الذي يصدرون عن رأيه، ولا يُمضون أمراً دونه، ويقال: أراد بالساعي الوالي عليه، يقول: ينصِفني منه وإن لم يكن مسلماً، وكل من وليَ شيئاً على قوم، فهو ساعٍ عليهم، ومنه يقال لعامل الصدقة: ساعٍ وتأوله بعضُهم على بيعة الخلافة، وقال الخطابي رحمه الله: وهو خطأ لأنه قال: وإن كان معاهداً ردّ عليَّ ساعيه، ولا يبايع المعاهَد إنما أراد مبايعة البيع والشراء، يريد: ذهبت الأمانة من الناس، فلست أثق اليوم بأحد أأْتمنه على بيعٍ أو شراء إلا فلاناً وفلاناً لقلة الأمانة في الناس، وقبل هذا كنت لا أبالي من بايعته، فإن بايعتُ مسلماً، قلتُ: لا يظلمني لأنه مسلمٌ، وإن بايعتُ نصرانياً، قلت: إن لم ينصفني، أعانني عليه ساعيه، وقد فسد اليومَ الأمر.

٤٠٣٨- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ يُكَفِّرُهَا

الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلٰكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ البَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ القَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: أَنْتَ للهِ أَبُوكَ، قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلى القُلُوبِ كَالحصيرِ عُودٌ عُودٌ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى يَصِيرَ عَلى قَلْبَيْنِ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادّاً كَالكُوزِ مُجَخِّياً لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَراً إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ، قَالَ عُمَرُ: أَكَسْراً لَا أَبَا لَكَ، فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قَالَ: لَا بَلْ يُكْسَرُ، وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذٰلِكَ البَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثاً لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ، قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ مَا أَسْوَدُ مُرْبَادّاً؟ قَالَ: شِدَّةُ البَيَاضِ فِي سَوَادٍ، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الكُوزُ مُجَخِّياً؟ قَالَ: مَنْكُوساً.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (١٤٤). وروى بعضهم مُرْبَداً، قال أبو عبَيْد في «غريب الحديث» ٢/ ٢٣٠: الرُّبدةُ: لون بين السواد والغُبرةِ.

وروى شقيقٌ عن حذيفةَ بعضَ هذا الحديث وقال: إن بينك وبينها باباً مُغلقاً، قال- يعني عمر-: أيُكسر أم يُفتح، قال: يُكسر قال: إذاً لا يُغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أنَّ دون الغدِ الليلةَ إني حدثتُه بحديث ليس بالأغاليط، فهِبنا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقاً فسأله، فقال: الباب عمر.

قوله: «تُعْرَضُ الفِتَنُ على القلوب كالحصير» قال بعضهم: أي: تحيط بالقلوب، يقال: حَصَرَ به القوم، أي: أطافوا به، وقال الليث: حصير

الجنب: عِرقٌ يمتد معترضاً على جنب الدابة إلى ناحية بطنها شبهها بذلك، ويقال الحصير: السجن، والمجخِّي: المائل.

٤٠٣٩- عَنْ خَالِدِ بْنِ خَالِدٍ اليَشْكُرِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ زَمَنَ فُتِحَتْ تُسْتَرُ حَتَّى قَدِمْتُ الكُوفَةَ، فَدَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا أَنَا بِحَلْقَةٍ فِيهَا رَجُلٌ صَدَعٌ مِنَ الرِّجَالِ، حَسَنُ الثَّغْرِ يُعْرَفُ فِيهِ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الحِجَازِ، فَقَالَ: فَقُلْتُ: مَنِ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ القَوْمُ: أَوَمَا تَعْرِفُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالُوا: هٰذَا حُذَيْفَةُ بْنُ اليَمَانِ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَقَعَدْتُ وَحَدَّثَ القَوْمَ، فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، فَأَنْكَرَ ذٰلِكَ القَوْمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي سَأُخْبِرُكُمْ بِمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ ذٰلِكَ: جَاءَ الإِسْلَامُ حِينَ جَاءَ، فَجَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ كَأَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، فَكُنْتُ قَدْ أُعطِيتُ فِي القُرْآنِ فَهْماً، فَكَانَ رِجَالٌ يَجِيئُونَ فَيَسْأَلُونَ عَنِ الخَيْرِ، فَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَكُونُ بَعْدَ هٰذَا الخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَمَا العِصْمَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «السَّيْفُ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ السَّيْفِ بَقِيَّةٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ تَكُونُ إِمَارَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، وَهُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ، فَإِنْ كَانَ للهِ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَالْزَمْهُ وَإِلَّا فَمُت وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ، وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ، وَجَبَ وِزْرُهُ، وَحُطَّ أَجْرُهُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ تُنْتَجُ المُهْرُ، فَلَا يُرْكَبُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

ورواه أحمد (٢٣٢٨٢) (٢٣٤٢٥) و(٢٣٤٢٧)، وأبو داود (٤٢٤٤)، وابن حبان (٥٩٦٣) وفي سنده خالد بن خالد، ويقال: سبيع بن خالد، لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وصححه الحاكم ٤/٤٢٣ ووافقه الذهبي.

والصَّدَعُ- مفتوحة الدال- من الرِّجال: الشاب المعتدل، ويقال: الصَّدَعُ الرَّبْعةُ في خَلْقه، رجُل بين الرجلين، وكذلك الصّدعُ من الوعول وَعْلٌ بين الوعلين.

وقوله: فما العِصْمةُ؟ قال: «السيف». كان قَتادةُ يضعه على أهل الرِّدَّة كانت في زمن الصدِّيق رضي الله عنه. وقوله: «هدْنةٌ على دَخَنٍ» معناه: صلحٌ على بقايا من الضِّغْنِ، وذلك أنَّ الدخانَ أثرٌ من النار يدلُّ على بقيةٍ منها، الدليل عليه قوله: «إمارةٌ على أقذاءٍ»، وقال أبو عبيدٍ في «غريب الحديث» ١/٣٥١: أصلُ الدَّخَنِ أن يكونَ في لون الدابة أو الثوب أو غير ذلك كدُورةٌ إلى سوادٍ. وفي بعض الروايات: قلتُ: يا رسول الله الهُدْنة على الدَّخَنِ ما هي؟ قال: «لا يرجع قلوب أقوامٍ على الذي كانت عليه».

ويروى: «جماعةٌ على أقذاءٍ» أخرجه أبو داود (٤٢٤٦) يقول: يكون اجتماعُهم على فسادٍ من القلوب، شبّهه بأقذاء العين، يقال: قذاءٌ وجمعها قذى، ثم أقذاء جمعُ الجمع.

٤٠٤٠- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفاً خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْماً عَلى حِمَارٍ، فَلَمَّا جَاوَزْنَا بُيُوتَ المَدِينَةِ، قَالَ: «فَكَيْفَ بِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا كَانَ فِي المَدِينَةِ جُوعٌ تَقُومُ عَنْ فِرَاشِكَ فَلاَ تَبْلُغُ مَسْجِدَكَ حَتَّى يُجْهِدَكَ الجُوعُ»؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «تَعَفَّفْ يَا أَبَا ذَرٍّ» ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ بِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا كَانَ بِالمَدِينَةِ مَوْتٌ يَبْلُغُ البَيْتُ العَبْدَ حَتَّى إِنَّهُ يُبَاعُ القَبْرُ بِالعَبْدِ» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «تَصبَّرْ يَا أَبَا ذَرٍّ». قَالَ: «كَيْفَ بِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا كَانَ بِالمَدِينَةِ قَتْلٌ يَغْمُرُ الدِّمَاءُ حِجَارَةَ الزَّيْتِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «تَأْتِي مَنْ أَنْتَ مِنْهُ» قَالَ: قُلْتُ: وَأَلْبَسُ السِّلاحَ، قَالَ: «شَارَكْتَ القَوْمَ إِذاً» قُلْتُ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ نَاحِيَةَ ثَوْبِكَ عَلَى وَجْهِكَ لِيَبُوءَ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ».

هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، أخرجه أحمد (٢١٣٢٥)، وأبو داود (٤٢٦١)، وابن ماجه (٣٩٥٨).

وقوله: «يبلغ البيتُ العبدَ»، أراد بالبيت القبر، قيل: معناه أن الناس يُشغلون عن دفن موتاهم حتى لا يوجد منهم مَن يحفرُ قَبْرَ الميت فيدفنه إلا أن يُعطى عبداً أو قيمة عبدٍ، وقيل: معناه أن مواضع القبور تضيق عنهم، فيبتاعون لموتاهم القبور كل قبر بعبدٍ. وقوله: «يَبهركَ شعاع السيف»، أي: يَغلبك ضوؤه وبريقه.

قوله: «حجارة الزيت»: هو موضعٌ بالمدينة في الحرَّةِ سُمِّيَ بها لسوادِ الحجارة كأنَّها طُلِيت بالزيت، أي: الدم يعلو حجارة الزيت ويسترها لكثرة القتلى، وهذا إشارةٌ إلى وقعةِ الحرَّةِ التي كانت زمنَ يزيد بن معاوية.

وقوله: «تأتي مَنْ أنتَ منه» يعني: تلتحق بأهلك وعشيرتك.

٤٠٤١- عَنِ الحَسَنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هٰكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ: فَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِمَا يُعْرَفُ، وَدَعْ مَا يُنْكَرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ».

حديث صحيح أخرجه أحمد (٦٥٠٨)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١١٧٦)، وتمامُ تخريجه في «المسند».

قوله: «حُثالةٌ» أي: رُذالةٌ، والحثالةُ: الرديء من الشيء، ومثله الحُفالةُ، وكذلك الجفالةُ.

قوله: «مَرِجَتْ عهودهم» أي: اختلطت، ومنه قوله عز وجل: ﴿فهم في أمرٍ مَريجٍ﴾ [ق: ٥] أي: مختلطٍ مرة يقولون: شاعرٌ، ومرة: ساحرٌ، ومرة: كاهنٌ، ومرة: مجنونٌ.

٤٠٤٢- عن أبي إدريس الخَوْلانيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهٰذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هٰذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذٰلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قَالَ: قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيٍ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، فَقُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذٰلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ عَلى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذٰلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلى ذٰلِكَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّتهِ، أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

قوله: «وفيه دَخْنٌ»، أي: لا يكون الخير مَحْضاً، بل فيه كدَرٌ وظلمةٌ، وأصل الدَّخَنِ: أن يكون في لون الدابة كدورةٌ إلى سوادٍ.

وقولُه: «هم من جلدتنا» فسَّره القابسي من المالكية بقوله: معناه أنَّهم في الظاهرِ على ملَّتنا وفي الباطنِ مخالفون. وقوله: «ولو أن تعضَّ بأصل شجرة» قال الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٤٠: أي ولو كان الاعتزالُ بالعضِّ فلا تعدل عنه. ونقل عن القاضي البيضاوي قال: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفةٌ فعليك بالعزلة والصبر على تحمُّل شدَّة الزمان فهو كنايةٌ عن مكابدةِ المشقَّةِ. والمرادُ بالجماعة: أهْلُ العلم لأنَّ الله تعالى جعلهم حجَّةً على الخلق، والناسُ تبعٌ لهم في أمر الدين. ففي الحديث: أنه متى لم يكن للناس إمامٌ فافترق الناسُ أحزاباً، فلا يتبع أحداً في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع خشية الوقوع في الشر.

٤٠٤٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً، وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً، وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١١٨).

وروي عن الحسن أنه قال في هذا الحديث: «يصبح الرجلُ مؤمناً» يعني محرِّماً لدم أخيه وعرضه وماله، ويمسي مُستحلاً.

وعن ابن مسعود أنه ذكر الفتنة فقال: أيُّ أهل ذلك الزمان شرٌّ؟ قال: كل خطيب مِسْقعٍ، وكل راكبٍ مُوضِعٍ. والمِسْقع بكسر الميم وسكون السين ويقال بالصاد: هو البليغُ. والمُوْضع بضم الميم: المُسْرع.

٤٠٤٤- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ

اللهِ وَمِنْ قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «لَا بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ، وَلٰكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَتَعْرِفُنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهْنَ» قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ».

أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) وفي سنده مجهول لكن له طريق آخر عند أحمد (٢٢٣٩٧) وسنده قوي فيتقوى به.

والغُثاءُ: ما يبس من النبت، فحمله الماء، فألقاه في الجوانب، يقال: غَثا السيل المرتع: إذا جمع بعضه على بعض، وأذهب حلاوته، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فجعله غثاءً أحوى﴾ [الأعلى: ٥] أي: جعله غثاءً بعد أن كان أحوى، وهو الذي اشتدت خُضرته، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فجعلناه غثاءً﴾ [المؤمنون: ٤١] أي: أهلكناهم فذهبنا بهم، كما يذهب السيل بالغثاء.

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ الانغماسَ في الشهوات والملذَّاتِ، والإعراضَ عن داعي الله تعالى والدارِ الآخرة، وما يُفْضيان إليه من كراهيةٍ للموت وحبِّ الجهادِ في سبيل الله تعالى، هما الداءُ العضالُ الذي يُطْمع أعداءَ الله في ديارِ الإسلام وأهْله، وأنَّ الزهد في الدنيا، وإعظامَ الرغبة فيما عند الله من النعيم المقيم، هما السبيلُ إلى إرهابِ أعداءِ الله تعالى وردْعِهم، وذلك بما يتحقق في شخصية المسلم من معاني القوَّة التي تدفعه إلى الاستبسال في الدفاع عن بَيْضَةِ الإسلام وحمى المسلمين. وشاهدُ الحال يغني عن كثير المقال.

٤٠٤٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَدُورُ رَحَى الإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ

يَهْلِكُوا، فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ، يَقُمْ سَبْعِينَ عَاماً» قَالَ: قُلْتُ: أَمِمَّا بَقِيَ أَوْ مِمَّا مَضَى؟ قَالَ: «مِمَّا مَضَى».

إسناده حسن، أخرجه أحمد (٣٧٠٧)، وأبو داود (٤٢٥٤) وصحَّحه ابن حبان (٦٦٦٤) وتمام تخريجه في «المسند».

قال أبو سليمان الخطابيُّ في «معالم السنن» ٤/٣١٣: دَوران الرحى: كنايةٌ عن الحرب والقتال شبهها بالرحى الدَّوارة التي تطحن الحبَّ لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس.

قال صعصعة جدُّ الفرزدق: أتيت عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه حين رفع يده من مرحى الجمل يريد حرب الجمل.

قوله: «وإن يقم لهم دينهم» يريد بالدين: المُلك. قال أبو سليمان: ويشبه أن يكون أريد بهذا ملك بني أمية وانتقاله عنهم إلى بني العباس، وكان ما بين أنِ استقرَّ الملك لبني أمية إلى أن ظهرت الدُّعاة بخراسان، وضعُف أمر بني أمية، ودخل الوهن فيه نحوٌ من سبعين سنة.

قال التوربشتي بعد أن نقل قول الخطابي: يرحم الله أبا سليمان فإنه لو تأمل الحديث كلَّ التأمل وبنى التأويل على سياقه، لعلم أن النبي ﷺ لم يرد بذلك مُلْكَ بني أمية دون غيرهم من الأمة، بل أراد أن استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة، وإقامة الحدود والأحكام، وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة، وأخبرهم أنهم يلبثون على ما هم عليه خمساً وثلاثين أو ستاً وثلاثين أو سبعاً وثلاثين. ثم يشقون عصا الخلاف. فتفرق كلمتهم فإن هلكوا فسبيل من قد هلك قبلهم، وإن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين، هذا مقتضى اللفظ، ولو اقتضى اللفظ أيضاً غير ذلك، لم يستقم لهم ذلك القول، فإن الملك في أيام بعض العباسية لم

يكن أقل استقامة منه في أيام المروانية، ومدة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحواً من تسع وثمانين سنة، والتواريخ تشهد له مع أن بقية الحديث ينقض كل تأويل يخالف تأويلنا هذا، وهي قول ابن مسعود: مما بقي أو مما مضى؟ يريد السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين، أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها قال: مما مضى، يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة من أول دول الإسلام لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين. نقله المُلاَّ علي القاري في «شرح مشكاة المصابيح» ٥/١٥٢.

٤٠٤٦- عن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ قال: كُنَّا قُعُوداً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ الفِتَنَ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاَسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِتْنَةُ الأَحْلاَسِ؟ قَالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرَبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَم رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، إنَّما أَوْلِيَائِي المُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لاَ تَدَعُ أَحَداً مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ إلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً، وَيُمْسِي كَافِراً حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إيمَانٍ لاَ نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إيمانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكُمْ، فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدٍ».

أخرجه أحمد (٦١٦٨)، وأبو داود (٤٢٤٢) وغيرهما وتمام تخريجه في «المسند».

قال الخطابيُّ في «معالم السنن» ٤/٣١٠: «فتنة الأحلاس» إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس، لدوامها وطول لُبْثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا

يبرح: هو حِلْسُ بيته، وقد يحتمِلُ أن يكون شبَّهه بالأحلاس لِسواد لونها وظلمتها، والحَرَب: ذهاب المال والأهل، يقال: حُرِبَ الرجل، فهو حريبٌ: إذا سُلِب مالُه وأهله، والدَّخَنُ: الدخان يريدُ أنها تثور كالدخان من تحت قدميه. وقوله: «كورِكٍ على ضِلَعٍ» مثلٌ ومعناه: الأمر الذي لا يثبُت ولا يستقيم، وذلك أن الضِّلَعَ لا يقوم بالورك ولا يحمله، وإنما يقال في باب الملاءمة والموافقة إذا وصفوا: هو ككفٍّ في ساعدٍ وساعدٍ في ذراع ونحو ذلك. يريد أن هذا الرجل غيرُ خليق للملك ولا مستقلٍ به. والدهيماء: تصغير الدهماء صغَّرها على مذهب المذمَّة لها. والفُسْطاط: المدينة التي فيها مجتمع الناس.

بابُ

الاعتزال في الفتنة

٤٠٤٧- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ المُسْلِمِ الغَنَمَ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ المَطَرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٧٠٨٨)، وأبو داود (٤٢٢٧)، والنسائي ٨/ ١٢٣ وغيرهم.

شعف الجبال: أعاليها، واحدها شعَفَةٌ.

٤٠٤٨- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ في إبلٍ لَهُ وَغَنَمٍ، فَأَتَاهُ عُمَرُ ابْنُهُ، فَلَمَّا رَآهُ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هٰذَا الرَّاكِبِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ قَالَ: يَا أَبَتِ أَرَضِيتَ أَنْ تَكُونَ أَعْرَابِيّاً فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، والنَّاسُ بِالْمَدِينَةِ يَتَنَازَعُونَ فِي المُلْكِ،

قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: اسْكُتْ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

والخفيُّ: هو الخاملُ المنقطعُ إلى العبادة والاشتغال بأمورِ نَفْسِه. والحديثُ حجَّةٌ لمن يقول: إن الاعتزال أفضل من الاختلاط، وهو محمولٌ بلا شك على زمان الفتنة.

٤٠٤٩- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ: القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً، فَلْيَعُذْ بِهِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧٠٨١)، ومسلم (٢٨٨٦).

قوله: «مَنْ تشرَّف لها تستشرفه» أي: مَن طلع لها بشخصه، طالعته، يقال: استشرفتُ الشيء: إذا رفعتَ رأسكَ ونظرتَ إليه.

وقال رجلٌ لابن عمر في فتنة ابن الزبير: إن الناس قد صنعوا وأنت ابنُ عمر، وصاحبُ النبي ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أنَّ الله قد حرَّمَ دَمَ أخي، قال: ألم يقل اللهُ: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ [الحجرات: ٩] قال: لأنْ أغترَّ بهذه الآية، ولا أقاتل أحبُّ إليّ من أن أغترَّ بالآية التي تقول: ﴿ومن يقتلْ مؤمناً متعمداً﴾ الآية [النساء: ٩٣] قال: ألم يقل الله: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣] قال: قاتلنا على عهد رسول الله ﷺ حتى لم تكن فتنةٌ، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنةٌ، ويكون الدين لغير الله.

وقال سعيد بن جبير: خرج علينا ابن عمر، فقال رجلٌ: كيف ترى في قتال الفتنة والله يقول: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ﴾ قال: هل تدري ما الفتنة؟ إنما كان محمد يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنةً، وليس بقتالكم على الملك.

وروي أن رجالاً من أهل بدر لما قتل عثمان، لزموا بيوتهم، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم.

٤٠٥٠- عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ».

أخرجه مسلم (٢٩٤٨). والهرج: الفتنة والاختلاط. قال ابن رجبٍ في «لطائف المعارف»: ٢٥٤: وسببُ ذلك أنَّ الناسَ في زمن الفتن يتبعون أهواءَهم ولا يرجعون إلى دينٍ، فيكون حالهم شبيهاً بحالِ الجاهليةِ، فإذا انفرد مِن بينهم مَنْ يتمسَّك بدينِه ويعبدُ ربَّه ويتَّبع مراضيه، ويجتنب مساخِطَه، كان بمنزلة من هاجَرَ من بين أهل الجاهلية إلى رسولِ الله ﷺ مؤمناً به: متَّبعاً لأوامرِه، مجتنباً لنواهيه».

بابُ

أشراط الساعة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨]، يَقُولُ: فَكَيْفَ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بِذِكْرَاهُمْ.

٤٠٥١- عَنْ أنسٍ قَالَ: لأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدِي، سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ شَرْطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَى، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ فِي خَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ وَاحِدٌ».

هٰذا حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١).

قوله: «من شرط الساعة» أي: من علامتها، ويروى من أشراط الساعة، أي: من علاماتها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فقد جاء أشراطها﴾ [محمد: ١٨].

و«القَيِّمُ» هو الذي يقوم بأُمورِهن. قال الحافظ في «الفتح» ٩/ ٢٤٢: ويحتمل أن يُكْنى به عن اتباعهن له لطلب النكاح حلالًا أو حرامًا.

٤٠٥٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٥٩)، وأحمد (٨٧٢٩)، وابن حبان (١٠٤)، وتمام تخريجه في «المسند». وقوله: «وُسِّدَ الأمْرُ» أي: أُسْنِد، و«الأمْرُ» هنا ما يتعلَّق بالدين كالخلافة والقضاءِ والإفتاءِ.

وقد دلَّ على جملةٍ صالحةٍ من آداب العالم والمتعلم، منها: تركُ زَجْرِ السائل، والرفق به ولا سيّما إذا كان حديثَ عهدٍ بالعلم وآدابه، ومنها: العنايةُ

بجواب السائل. ومنها: أن من أدب السائل ألّا يسألَ العالمَ وهو مشتغل بغيره.

٤٠٥٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ، وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ أَجْمَعُونَ فَذلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ، وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ، فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا».

هذا كله متفق على صحته، أخرجه البخاري (٣٦٠٨، ٣٦٠٩، ٧١٢١).

قوله: «دجَّالون كذَّابون» وكل كذَّاب دجَّالٌ، يقال: دَجَلَ فلانٌ الحقَّ بباطله، أي: غطَّاه، وبعيرٌ مُدَجَّلٌ: إذا كان مطلياً بالقطران، ومنه أُخِذَ الدجال، ودَجَلُهُ سِحْره وكَذِبُه، وقيل: سميَ الدجال دجالاً لتمويهه على الناس وتلبيسه، يقال: دَجَلَ: إذا موَّه ولبَّس، وقيل: سميَ به لضربه في الأرض وقطعه أكثر نواحيها، يقال: دَجَلَ الرجل: إذا فعل ذلك.

قوله: «ويتقارب الزمان» قيل: هو دنوُّ زمانِ الساعة، وقيل: **معناه قِصَرُ** الأعمار، وقلَّةُ البركة فيها، وقيل: قِصر مدة الأيام والليالي **كما يروى:** «الزمان يتقارب حتى يكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السَّعْفَة» أخرجه أحمد (١٠٩٤٣) بسندٍ صحيح. والسَّعفةُ: غُصْنُ النخل.

قال حماد بن سلمة: سألت أبا سنان عن قوله: «يتقارب الزمان حتى يكون السنة كالشهر» فقال: ذلك من استلذاذ العيش، قال الخطابي - والله أعلم - زمان خروج المهدي، ووقوع الأمَنة في الأرض بما يبسطه من العدل فيها، فيُستلذُّ العيش عند ذلك، وتُستقصر مدته، ولا يزال الناس يستقصِرون مدة أيام الرخاء وإن طالت وامتدت، ويستطليون أيام المكروه وإن قصُرت وقلَّت، والعرب تقول في مثل هذا: مرَّ بنا يومٌ كعرقوب القطاة قِصَراً.

٤٠٥٤- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخَافُ عَلَيْكُمُ الهَرْجَ» قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «القَتْلُ» قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ اليَوْمَ، إِنَّا لَنَقْتُلُ مِنَ المُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: «لَيْسَ قَتْلَ المُشْرِكِينَ، وَلٰكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً» قَالُوا: وَفِينَا كِتَابُ اللهِ؟ قَالَ: «وَفِيكُمْ كِتَابُ اللهِ» قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟ قَالَ: «إِنَّهُ يُنْزَعُ عُقُولُ عَامَّةِ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ، وَتَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ».

إسناده ضعيف، ، وأخرجه أحمد في «المسند» (١٩٤٩٢) من طريق حماد ابن سلمة، عن علي بن زيد، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن أبي موسى، وعلي بن زيد ضعيف، وباقي رجاله ثقات، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٥٩) من حديث عون عن الحسن، حدثنا أَسيد بن المتشمس، قال: حدثنا

أبو موسى. . . وأسيد بن المتشمس وثقه ابن حبان، ونقل في التهذيب عن ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن معين قال: إذا روى الحسن البصري عن رجل فسماه، فهو ثقة يحتج بحديثه.

٤٠٥٥- عَنْ كُرْزِ بْنِ عَلْقَمَةَ الخُزَاعِيِّ قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ لِلإِسْلَامِ مُنْتَهىً؟ قَالَ: «نَعَمْ أَيُّمَا أَهْل بَيْتٍ مِنَ العَرَبِ أَوِ العَجَمِ أَرَادَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً، أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «ثُمَّ تَقَعُ الفِتَنُ كَأَنَّها الظُّلَلُ» قَالَ: فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: كَلاَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ثُمَّ لَتَعُودُنَّ فِيهَا أَسَاوِدَ صُبّاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

هذا حديثٌ صحيح الإسناد، أخرجه أحمد (١٥٩١٧).

قوله: «أساود» أي: حياتٌ، قال أبو عبيد: الأسود: العظيم من الحيَّات، وفيه سوادٌ، قال شمرٌ: هو أخبثُ الحيَّات، وربما عارض الرُّفقة، وتبع الصوت، وقيل في تفسيره: يعني جماعاتٍ، وهي جمع سوادٍ من الناس، أي: جماعةٌ ثم أسودةٌ، ثم أساودُ.

وقوله: «صُبّاً» قيل: هو جمع صابٍ مثل غازٍ وغزّى، وقيل: هو صبّاءُ على وزن فعّالٍ جمع صابىء، وصبأ: إذا مال من دين إلى دين، وقيل: هي الحيَّة السوداء إذا أرادت أن تنهس، ارتفعت، ثم انصبّت.

٤٠٥٦- عن الأسود بن سعيدٍ الهَمْداني، سَمِعْتُ جَابرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ خليفةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَقَالُوا: ثُمَّ يَكُونُ ماذا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَكُونُ الهَرْجُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه ابن حبان (٦٦٦١)، وأحمد (٢٠٨٦٠)، وأبو داود (٤٢٨١)، وتمام تخريجه في «ابن حبان».

٤٠٥٧- عن عبد الملك ـ يعني ابن عُمَير ـ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيراً» فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا، فَقَالَ أَبِي: إِنَّهُ قَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١٢٣)، ومسلم (١٨٢١).

قال سِماكُ بن حَرْبٍ عن جابر بن سمُرَة: يعني لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرَ خليفة كلهم من قريش.

بابُ

ما يكون من كثرة المال والفتوح

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]. قِيلَ: مَا فِيهَا مِنَ الكُنُوزِ، وَقِيلَ: مَوْتَاهَا.

٤٠٥٨- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَة، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ، فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الحِيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، فَلَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحداً إِلَّا اللهَ» - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلَادَ - «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى» قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «كِسْرَى بْنُ

هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَداً يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً، وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ» قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ ﷺ «يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، وأحمد (١٨٢٥٨).

وقال الأعمش عن خَيثمة عن عديٍّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلِّمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجابٌ يحجبه»، أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) (٦٧).

الدُّعَّارُ جمع داعرٍ: وهو الخبيث من الرِّجال. سعَّروا البلاد، أي: أوقدوا نيران الفِتن. وعديُّ بن حاتِم بن عبد الله الطائي كنيته أبو طريف عاش مئة وعشرين سنة، ومات بالكوفة في زمن المختار وأوصى أن لا يُصلي علَيه المختار.

وفي الحديثِ من الفوائدِ: أنَّ الله تعالى يكلِّمُ عباده المؤمنين في الدارِ الآخرةِ بغير واسطة.

وفيه: الحثُّ على الصدقة، وتَرْكُ احتقارِ القليل منها.

وفيه: دليلٌ على قربِ النار من أهل الموقف. ذكره الحافظ في «الفتح» ٤١٣/١١ ونقل عن ابن هبيرة الحنبلي أنَّ المراد بالكلمة الطيبة هنا: أن يدلَّ على هدى، أو يردَّ عن ردى، أو يصلح بين اثنين، أو يفصل بين متنازعَيْن، أو يحلَّ مُشْكلاً، أو يكشفَ غامضاً، أو يدفع ثائراً، أو يُسَكِّن غضباً. والله تعالى أعلم.

٤٠٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَ، فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

٤٠٦٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَحْسِرُ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَيَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ مِئَةٍ تِسْعُونَ» أَوْ قَالَ: «تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، كُلٌّ يَرَى أَنَّهُ يَنْجُو».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٩٤). وفيه تفسيرٌ لعلَّه النَّهْي عن الأخْذِ منه في الحديثِ السابق، وذلك لما ينشأ عنه من الاحتراب والتنازع.

٤٠٦١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، فَيَجِيءُ القَاتِلُ، فَيَقُولُ: فِي هٰذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ القَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هٰذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ، فَيَقُولُ: فِي هٰذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ، فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٠١٣)، والترمذي (٢٢٠٩).

قوله: «أفلاذ كبدها» أراد أنها تخرج الكنوز المدفونة فيها كما قال جلَّ ذكره: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ [الزلزلة: ٢] والفلذة لا تكون إلا للبعير، وهي قطعةٌ من كبد، ويجمع فِلْذاً وأفلاذاً، وهي القطعُ المقطوعة. وقيؤها: إخراجها، شبّه بالكبد الذي في بطن البعير، لأنه من أطايب الجزور، وقيل: تخرج ما في باطنها من معادن الذهب والفضة. و«الأُسطوان»: السارية.

بابُ

قتالِ الترك وقتال اليهود

٤٠٦٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهٰذَا الأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ، وَالنَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٥٨٧)، ومسلم (٢٩١٢).

٤٠٦٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ حُمْرَ الوُجُوهِ، صِغَارَ العُيُونِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ».

وعن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا اليَهُودَ، وَحَتَّى يَخْتَبِىء اليَهُودِيُّ وَرَاءَ الحَجَرِ، فَيَقُولَ الحَجَرُ: يَا عَبْدَ اللهِ يَا مُسْلِمُ تَعَالَ هٰذَا وَرَائِي يَهُودِيٌّ فَاقْتُلْهُ».

وعنه أيضاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنَ المَغْرِبِ، آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَذٰلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً».

وهذه الأحاديث متفق على صحتها، أخرجاها من طرق عن أبي هريرة.

قوله: «كأن وجوههم المَجانَّ المُطرقة» المجانُّ جمع المِجَنِّ، وهو التُرْسُ، والمُطْرَقَةُ: هي التي أطرقتْ، أي: ألبستْ بطراقٍ وهو الجلد الذي يُغشَّاه، ويقال: طارق النَّعل: إذا صيَّرَ خصْفاً على خصفٍ، شبَّه وجوههم في عرضها ونتوِّ وجناتها بالتِّرسةِ قد ألبستِ الأطرقة. الذَّلَفُ: قِصَرُ الأنف وانبطاحه.

وفي الحديثِ الثاني: أنَّ لليهودِ نهايةً محتومة، وأنَّ المسلمين سيقاتلون، وأكثرُ أهل العلم على أنَّ الملحمةَ العظمى تكون مع نزول المسيح حيث يقتل الدجال، وتظهر المعجزات مثل تكليم الشجر والحجر. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٢٧٤.

٤٠٦٤- عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هٰذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيهِمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَتَقَبَّلُ مِنْهُ صَدَقَتَهُ» قَالَ: «وَيُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَقْتَرِبُ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ» قَالُوا: الهَرْجُ ما هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ».

هو في صحيفة همام (٢٣)، وأخرجه البخاري (١٤١٢)، ومسلم ص٧٠١ (٦١) وص٢٠٥٧ (١٢).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ».

هو في صحيفة همام (٢٤)، وأخرجه البخاري (٧١٢١).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْبَعِثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ».

هو في صحيفة همام (٢٥)، وأخرجه البخاري (٧١٢١).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزاً وَكِرْمَانَ قَوْماً مِنَ الأعَاجِمِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، فُطْسَ الآنُفِ، صِغَارَ الأعْيُنِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ».

هو في صحيفة همام (١٢٦)، وأخرجه البخاري (٣٥٩٠).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ».

هو في صحيفة همام (١٢٨).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ، آمَنُوا أَجْمَعُون، وَذٰلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً».

هو في صحيفة همام (٢٦)، وأخرجه البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧).

هذه الأحاديث متفق على صحتها، أخرجاها من طرقٍ عن عبد الرزاق وطرقٍ أخر عن أبي هريرة.

٤٠٦٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاثُونَ كَذَّاباً دَجَّالًا، كُلُّهم يَكْذِبُ عَلى اللهِ وَعَلى رَسُولِهِ».

سلف تخريجه.

٤٠٦٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ، فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هٰذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢١).

وفي الحديثِ: إشارةٌ إلى بقاءِ دينِ الإسلام إلى أن ينزلَ عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتلُ الدجال، ويستأصلُ اليهودَ الذين هم تَبَعُ الدجال. أفاده الحافظ في «الفتح» ٦/ ١٢١.

بابُ

قتال الروم

٤٠٦٧- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّا لَجُلُوسٌ عِنْدَهُ بِالكُوفَةِ إِذْ هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: قَامَتِ السَّاعَةُ، حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ لَهُ هِجِّيرَى يَقُولُ: قَامَتِ السَّاعَةُ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، قَامَتِ السَّاعَةُ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، فَاسْتَوَى جَالِساً وَغَضِبَ وَكَانَ مُتَّكِئاً، فَقَالَ: وَاللهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقْتَسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ وَقَالَ: إِنَّهَا سَتَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هٰؤلَاءِ مُدَّةٌ. قَالَ حُمَيْدٌ: فَقُلْتُ لِلرَّجُلِ: الرُّومَ يَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ وَيَسْتَمِدُّ المُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَيَقْتَتِلُونَ فَتَشَرَّطَ شُرْطَةً

لِلْمَوْتِ ألاَّ يَرْجِعُوا إلاَّ غَالِبِينَ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءَ هٰؤلاءِ وَيَفِيءَ هٰؤلاَء، وَكُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ اليَوْمُ الثَّانِي كَذٰلِكَ، ثُمَّ الثَّالِثُ كَذٰلِكَ، ثُمَّ اليَوْمُ الرَّابِعُ يَنْهَدُ إلَيْهِمْ بَقِيَّةُ المُسْلِمينَ، فَيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا حَتَّى إنَّ بَنِي الأبِ كَانُوا يَتَعَادُّونَ على مِئَةٍ لاَ يَبْقَى إلاَّ الرَّجُلُ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أفَيُقْتَسَمُ هَاهُنَا مِيرَاثٌ؟ قَالَ مَعْمَرٌ: وَكَانَ قَتَادَةُ يَصِلُ هٰذا الحَدِيثَ قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ حَتَّى يَدْخُلُوا قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَيَجِدُونَ فِيهَا مِنَ الصَّفْرَاءِ وَالبَيْضَاءِ مَا إنَّ الرَّجُلَ لَيَحْجُلُ حَجْلاً، فَبَيْنَا هُمْ كَذٰلِكَ إذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ أنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَ فِي ذَرَارِيكُمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أيْدِيهِمْ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أفَيُفْرَحُ هَاهُنَا بِغَنِيمَةٍ، فَيَبْعَثُونَ مِنْهُمْ طَلِيعَةً عَشَرَةَ فَوَارِسَ أوْ اثْنَيْ عَشَرَ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: «إنِّي لأعْرِفُ أسْمَاءَهُمْ وَقَبَائلَهُمْ وَألْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرُ فَوَارِسَ فِي الأرْضِ، فَيُقَاتِلُهُمُ الدَّجَّالُ، فَيُسْتَشْهَدُونَ».

هٰذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٨٩٩).

قوله: تشرَّط شرطةً للموت. الشرطةُ: أول طائفة من الجيش تشهدُ الوقعة. قوله: يَنهدُ إليهم، يقال: نَهَدَ القوم لعدوِّهم: إذا صمدوا له.

وقوله: «هِجِّيرَى» يعني الدَّأبَ والعادة.

بابُ

ما يكون من العلامات بين يدي الساعة

٤٠٦٨- عن عَوْف بْن مَالِكٍ قَالَ: أتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةِ أدَمٍ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتّاً بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ

فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٣١٧٦)، وأحمد (٢٣٩٨٥).

المُوتان، بضم الميم: هو الموت، وبالفتح: هو الأرض التي لم تُحيَ، وقوله: «كقُعاص الغنم» القُعاص بضم القاف: داءٌ يأخذ الغنمَ لا يُلبِّثُها أن تموت، ومنه أُخِذَ الإقعاص وهو القتل على المكان، يقال: ضربَه فأقعصهُ، وفي الحديث: «مَنْ قُتِلَ قعصاً فقد استوجب المآب» أي: حُسنَ المآب. أخرجه أحمد (١٦٤١٤) وفي سنده مقال.

واستفاضة المالِ: كثرتُه، وأصلُه التفرُّق والانتشار، يقال: استفاض الحديث: إذا انتشر، والهدنةُ: الصلْحُ بعد القتال، وأصلُ الهدنةِ: السكون، يقال: هَدَنْتُ أهْدِنُ هُدوناً ومَهدَنةً، ومنه قول سلمان: مَلغاةُ أوّلِ الليل مَهْدَنةٌ لآخره يقول: إذا لغا في أول الليل فسهِرَ، لم يستيقِظْ في آخره للتهجد والصلاة. وبنو الأصفر: الروم. والغايةُ: الرايةُ، ويروى بالباء ومعناها: الأجمةُ شبَّهَ كثرةَ رماح أهل العسكرِ بها.

٤٠٦٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنَ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، وَأَمْرَ العَامَّةِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٤٧)، وابن ماجه (٤٠٥٦) وغيرهما.

قوله: خاصةُ أحدكم يعني: الموت.

٤٠٧٠- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «مَا تَذكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العرَبِ، وَآخِرُ ذٰلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد (١٦١٤١)، ومسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١) وغيرهم.

٤٠٧١- عن الزهريِّ قال: قال سعيد بن المسيّب: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

وأهْلُ العلم على أنَّ هذه النار قد خرجت، ذكر ذلك النووي في «شرح مسلم» ٢٥٦/٩ وأنَّ ذلك كان سنة أربع وخمسين وست مئة، وأن العِلْمَ بها قد تواتر عند أهل الشام، وكان النووي ما يزال على قيد الحياة، وذكره أبو شامة في «ذيل الروضتين»: ١٩٠، وكان معاصراً لذلك الحدث، ورأى فيه تصديقاً لقول رسول الله ﷺ، ونَقَل عمَّن يثق به ممَّن شاهدها بالمدينة أنَّه كُتِبَ على ضوئها الكُتُبَ بتيماء، وأنه كانوا كأن في دار كلِّ واحدٍ منهم سراجاً، وقد بسط أبو شامة الكلام عليها في «الذيل»: ١٩٠-١٩٢.

٤٠٧٢- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عمْرَانُ بَيْتِ المَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ المَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ المَلْحَمَةِ فَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ» ثُمَّ ضَرَبَ عَلى فَخِذَيْ الَّذِي حَدَّثَهُ يعني مُعَاذاً أَوْ عَلى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هٰذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنْتَ هَاهُنَا، أَوْ كَمَا أَنْتَ قَاعِدٌ».

إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٢٢٠٢٣)، وأبو داود (٤٢٩٤) في الملاحم: باب أمارات الملاحم، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠/٢٢٣ وفيه عبد الرحمن بن ثابت مختلف فيه، وترجمه الذهبي في «الميزان» ٢/٥٥١، وأورد له هذا الحديث وغيره من جملة مناكيره، ومع ذلك فقد قال الحافظ ابن كثير في «النهاية» ١/٥٩ بعد أن رواه عن الإمام أحمد: وهذا إسناد جيد، وحديث حسن، عليه نور الصدق وجلال النبوة!!

وروي عن أبي بحريَّةَ، عن معاذٍ، عن النبي ﷺ قال: «الملحمةُ العظمى، وفتح قسطنطينية، وخروج الدجال في سبعة أشهر»، أخرجه أحمد (٢٢٠٤٥) وأبو داود (٤٢٩٥) بسندٍ ضعيف.

ويروى عن عبد الله بن بُسرٍ أن رسول الله ﷺ قال: «بين الملحمةِ وفتح المدينةِ ستُّ سنين، ويخرج الدجال في السابعة» قال أبو داود: هذا أصح.

٤٠٧٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ المَلْحَمَةِ وَفَتْحِ المَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي السَّابِعَةِ».

أخرجه أبو داود (٤٢٩٦)، وابن ماجه (٤٠٩٣) وفي سنده عبد الله بن أبي وهو مجهول.

باب

٤٠٧٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ».

أخرجه البخاري (٧١١٧)، ومسلم (٢٩١٠).

وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ».

أخرجه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

وقد دلَّ حديثُ القحطاني على ما سيقع من تغيُّر الزمان وتبديلِ الأحكام بأن يطاعَ في الدين مَنْ ليس أهلاً لذلك. فهو إنذارٌ بما يكون من الشرِّ في آخرِ الزمانِ من تسوُّرِ العامة على منازل الاستقامة.

بابُ

الدجالِ لعنه الله

وهو مُشْتَقٌّ من الدَّجْلِ وهو التغطيةُ، سُمِّي بذلك لأنه يُغَطِّي الحقَّ بباطله، وأخباره ثابتةٌ في السنة الصحيحة، وقد اشتهر السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذُكِرَ عنه من الشرِّ وعِظَمِ الفتنة به وتحذير الأنبياء منه، والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة، وأُجيبَ بأجوبة ذكرها الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٩٨. وللحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي جزءٌ في «أخبار الدجال» وهو مطبوع.

٤٠٧٥- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلٰكِنِّي سَأقولُ لَكُمْ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلمونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٣٣٧)، وأحمد (٦٣٦٥) وفيه تمام تخريجه.

وقد ٱستُشْكِلَ إنذارُ نوحٍ قومَه بالدجال مع ثبوتِ الأحاديث بخروجه بعده، والجوابُ: أنَّ وَقْتَ خروجه مخفياً عنهم، فحذَّروا قومهم من فتنته، وأنَّ العِلْمَ النهائي بخروجه كان لرسولنا محمد ﷺ ولذلك اختُصَّ بقولٍ لم يَقُلْه نبيٌّ من قبله لقومه وهو أنه أعور، وإنما اقتصر على ذلك مع أنَّ أدلَّةَ الحدوث في الدَّجال ظاهرةً لكَوْنِ العَوَرِ أثرٌ محسوسٌ يدركُه العالِمُ والعاميُّ ومَنْ لا يهتدي إلى الأدلَّةِ العقلية، فإذا ادَّعى الربوبية وهو ناقصُ الخِلْقَةِ - والإله يتعالى عن النقص- عُلِمَ أنه كاذب.

٤٠٧٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عمر قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ، وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).

الطافيةُ من العنب: الحبَّةُ الخارجةُ عن أخواتها، ومنه الطافي من السمك، لأنه يعلو أو يظهر على رأس الماء، يريد أنَّ حدقته قائمةٌ كذلك.

٤٠٧٧- عَنْ أنَس، عَنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الدَّجَّالَ أعْوَرُ، عَيْنُهُ الشِّمَالُ عَلَيْهَا ظَفرَةٌ غَلِيظَةٌ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ: كَافِرٌ ك ف ر».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

وعن حُذيفة أيضاً: أنه أعور العين اليسرى، أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

قال الأصمعيُّ: الظفرةُ: لحمةٌ تنبت عند المآقي.

وروى ربعيُّ بن حِراشٍ عن حُذيفةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدجال ممسوحُ العين، عليها ظفرةٌ غليظةٌ، مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرؤه كل مؤمنٍ كاتب وغير كاتب» أخرجه مسلم (٢٩٣٤) (١٠٥).

٤٠٧٨- عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود: أنَّ أبَا سَعِيدٍ قَالَ: حدثنَا النَّبيُّ ﷺ يَوْماً حَدِيثاً طَويلاً عَنِ الدَّجَّالِ، فَكَانَ فِيمَا يُحَدِّثُنَا بِهِ أنَّهُ قَالَ: «يَأْتِي الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي المَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إلَيْهِ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، فَيَقُولُ: أشْهَدُ أنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أرَأيْتُمْ إنْ قتلْتُ هٰذَا، ثُمَّ أحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أنْ يَقْتُلَهُ، فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

قوله: «السِّباخُ» بكسر السين جمع سَبَخَةٍ بفتحتين، وهي الأرضُ الرملة التي لا تُنبتُ لملوحتها.

قال معمرٌ: بلغني أنه يُجعلُ على حلقه صفيحةٌ من نحاس، وبلغني أنه الخضِرُ الذي يقتله الدجال، ثم يحييه. قال ابن العربي المالكي: وهذه دعوى لا بُرْهان لها.

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ الدجال لا يستطيع دخولَ المدينة. وأنَّ ما يعطاه الدجالُ من إحياء الموتى هو على سبيل الفتنة للعبادِ إذْ كان عندهم ما يدلُّ على أنه مُبْطِلٌ وهو أنه أعور مكتوبٌ على جبهته: «كافر» يقرؤه كلُّ مسلم، فدَعْواه داحضةٌ مع وَسْمِ الكُفْرِ ونَقْصِ الذات والقَذْرِ.

٤٠٧٩- عن رِبْعي بن حِراشٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ، قَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَاراً، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً، فَنَارٌ تُحرِقُ، وَأَمَّا الذِي يَرَاهُ النَّاسُ ناراً، فَماءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ النَّارَ، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ» فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ تَصْدِيقاً لِحُذَيْفَةَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٣٥).

٤٠٨٠- عَنْ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ إِنَّكَ لَنْ تُدْرِكَهُ» قُلْتُ: يَا رَسُولُ اللهِ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ جِبَالَ خبزٍ وَأَنْهَارَ مَاءٍ، وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ».

هذا حديثٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩).

وقوله: «إنَّه أهْوَنُ على الله من ذلك» معناه: هو أهْوَنُ على الله من أن يَجْعَلَ ما خلقه الله تعالى على يَدِه، مُضِلاً للمؤمنين، ومُشَكِّكاً لقلوبهم، بل إنَّما جعله له ليزدادَ الذين آمنوا إيماناً، ويثبت الحجَّةَ على الكافرين والمنافقين ونحوهم. وليس معناه أنه ليس معه شيءٌ من ذلك. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٣٠١.

وقال الحافظ ابن كثير في «النهاية» ١/ ١٤٧: وقد تمسك بحديث المغيرة هذا طائفة من العلماء، كابن حزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال مُمَخْرِقٌ مُمُوِّه لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه، بل كلها خيالات عند هؤلاء. وقال ابن حبان في «صحيحه»، بإثر حديث المغيرة (٦٨٠٠): إنكار المصطفى ﷺ على المغيرة بأن مع الدجال أنهار الماء ليس يضاد خبر أبي مسعود (٦٧٩٩) والذي ذكرناه، لأنه أهون على الله من أن يكون معه نهرٌ يجري، والذي معه يرى أنه ماء، ولا ماء من غير أن يكون بينهما تضاد.

٤٠٨١- عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ، عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهَا وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي

أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ، فَعاثَ يَمِيناً، وَعاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أرْبَعُونَ يَوْماً يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أيَّامِهِ كَأيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذٰلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أيَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لاَ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إسْرَاعُهُ فِي الأرْضِ قَالَ: «كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَ بِهِ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلى القَوْمِ، فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أطْوَلَ مَا كَانَ ذُرَىً وَأسْبَغَهُ ضُرُوعاً، وَأمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، قَالَ: فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أحْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَيَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلى أجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذَا طَأْطَأَ رَأسَهُ، قَطَرَ، وَإذَا رَفَعَهُ، تَحَدَّرَ مِنْهُ مِثْلُ جُمَانٍ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلَهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسى قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إذْ أوْحَى اللهُ إلَى عِيسَى: إنِّي قَدْ أخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لاَ يَدَانِ لأحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ

عِبَادِي إلَى الطورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوائِلُهُمْ عَلى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُوا مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ بِهٰذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ، وَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتَنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ البُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَراً لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، بَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

ورواه مسلم (٢٩٣٧) زاد بعد قوله: «لقد كان بهذه مرة ماء: ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَرِ وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَن في الأرض، هَلمَّ فلنقتل مَن في السماء، فيرمون بنُشابهم إلى السماء، فيرُدُّ الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً».

هذا حديثٌ صحيحٌ.

قوله: إنه خارج خَلَّة، أي: سَبِيلاً بين الشام والعراق. وقوله: «فيقطعه جِزْلتين» أي: قطعتين. قوله: «بين مَهرودتَين» أي: في شقتين أو خلتين، ويروى هذا الحرف: «مهرودتَين» بالدال والذال جميعاً، أي: ممصَّرتين، والمُمَصَّرَةُ من الثياب: التي فيها صُفرةٌ. ويروى في وصف عيسى: «رجلٌ مربوعٌ إلى البياض والحمرة يمشي بين ممصَّرتين».

وقوله: «وهم من كلِّ حَدَبٍ ينسِلون»، أي: يُسرعون، يقال: نسلَ يَنسِلُ نسلاناً. وقوله: «فيرسِلُ عليهم النَّغفَ» النَّغفُ: دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم واحدها: نَغفةٌ.

وقوله: «فيصبحون فَرْسى» أي: قتلى الواحد فَريسٌ، مثل قتلى وقتيلٍ، وصريعٍ وصرعى من فَرْس الذِّئب الشاة.

وقوله: «فيتركها كالزَّلَفة» الزَّلفة: واحدةُ الزَّلفِ وهي المصانع، وهي المزالفُ أيضاً. وقيل: هي المرآةُ، شَبَّهها بها في صفائِها ونظافتها.

وقوله: «زهمهم ونَتنهم» هو دَسَمُهم ورائحتهم الكريهة.

و«الرِّسْلُ» بكسر الراء وسكون السين: اللبن. واللِّقْحةُ: القريبةُ العَهْدِ بالولادة.

و«الفَخِذُ»: الجماعةُ من الأقارب.

وقوله: «يتهارجون» أي: يُجامع الرجالُ النساءَ بحضرة الناس كما تفعل البهائم، ولا يكترثون لذلك. نسأل الله العفوَ والعافية والسلامة وأن يحفظ علينا ديننا الذي أكرمنا به.

٤٠٨٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ، فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ، فَيَلْقَاهُ المَسَالِحُ مَسَالِحُ

الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هٰذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَداً دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هٰذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ، فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ فَشَبِّحُوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُوشَرُ بِالْمِيشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِماً، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يُفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاساً، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٣٨).

قوله: «المسالح»: هم قومٌ معهم السلاح يُرَتَّبون في المراكز كالخُفَراءِ. سُمّوا بذلك لحملهم السلاح، والشَّبْحُ: المدُّ على البطن والميشارُ: هو المنشار.

٤٠٨٣- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الأَنْصَارِيِّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي، فَذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ سِنِينَ: سَنَةٌ

تُمْسِكُ السَّماءُ ثُلُثَ قَطْرِهَا وَالأَرْضُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، وَالثَّانِيَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَيْ قَطْرِهَا، وَالأَرْضُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، وَالثَّالِثَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا كُلَّهُ، وَالأَرْضُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ وَلَا ذَاتُ ضِرْسٍ مِنَ البَهَائِمِ إِلَّا هَلَكَتْ، وَإِنَّ مِنْ أَشَدِّ فِتَنِهِ أَنَّهُ يَأْتِي الأَعْرَابِيَّ، فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتُ لَكَ إِبِلَكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى، فَيُمَثِّلُ لَهُ نَحْوَ إِبِلِهِ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ ضُرُوعاً وَأَعْظَمِهِ أَسْنِمَةً، قَالَ: وَيَأْتِي الرَّجُلُ قَدْ مَاتَ أَخُوهُ، وَمَاتَ أَبُوهُ، فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتُ لَكَ أَبَاكَ، وَأَحْيَيْتُ لَكَ أَخَاكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيُمَثِّلُ لَهُ الشَّيَاطِين نَحْوَ أَبِيهِ وَنَحْوَ أَخِيهِ» قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ وَالقَوْمُ فِي اهْتِمَامٍ وَغَمٍّ مِمَّا حَدَّثَهُمْ، قَالَتْ: فَأَخَذَ بِلُحْمَتَي البَابِ، فَقَالَ: «مَهْيَمْ أَسْمَاءُ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ خَلَعْتَ أَفْئِدَتَنَا بِذِكْرِ الدَّجَّالِ، قَالَ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَنَا حَجِيجُهُ، وَإِلَّا فَإِنَّ رَبِّي خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ» قَالَتْ أَسْمَاء: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ إِنَّا لَنَعْجِنُ عَجِينَنَا، فَمَا نَخْبِزُهُ حَتَّى نَجُوعَ فَكَيْفَ بِالمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ؟ فَقَالَ: «يُجْزِيهِمْ مَا يُجْزِي أَهْلَ السَّمَاءِ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ».

أخرجه أحمد (٢٧٥٦٧) و(٢٧٥٧٩)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٣٥٤ وقال: رواه كلّه أحمد والطبراني من طرق، وفي إحداها: يكون قبل خروجه سنون خمس جُدب. وفيه شهر بن حَوْشَب، وفيه ضَعْفٌ، وقد وُثِّق.

٤٠٨٤- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَمْكُثُ الدَّجَّالُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالجُمُعَةِ، وَالجُمُعَةُ كَاليَوْمِ، وَاليَوْمُ كَاضْطِرَامِ السَّعَفَةِ فِي النَّارِ».

إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، أخرجه أحمد (٢٧٥٧١)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٣٤٧/٧ مطوّلاً، وعزاه للطبراني وأعلّه بشهر.

٤٠٨٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ السِّيجَان».

إسناده ضعيف جداً لضعف أبي هارون العبدي واسمه غمارة بن جوين متروك.

السيجان: جمع الساج: وهو طيلسانٌ أخضر، وقال الأزهريُّ: هو الطيلسان المقور يُنسج كذلك.

٤٠٨٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ آدَمِ الرجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا، فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً مُتَّكِئاً عَلى رَجُلَيْنِ، أَوْ عَلى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ فَقَالُوا: هٰذَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، قَالَ: ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أَعْوَرَ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَن هٰذَا؟ قَالُوا: هٰذَا المَسِيحُ الدَّجَّالُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٩٩٩) عن عبد الله بن مسلمة عن مالكٍ، وأخرجه مسلم (١٦٩) عن محمد بن إسحاق المُسيَّبي، عن أنس بن عياضٍ، عن موسى بن عُقبة، عن نافعٍ وقال في الدَّجال: «ورأيت وراءه رجلاً جَعْداً قَطَطاً أعورَ عَيْنِ اليمنى كأشبه مَنْ رأيتُ من الناس بابن قطنٍ واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت».

وبَعْضُ الناس يقولون للدَّجال: مِسِّيحٌ بكسر الميم وتشديد السِّين على وزن فِعِّيل، وليس بشيء، بل هما في اللفظ واحدٌ، وسمي عيسى عليه السلام

مَسيحاً، لأنه كان يمسح الأرض، أي: يقطعها، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهةٍ إلا برأ. وقال أبو عُبيدٍ: المسيح أصله بالعِبرانيّة مَشيحا، فعُرب كما عرِّب موسى.

وأما الدَّجال، فسمي مَسيحاً، لأنه ممسوحُ إحدى العينين، والمسيح الأعور وبه سمِّي الدجال.

٤٠٨٧- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ زَيْدٍ الأنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَمِّي مُجَمِّعَ بْنَ جارِيَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ».

صحيح لغيره، وأخرجه الترمذي (٢٢٤٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وأخرجه أحمد (١٥٤٦٦)، وصحَّحه ابن حبان (٦٨١١) وفيه تمامُ تخريجه.

وبابُ لُدٍّ «اللُّد»: منطقة معروفة في فلسطين.

حديث تميم الداري عن الدجال

٤٠٨٨- عن الشعبي قال حَدَّثَتْنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسٍ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَادَى: الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ، فَخَرَجَ النَّاسُ إلَى المَسْجِدِ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَقَالَ: «أَنْذَرْتُكُمُ الدَّجَّالَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، أَلاَ وَإنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيمَا مَضَى، وَهُوَ كَائِنٌ فِيكُمْ أَيَّتُهَا الأُمَّةُ، ألا إنَّ تَمِيماً الداريَّ أخْبَرَنِي أَنَّ رَكْباً رَكِبُوا بَحْرَ الشَّامِ فِي نَفَرٍ مِنْ لَخمٍ وَجُذَامَ، فَأَلْقَتْهُمُ الرِّيحُ إلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِهِ، فَإذَا هُمْ بِالدَّهْمَاء تَجُرُّ شَعَرَهَا، قَالُوا: مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا الجَسَّاسَةُ، قَالُوا: فَأَخْبِرِينَا، قَالَتْ: مَا أَنَا بِمُخْبِرِكُمْ، وَلَا أنا بِمُسْتَخْبِرِكُمْ، وَلٰكِنِ ائْتُوا رَجُلاً فِي هٰذَا الدَّيْرِ، فَإنَّهُ إلَى رُؤْيَتِكُمْ بِالأشْوَاقِ، قَالَ: فَدَخَلُوا فَإذَا رَجُلٌ

مَمْسُوحُ العَيْنِ، مُوثَقٌ بِالحَدِيدِ إِلَى سَارِيَةٍ، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قُلْنَا: نَحْنُ العَرَبُ، قَالَ: مَا فَعَلَتِ العَرَبُ؟ قُلْنَا: ظَهَرَ فِيهِمْ نَبِيٌّ يَتِيمٌ يَدْعُو إِلَى اللهِ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ النَّاسُ؟ قُلْنَا: تَبِعَهُ قَوْمٌ، وَتَرَكَهُ قَوْمٌ، قَالَ: أَمَا إِنْ هُمْ يَتَّبِعُونَهُ وَيُصَدِّقُونَهُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَتِ العَرَبُ أَيْشٍ لِبَاسُهُمْ؟ قُلْنَا: صُوفٌ وَقُطْنٌ تَغْزِلُهُ نِسَاؤُهُمْ، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَيْهَاتَ، ثُمَّ قَالَ: مَا فَعَلَتْ عَيْنُ زُغَرَ؟ قُلْنَا: كَثِيرٌ مَاؤُهَا، تَتَدَفَّقُ، تُرْوِي مَنْ أَتَاهَا، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَيْهَاتَ مَا فَعَلَ نَخْلُ بَيْسَانَ؟ قُلْنَا: يُؤْتِي جَنَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَيْهَاتَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَطْلَقَنِي اللهُ مِنْ وَثَاقِي هٰذَا لَمْ يَبْقَ مَنْهَلٌ إِلَّا دَخَلْتُهُ إِلَّا مَكَّةَ وَطَيْبَةَ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذِهِ طَيْبَةُ حَرَّمْتُهَا كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ سِكَّةٍ وَنَقْبٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ شَاهِرٌ بِالسَّيْفِ يَمْنَعُهَا مِنَ الدَّجَّالِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

قوله: هيهات كأنه يريدُ تغيُّرَ أحوالِ هذه الأشياء، فقد روى ٱبنُ بُرَيدةَ، عن الشعبيِّ في هذا الحديث أنه قال: «أخبروني عن نخل بَيْسانَ هل يُثْمِر؟ قلنا: نعم، قال: أما إنها توشك ألا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية هل فيها ماءٌ؟ قلنا: هي كثيرةُ الماء، قال: أما إنَّ ماءها يوشك أن يذهب».

٤٠٨٩- عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَأَتْحَفَتْنَا رُطَباً، وَسَقَتْنَا سَوِيقَ سُلْتٍ، فَسَأَلْتُهَا عَنِ المُطَلَّقَةِ ثَلَاثاً أَيْنَ

تَعْتَدُّ، فَقَالَتْ: أذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ طَلَّقَنِي بَعْلِي أنْ أعْتَدَّ فِي أهْلِي، وَأنْ أتَحَوَّلَ، قَالَتْ: فَنُودِيَ يَوْمَئِذٍ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَانْطَلَقْتُ فِيمَنِ انْطَلَقَ مِنَ النِّسَاءِ، وَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الأوَّلِ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا يَلِي الصَّفَّ المُؤَخَّرَ مِنَ الرِّجَالِ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ بَنِي عَمٍّ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ رَكِبُوا البَحْرَ، وَإنَّ سَفِينَتَهُمْ قَذَفَتْهُمْ إلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ البَحْرِ، فَرَأَوْا هُنَالِكَ دَابَّةً يُوَارِيهَا شَعْرُهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إلَيْهَا القَوْمُ، قَالَتْ: أنَا الجَسَّاسَةُ إنَّ فِي ذٰلِكَ الدَّيْرِ مَنْ هُوَ إلَى خَبَرِكُمْ بِالأشْوَاقِ أنْ يَرَاكُمْ، فَانْطَلَقَ القَوْمُ، فَرَأَوْا رَجُلًا مُكَبَّلًا فِي الحَدِيدِ تَضَاوَرَ كَأنَّهُ أعْجَبَهُ دُخُولُهُمْ، فَسَألَهُمْ: أخَرَجَ صَاحِبُكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَاتَّبِعُوهُ، ألَا تُخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ أطْعَمَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَأخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ مَا فَعَلَتْ؟ قُلْنَا: كَثِيرَةُ المَاءِ، قَالَ: وَعَيْنُ زُغَرَ؟ قُلْنَا: وَعَيْنُ زُغَرَ، قَالَ: أمَا إنِّي لَوْ خَرَجْتُ، لَوَطِئْتُ الأرْضَ كُلَّهَا غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ». وَكَأنِّي أنْظُرُ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ بِمِخْصَرَتِهِ بِيَدِهِ: «وَهٰذِهِ طَيْبَةُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٤٢) (١٢٠).

وسميت المدينةُ طيبة، لأنها طاهرةٌ من الخَبث والنِّفاق، كما قال عليه السلام: «المدينةُ كالكير تنفي خبثها وينصَعُ طيِّبُها»، أخرجه البخاري (١٨٨٣).

قوله: تضاور، أي: يُظهِرُ الضرَّ الذي به من الضَّوْرِ وهو الضُرُّ. والجسَّاسَةُ يقال: إنها تجسسُ الأخبار للدَّجال. وقوله: نخلُ بيسان أطعمَ، أي: هل أثمرَ؟ يقال: بأرض فلانٍ من الشجر المطعِمِ كذا، أي: المثمِر.

و«عَيْنُ زُغَر» بزاي معجمة مضمومة ثم غين مفتوحة: بلدةٌ معروفةٌ في الجانب القِبْلي من الشام.

و«السُّلْت» بضم السين وسكون اللام: حبٌّ يشبه الحنطة أو الشعير.

باب

ذكر ابن الصياد

٤٠٩٠- عن عبد الله بن عمر أنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ أصْحَابِهِ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فِي أُطمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَرَضَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ»، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ: «خُلِّطَ الأَمْرُ عَلَيْهِ» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئاً»، فَقَالَ: هُوَ الدُّخُّ، قَالَ: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ» قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأْذَنُ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ، لَا تُسَلَّطْ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ، فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ» قَالَ سَالِمٌ: فَسَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأُبَيُّ ابْنُ كَعْبٍ الأَنْصَارِيُّ يَؤُمَّانِ النَّخْلَ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ حَتَّى إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، طَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنَ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئاً قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ، وَابْنُ صَيَّادٍ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا

رَمْرَمَةٌ أوْ زَمْزَمَةٌ، فَرَأَتْ أُمُّ صَيَّادٍ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ، فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: أيْ صَافِ ـ وَهُوَ اسْمُهُ ـ هٰذَا مُحَمَّدٌ، فَتَنَاهَى ابْنُ صَيَّادٍ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ» قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلٰكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦١٧٣ و٦١٧٤)، ومسلم (٢٩٣٠).

ورُوِيَ عن أبي سعيد الخدريِّ في هذه القصة قال له رسول الله ﷺ: «ما ترى؟» قال: أرى عرشاً على الماء، فقال رسول الله ﷺ: «يَرى عرش إبليس على البحر، وما ترى؟» قال: أرى صادقَيْنِ وكاذباً، أو كاذبينِ وصادقاً، فقال رسول الله ﷺ: «لُبِّسَ عليه دعوه» وهي رواية مسلم (٢٩٢٥).

قوله: «فرضَّه» بالضاد المعجمة التي معناها الكسر، قال الخطابيُّ: هو غلطٌ: والصواب: فرصَّه بالصاد غير المعجمة أي: تناوله، فضغطه حتى ضم بعضه إلى بعضٍ، ومنه رصُّ البناء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ﴾ [الصف: ٤] وقال يونس عن الزُهريِّ: فرفضه.

وقوله: «خَبَّأْتُ لك خَبيئاً» كان قد خبأ له ﴿يوم تأتي السماء بدُخانٍ مبين﴾ والدُخُّ: الدخان. قوله: «فلن تعدو قدرَكَ» قال الخطابيُّ: يحتمِل وجهين أحدهما: يريد أنه لا يبلغُ قدرَهُ أن يُطالع الغيبَ من قِبل الوحي الذي يوحى به إلى الأنبياء، ولا من قِبل الإلهام الذي يُلقى في روح الأولياء، وإنما كان الذي جرى على لسانه شيئاً ألقاه الشيطان حين سمع النبيَّ ﷺ يُراجع به

أصحابه قبل دخوله النخل. والآخر، أي: لن تسبق قدَرَ الله فيك وفي أمرك، وقد يَستدل به بعضُ أهل العلم على صحة إسلام غير البالغ ولولا ذلك لم يستكشفه رسول الله ﷺ عن الإيمان وهو إذ ذاك غير بالغ.

وقوله: «يختِل» أي: يَطلب أن يأتيه من حيث لا يَعلم، فيسمع ما يقوله في خلوته، ومنه خَتلُ الصيدِ وهو أن يُؤتى من حيث لا يشعر، فيُصاد.

قوله: «له فيها رَمْرَمةٌ أو زَمْزمَةٌ» وقال يونس عن الزهري: زَمْزَمةٌ بالزاي، وقال عُقيل عن الزهري: رمرمةٌ بالراء، وقال معمرٌ عن الزُهري: رَمْزَةٌ، ويروى: زَمْرَةٌ، أي: رَمْزَةٌ، وهذه ألفاظٌ معانيها متقاربةٌ، الرَّمرمَةُ تكون بمعنى الحركة، ففي حديث عائشة كان له - عليه السلام - وَحْشٌ، فإذا خرج لعبَ، وإذا جاء، رَبَضَ، فلم يترمرم ما دام في البيت. أي: لم يتحرك. أخرجه أحمد (٢٤٨١٨) بسندٍ قوي. والزمزمةُ بالزاي: الصوت، يقال: زمزمَ يُزمزمُ زمزمةً: إذا صَوَّتَ، وقيل في شأن زمزم سميت به لصوتٍ كان من جبريل عندها يشبه الزمزمةَ، وقيل: لأن هاجر زمَّتِ الماء بالتحجير عليه، وأصلها زَمَّم، ومن قال رمـزةٌ، فمن الرمز وهو الإشارة، وقد يكون بالعينين والحاجبين والشفتين، وأصله الحركة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إلا رمزاً﴾ [آل عمران: ٤١] قال مجاهدٌ: إيماءً بشفتيه، ومن قال: زمرةٌ بتقديم الزاي المعجمـة، فلعله كان يتغنى مع نفسـه بشيء. قال الأصمعـيُّ: زمَرَ: إذا غنَّـى، وفي الحديث: نهى عن كسب الزمارة، أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ١٢٦/٦. قيل: معناه المغنِّيةُ. قوله: «لو تَرَكَتْهُ بيَّنَ» أي: بَيَّنَ ما في نفسه.

٤٠٩١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَقِيتُ ابْنَ صَيَّادٍ يَوْماً وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَإِذَا عَيْنُهُ قَدْ طَفَتْ، وَكَانَتْ عَيْنُهُ خَارِجَةً كَعَيْنِ الجَمَلِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا، قُلْتُ: يَا ابْنَ الصَّيَّادِ أَنْشُدُكَ اللهَ مَتَى طَفَتْ عَيْنُكَ؟ فَقَالَ: لَا

أدْرِي وَالرَّحمٰنِ، قُلْتُ: كَذَبْتَ لَا تَدْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ، فَنَخَرَ ثَلاَثاً، فَزَعَمَ اليَهُودِيُّ أنِّي ضَرَبْتُ بِيَدِي عَلى صَدْرِهِ، قَالَ: وَلاَ أعْلَمني فَعَلْتُ ذٰلِكَ، فَقُلْتُ: اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ، فَقَالَ: أجل لَعَمْرِي وَأعْدُو قَدْرِي فَكَأنَّمَا كَانَ سِقَاءً انْقَشَّ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لحفْصَةَ، فَقَالَتِ: اجْتَنِبْ هٰذَا الرَّجُلَ، فإنّا نَتَحَدَّثُ أنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ عِنْدَ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا».

إسناده صحيح، وذكره الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٢٧٤ وعزاه لعبد الرزاق في «المصنَّف».

٤٠٩٢- عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَيَّادٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ مَا أرَدْتَ مِنَ ابْنِ صَيَّادٍ، أمَا عَلِمْتَ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٣٢).

قال أبو سليمان الخطابيُّ في «معالم السنن» ٤/ ٣٢٢: وقد اختلف الناس في أمر ابن صيَّادٍ اختلافاً شديداً، وأشكلَ أمرُه حتى قيل فيه كلُّ قولٍ، وقد يُسأل عن هذا، فيقال: كيف يُقارُّ رسولُ الله ﷺ رجلاً يدَّعي النُبوَّة كاذباً، ويتركه بالمدينة يُساكنُه في داره، ويجاوره فيها، وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من آية الدخان، وقوله بعد ذلك: «اخسأ فلن تعدو قدْرك»؟!

قال أبو سليمان: والذي عندي أنَّ هذه القصةَ إنما جرت معه أيامَ مهادنةِ رسولِ الله ﷺ اليهودَ وحلفاءَهم، وذلك أنه بعد مَقدمه المدينة كتب بينه

وبينهم كتاباً صالحهم فيه على أن لا يُهاجوا، وأن يُتركوا على أمرهم، وكان ابن الصيَّاد منهم، أو دخيلاً في جملتهم، وكان يَبلغ رسول الله خبرُه وما يدَّعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الغيب، فامتحنوه بذلك ليروزَ به أمْره، ويخبر به شأنه، فلما كلَّمه، عَلم أنه مبطل، وأنه من جملة السحرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رئيٌ من الجن، أو يتعاهده شيطان، فيلقي على لسانه بَعْضَ ما يتكلم به، فلما سمع منه قوله الدُّخ، زَبَرَهُ، فقال: «اخسأ فلن تعدو قدْرك» يريد أن ذلك شيءٌ ألقاه إليه الشيطان، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قِبلِ الوحي السماويِّ، إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يُلهمون العلم، ويصيبون بنور قلوبهم الحقَّ، وإنما كانت له ناراتٌ يُصيب في بعضها، ويخطىء في بعض، وذلك معنى قوله: يأتيني صادقٌ وكاذب. فقال له عند ذلك: «خُلِّطَ عليك» فالجملة من أمرِهِ أنه كان فتنةً قد امتحنَ اللهُ به عباده المؤمنين، ليهلك من هلك عن بيِّنة، وقد امتحن قوم موسى عليه السلام في زمانه بالعجل، فافتتن به قومٌ وأهلِكوا، ونجا من هَداه الله وعصمه منهم.

وقد اختلفت الرِّوايات في أمره وفيما كان من شأنه بعد كبره، فروي أنه قد تاب عن ذلك القول، ثم إنه مات بالمدينة، وإنهم لما أرادوا الصلاةَ عليه، كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس، وقيل لهم: اشهدوا.

٤٠٩٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ الصَّيَّادِ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ لِي: قَدْ لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَّالُ أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي، أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولَ: «لَا يَدْخُلُ المَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالمدِينَةِ وَهَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ مَوْلِدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ فَلَبَّسَنِي.

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٢٧).

وذهب ابن عمر إلى أن ابن صيَّاد هو الدَّجال، أخرجه أبو داود (٤٣٣٠) بسندٍ صحيح.

وقال محمد بن المنكدِر: رأيتُ جابرُ بَنَ عبد الله يحلِفُ بالله: إن ابن الصائد الدَّجال، فقلتُ: تحلِفُ بالله؟ قال: إني سمعتُ عمر يحلفُ على ذلك عند النبي ﷺ، فلم يُنكرهُ النبي ﷺ، أخرجه البخاري (٧٣٥٥)، ومسلم (٢٩٢٩).

ويروى أنه قيل لجابر: إنه أسلمَ؟ فقال: وإن أسلمَ، فقيل: إنه دخل مكة، وكان بالمدينة، فقال: وإن دخل، أخرجه أبو داود (٤٣٢٨) بسندٍ حسن.

وروي عن جابر أنه قال: فقدنا ابن صيَّاد يوم الحرَّة، أخرجه أبو داود (٤٣٣٢) بسندٍ صحيح، وهذا يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة والله أعلم.

وروي عن أبي ذرٍّ أنه كان يقول: هو الدَّجال، وقال: قالت أمه: حملته اثني عشر شهراً، فلما وقع، صاح صياح ابن شهرين، وكان يَشبُّ في اليوم الواحد شباب الصبي لشهرٍ، أخرجه أحمد (٢١٣١٩) بسندٍ حسن.

وروي عن عبد الرحمن بن أبي بكرةَ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يمكث أبَوا الدَّجال ثلاثين عاماً لا يولد لهما، ثم يولد لهما غلامٌ أعورُ وأضرسُ وأقلُّه منفعةً، تنام عيناه ولا ينام قلبه» فسمعنا بمولودٍ في اليهود بالمدينة، فذهبتُ أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه؟ فإذا نعتُ رسول الله ﷺ، فقلنا: هل لكما ولدٌ؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا، ثم وُلدَ لنا غلامٌ أعورُ أضرسُ، وأقله منفعة، تنام عيناه، ولا ينام قلبه. أخرجه أحمد (٢٠٤١٨)، والترمذي (٢٢٤٩) بسندٍ ضعيف.

٤٠٩٤- عَنْ جابرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ قالَ: إنَّ امْرَأَةً مِنَ اليَهُودِ بِالمَدِينَةِ وَلَدَتْ غُلاماً مَمْسُوحَةً عَيْنُهُ، طَالِعَةً ناتئه، فَأشْفق رَسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يَكُونَ الدَّجّالَ، فَوَجَدَهُ تَحتَ قَطِيفَةٍ يُهمْهِمُ، فَآذَنتْهُ أُمُّهُ، فَقَالَتْ: يَا عَبْد اللهِ هٰذَا أبُو القَاسِمِ، فَخَرَجَ مِنَ القَطِيفَةِ، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَهَا قَاتَلَهَا اللهُ؟ لَوْ تَرَكَتْهُ لَبيَّنَ» ثُمَّ قَالَ: «يَا ابْنَ الصَّائِدِ مَا تَرَى؟» قَالَ: أرَى حَقّاً، وَأرَى بَاطِلاً، وَأرَى عَرْشاً عَلى المَاءِ قَالَ: «فَلُبِّسَ» فَقَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» قَال هُوَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ» ثُمَّ خَرجَ وَتَرَكَهُ، ثُمَّ أتى مَرَّةً أُخرَى، فَوَجَدَهُ فِي نَخْلٍ لَهُ يُهَمْهِمُ، فَآذَنَتْهُ أُمُّهُ، فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ هٰذَا أبُو القَاسِمِ قَدْ جَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَهَا قَاتَلَهَا اللهُ لَوْ تَرَكَتْهُ لَبَيَّنَ» قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَطمَعُ أنْ يَسْمَعَ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئاً، فَيَعْلَمَ هُوَ هُوَ أمْ لَا، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الصَّائِدِ مَا تَرَى؟» قَالَ: أرَى حَقّاً، وَأرَى بَاطِلاً، وَأرَى عَرْشاً عَلى المَاءِ، قَالَ: «أتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» فقال هو: أَتَشْهَدُ أَنِّي رسول اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ» فَلُبِّسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَتَرَكَهُ، ثُمَّ جَاءَ فِي الثَّالِثَةِ أمِ الرَّابِعَةِ، وَمَعَهُ أبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ وَأنَا مَعَهُ، قَالَ: فَبادَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أيْدِيهِمْ، وَرَجَا أنْ يُسْمِعَهُمْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئاً، فَسَبَقَتْهُ أُمُّهُ إلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ هٰذَا أبُو القَاسِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَهَا قَاتَلَها اللهُ لَوْ تَرَكَتْهُ لَبيَّنَ» فَقَالَ: «يَا ابْنَ صَائِدٍ مَا تَرَى؟» قَالَ: أرى حَقّاً وَأرَى بَاطِلاً، وَأرَى عَرْشاً عَلى المَاءِ، فَقَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ» فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ صَائِدٍ إنَّا قَدْ خَبَأنَا لَكَ خَبِيئَةً فَمَا هُوَ؟»

قَالَ: الدُّخُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْسَأْ، اخْسَأْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: إِئْذَنْ يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ، فَلَسْتَ صَاحِبَهُ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَإِلَّا يَكُنْ هُوَ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ العَهْدِ» قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُشْفِقاً أَنَّهُ الدَّجَّالُ.

أخرجه أحمد (١٤٩٥٥) وفيه تدليسُ أبي الزبير، وباقي رجاله ثقات.

فيه دليل على أنه كان من أهل العهد، ولذلك مَنع النبي عليه السلام عن قتله.

بابُ
نزولِ عيسى ابن مريم صلوات الله عليه

٤٠٩٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَادِلًا يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، فَيَفِيضُ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

قوله: «يكسِر الصَّليب» يريد إبطالَ النصرانيةِ، والحكمَ بشرع الإسلام، ومعنى قتل الخنزير: تحريم اقتنائه وأكلِه وإباحةِ قتلهِ، وفيه بيانُ أنَّ أعيانَها نجسةٌ، لأن عيسى عليه السلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام، والشيء الطاهر المنتفع به لا يُباح إتلافه.

وقوله: «ويضعُ الجزية» معناه: أنه يضعها عن أهل الكتاب، ويحملهم على الإسلام، فقد روي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في نزول عيسى «وتهلك في زمانه المِلَلُ كلُّها إلا الإسلام، ويهلك الدجال، فيمكث في الأرض أربعين

سنة، ثم يُتوفى، فيصلي عليه المسلمون»، حديث صحيح، أخرجه أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤).

وقيل: معنى وَضْع الجزية: أنَّ المالَ يكثُرُ حتى لا يوجد محتاجٌ ممن يُوضَع فيهم الجزية، يدل عليه قوله عليه السلام: «فيفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ».

٤٠٩٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ، وَلَيَتْرُكَنَّ القِلَاصَ، فَلَا يَسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى المَالِ، فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٥٥) (٢٤٣).

قوله: «القِلاص» بكسر القاف، جمع قَلوص وهي الشابَّةُ من الإبل. والمعنى: أنَّه يُزْهَدُ فيها ولا يُرْغَبُ في اقتنائها؛ لكثرة الأموال وقلَّة الآمال وعَدَمِ الحاجة والعِلْمِ بقُرْبِ القيامة. وإنَّما ذُكِرت القِلاصُ لكونها أشرفَ الإبل التي هي أنفسُ الأموال عند العرب. أفاده النووي في «شرح مسلم» ١/ ٤٧٠.

٤٠٩٧- عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) (٢٤٤).

وقال معمرٌ عن الزهريِّ: «فأمَّكم أو إمامكم منكم» وقال ابن أبي ذئب عن ابن شهابٍ: «فأمَّكم منكم» قال ابن أبي ذئب في معناه: فأمَّكم بكتاب ربكم، وسنَّة نبيكم ﷺ، أخرجه مسلم (١٥٥) (٢٤٦).

٤٠٩٨- عَنْ حَنْظَلَةَ الأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ مِنْ فَجِّ الرَّوْحَاءِ بِالحَجِّ أَوْ بِالعُمْرَةِ أَوْ لَيُثَنِّيَنَّهُمَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٢٥٢)، وأحمد (٧٢٧٣) وفيه تمام تخريجه.

وروي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لَيُحَجَّنَّ البيتُ ولَيُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوجَ ومأجوجَ»، أخرجه البخاري (١٥٩٣).

قوله: «فجّ الرَّوْحاء»: هو موضع بين مكة والمدينة على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة، وكان طريقَ رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام الحج.

هذا، وقد نبتت نابتةُ ضلالةٍ في الأعصارِ المتأخرة أنكرت كثيراً من أخبارِ نزول المسيح عليه السلام وحرَّفَتْ فيها تحريفاً شنيعاً، وتمثل ذلك في دعوة الشقي المخذول غلام أحمد ميرزا مؤسس (القاديانية) فتصدَّى له إمامُ العصر المحدِّث العلامة محمد أنور الكشميري وكتب كتابه النفيس «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» وهو مطبوع متداول بتحقيق العلامة المتفنن الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله.

بابُ
المهدي

٤٠٩٩- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلَّا يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللهُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً».

رواه أحمد في «المسند» (٧٧٣)، وأبو داود (٤٢٨٣) في أول كتاب المهدي، وإسناده حسن، وقد سكت عنه المنذري، وقال في «عون المعبود» سنده قوي، وله شاهد من حديث أبي هريرة، أخرجه ابن حبان (٥٩٥٣) وآخر من حديث عبد الله بن مسعود، أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٢) في الفتن: باب ما جاء في المهدي، وسنده حسن، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٤١٠٠- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَلاَءً يُصِيبُ هٰذِهِ الأُمَّةَ حَتَّى لَا يَجِدَ الرَّجُلُ مَلْجَأً يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللهُ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلأُ بِهِ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الأَرْضِ، لَا تَدَعُ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئاً إِلَّا صَبَّتْهُ مِدْرَاراً، وَلَا تَدَعُ الأَرْضُ مِنْ نَبَاتِهَا شَيْئاً إِلَّا أَخْرَجَتْهُ حَتَّى يَتَمَنَّى الأَحْيَاءُ الأَمْوَاتَ، يَعِيشُ فِي ذٰلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ.

هو في «مصنف عبد الرزاق» (٢٠٧٧٠).

وفي إسناده أبو هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين متروك ومنهم من كذبه، ورواه الحاكم ٤/٥٥٧ مختصراً من طريق آخر بلفظ «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً» وصححه ووافقه الذهبي.

ويُروى هذا من غير وجهٍ عن أبي سعيد الخدريّ.

وروي عن سعيد بن المسيِّب، عن أم سَلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهديُّ من عِترتي من ولدِ فاطمةَ»، أخرجه أبو داود (٤٢٨٤)، وابن ماجه (٤٠٨٦) بسندٍ حسن.

ويروى: «يَعمل في الناس بسُنة نبيِّهم، فيلبث سبع سنين، ثم يُتوفى ويُصلي عليه المسلمون»، أخرجه أحمد (٢٦٦٨٩)، وأبو داود (٤٢٨٦) بسندٍ حسن.

وروي عن أبي نَضْرَةَ، عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «المهديُّ مني أجلى الجبهةِ أقنى الأنف يملأ الأرض قِسْطاً وعدلًا كما مُلئت ظلماً وجَوراً يملِك سنين» إسناده حسن، أخرجه أحمد (١١١٣٠)، وأبو داود (٤٢٨٥) و(٤٢٨٨) وغيرهما.

وعن أبي سعيد الخدريِّ، عن النبيّ ﷺ في قصة المهدي قال: «فيجيء إليه الرجل، فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمِله»، أخرجه الترمذي (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٤٠٨٣) بسندٍ ضعيف لضعف زيد العمي أحد رواته.

٤١٠١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يُعْطِي المَالَ بِغَيْرِ عَدَدٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩١٤).

بابُ

كلامِ السباع

٤١٠٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ على تَلٍّ، فَأَقْعَى وَاسْتَقَرَّ، وَقَالَ: عَمَدْتُ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللهُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي؟! فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ كَاليَوْمِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هٰذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلاَتِ بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ يُخْبِرُكُمْ بِمَا

مَضَى وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيّاً، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ وَأَسْلَمَ، فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهَا أَمَارَاتٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ، فَلاَ يَرْجِعَ حَتَّى يُحَدِّثَهُ نَعْلاَهُ وَسَوْطُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ».

أخرجه أحمد (٨٠٦٣)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٨٠٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٧١) وسنده ضعيف لضعف شهر بن حَوْشب.

ويُروى هذا عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدريِّ، وفيه قال النبي ﷺ: «صَـدق الراعي ألا إن مِن أشراط الساعة كلامَ السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتى تُكلِّم السِّباعُ الإنسَ، وتُكلم الرجلَ نعلُهُ وَعَذَبَةُ سوطه، ويُخبره فخذه بحديثِ أهلِه بعده»، أخرجه أحمد (١١٧٩٢)، والحاكم ٤/ ٤٦٧، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي (٢١٨١) مختصراً وحسنه.

بابُ

«لا تقومُ الساعةُ إلا على شرارِ الخلق»

يَرْوِيهِ عَبْدُ اللهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

أخرجه مسلم (٢٩٤٩).

٤١٠٣- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ اللهُ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (١٤٨)، والترمذي (٢٢٠٧)، ومعنى قوله: «حتى لا يقال في الأرض: الله الله» أي: لا يبقى في الأرض مسلم يقول كلمة التوحيد: لا إله إلا الله كما جاء مفسراً في حديث أنس هذا عند ابن

حبان (٦٨٤٨) بسند صحيح، وقد جانب الصواب من استنبط من المتأخرين من هذا الحديث مشروعية الذكر بالاسم المفرد، وذلك لأنه لم يشرع في كتاب ولا سنة ولا هو مأثور عن سلف الأمة المشهود لها بالخيرية، والذكر عبادة فلا مجال للرأي فيه، ولأن الذكر ثناء، وهو لا يكون إلا بجملة تامة يحس السكوت عليها مثل لا إله إلا الله، ومثل لا حول ولا قوة إلا بالله، ومثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر وما شابه ذلك من الأذكار الثابتة عنه ﷺ، والاسم وحده لا يحسن السكوت عليه ولا هو جملة تامة كما هو معلوم عند أهل العربية.

٤١٠٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللهُ اللهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٤٨).

٤١٠٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الخَلْصَةِ» وَكَانَتْ صَنَماً تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ.

هذا حديثٌ متّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

ومعنى الخبر: حتى ترجع دَوْسٌ عن الإسلام، فتطوف نساؤهم بذي الخَلصَةِ، وتضطرب ألياتها كذلك فِعلهم في الجاهلية، والخلصة: بيتٌ فيه صنمٌ يقال له: الخلصةُ، وقيل: الخلصةُ بيتُ الكعبة اليمانية أنفذَ إليها رسول الله ﷺ جَرير بن عبد الله، فخرَّبها.

٤١٠٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الخَلْقِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٩٢٤)، وابن حبان (٦٨٣٦) وفيه تمام تخريجه.

٤١٠٧- عَنْ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَخْرُجُ رِيحٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ يُقْبَضُ فِيهَا رُوحُ كُلِّ مُؤْمِنٍ».

صحيح لغيره، أخرجه أحمد (١٥٤٦٣)، والبزار (كشف الأستار: ٣٤١٧) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/١٢ وقال: رجالهُ رجالُ الصحيح إلّا أنَّ نافعاً لم يسمع من عيَّاش.

٤١٠٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِنَ اليَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الحَرِيرِ، لَا تَدَعُ أَحَداً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١١٧). وليست هذه الأحاديث معارضة لقوله ﷺ: «لا تزالُ طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ» لأنَّ معنى هذا أنهم لا يزالون على الحقِّ حتى تقبضهم هذه الريح اللينةُ قُرْبَ القيامة وعند تظاهرِ أشراطِها.

٤١٠٩- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالعُزَّى» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، أَنَّ ذٰلِكَ تَامّاً، قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذٰلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ

مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إلَى دِينِ آبَائِهِمْ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

٤١١٠- عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا يَلْقَوْنَ مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ أَشَرُّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٧٠٦٨).

وقد اسْتُشْكِل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشرِّ دون التي قبلها كزمن عمر بن عبد العزيز وهو متأخر عن الحجَّاج، وحمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، ولما سئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج قال: لا بُدَّ للناس من تنفيس. وقال غيره: إنَّ المرادَ بالتفضيل تفضيل مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثيرٌ من الصحابة وليس كذلك عصر عمر. والزمان الذي فيه الصحابة خيرٌ من غيره لقوله ﷺ: «خير القرون قرني». وذكر الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٢٤ أن لابن مسعودٍ كلاماً هو الأولى بالاتباع هو قوله: «لا يأتي عليكم يومٌ إلّا وهو شرٌّ من اليوم الذي كان قبله حتى تقومَ الساعة، لستُ أعني رُخاءً من العيش يُصيبُه ولا مالاً يُفيدُهُ، ولكن لا يأتي عليكم يومٌ إلّا وهو أقلُّ علماً من اليوم الذي مضى قَبْله، فإذا ذهب العلماءُ فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون».

وقال عبد الله بن مسعود، لأهلُ بيتي أهوَن عليَّ مَوتاً من عدتهم من الجِعلان، ولا يأتي عليكم عامٌ إلا وهو شرٌّ من الآخر، ولبئس عبد الله أنا إن كذبتُ.

وقال عبد الله بن مسعود: لا تقومُ الساعةُ إلا على شرار الناس كرِجْرِجَةِ الماء الخبيث. قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ٢/٢٠٦: الرِّجْرِجَةُ بكسر الراءين: هي بقيةُ الماء في الحوض الكَدِرةُ المختلطة بالطين لا يمكن شربها، ولا يُنتفع بها.

بابُ

طلوع الشمس من مغربها

٤١١١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ أوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلى النَّاسِ ضُحىً، وَأيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالأُخْرَى عَلى أثَرِهَا قَرِيباً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٤١)، وأبو داود (٤٣١٠) وغيرهما.

٤١١٢- عَنْ أبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «تَدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ قَالَ: «فإنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحتَ العَرْشِ فَتَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾[يسۤ:٣٨]».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩).

٤١١٣- عَنْ أبِي ذَرٍّ قَالَ: سَألْتُ النَّبيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحتَ العَرْشِ».

هذا حديثٌ متّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٨٠٣)، ومسلم (١٥٩) (٢٥١).

قال أبو سليمان الخُطَّابي في قوله عز وجل: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ إن أهل التفسير وأصحاب المعاني قالوا فيه قولين، قال بعضهم: معناه: أي: لأجلٍ قُدِّرَ لها يعني انقطاع مدّة بقاء العالم، وقال بعضهم: مستقرُّها: غايةُ ما يُنتهى إليه في صعودها وارتفاعها لأطول يوم في الصيف، ثم تأخذ حتى تنتهي إلى أقصى مشارق الشتاء لأقصرِ يوم في السنة.

وأما قوله عليه السلام: «مُستقرُّها تحتَ العرش» فلا نُنكِرُ أن يكون لها استقرارٌ تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما أخبر عن غيبٍ، فلا نكذِّب به، ولا نكيِّفه، لأنَّ عِلْمَنا لا يحيط به، ويحتمل أن يكون المعنى: أنَّ عِلم ما سألتَ عنه من مستقرِّها تحت العرش في كتابٍ كتِب فيه مبادىء أمور العالم ونهاياتها والوقت الذي تنتهي به مدتها، فينقطع دوران الشمس، وتستقِرُّ عند ذلك، فيبطل فعلها وهو اللوح المحفوظ. وقال أبو سليمان: وفي هذا يعني في الحديث الأول إخبارٌ عن سجود الشمس تحت العرش، فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرشَ في مسيرها، وليس في سجودها تحت العرش ما يُعوِّقها عن الدَّأب في سيرها، والتصرف لِما سُخِّرت له. وأما قوله عز وجل: ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عينٍ حمِئةٍ﴾ [الكهف: ٨٥] فهو نهاية مَدرك البصر إياها حالة الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب، وليس معنى قوله: ﴿تغرب في عين حمِئةٍ﴾ أنها تسقط في تلك العين فتغمرها، وإنما هو خبرٌ عن الغاية التي بلغها ذو القرنين في مسيره حتى لم يجد وراءها مسلكاً، فوجد الشمس تتدلى عند غروبها فوق هذه العين، وكذلك يتراءى غروب الشمس لمن كان في البحر، وهو لا يرى الساحل كأنها تغيب في البحر والله أعلم.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿الشمس والقمرُ بحُسبانٍ﴾ [الرحمن: ٥] وقوله عز وجل: ﴿والشمس والقمر حسباناً﴾ [الأنعام: ٩٦]، أي: يجريان بحسابٍ معلومٍ، وعلى منازلَ ومقاديرَ لا يجاوزانها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعُرجون القديم﴾ [يس: ٣٩]. وقيل: حُسبانٌ جمع حساب، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجدها تغرُب في عَينٍ حمئةٍ﴾ أي: في رأي العين، فمن قرأها: حامية بلا همزٍ: أراد الحارة، ومن قرأ: حمئةً بلا ألِفٍ مهموزاً: أراد عيناً ذات حمأةٍ، وهو الطين الأسودُ يقال: حمأتُ البئر إذا نزعتَ منها الحمأةَ، وأحمأتها: إذا ألقيتَ فيها الحمأةَ.

باب

قول الله عز وجل:

﴿وَما أمْرُ السَّاعَةِ إلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧]، وَأنَّ مَنْ مَاتَ، فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٦]، أيْ: خَفِيتْ، وإذا خَفِيَ عليكَ الشَّيءُ، فَقَدْ ثَقُلَ.

وقولُه سبحانَهُ وتعالى: ﴿يَسْألُونَكَ كأنَّك حَفِيٌّ عنها﴾ [الأعراف: ١٨٦]، عَالِمٌ بِهَا، قَالَ مُجَاهِدٌ: أرَادَ كَأنَّكَ اسْتَحْفَيْتَ عَنْهَا السُّؤالَ حَتَّى عَلِمْتَها، أيْ: أكْثَرْتَ المَسْألَةَ عَنْهَا، يُقَالُ: أحْفَى في

السُّؤالِ، وَألْحَفَ، تَقُولُ العَرَبُ: فُلانٌ حَفِيٌّ بِخَبَرِ فُلانٍ: إذَا كَانَ مَعْنِيّاً بِالسُّؤَالِ عَنْهُ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]، أيْ: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، وَدَنَتِ القِيَامَةُ، يُقَالُ: أزِفَ الشَّيْءُ: إذَا دَنَا، وَيُقَالُ لِلْقِيَامَةِ: آزِفَةٌ، لِأَنَّهَا لَا مَحَالَةَ آتِيَةٌ، وَمَا كَانَ آتِياً، وَإنْ بَعُدَ وَقْتُهُ، فَهُوَ قَرِيبٌ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، أيْ: يَخْتَصِمُونَ فِي أمْرِ الدُّنْيَا، وَفِي مُتَصَرَّفَاتِهِمْ فِيهَا.

٤١١٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ بِإصْبَعَيْهِ هٰكَذَا بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإبْهَامَ: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٩٣٦)، ومسلم (٢٩٥٠).

وقيل في تفسيره: كفضلِ إحداهما على الأخرى. يريد: ما بيني وبَيْنَ الساعةِ من مستقبل الزمان بالإضافة إلى ما مضى مقدار فضل الوسطى على السَّبابة.

٤١١٥- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَكَانَ إذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ، احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، وَعَلا صَوتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، كَأنَّهُ نَذِيرُ جَيْشٍ: صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٨٦٧)، والنسائي ١٨٨/٣ وغيرهما.

واستنبط منه النووي في «شرح مسلم» ٣/ ٤٢٤: أنه يُسْتَحَبُّ للخطيبِ أن يُفَخِّمَ أمْرَ الخطبة ويرفع صوتَه، ويُجْزِل كلامَه، ويكونَ مطابقاً للفصل الذي يتكلَّم فيه من ترغيبٍ أو ترهيب.

٤١١٦- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأعْرَابِ جُفَاةٌ يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَتى السَّاعةُ؟ فَكانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ، فَيَقُولُ: «إِنْ يَعِشْ هٰذَا لَا يُدْرِكُهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ».

حديثٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٢).

قال الكرماني: هذا الجوابُ من الأسلوب الحكيم، أي: دعوا السؤالَ عن وقت القيامة الكبرى، فإنها لا يعلمها إلا الله، واسألو عن الوقت الذي يقع فيه انقراضُ عصرِكم، فهو أولى لكم، لأن معرفتكم به تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته، لأنَّ أحدكم لا يدري مَن الذي يسبق الآخر.

٤١١٧-عن شريك بن عبد الله بن أبي نمرٍ أنه سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: دَخَلَ رَجُلٌ المَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ على المِنْبَرِ يومَ الجُمْعَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فَأَشَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَنِ اسْكُتْ، فَسَأَلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذٰلِكَ يُشِيرُ إِلَيْهِ النَّاسُ أَنِ اسْكُتْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ الثَّالِثَةِ: «وَيْحَكَ مَا أَعْدَدْتَ لَهَا»؟ قَالَ: حُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ غُلَامٌ، قَالَ أَنَسٌ: هُوَ مِنْ سِنِّي قَدِ احْتَلَمَ أَوْ رَاهَقَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ السَّائِلُ عنِ السَّاعَةِ»؟ قَالَ: هَا هُوَ ذَا قَالَ: «إِنْ أَكْمَلَ هٰذَا الغُلَامُ عُمُرَهُ، أَوْ أَدْرَكَ عُمْرَهُ، فَلَنْ يَمُوتَ حَتى يَرَى أَشْرَاطَهَا».

إسناده قوي، وأخرجه أحمد (١٢٧٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٧٣).

بابُ

النفخِ في الصور

قَالَ مُجاهِدٌ: كَهَيْئَةِ البرْقِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: النَّاقُورُ: الصُّورُ.

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، أَيْ: نُفِخَ فِي الصُّورِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: زَجْرَةٌ: صَيْحَةٌ، الرَّاجِفَةُ: النَّفْخةُ الأولى، وَالرَّادِفَةُ: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإذا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٣٦].

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وَقَوْلِهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، فَقَالَ: فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ فِي النَّفْخَةِ الأُوْلَى يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ يُقبِلُ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فإذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، أَيْ: الصَّيْحَةُ الَّتِي تَصُخُّ الأَسْمَاعَ، أَيْ: تُصِمُّهَا تكُونُ عَنْهَا القِيَامَةُ.

٤١١٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الأُذُنُ مَتى يُؤمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذٰلِكَ ثَقُلَ عَلى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلى اللهِ تَوَكَّلْنَا».

هذا حديث حسن. وانظر ما بعده.

٤١١٩- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَا يُؤْمَرُ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد ٧/٣، والترمذي (٢٤٣٣)، و(٣٢٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري وصححه ابن حبان (٨٢٣)، وأخرجه أحمد ٣٢٦/١، والحاكم ٥٥٩/٤ من حديث ابن عباس، وأحمد ٣٧٤/٤ من حديث زيد بن أرقم وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف.

قولُه: «كيف أنعم»، أي: كيف أتنعم، وقيل: كيف أفرح، والنِّعمةُ: المسرَّة.

٤١٢٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: أَرْبَعُونَ يَوْماً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْراً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّماءِ ماءً، فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، ليسَ مِنَ الإنْسَانِ شَيْءٌ إلَّا يَبْلَى إلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

قوله: «أبَيْتُ» أي: أنه أبى أن يلتزمَ أحدَ الثلاثة بل الذي جزم به أنَّها أربعون مجملةً، وجاء في غير هذا الرواية أنها أربعون سنة.

العَجْبُ: العَظمُ الذي في أسفلِ الصُلْبِ وهو العَسيب.

ويُخصُّ من هذا الحديث أجساد الأنبياءِ فإنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكلَها.

٤١٢١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ، أَمْ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي، وَمَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

«الصَّعْقُ»: الهلاكُ والموت.

وقوله: «ومن قال: أنا خيرٌ من يونس بن متَّى، فقد كذب» فيه وجهان:

أحدهما: أنه قاله قبل أن يعلمَ أنه أفضلُ من يونس، فلما علم ذل قال: «أنا سَيِّدُ ولد آدم».

والثاني: أنَّه قاله زَجْراً عن أن يتخيَّلَ أحدٌ من الجاهلين شيئاً من حطٍّ مرتبة يونس صلواتُ الله عليه وسلامه من أجل ما في القرآن العزيز من قصته.

٤١٢٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ: رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، وَرَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّداً عَلَى

العَالَمِينَ، قَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلى العَالَمِينَ، قَالَ: فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذٰلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ كَانَ فِيمَن اسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٢٤١١) عن يحيى بن قَزْعة عن إبراهيم بن سَعدٍ، وأخرجه مسلم (٢٣٧٣) عن زهير بن حرب، عن يعقوب بن إبراهيم بن سَعد. ورواه عبد الله بن الفضل الهاشميُّ، عن الأعرج، عن أبي هريرة وقال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله»، وقال: «فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطُّور أم بُعِث قبلي، ولا أقول: إن أحداً أفضلُ من يونس بن متّى».

قوله: صَعِقَ الرجل يَصعق: إذا أصابه فزعٌ، فأغمي عليه. وقوله: «باطِشٌ بجانب العرش» أي: قابضٌ عليه بيده.

وقوله: «أم كان ممّن استثنى الله» يريد قوله سبحانه وتعالى: ﴿فصعِقَ من في السماوات ومن في الأرض إلا مَنْ شاء الله﴾ [الزمر: ٦٨] قوله: «أم حُوسِبَ بصعقة الطور» أي: عُوفيَ من الصَّعق مع الناس لما كان من صَعقة الطور، كما أخبر الله تعالى: ﴿وخرَّ موسى صَعِقاً﴾ [الأعراف: ١٤٣].

بابُ

قولِ الله عز وجل:

﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ الآيَةَ [الزمر: ٦٨].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وَرَوَى مَسْرُوقٌ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا تَلَتْ هٰذِهِ الآيَةَ، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ قَالَ: «عَلى الصِّرَاطِ».

أخرجه مسلم (٢٧٩١).

يُقَالُ: التَّبْدِيلُ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ، وَالإِبْدَالُ: جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ آخَرَ، قَالَ الأَزْهَرِيُّ: تَبْدِيلُ الأَرْضِ: تَسْيِيرُ جِبَالِهَا، وَتَفْجِيرُ أَنْهَارِهَا، وَكَوْنُهَا مُسْتَوِيَةً لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً، وَتَبْدِيلُ السَّمَاوَاتِ: انْتِثَارُ كَوَاكِبِهَا وَانْفِطَارُهَا، وَتَكْوِيرُ شَمْسِهَا، وَخُسُوفُ قَمَرِهَا.

وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨]، أَيْ: لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَعْوَجُّوا عَنْ دُعَائِهِ.

وقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، أَيْ: ظَاهِرَةً، وَلَيْسَ فِيهَا مُسْتَظَلٌّ، وَلَا مُتَفَيَّأٌ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً﴾ أَيْ: حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً، وَزُلْزِلَتْ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً﴾ [الواقعة: ٤]، أَيْ فُتِّتَتْ، فَصَارَتْ أَرْضاً، وَقِيلَ: نُسِفَتْ كَمَا قَالَ: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ [طه: ١٠٥] وَقِيلَ: سِيقَتْ كما قَالَ: ﴿وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، أَيْ: دُقَّتَا دَقّاً فَصَارَتَا هَبَاءً مُنْبَثّاً، وَالمُنْبَثُّ: المُتَفَرِّقُ، وَالهَبَاءُ المُنْبَثُّ: مَا تُثِيرُ الخَيْلُ بِسَنَابِكِهَا مِنَ الغُبَارِ، وَالهَبَاءُ المَنْثُورُ: مَا يَخْرُجُ مِنَ الكَوَّةِ مَعَ ضَوْءِ الشَّمْسِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾ [الفجر: ٢١]، أَيْ: جُعِلَتْ

مُسْتَوِيَةً لَا أَكَمَةَ فِيهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿جَعَلَهُ دَكّاً﴾ [الكهف: ٩٩]، أَيْ: مُسْتَوِياً، يُقَالُ: نَاقَةٌ دَكَّاءُ: إِذَا ذَهَبَ سَنَامُهَا، وَقَالَ القُتَيْبِيُّ: أَيْ: جَعَلَهُ مَدْكُوكاً مُلْصَقاً بِالأَرْضِ، وَمَنْ قَرَأَ دَكَّاءَ أَيْ: جَعَلَ الجَبَلَ أَرْضاً دَكَّاءَ، وَهِيَ الرَّابِيَةُ الَّتِي لَا تَبْلُغُ أَنْ تَكُونَ جَبَلاً، وَجَمْعُهَا دَكَّاوَاتٌ، وَأَصْلُ الدَّكِّ: الكَسْرُ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ [طه: ١٠٥]، أَيْ: يَقْلَعُهَا مِنْ أَصْلِهَا، وَقِيلَ: نَسْفُ الجِبَالِ: دَكُّهَا وَتَذْرِيَتُهَا.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٧]، أَيْ: صَارَتْ كَلَوْنِ الوَرْدِ، تَتَلَوَّنُ أَلْوَاناً يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، فَالدِّهَانُ جَمْعُ دُهْنٍ، أَيْ: كَمَا تَتَلَوَّنُ الدِّهَانُ المُخْتَلِفَةُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، أَيْ: كَالزَّيْتِ المَغْلِي، وَقِيلَ: الدِّهَانُ: الأَدِيمُ الأَحْمَرُ. وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦] أَيْ: ضَعِيفَةٌ جِدّاً، يُقَالُ لِلسِّقَاءِ إِذَا تَفَتَّقَ خَرْزُهُ: لَقَدْ وَهَى يَهِي.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾[الحاقة: ١٧] أَيْ: نَوَاحِيهَا، الوَاحِدُ رَجَا مَقْصُورٌ، وَالمَلَكُ بِمَعْنَى المَلَائِكَةِ هَاهُنَا.

٤١٢٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ».

هذا حديثٌ متّفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

٤١٢٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلى أُصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلى أُصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلى أُصْبَعٍ، وَالمَاء وَالثَرَى عَلى أُصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلى أُصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ [الأنعام: ٩١].

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٨١١)، وأخرجه مسلم (٢٧٢٦) عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن فُضَيل بن عِياضٍ، عن منصور، وقال: «والجبال والشجر على إصبع» وقال: «ثمَّ يهزهنَّ فيقول: أنا الملك أنا اللهُ».

قال محمد بن إسماعيل: ويُذكر عن جابر بن عبد الله بن أنيسٍ سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشرُ اللهُ العبادَ، فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُدَ، كما يسمعه مَن قَرُبَ: أنا الملك أنا الدَّيان» علَّقه البخاري في «صحيحه» في كتاب التوحيد بإثر الحديث (٧٤٨٠) بصيغة التمريض، وانظر لزاماً «فتح الباري» ١٣/ ٤٥٣ وما بعدها.

٤١٢٥- عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ» قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لأَحَدٍ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

قوله: «كقُرصة النَّقي» يعني الحوَّارَى، نُقِّي من القشر والنخالة.

وقوله: «ليس فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ» المَعْلَمُ: ما جُعل علامةً وعَلماً للطُرق والحدود: يريد أنَّ تلك الأرض مستويةٌ ليس فيها حَدَبٌ يردُّ البصر، ولا بناءٌ يَستر ما وراءه، وقال أبو عُبيد: المَعْلَمُ: الأثر.

٤١٢٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ» فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحمٰنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ قَالَ: إِدَامُهُمْ؟ بَالَامُ وَنُونٌ قَالَ: مَا هٰذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفاً.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّتِه، أخرجه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

قوله: «كما يَكْفَأُ أحدُكم خُبْزَتَه في السفر» يريد المَلَّة التي يصنعها السَّفرُ، فإنها لا تُدْحى كالرُّقاقةِ، وإنما تُقلب على الأيدي حتى تستوي. قوله: «بالام» ذكر الخطابي «أعلام الحديث» ٣/ ٢٢٦٦ قال: لعله هجاءٌ وهي ي ل وكان المخبر يهودياً، فقلَبه وهو في الحقيقة لام يا هجاء لأى بوزن لَعَى وهو الثور الوحشي، أو لعله لغةٌ بالعبراني، فإن العبرانيَّ لغةٌ مُصحَّفةٌ من العربية حتى قيل: إن العِبراني، هو العِرْباني، فقدَّموا الباء وأخروا الراء.

وهذا لفظٌ مشكلٌ والاعتراضُ في مثل هذا على غير ثقةٍ تكلفٌ.

باب

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١] السُّورَةَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير:١١]، أَيْ: قُلِعَتْ كَمَا يُقلَعُ السَّقْفُ، يُقَالُ: كَشَطْتُ الجُلَّ عَنْ ظَهْرِ الفَرَسِ، وَقَشَطْتُهُ: إِذَا كَشَفْتَهُ، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ﴾ أَيْ: حَارَ لِلْفَزَعِ، وَالبَرَقُ: الدَّهَشُ وَالحَيرَةُ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لِكُلِّ دَاخِلٍ بَرْقَةٌ، أَيْ: دَهْشَةٌ، وَمَنْ فَتَحَ الرَّاءَ، فَهُوَ مِنْ بَرِيقِ العَيْنِ وَهُوَ تَلأْلُؤُهُ.

٤١٢٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٣٢٠٠).

قوله: «مُكوَّران» من قوله سبحانه وتعالى: ﴿إذا الشمس كوِّرت﴾ أي: جُمِعَتْ، ولُفَّت، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُكوِّر الليل على النهار﴾ [الزمر: ٥] أي: يُدخل هذا على هذا، وتكوير العمامة: لفُّها.

بابُ

قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩] وَالحَسْرَةُ: شِدَّةُ النَّدَمِ حَتَّى يَحْسِرَ النَّادِمُ كَمَا يَحْسِرُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ دَابَّتُهُ فِي السَّفَرِ البَعِيدِ، يُقَالُ: حَسَرَتِ النَّاقَةُ، أَيْ: انْقَطَعَ سَيْرُهَا كَلاَلاً. وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣] أَيْ: تَرْفَعُ قَوْماً إِلَى الجَنَّةِ، وَتَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى النَّارِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَاً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ [الدهر: ١٠]، أَيْ: مُنْقَبِضاً لَا فُسْحَةَ فِيهِ وَلَا انْبِسَاطَ، يُقَالُ: اقْمَطَرَّ: إذا تَقَبَّضَ.

٤١٢٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هٰذِهِ الآيَةَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا»؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قال: فَهٰذِهِ أَخْبَارُهَا».

إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٨٨٦٧)، والترمذي (٢٤٢٩)، وفيه يحيى ابن أبي سليمان وهو المدني لين الحديث وباقي رجاله ثقات، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم ٢/ ٥٣٢، وتعقبه الذهبي بقوله: يحيى هذا منكر الحديث قاله البخاري. وله شاهد بمعناه أخرجه الطبراني من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد، عن ربيعة الجرشي أن رسول الله ﷺ قال: «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به» وربيعة الجرشي: هو ابن عمرو، ويقال: ابن الحارث الدمشقي، مختلف في صحبته، قتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين وكان فقيهاً، وثقه الدارقطني وغيره.

٤١٢٩- عن يحيى بن عُبيد الله قال: سمعتُ أبي سَمِعْتُ أبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ» قَالُوا: فَمَا نَدَمُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ مُحْسِناً، نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ ازْدَادَ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً، نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ نَزَعَ».

إسناده ضعيف جداً، أخرجه الترمذي (٢٤٠٣) ويحيى بن عبيد الله متروك.

٤١٣٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ لَهُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ،

فَيَقُولُ إبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إنَّكَ وَعَدْتَنِي أنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، وَأيُّ خِزْيٍ أخْزَى مِنْ أبِي الأبْعَدِ، فَيَقُولُ اللهُ: إنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ على الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ لإبْرَاهِيمَ: مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ، فَيَنْظُرُ، فَإذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلَطَّخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٣٣٥٠)، والذِّيخ: الضَّبعُ الذكر.

وفيه: دليلٌ على أن الأنساب لا تنفع، وأنَّ المعتبرَ هو تقوى الله وطاعتُه.

باب
كيف الحشر

قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]. قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ وَالحَسَنُ: إنَّ كُلَّ ذَلِك هَيِّنٌ عَلَيْهِ يَعْنِي البَدْأَةَ وَالإعَادَةَ، وَحُكِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أنَّهُ قَالَ: مَعْنَاهُ: هُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ فِي العِبْرَةِ عِنْدَكُمْ لَيْسَ أنَّ شَيْئاً يَعْظُمُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أنْشَأهَا أوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]. وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، أرَادَ القَبْرَ، وَكُلُّ حَاجِزٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ بَرْزَخٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: البَرْزَخُ بَقِيَّةُ الدُّنْيَا.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَإذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار:٤] أيْ: قُلِبَتْ، فَأُخْرِجَ مَا فِيهَا، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] قَالَ عُمَرُ ﴿وَإذَا النُّفُوسُ

زُوِّجَتْ﴾: يُزَوَّجُ نَظِيرُهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾. وَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت:١٩]، قِيلَ: مَعْنَاهُ يُحْبَسُ أَوَّلُهُمْ عَلى آخِرِهِمْ، وَالوَزْعُ: الكَفُّ وَالمَنْعُ، وَقَال: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ﴾ أَيْ: إِلَى أَوَّلِ الأَمْرِ فِي الحَيَاةِ كَانُوا يُنْكِرُونَ البَعْثَ، يُقَالُ: عَادَ فُلَانٌ إِلَى حَافِرَتِهِ، أَيْ: رَجَعَ إِلَى الحَالَةِ الأُولَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾ [طه: ١٠٢،] قِيلَ: عُمْياً، وَقِيلَ: عِطَاشاً، وَقِيلَ لِلْعِطَاشِ: زُرْقٌ، لِأَنَّ أَعْيُنَهُمْ تَزْرَقُّ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ، وَيُقَالُ لِلْمِيَاهِ الصَّافِيَةِ: زُرْقٌ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس:٥١]، أَيْ: مِنَ القُبُورِ، وَالجَدَثُ وَالجَدَفُ: القَبْرُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] أَيْ: أَكَمَةٍ، وَالحَدَبُ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ. يَنْسِلُونَ، أَيْ: يُسْرِعُونَ كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] أَيْ: كَأَنَّهُمْ نُصِبَ لَهُمْ شَيْءٌ، فَهُمْ يُسْرِعُونَ إِلَيْهِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ﴾ [القمر: ٧، ٨]، أَيْ: مُسْرِعِينَ وَيُقَالُ المُهْطِعُ: الَّذِي يَنْظُرُ فِي ذُلٍّ وَخُشُوعٍ لَا يُقْلِعُ بَصَرُهُ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم:٤٣]، أَيْ: مُسْرِعِينَ رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ يَنْظُرُونَ فِي ذُلٍّ، وَالإِقْنَاعُ: رَفْعُ الرَّأْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْتَفِتَ يَمِيناً أَوْ شِمَالاً.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٣]، أَيْ: لَا

تَعِي شَيْئاً، وَلَا تَعْقِلُ مِنَ الخَوْفِ، وَالهَوَاءُ: الَّذِي لَا يَثْبُتُ فِيهِ شَيْءٌ، فَهُوَ خَالٍ، وَقِيلَ: هٰذَا مُبَيَّنٌ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ﴾ [المؤمن:١٨]، فَأَعْلَمَ أَنَّ القُلُوبَ قَدْ فَارَقَتِ الأَفْئِدَةَ، وَالأَفْئِدَةُ هَوَاءٌ لَا شَيْءَ فِيهَا.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ﴾ [ق:٤٢]، يَعْنِي يَوْمَ الخُرُوجِ مِنَ القُبُورِ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ [طه:١٠٨]، أَيْ: صَوْتاً خَفِيّاً مِنْ وَطْءِ أَقْدَامِهِمْ إِلَى المَحْشَرِ.

٤١٣١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٥٥)، والنسائي ٤/١١١ وقد سبق تفسيره.

٤١٣٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُذْ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٧-١١٨].

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

والغُرْلُ: جمع أغرَلَ وهو الأغلفُ يعني الذي لم يُخْتَنْ. وقوله: «لم يزالوا مرتدِّين»: لم يُرِد به الرِّدةَ عن الإسلام، إنما معناه التخلُّفَ عن بعض الحقوق الواجبة، والتأخر عنها، ولذلك قيَّد بقوله: على أعقابهم، ولم يرتدَّ أحدٌ بحَمْدِ الله من أصحاب النبي ﷺ إنما ارتدَّ قومٌ من جُفاةِ العرب. وقوله أصَيْحابي: إنما صَغَّرَ ليدُل على قلة عددهم.

٤١٣٣- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «عُراةً حُفَاةً» قَالَتْ: قُلْتُ: وَالنِّسَاءُ؟ قَالَ: «وَالنِّسَاءُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَسْتَحْيي؟ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ يَهُمَّهُمْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

٤١٣٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلى بَعِيرٍ وَثَلَاثَةٌ عَلى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

قيل: قوله: «يُحشر الناسُ على ثلاثِ طرائقَ» هذا الحشر قبل قيام الساعةِ إنما يكونُ إلى الشام أحياءً، فأما الحشرُ بعدَ البعث من القبور على خلاف هذه الصفة مِن ركوب الإبل والمعاقبة عليها، إنما هو كما أخبر أنهم يُبعثون حُفاةً

عراةً. وقيل: هذا في البعث دونَ الحشر. وقوله: «على بعيرٍ» يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعضهم الباقون عُقَباً.

ويُروى عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتُجرُّون على وجوهكم» أخرجه أحمد ٥/٣، والترمذي (٢٤٢٦) بسندٍ حسن.

٤١٣٥- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ نَبيُّ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلى رِجْلَيْهِ قَادِرٌ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلى وَجْهِهِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

قال مجاهدٌ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أفمن يتَّقي بوجهه سوءَ العذابِ﴾ [الزمر: ٢٤] يُجرُّ على وجهه، قيل: الكافرُ مغلولُ اليدِ، ومن شأنِ الإنسان أن يتَّقيَ بيده، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنَّ الكافر يتَّقي بوجهه.

بابُ

قول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: يَقُومُونَ مِئَةَ سَنَةٍ، وَيُرْوَى عَنْ كَعْبٍ: يَقُومُونَ ثَلاثَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَقِيلَ: سُمِّيَتِ القِيَامَةُ قِيَامَةً، لِأَنَّ الخَلْقَ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً. وَقَوْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ [إبراهيم: ١٤] أَيْ: خَافَ المَقَامَ الَّذِي وَعَدْتُهُ لِلثَّوَابِ وَالعِقَابِ.

٤١٣٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ

الْمُبَارَكِ وَأَخْبَرَنِيهِ صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحَّته، أخرجه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

و«الرَّشْحُ» العَرَقُ. وسببُ كثرةِ العَرَقِ تراكمُ الأهوال، ودُنوُّ الشمس من رؤوسهم والزِّحام الشديد.

٤١٣٧-عن سُليم بن عامرٍ، حَدَّثَنِي المِقْدَادُ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ العِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قِيْدَ مِيلٍ أَوِ اثْنَيْنِ» قَالَ سُلَيْمٌ: لَا أَدْرِي أَيَّ المِيلَيْنِ يَعْنِي مَسَافَةَ الأَرْضِ، أَوْ المِيْلَ الَّذِي يُكْحَلُ بِهِ العَيْنُ، قَالَ: «فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي العَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَاماً» قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُشِيْرُ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ يَقُولُ: «يُلْجِمُهُ إِلْجَاماً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٦٤)، وأحمد (٢٣٨١٣)، والترمذي (٢٤٢٣).

قوله: «قِيدَ ميلٍ» هو بكسر القاف، أي: قَدْرُ ميل. والمرادُ بالميل هنا مسافةُ الأرض، لأنها إذا كانت بينها وبين الرؤوس مقدارُ مِيلِ المكحلة فهي متصلةٌ بالرأس لقلَّة المسافة.

٤١٣٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمٌ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَمَا أَطْوَلَ هٰذَا اليَوْمَ؟!، فَقَالَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلى المُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيها فِي الدُّنْيَا».

أخرجه أحمد (١١٧١٧) بسندٍ ضعيف.

بابُ
الحِسابِ والقصاص

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣] يَعْنِي: يَوْمَ الحِسَابِ، وَقِيلَ: يَوْمَ الجزَاءِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، أي: الجزَاءَ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أيْ: الجزَاءُ، وَقِيلَ: الدِّينُ: الحُكْمُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ [النور: ٢]، أيْ: فِي حُكْمِهِ، وَقِيلَ: الدِّينُ، الطَّاعَةُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ [النحل: ٥٢]، أيْ: الطَّاعَةُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وَقَولُهُ سُبحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، أيْ: التَّوْحِيدُ، وَالدِّينُ: اسْمٌ لِجَمِيعِ مَا تَعَبَّدَ اللهُ بِهِ خَلْقَهُ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾ [إبراهيم: ٥١] أيْ: حِسَابُه وَاقِعٌ لَا مَحالَة، وَكُلُّ مَا هُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، فَهُوَ سَرِيعٌ، وَقِيلَ: سُرْعَةُ حِسَابِهِ أَنَّهُ لَا يَشْغَلُهُ حِسَابُ وَاحِدٍ عَنْ حِسَابِ الآخَرِ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، فَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿سُوءَ الحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]، قِيلَ: هُوَ أَنْ لا تُقْبَلَ لَهُمْ حَسَنَةٌ، وَلَا تُغْفَرَ لَهُمْ سَيِّئَةٌ.

وَقَولُهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ [طه: ١١٢]، أيْ: نَقصاً، يَقُولُ: لَا يَخَافُ أنْ يُظْلَمَ بِأنْ يُحمَّلَ ذَنْبَ غَيْرِهِ، وَلَا يُهْتَضَمَ، فَيُنْقَصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، يُقَالُ: هٰذَا دَاءٌ يَهْضِمُ الطَّعَامَ، أيْ: يَنْقُصُ ثِقْلَهُ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ [الانشقاق: ٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾، أيْ: مُحَاسِباً [الإسراء: ١٤].

٤١٣٩- عن ابن عمر، حدثني ابن أبي مُلَيكةَ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئاً لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ، عُذِّبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾؟ قَالَتْ: فَقَالَ: «إِنَّما ذٰلِكَ العَرْضُ، وَلٰكِنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ، يَهْلِكْ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

قوله: «مَنْ نوقِشَ الحسابَ يَهلِك» فالمناقشةُ: الاستقصاءُ في الحساب حتى لا يُترَك منه شيءٌ، يقال: انتقشتُ منه جميع حقّي، ومنه نقشُ الشوكةِ من الرِّجلِ وهو استخراجها منه.

٤١٤٠- عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: كُنْتُ آخِذاً بِيَدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُدْنِي المُؤْمِنَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُ: أيْ عَبْدِي تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ

رَبِّ، ثُمَّ يَقُولُ: أيْ عَبْدِي تعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا، فيَقُولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حَتَّى إذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى نَفْسَهُ أنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ اليَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأمَّا الكُفَّارُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأشْهَادُ: هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ ألاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلى الظَّالِمِينَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

قيل: الأشهاد: هم الملائكة، وقيل: هم الأنبياء والمؤمنون يشهدون على المكذبين.

٤١٤١- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ يَومَ القِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: أتُنْكِرُ مِنْ هٰذَا شَيْئاً؟ أظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أفَلَكَ عُذْرٌ أوْ حَسَنَةٌ؟ فَبُهِتَ الرَّجُلُ قَالَ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أشْهَدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هٰذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هٰذِهِ السِّجِلاَّتِ؟! فَقَالَ: إنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، قَالَ: فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ».

إسناده قوي، وصححه ابن حبان (٢٥٥)، والحاكم ١/ ٥٢٩، ووافقه الذهبي، وهو في «المسند» (٦٩٩٤) وانظر تمام تخريجه فيه.

البطاقةُ: الورقةُ، طاشت، أي: خفت، والطيش: خِفَّةُ العقل.

وروي عن أبي هريرة قال: «إنَّ من الناس من يُقتَلُ يومَ القيامة ألف قتلةٍ بضروب ما قتَلَ».

بابُ
من يدخل الجنة بغير حساب

٤١٤٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنبيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هٰذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي قَوْمِهِ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ فَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هٰكَذَا وهٰكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هٰؤلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هٰؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبيِّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ، فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلٰكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلٰكِنْ هٰؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبيَّ ﷺ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخرُ: فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

هـذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

وقد دلَّ الحديثُ على عظيم ما أكرم الله تعالى به النبيَّ ﷺ وأمَّته.

وقوله: «ولا يسترقون» أي: لا يطلبون الرقية، فقد ثبت الاسترقاءُ من بعضِ الصحابة. وأما التوكلُ فحدُّه: الثقةُ بالله تعالى، والإيقانُ بأنَّ قضاءَه نافذ، واتباع سنَّة نبيِّه ﷺ في السَّعْي فيما لا بُدَّ منه من المطعم والمَشْرَبِ والتحرُّزِ من العدو كما فعله الأنبياءُ صلوات الله عليهم أجمعين.

٤١٤٣- عن سعيد بن المسيِّب أنَّ أبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «يُدْخَلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ الجَنَّةَ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ يرفعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

«النَّمِرَةُ»: كساءٌ فيه خطوطٌ بيضٌ وسودٌ وحَمْرٌ كأنها أُخِذَتْ مِن جلد النَّمِر لاشتراكهما في التلوّن وهي من مآزرِ العرب.

بابُ
مفاداةِ المسلم باليهود والنصارى

٤١٤٤- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلامُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، لَمْ يَبْقَ مُسْلِمٌ إِلَّا أُعْطِيَ يَهُودِياً، فَقِيلَ: هٰذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٦٧) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة، عن طلحة بن يحيى، عن أبي بُرْدَةَ، وقال: «دَفَعَ اللهُ إلى كل

مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكُك من النار» وهذا الحديثُ أرجى حديثٍ للمسلمين لما فيه من التصريح بفداءِ كلِّ مسلم، وتعميم الفِداء.

بابُ

قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢]، المُرْضِعَةُ: الَّتِي تُرْضِعُ وَلَدَهَا، إِذَا أَرَدْتَ الفِعْلَ، أَلْحَقْتَ بِهَا هَاءَ التَّأْنِيثِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنَّهَا ذَاتُ رَضِيعٍ، أَسْقَطْتَ الهَاءَ، فَقُلْتَ: امْرَأَةٌ مُرْضِعٌ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمَ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ، وَقَالَ: وَهِيَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي القِيَامَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يُكْشَفُ عَنِ الأَمْرِ الشَّدِيدِ، وَالعَرَبُ تَذْكُرُ السَّاقَ إِذَا أَخْبَرَتْ عَنْ شِدَّةِ الأَمْرِ وَهَوْلِهِ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩]، قِيلَ: آخِرُ شِدَّةِ الدُّنْيَا بِأَوَّلِ شِدَّةِ الآخِرَةِ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ [الدهر: ٧]، أَيْ: مُمْتَدَّ البَلَاءِ ﴿يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ [الدهر: ١٠] القَمْطَرِيرُ: أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ الأَيَّامِ فِي البَلَاءِ.

٤١٤٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ يَا آدَمُ قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ

المَوْلُودُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ» قَالَ: فَيَقُولُونَ: وَأَيُّنَا ذٰلِكَ الوَاحِدُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تِسْعُ مِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ» قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قَالَ: فَكَبَّرَ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ وَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَبْيَضِ».

أخرجه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ، فَيَقُولُونَ: لَا مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، قَالَ: فَيُقَالُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ: فَذٰلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [البقرة: ١٤٣] الوَسَطُ: العَدْلُ.

وهذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٧٣٤٩).

قوله: «تضع كلُّ ذات حَمْلٍ حَمْلَها»: هو على المجاز لأنه ليس في القيامة حَمْلٌ ولا ولادة، وتقديره: ينتهي به الأهوالُ والشدائدُ إلى أنه لو تُصوِّرت الحوامل هناك لوضَعن أحمالهن.

٤١٤٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى

مَنْ كَانَ يَسجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً وَاحِداً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٤٩١٩)، لكن قوله: «عن ساقه» هي من رواية سعيد بن أبي هلال، قال الإمام أحمد فيه: ما أدري أي شيء تخلط في الأحاديث. وأخرجها الإسماعيلي كذلك، ثم قال في قوله: «عن ساقه» نكرة، ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ «يكشف عن ساق» وهي في صحيح مسلم (١٨٣) قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة لئلا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين تعالى الله عن ذلك ليس كمثله شيء، وقال النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: فسر ابن عباس، وجمهور أهل اللغة، وغريب الحديث الساق هنا بالشدة، أي: يكشف عن شدة وأمر مهول، وانظر «الأسماء والصفات» صفحة ٣٤٤، ٣٤٨، وتفسير ابن كثير ٨/ ٤٥٠، ٤٥٢.

قوله: «يَكشِفُ ربُّنا عن ساقه» قال الخطابيُّ: هذا مما تهيَّب القولَ فيه شيوخُنا، وأجرَوْهُ على ظاهرِ لفظهِ، ولم يكشِفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف في تفسير كل ما لا يحيط العِلم بكنهه من هذا الباب، وقد تأوله بعضهم على معنى قوله تعالى: ﴿يوم يُكشف عن ساق﴾، فروي عن ابن عباس أنه قال: عن شدّةٍ وكرْبٍ، أخرجه الطبري ٢٩/ ٢٤ عنه بسند حسن، وأخرجه الفراء في «معاني القرآن» ٣/ ١٧٧ بإسناد على شرط الشيخين. أن ابن عباس قرأ (يوم تكشف عن ساق) يريدُ القيامة والساعة لشدتها قال: وأنشدني بعض العرب لجد طرفة:

كَشَفَتْ لهم عن سَاقها ... وبَدَا مِنَ الشَّرِّ البَراحُ

وانظر «الأسماء والصفات» ص٣٤٦ للبيهقي.

٤١٤٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وَقَالَ: «اقْرَؤوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لهم يَومَ القِيَامَةِ وَزْناً﴾ [الكهف: ١٠٦]».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

قوله: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ قال ابنُ الأعرابي: تقول العرب: ما لفلانٍ عندنا وزنٌ، أي: قدرٌ لِخسَّته، وقيل: معناه: لا يَزِنُ لهم سعيُهم عندَ الله عز وجلَّ مع كفرهم شيئاً.

٤١٤٨- عن الحسن قال: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ قَيْسٍ يعني أبا موسى الأشعري: يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ، فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا العَرْضَةُ الثَّالِثَةُ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَطَايَرُ الصُّحُفُ فِي الأَيْدِي، فَإِمَّا آخذٌ بِيَمِينِهِ، وَإِمَّا آخِذٌ بِشِمَالِهِ.

إسناده ضعيف لانقطاعه فإن الحسن لم يسمع من أبي موسى، والحديث أخرجه أحمد (١٩٧١٥)، وابن ماجه (٤٢٧٧)، والترمذي (٢٤٢٧).

بابُ

شهادة الأعضاء

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٦٥]. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥]، سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾ وَقَوْلِهِ

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فَقَالَ: إِنَّهُ ذُو أَلْوَانٍ مَرَّةً يَنْطِقُونَ، وَمَرَّةً يُخْتَمُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، أَيْ: لَا يُسْأَلُ سُؤَالَ الاسْتِعْلَامِ، وَلَٰكِنْ يَسْأَلُهُمْ تَقْرِيراً وَإِلْزَاماً لِلْحُجَّةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤]، أَيْ: عَلَى نَفْسِهِ جَوَارِحُ بَصِيرَةٌ بِمَا جَنَى عَلَيْهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ الآيَةُ [النور: ٢٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ أَيْ: وَلَوْ أَدْلَى بِكُلِّ حُجَّةٍ، وَقِيلَ: وَلَوِ اعْتَذَرَ بِكُلِّ عُذْرٍ، وَقِيلَ: وَلَو أَلْقَى سُتُورَهُ، وَالمِعْذَارُ: السِّتْرُ، وَلَيْسَ هٰذَا مِنْ بَصَرِ العَيْنِ، بَلْ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ بَصِيرٌ بِالعِلْمِ، وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، أَيْ: عِلْمُكَ بِمَا أَنْتَ فِيهِ نَافِذٌ.

وَقَالَ الحَسَنُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٤]، قَالَ: لِكُلِّ آدَمِيٍّ فِي عُنُقِهِ قِلَادَةٌ يُكْتَبُ فِيهَا نُسْخَةُ عَمَلِهِ، فَإِذَا مَاتَ، طُوِيَتْ وَقُلِّدَهَا، وَإِذَا بُعِثَ، نُشِرَتْ لَهُ، وَقِيلَ لَهُ: اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً، ابْنَ آدَمَ أَنْصَفَكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، أيْ: لاَ صَدَاقَةٌ، وَهِيَ المُخَالَّةُ وَالخِلاَلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ﴾ [النور: ٤٣]، هِيَ جَمْعُ خَلَلٍ مِثْلُ جَبَلٍ وَجِبَالٍ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، قَالَ الزَّجَّاجُ: أيْ: أسْرَعُوا فيما يُخِلُّ بِكُمْ، وَقِيلَ: لأَوْضَعُوا مَرَاكِبَكُمْ خِلاَلَكُمْ، أيْ: وَسْطَكُمْ.

٤١٤٩- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَألَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابٍ؟» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابٍ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ كَمَا لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى العَبْدَ فَيَقُولُ: أيْ فُلُ ألَمْ أُكْرِمْكَ؟ ألَمْ أُسَوِّدْكَ؟ ألَمْ أُزَوِّجْكَ؟ ألَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإبِلَ وَأتْرُكْكَ تَتَرَأَّسُ وَتَتَرَبَّعُ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَظَنَنْتَ أنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ قَالَ: لاَ يَا رَبِّ، قَالَ: فَاليَوْمَ أنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. قَالَ: فَيَلْقَى الثَّانِيَ، فَيَقُولُ: ألَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإبِلَ، وَأتْرُكْكَ تَتَرَأَّسُ وَتَتَرَبَّعُ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَظَنَنْتَ أنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ، قَالَ: فَاليَوْمَ أنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. قَالَ: ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ: مَا أنْتَ؟ فَيَقُولُ: أنَا عَبْدُكَ آمَنْتُ بِكَ وَبِنَبِيِّكَ وَبِكِتَابِكَ وَصُمْتُ وَصَلَّيْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا

اسْتَطَاعَ، فَيُقَالُ لَهُ: أفلَا نَبْعَثُ عَلَيْكَ شَاهِدَنَا؟ قَالَ: فَيُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ مَنِ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهِ، فَيُخْتَمُ على فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، قَالَ: وَذٰلِكَ المُنَافِقُ، وَذٰلِكَ لِيَعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذٰلِكَ الَّذِي سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ ألَا اتَّبَعَتْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالَ: فَتَتَّبِعُ أوْلِيَاءُ الشَّيَاطِينِ الشَّيَاطِينَ، قَالَ: وَاتَّبَعَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى أوْلِيَاءَهُمْ إلَى جَهَنَّمَ، قَالَ: ثُمَّ نَبْقَى أيُّهَا المُؤْمِنُونَ، ثُمَّ نَبْقَى أيُّهَا المُؤْمِنُونَ، ثُمَّ نَبْقَى أيُّهَا المُؤْمِنُونَ، فَيَأْتِينَا رَبُّنَا وَهُوَ رَبُّنَا، فَيَقُولُ: عَلَامَ هٰؤُلَاءِ قِيَامٌ؟ فَنَقُولُ: نَحْنُ عِبَادُ اللهِ المُؤْمِنُونَ وَعَبَدْنَاهُ وَهُوَ رَبُّنَا وَهُوَ آتِينَا وَيُثِيبُنَا وَهٰذَا مَقَامُنَا، فَيَقُولُ: أنَا رَبُّكُمْ فَامْضُوا، قَالَ: فَيُوضَعُ الجِسْرُ وَعَلَيْهِ كَلَالِيبُ مِنْ النَّارِ تَخْطَفُ النَّاسَ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ حَلَّتِ الشَّفَاعَةُ لِي، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قَالَ: فَإذَا جَاوَزُوا الجِسْرَ، فَكُلُّ مَنْ أنْفَقَ زَوْجاً مِنَ المَالِ مِمَّا يَمْلِكُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَكُلُّ خَزَنَةِ الجَنَّةِ تَدْعُوهُ: يَا عَبْدَ اللهِ يَا مُسْلِمُ هٰذَا خَيْرٌ، فَتَعَالَ» قَالَ أبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ ذٰلِكَ لَعَبْدٌ لَاتَوَى عَلَيْهِ يَدَعُ بَاباً وَيَلِجُ مِنْ آخَرَ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ على مَنْكِبَيْهِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنِّي لأرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه بتمامه ابن حبان (٤٦٤٢)، وأخرجه مسلم (٢٩٦٨). إلى قوله: «وذلك الذي سخط الله عليه»، وانظر «مسند أحمد» (٧٧١٧).

قوله: «تترَأس وتتربَّع»، ويروى: «ترْأس وترْبَع» ترْأس، أي: تكون رئيسهم، وترْبع، أي: تأخذ المِرْباعَ من أموالهم وهو الربع من رأس ما غنموه، إذا غزا بعضهم بعضاً، كان الرئيس في الجاهلية يأخذه خالصةً دون

أصحابه، ويروى: «ترْبع وتدْسع»، أي: تعطي فتجزل، والعرب تقول للجواد: هو ضخم الدسيعة وهي الجفنةُ، وقيل: هي المائدة الكريمة.

قوله: «لا تَوى» يعني: لا هلاكَ.

٤١٥٠- عن النعمان بن سعد قال: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ بْنَ شَعْبَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «شِعَارُ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلى الصِّرَاطِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّم».

أخرجه الترمذي (٢٤٣٢).

وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق وهو الواسطي أحد رواته.

٤١٥١- عَنْ بَهْزِ بن حكيم بن معاوية، عن أبيه عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا جِئْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ بِعَدَدِ أَصَابِعِي أَلَّا أَتَّبِعَكَ، وَلَا أَتَّبعَ دِينَكَ، وَإِنِّي أَتَيْتُ أَمْراً لَا أَعْقِلُ شَيْئاً إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ بِمَا بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَبُّنَا؟ قَالَ: «اجْلِسْ» ثُمَّ قَالَ: «بِالإِسْلَامِ» فَقُلْتُ: مَا آيَةُ الإِسْلَامِ؟ قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتُفَارِقُ الشِّرْكَ، وَأَنَّ كُلَّ مُسلِمٍ عَلى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ عَمَلاً، وَإِنَّ رَبِّي دَاعِيَّ وَسَائِلِي هَلْ بَلَّغْتُ عِبَادَهُ، فَلْيُبَلِّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ، وَإِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُفَدَّمٌ عَلى أَفْوَاهِكُمْ بِالفِدَامِ، فَأَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ وَكَفُّهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هٰذَا دِينُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ وَأَيْنَمَا تُحْسِنْ يَكْفِكَ، وَإِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِكُمْ، وَعَلى أَقْدَامِكُمْ وَرُكْبَاناً».

هذا حديث حسنٌ، أخرجه أحمد (٢٠٠٤٣)، والنسائي ٥/ ٨٢.

والفِدام: مصفاةُ الكُوز والإبريق، معناه: أنهم مُنعوا الكلام بالأفواه حتى تكلَّم أفخاذهم، فشبه ذلك بالفِدام الذي يُجعل على الإبريق. ويروى «كلُّ مسلم عن مسلم محرَّمٌ» يقال: إنه محرَّمٌ عنك، أي: يحرِّم أذاك عليه.

٤١٥٢- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

بابُ

شفاعة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩]، رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ سُئِلَ عَنْهَا قَالَ: «هِيَ الشَّفَاعَةُ».

أخرجه ابن جرير ١٥/ ١٤٥، وفي البخاري (٤٧١٨) من حديث ابن عمر: إن الناس يَصِيرونَ يوم القيامة جُثاً، كلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نبيَّها، يقولون: يا فلان اشفعْ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يومَ يبعثه الله المقام المحمود.

وقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ.

وقد عقد القاضي عياض فصلاً نفيساً في كتابه «الشفا» ١/١٨٨ ذكر فيه تفضيلَ نبينا محمد ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود، وكذا فعل السيوطي في «الخصائص الكبرى» ٢/٢١٨.

٤١٥٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذٰلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى

إبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إلَى مَا قَدْ بَلَغنا؟ فَيَقُولُ: إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإنِّي قَدْ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَات (فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانٍ) نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا أَلاَ تَرَى إلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، إنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا أَلاَ تَرَى إلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ،

وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذٰلِكَ مِنَ الأبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، وَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

قوله: «يَنْفُذُهم البصر» قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ٢/١٩١: المعنى أنه يَنْفُذُهم بَصَرُ الرحمن حتى يأتي عليهم كُلِّهم، قال الكسائيُّ: نفذني بصره: إذا بلغني وجاوزني، قال ابن عون: يقال: أنفذتُ القوم: إذا خرَّقتهم ومشيتَ في وسطهم، فإن جُزتهم حتى تُخلِفهم، قلتَ: نفذَتهم بلا ألف، وقال غَيْرُ أبي عُبيدٍ: تخرقهم أبصارُ الناس لاستواء الصعيد، والله سبحانه وتعالى أحاط بالناس أولاً وآخراً.

قوله: «غضِب اليوم غضباً لم يَغضب قبله مثله» أراد به إظهارَ الغضب في ذلك الوقت، وإلا فالغضبُ والرضا من صفات الله عز وجل لم يزل موصوفاً بهما قبل أن خَلق الخلق، وكذلك جميع صفات الله تعالى.

وقد دلَّ الحديثُ على أن الشفاعةَ تكون أولاً لمن لا حسابَ عليه، ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب، ودخل النار حَسْبَ ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة، ثم فيمن قال: لا إله إلا الله، وليس هذا لسواه ﷺ. أفاده القاضي عياض في «الشفا» ص٢٢٣.

٤١٥٤- عن مَعبد بن هلال العَنزِيِّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ، فَذَهَبْنَا إلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ-البُنانيِّ- إلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ، فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا، فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لَا تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ هٰؤُلَاءِ

إخْوانُكَ مِنْ أهْلِ البَصْرَةِ جاؤُوا يَسْألُونكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إذَا كَانَ يَوْمُ القِيامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ إلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، ولٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِإبْرَاهِيمَ، فَإنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمٰنِ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى، فَإنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى، فَإنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسى، فيقولُ: لَسْتُ لَها، ولٰكِنْ عَلَيكُمْ بمُحَمَّدٍ، فَيأتوني، فأقول: أنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ على رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، فَأخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إيمَانٍ، فَأنْطَلِقُ فَأفْعَلُ، ثُمَّ أعُودُ فَأحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَأخرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إيمَانٍ، فَأنْطَلِقُ فَأفْعَلُ، ثُمَّ أعُودُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأخْرِج مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أدْنَى أدْنَى مِثْقَالَ حَبَّةِ خَرْدَلَةٍ مِنْ إيمَانٍ فَأخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ مِنَ النَّارِ مِنَ النَّارِ، فَأنْطَلِقُ فَأفْعَل». فَلَمَّا خَرَجْنا مِنْ عِنْدِ أنَسٍ، قُلْتُ لِبَعْضِ أصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنا أنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنا

عَلَيْهِ، فَأذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنا فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: هِيْهِ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالحَدِيثِ، فَانْتَهَى إِلَى هٰذَا المَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيْهِ، فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلى هٰذَا، فَقَالَ: حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَلاَ نَدْرِي أَنَسِيَ، أَوْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا، فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولاً مَا ذَكَرْتُهُ إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ، ثُمَّ قَالَ: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

قوله: «ماجَ الناسُ» أي: اختلط بعضهم ببعض، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وتركنا بَعْضَهم يومئذ يموج في بعضٍ﴾ [الكهف: ١٠٠]. أي: يختلِطُ بعضهم ببعض مُقبلين ومدبرين حيارى.

وقوله: لو مررنا بالحسن: هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد.

قوله: «وهو متوارٍ في منزل أبي خليفة» يعني مختفياً خوفاً من الحجاج، وأبو خليفة هو حجّاج بن عتّاب العبدي.

قوله: «وهو جميعٌ» يعني مجتمع القوّةِ والحفظ.

وقوله: «فضحك وقال: خُلق الإنسانُ عجولاً» فيه: جوازُ ضحكِ العالم بحضرة أصحابه إذا كان بينه وبينهم أُنْسٌ ولم يُخْرِجْه ذلك إلى إسقاطِ الهيبة، وفيه: جواز الاستشهادِ بالقرآنِ.

وقد تكلَّم القاضي عياض في «الشفا» ٢/ ١٠٥ عن عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر، وأنَّ منصبَ النبوة يجلُّ عن مواقعتها وعن مخالفة الله تعالى عمداً، ونقل عن جماعة أهل التحقيق والنظر، أنَّ ما ذُكِر عنهم في هٰذا الحديث وأشباهه إنما هو فيما كان منهم على تأويلٍ أو سَهْوٍ أو من إذنٍ من الله تعالى في أشياءَ أشفقوا من المؤاخذة بها وأشياء منهم قَبْلَ النبوة، ولأنه لو صحَّ وقوعُ الذنوب منهم لم يلزمنا الاقتداء بهم وإقرارهم وكثيرٌ من أقوالهم، ولا خلاف في الاقتداء بذلك، وإنما اختلافُ العلماء: هل ذلك على الوجوب أوْ على الندب أو الإباحةِ أو التفريقِ فيما كان من بابِ القُرَبِ أو غيرِها؟

٤١٥٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ، فَيَهْتَمُّونَ لِذٰلِكَ الْيَوْمِ، وَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يُخْرِجَنَا مِنْ مَكَانِنَا هٰذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هٰذَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَه الَّتِي أَصَابَ، وَلٰكِنْ ائْتُوا نُوحاً أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلٰكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلٰكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْداً آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيماً، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلٰكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللهِ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلٰكِنِ ائْتُوا مُحَمَّداً عَبْداً غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«فَيأتُونِي، فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ فَأسْتَأْذِنُ عَلى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإذَا رَأيْتُ رَبّي، وَقَعْتُ لَهُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدّاً، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أرْجِعُ الثَّانِيَةَ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلى رَبّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإذَا رَأيْتُ رَبِّي، وَقَعْتُ لَهُ سَاجِداً، فَيَدَعُني مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدّاً ثَانِياً فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّة، ثُمَّ أرْجِعُ الثَّالِثَةَ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإذا رَأيْتُ رَبِّي، وَقَعْتُ لَهُ سَاجِداً، فَيَدَعُني مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدّاً ثَالِثاً، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّة حَتَّى أرْجع، فأقولُ: يَا ربّ مَا بَقِيَ في النّارِ إلّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ، أوْ حَبَسَهُ القرآنُ» وَهُوَ المَقَامُ المحمود الذي وَعَدَهُ الله عزَّ وَجَلَّ ﴿عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩].

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٤٤٧٦) و (٧٤٣٩). وقال في آدم: لستُ هناك ويذكر ذنْبه، فيستحيي، وفي نوح: فيستحيي، وفي موسى يذكر قتل النفس بغير حقٍّ فيستحيي، ورواه مسلم (١٩٣).

٤١٥٦- عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَنِي أنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أرْبَعَ مِئَةِ ألْفٍ» فَقَالَ أبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «وَهٰكَذَا» فَحَثَى بِكَفَّيْهِ وَجَمَعَهُمَا. قَالَ أبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَهٰكَذَا» فَقَالَ عُمَرُ

ابْنُ الخَطَّابِ: دَعْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّنَا الجَنَّةَ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ أَنْ يُدْخِلَ خَلْقَهُ بِكَفٍّ وَاحِدٍ، فَعَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ».

أخرجه أحمد (١٢٦٩٥) بسندٍ صحيح.

ورُوي عن أبي أمامةَ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «وعَدني ربي أن يُدخِلَ الجنةَ من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألفٍ سبعون ألفاً وثلاث حَثَياتٍ من حثيات ربي».

أخرجه أحمد (٢٢٣٠٣)، والترمذي (٢٤٣٩) وغيرهما بسندٍ صحيح.

٤١٥٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هٰذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ خَالِصَةً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه البخاري (٩٩).

قوله: «خالصةً» فيه احترازٌ من النفاق، وفي هذا تقييدٌ للنصوصِ المطلقة التي جاءت بدخولِ الجنة بمجرَّد النطق، قال ابن رجب في «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها»: ٢٧: وهذا كلُّه إشارةٌ إلى عمل القلب، وتحقُّقِه بمعنى الشهادتين، فتحقُّقه بقول: لا إله إلّا الله: أن لا يأله القلبُ غَيْرَ اللهِ حبّاً ورجاءً وخوفاً وتوكُّلاً واستعانةً وخضوعاً وإنابة. وتحقُّقه بأنَّ محمداً رسولُ الله: ألَّا يعبدَ الله بغير ما شرعه الله تعالى على لسانِ محمد ﷺ.

٤١٥٨- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الآيَةُ [إبراهيم: ٣٦]. وَقَالَ عِيسَى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١٢١]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيل اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوؤُكَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٠٢).

وفي الحديث من الفقه والفوائد: بيانُ كمالِ شفقته ﷺ على أُمَّته واعتنائه بمصالحهم.

وفيه: استحبابُ رَفْعِ اليدين في الدعاء.

وفيه: البشارة العظيمة لهذه الأمة بما وَعَدها من الفضل والمغفرة.

وفيه: بيانُ عظم منزلة نبينا محمد ﷺ عند ربه تبارك وتعالى. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٢/ ٨٠.

٤١٥٩- عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبعاً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (١٩٦) (٣٣١).

٤١٦٠- عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ

الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحدٍ قَبْلَكَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٩٧).

بابُ

الحوضِ وهو الكوثر

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، قَالَ أَبُو بِشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الكَوْثَرُ الخَيْرُ الكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاساً يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ. قَالَ: النَّهْرُ الَّذِي في الجَنَّةِ مِنَ الخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. وَقِيلَ: الكَوْثَرُ: هُوَ القُرْآنُ وَالنُّبُوَّةُ.

٤١٦١- قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا، فَلَا يَظْمَأُ أَبَداً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

«الكيزان» جمع كوز. وفي الحديثِ: إثباتُ حوضِ نبينا محمد ﷺ. قال القاضي عياض فيما نقله النووي في «شرح مسلم» ٨/ ٦٧: أحاديثُ الحوضِ صحيحة، والإيمانُ به فَرْضٌ، والتصديقُ به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يُتَأَوَّلُ ولا يُخْتلفُ فيه. وحديثُه متواتر النقل! رواه خلائقُ من الصحابة. وقد خرَّجه الشيخان، وجمع ذلك كلَّه الإمام الحافظ البيهقي في كتاب «البعث والنشور».

٤١٦٢- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ حَافَّتَاهُ الذَّهَبُ، مَجْرَاهُ عَلى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ».

هذا حديثٌ قوي الإسناد، أخرجه الطيالسي (١٩٣٣)، وأحمد (٥٩١٣)، والترمذي (٣٣٥٨)، وتمام تخريجه في «المسند».

٤١٦٣- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا عِنْدَ عُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ لِأَهْلِ اليَمَنِ، إِنِّي لأَضْرِبُهُمْ بِعَصَايَ حَتَّى تَرْفَضَّ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ لَيَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ وَرِقٍ، وَالآخَرُ مِنْ ذَهَبٍ طُولُهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ، أَوْ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمَكَّةَ، أَوْ مِنْ مَقَامِي هٰذَا إِلَى عَمَّانَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٣٠١).

عُقْرُ الحوض بالضم: مؤخره، وعَقْرُ الدار بالفتح: أصلها، ومنه قيل: لفلانٍ عَقارٌ، أي: أصل مالٍ.

قوله: «يَغُتُّ فيه ميزابان» أي: يَدْفقانِ الماء فيه دفقاً متتابعاً مأخوذ من غتَّ الشاربُ الماء جرعاً بعد جرعٍ.

قال أبو منصور الأزهريُّ: عَمَّانُ بنصب العين وتشديد الميم وهو بالشام. وهي عاصمةُ الأردن.

وقوله: «ترفضُّ» أي: تسيل عليهم بالماء. وفي هذا كرامةٌ لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب على غيرهم مجازاة لهم على حُسْن صنيعهم في الإسلام ولا سيَّما الأنصار فإنهم من اليمن في الأصل.

٤١٦٤- عَنْ أنسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: دَخَلْتُ الجَنَّة، فَإذَا أنَا بنَهْرٍ يَجْرِي بَيَاضُهُ بَيَاضُ اللَّبَنِ، وَأحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَحَافَّتَاهُ خِيَامُ اللؤلؤ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي، فَإذَا الثَّرَى مِسْكٌ أذْفَرُ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَا هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطَاكَهُ اللهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٥٨١)، والترمذي (٣٣٥٧) وغيرهما.

٤١٦٥- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنِّي فَرَطُكُمْ عَلى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ، شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ، لَمْ يَظْمَأْ أبَداً، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقْوَامٌ أعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ». قَالَ أبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ عَيَّاشٍ، فَقَالَ: هٰكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أشْهَدُ عَلى أبِي سَعِيدٍ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا فَأقُولُ: «إنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩٠).

قوله: «إني فَرَطُكم» يقول: أنا أتقدمكم إلى الحوض، يقال: فرطتُ القوم: إذا تقدَّمتَهم لترتاد لهم الماء، وتُهيىء الدِّلاء والرِّشاء.

وقوله: «سُحْقاً» أي: بُعداً، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فسُحقاً لأصحاب السعير﴾ [الملك: ١١] أي: بُعداً باعدهم الله من رحمته، والسحيق: البعيد، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿في مكان سحيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

٤١٦٦- عن محمد بن زيادٍ سَمِعْتُ أبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأذُودَنَّ رِجَالًا عَنْ حَوْضِي كَمَا تُذَادُ الغَرِيبَةُ مِنَ الإبِلِ عَنِ الحَوْضِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٢٣٦٧)، ومسلم (٢٣٠٢).

وهذا الحِرْمان بسببِ نكوصِ الموّحدين عن الاستقامة على منهاج الشَّرْع، وتقاعسهم في نصرةِ الشريعة واستغراقهم في ملذَّاتهم وشهواتهم، فعوقبوا بالحرمان في تلك الساعة التي يحتاجون فيها إلى المُسْعف والنصير.

باب

آخر من يخرج من النار

٤١٦٧- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَال أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ «فقَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذٰلِكَ يجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً، فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتَّبعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتَّبعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتَّبعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هٰؤُلَاءِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ في غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ هٰذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإذَا أتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ التِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُم شَوكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ المَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذٰلِكَ: يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلى بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذٰلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ

فِيهَا، قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ اللهُ: هٰذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذٰلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً، قَالَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «هٰذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «هٰذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ «مِثْلَهُ مَعَهُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

قوله: «فمنهم الموبقُ بعمله»، أي: المحبوس، يقال: أوْبَقه: إذا حَبَسَه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿أو يُوبِقْهُنَّ بما كسبوا﴾ [الشورى: ٣٤] أو يحبِسُ السفُن فلا تجري عقوبة لأهلها، والإيباق: الإهلاك أيضاً، يقال: وَبَقَ يَبِقُ، ووبِقَ يَوْبَقُ: إذا هَلَكَ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وجعلنا بينهم مَوْبِقاً﴾ [الكهف: ٥٣] أي: جعلنا بينهم ما يُوبِقُهم، أي: يُهلكهم.

وقوله: «ومنهم المخرَدلُ» قيل: هو المصروع، وقيل: هو المقطَّعُ، أي: تُقطِّعُه كلاليب الصراط حتى تهوي به إلى النار، يقال: خَرْدَلْتُ اللحم بالدال والذال، أي: قطعتُه وفرَّقته.

وقوله: «امْتَحَشُوا» أي: احترقوا، وقيل: المحْشُ تناوُلٌ من اللهب يُحرِّقُ اللحم، ويُبدي العظم.

وقوله: «فينبُتون نبات الحِبَّةِ» الحِبَّةُ بكسر الحاء وتشديد الباء: اسمٌ جامعٌ لحبوب البقول التي تنتشر إذا هاجت، ثم إذا مُطرت من قابلٍ تنبُت، وقال الكسائي: هي حَبُّ الرياحين الواحدةُ حِبَّةٌ، فأما الحنطة ونحوها، فهو الحَبُّ لا غير، والحبةُ من العنب تسمى حَبةً بالفتح، وحَبُّ الحبَّةِ يُسمَّى حُبَةً بضمِّ الحاء وتخفيف الباء.

وقوله «في حمِيل السَّيْل» هو ما حمله السيل فعيلٌ بمعنى مفعولٌ، كما يقال للمقتول: قتيل، قال أبو سعيد الضرير: حميلُ السَّيل: ما جاء به من طين أو غثاءٍ، فإذا اتفق فيه الحبة، واستقرت على شط مجرى السَّيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، وهي أسرع نابتةٍ نباتاً، وإنما أخبرَ بسرعة نباتهم.

وقوله: «قشبني ريحُها» أي: سمَّني وصار ريحها كالسَّمِّ في أنفي، والقشْبُ: خلْطُ السمِّ بالطعامِ، والقِشْبُ: اسمٌ للسَّمِّ وكلُّ مسمومٍ قشيبٌ ويقال: قشبهُ الدخان: إذا امتلأ خياشيمُه من الدخان، وقوله: «وأحرقني ذَكاؤها» فأصل الذكاء: بلوغ كل شيء مُنتهاه، وذكَّيتُ النار: إذا أتممتَ إشعالها.

قوله: «فيأتيهم الله في غير الصورة التي يَعرفون» قال أبو سليمان الخطابيُّ رحمه الله: هذا يحتاج إلى تأويل، وليس ذلك من أجل أنَّا نُنكِر رؤية الله تعالى، بل نثبتُها، ولا من أجل أنا ندفع ما جاء في الكتاب، وفي أخبار الرسول ﷺ من ذكرِ المجيء والإتيان غير أنَّا لا نكيِّف ذلك، ولا نجعله حركة وانتقالاً كمجيء الأشخاص وإتيانها، إلى غير ذلك من نعوت الحدث، وتعالى الله علواً كبيراً، ويجب أن تعلم أن الرؤية التي هي ثوابُ الأولياء في الجنة غير هذه الرؤيةِ المذكورة في مقامهم يوم القيامة، وإنما تعريضُهم لهذه الرؤية امتحانٌ من الله سبحانه وتعالى لهم يقع به التمييز بين مَن عَبدَ الله سبحانه، وبين مَن عبدَ الشمس والقمر والطواغيت، فيتبع كلُّ فريقٍ معبودَه، وليس يُنكر أن يكون الامتحان إذ ذاك قائماً، وحكْمُه على الخلق جارياً حتى يُفرغَ من الحساب، ويقعَ الجزاء بما يستحقونه من الثواب والعقاب، ثم يَنقطع إذا حقَّت الحقائق، واستقرَّتْ أمور العباد قرارَها، ألا ترى قوله سبحانه وتعالى: ﴿يوم يُكشف عن ساقٍ ويُدعوْنَ إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم: ٤٢] فامْتِحنوا هنالك بالسجود، ويشبِه أن يكون - والله أعلم - إنما حجبهم عن تحقق الرؤية في الكرَّة الأولى حتى قالوا: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا من أجل من

معهم من المنافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون، فلما تميَّزوا عنهم، ارتفع الحَجْبُ، فقالوا عند ما رأوه: أنت ربنا، وذكر مِن الكلام غيرَ هذا وقال: الصورة في هذه القصة بمعنى الصفة.

قال الإمام البغوي: والواجب فيه وفي أمثاله الإيمان والتسليم. والله أعلم.

وروي عن إسحاق بن عيسى قال: أتينا عبد العزيز بن أبي سَلمةَ الماجِشوني برجُل كان يُنكِر حديث يوم القيامة، وأنَّ الله يأتيهم في صورته، فقال له: يا بُنيَّ ما تُنكِرُ من هذا؟ قال: إنَّ الله أجلُّ وأعظمُ من أن يُرى في هذه الصفة، فقال: يا أحمق إنَّ الله ليس تتغير عظمته، ولكن عيناك يُغيرهما حتى تراه كيف شاء، فقال الرجل: أتوبُ إلى الله، ورجع عمَّا كان عليه.

٤١٦٨- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حَتَّى يُزْلِفَ لَهُمُ الجَنَّةَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: هَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إلاَّ(١) خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً، فَيَقُومُ، فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَيَقُومَانِ جَنَبَتِي الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أُولاَكُمْ كَالبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجزَ أَعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفاً، وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ

بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفاً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٩٥).

وجنبتا الصراط: ناحيتاه، وأراد بالمكرْدَس: الموثق الملقى فيها.

قوله: «من وراء وراء» أي: أنَّ المكارم التي أعطيتُها كانت بوساطة سفارة جبريل ﷺ، ولكن ائتوا موسى، فإنه حصل له سماع الكلام بغير واسطة. وقيل: بل قال ذلك على سبيل التواضع. وأما قيامُ الرَّحِمِ والأمانة فلعِظَم حَقِّهما والمعنى أنهما تقومان لتطالبا كلَّ مَنْ يُرِيدُ الجوازَ بحقِّهما.

٤١٦٩- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ وَأَمِنُوا، فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ المُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمْ لِلَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ: يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ. قَالَ: فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ، فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الإِيمانِ، ثُمَّ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهٰذَا، فَلْيَقْرَأْ هٰذِهِ الآيَةَ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ٣٩]. قَالَ: «فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا، فَلَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ

أحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ المَلاَئِكَةُ، وَشَفَعَتِ الأنْبِيَاءُ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَبَقِيَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، قَالَ: فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، أوْ قَالَ: قَبْضَتَيْنِ نَاساً لَمْ يَعْمَلُوا للهِ خَيْراً قَطُّ قَدِ احْتَرَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَماً، فَيُؤْتَى بِهِمْ إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَالَ: فَتَخْرُجُ أجْسَادُهُمْ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ فِي أعْنَاقِهِمُ الخَاتَمُ: عُتَقَاءُ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ، فَمَا تَمَنَّيْتُمْ، أوْ رَأيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَهُوَ لَكُمْ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحَداً مِنَ العَالَمِينَ، قَالَ: فَيَقُولُ رِضَايَ عَنْكُمْ، فَلاَ أسْخَطُ عَلَيْكُمْ أبَداً».

هذا حديثٌ صَحيحٌ، أخرجه مسلم (١٨٣).

٤١٧٠- عَنْ أنَسٍ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيُصِيبَنَّ أقْوَاماً سَفْعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: الجَهَنَّمِيُّونَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٧٤٥٠)، وأحمد (١٢٣٦١).

قوله: «سَفْعٌ من النار» أي: علامةٌ من النار، يقال: سَفَعتُ الشيء: إذا أعلمته، وقيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ [العلق: ١٥] أي: لنُعلِمنَّه علامةَ أهل النار من سواد الوجه، وَزُرْقَةُ العين، فاكتفى بالناصية من سائر الوجه، لأنها في مقدَّم الوجه، وقيل: ﴿لنسفعاً﴾ أي: لنأخذنَّه، وقيل: لنُخزينَّه، وقيل: لنُذلنَّه.

٤١٧١- عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّة، وَيُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٦٦)، ورواه جابر «يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير»، أخرجه البخاري (٦٥٥٨)، وفسر الثعارير بالضغابيس، والثعارير: رؤوس الطراثيث تكون بيضاء شُبِّهوا بها في البياض، قال ابن الأعرابي: الثُّعْرُورُ: قثاءٌ صغارٌ، وهي الضغابيس، والثُّعرور في غير هذا: الثُؤلول، ويقال: الضغابيس هَناتٌ تنبُت في أصول الثُّمام طوالٌ رَخصةٌ تُؤكل.

٤١٧٢- عَنْ أنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُصَفُّ أَهْلُ النَّارِ، فَيُعَدَّلُونَ، قَالَ: فَيَمُرُّ بِهِمُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: يَا فُلَانُ، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا تُرِيدُ؟ فَيَقُولُ: أَمَا تَذْكُرُ رَجُلاً سَقَاكَ شَرْبَةً يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَإِنَّكَ لأَنْتَ هُوَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَشْفَعُ لَهُ، فَيُشَفَّعُ فِيهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمُرُّ بِهِمُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، فَيَقُولُ: مَا تُرِيدُ؟ فَيَقُولُ: أَمَا تَذْكُرُ رَجُلاً وَهَبَ لَكَ وَضُوءاً يومَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: إنَّكَ لأَنْتَ هُوَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيَشْفَعُ لَهُ، فَيُشَفَّعُ فِيهِ».

أخرجه ابن ماجه (٣٦٨٥) بسندٍ ضعيف لضعف يزيد الرقاشي.

٤١٧٣- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا جَاوَزَهَا، الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ

يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ، فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ هٰذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا سَمِعَ أَصْوَاتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟» فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّا أَضْحَكُ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: هٰكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ العَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلٰكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٣٧١٤)، ومسلم (١٨٧) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله: «ما يصريني منك» أي: ما يقطع مسألتك عني، يقال: صَرَيتُ الشيء: إذا قطعتَه.

قوله: «تَسْفَعُه» أي: تضرِبُ وَجْهَه فتُسَوِّده.

وقد حمل النووي في «شرح مسلم» ٢/٤٦ ضحك الربِّ تعالى على أنه الرضا والرحمة وإرادةُ الخير لمن يشاء من عباده، فظاهِرُ الحديث على خلافه، فإن رسولَ الله ﷺ ضحك موافقة لربه تعالى، والحَمْلُ على ما ذكر يُفوِّتُ الموافقة.

٤١٧٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي لأعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفاً، فَيُقَالُ لَهُ: انْطَلِقْ، فَادْخُلِ الجَنَّة، قَالَ: فَيَذْهَبُ لِيَدْخُلَ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا المَنَازِلَ، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: قَدْ أخذَ النَّاسُ المَنَازِلَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ، قَالَ: فَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: إنَّ لكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَهُ وَعَشْرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ؟» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

قوله: «حتى بَدَتْ نواجذُه» قيل: هي الأضراس، وقيل المضاحك، وقيل: هي الأنياب، وهي أحسن ما قيل فيها، لأنه في الخبر أنه ﷺ «كان جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبسمَ».

٤١٧٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أخرِجُوا

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ أوِ الحَيَا (يَشُكُّ مَالِكٌ) فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤٠).

والحيا مقصور: المطر، وفي الحديث دليلٌ على أنَّ أهْلَ المعاصي لا يُخلدون في النار، وفيه دليلٌ على تفاضل الناس في الإيمان. قال الخطابي: وحبة الخردل مَثَلٌ في المعرفة لا في الوزن، لأن الإيمان ليس بجسم يحضره الوزن أو الكيل، ولكن ما يُشكِلُ في العقول قد يُرَدُّ إلى عيار المحسوس ليُعلمَ.

٤١٧٦- عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهُ إلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» وَقَالَ أَبَان عَنْ قَتَادَةَ «مِنْ إيمَانٍ» مَكَانَ «خَيْرٍ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

٤١٧٧- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُعَذَّبُ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا حُمَماً، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ قَالَ: فَيُخْرَجُونَ، فَيُطْرَحُونَ عَلى أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ المَاءَ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حُمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يُدْخَلُونَ الجَنَّةَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٩١).

الحُمَمُ: الفَحْمُ واحدها حُمَمةٌ، والغُثاءُ: ما يَبِسَ من النبت، فحمله الماء، فألقاه في الجوانب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فجعله غثاءً أحوى﴾ [الأعلى: ٥]، أي: جعله غثاءً بعد أن كان أحوى، والأحوى: الذي اشتدت خضرته، وقال: ﴿فجعلناهم غثاءً﴾ [المؤمنون: ٤١] أي: أهلكناهم، فذهبنا بهم كما يذهب السيل بالغثاء.

٤١٧٨- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ رَجُلٍ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ، يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَيُخْبَأُ عَنْهُ كِبارُهَا، فَيُقَالُ لَهُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَهُوَ مُقِرٌّ لَا يُنْكِرُ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِهَا، فَيُقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً، فَيَقُولُ: أَيْنَ لِي ذُنُوبٌ مَا أَرَاهَا هَاهُنَا؟» قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (١٩٠)، والترمذي (٢٥٩٦).

٤١٧٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ «أَنَّ رَجُلاً فِي النَّارِ يُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ: يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِعَبْدِي هٰذَا، قَالَ: فَذَهَبَ جِبْرِيلُ، فَوَجَدَ أَهْلَ النَّارِ مُنْكَبِّينَ يَبْكُونَ قَالَ: فَرَجَعَ فَأَخْبَرَ رَبَّهُ، قَالَ: اذْهَبْ فَإِنَّهُ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَجَاءَ بِهِ قَالَ: يَا عَبْدِي كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ! شَرَّ مَكَانٍ وَشَرَّ مَقِيلٍ، قَالَ: رُدُّوا عَبْدِي، قَالَ: مَا كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تُعِيدَنِي إِلَيْهَا إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا، قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: دَعُوا عَبْدِي».

أخرجه أحمد (١٣٤١١) بسندٍ ضعيف لضعف أبي ظلال واسمه هلال القسملي.

قال الخطابيُّ: الحنَّان معناه: ذو الرحمة والعطف، والحنان مخففٌ الرحمة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وحناناً من لدُنَّا﴾ [مريم: ١٢] أي: آتيناه رحمة من عندنا، وأما المنان، فمعناه: المنعم المفضل.

٤١٨٠- عَنْ أنسٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُخْرَجُ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّارِ قَالَ أَبُو عِمْرَانَ: أَرْبَعَةٌ، وَقَالَ ثَابِتٌ: رَجُلَانِ، فَيُعْرَضُونَ عَلى اللهِ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَلَّا تُعِيدَنِي فِيهَا، قَالَ: فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه مسلمٌ (١٩٢). وهذا إنَّما نجَّاه الله تعالى بسبب قوة رجائه بالله تعالى وحُسْنِ ظنِّه بأرحم الراحمين.

٤١٨١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَا النَّارَ يَشْتَدُّ صِيَاحُهُمَا، فَقَالَ الرَّبُّ: أَخْرِجُوهُمَا، فَقَالَ لَهُمَا: لِأَيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا؟ قَالَا: فَعَلْنَا ذٰلِكَ لِتَرْحَمَنَا قَالَ: فَإِنَّ رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا، فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ، فَيَنْطَلِقَانِ فَيُلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلَاماً، وَيَقُومُ الآخَرُ، فَلَا يُلْقِي نَفْسَهُ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ؟ فيقولُ: رَبِّ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لا تُعِيدَنِي فيها بَعْدَما أَخْرَجْتَنِي، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: لَكَ رَجَاؤُكَ، فَيُدْخَلَانِ جَمِيعاً الجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ».

أخرجه الترمذي (٢٦٠٢) بسندٍ ضعيف لضعف رِشْدين بن سعد.

٤١٨٢- عن الصلت بن محمد، حدثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ [الحجر:٤٧] قَالَ: حدثنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِي أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُخَلَّصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٣٥).

قوله: «يُخَلَّص المؤمنون» أي: إذا نَجَوْا من السقوطِ فيها بعد جواز الصراط. وقيل في القنطرة: هي من تتمة الصراط وهي طرفهُ الذي يلي الجنة.

وفي الحديث: دليلٌ على وقوعِ القصاص في الآخرة، وأنه لن تبقى هناك مظالم لبني آدم على بعضهم.

بابُ

ذبح الموت

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أيْ: فِيهَا الحَيَاةُ البَاقِيَةُ لَا مَوْتَ فِيهَا.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٣٥]، وَالخِيَاطُ: المِخْيَطُ هَاهُنَا، وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ «أَدُّوا الخِيَاطَ وَالمِخْيَطَ».

أخرجه أبو داود (٢٦٩٤).

والخِيَاطُ هَاهُنَا: الخَيطُ.

٤١٨٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هٰذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هٰذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

الأملح: الذي في صوفه بياضٌ وسواد والبياض أكثر.

قوله: «فيشرئبون» أي: يرفعون رُؤوسهم. قالت عائشةُ: ارتدَّت العرب، واشرأبَّ النِّفاق، أي: ارتفع وعلا، وكل رافعٍ رأسه ينظر إلى شيء مُشرئبٌّ.

وقال سفيان في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لا يَحْزنُهُمُ الفزعُ الأكبر﴾ [الأنبياء: ١٠٣] قال: حين تُطبَقُ عليهم جهنم.

٤١٨٤- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَارِ إِلى النَّارِ جِيْءَ بِالمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

واعلم أن الموت مخلوق، قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ [الملك: ٢] فأثبت الموتَ مخلوقاً، ثم يُمَثَّلُ يوم القيامة بكبش فيذبح ليزداد سرورُ أهل الجنة ويتعاظم شقاءُ أهل النار.

باب

٤١٨٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْراً، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٦٩).

٤١٨٦- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَا يَنْتَصِفُ النَّهَارُ مِنْ يَوْمِ القِيَامَةِ حَتَّى يَقِيلَ هٰؤلَاءِ وَهٰؤلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: (ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لَإِلَى الجَحِيمِ) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ.

والتلاوة ﴿ثم إنَّ مَرْجِعَهُم لإلى الجحيمِ﴾ [الصافات: ٦٨].

وهذا خبرٌ رجاله ثقات إلّا أنه منقطع فإنه أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

باب

صفة الجنة وأهلها وما أعدَّ الله للصالحين فيها

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ﴾ [محمد: ١٥]، أَيْ: صِفَةُ الجَنَّةِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٧١]. وَقَوْلُهُ: ﴿ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح: ٢٩]، أَيْ: صِفَتُهمْ، وَقَالَ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾

الآيَةَ [الزخرف: ٧١]، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ إلَى قَولِهِ ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾ [النبأ: ٣١، ٣٦]، أيْ: جَزَاءً كَافِياً، يُقَالُ: أعْطَانِي فَأحْسَبَنِي، أيْ: كَفَانِي، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأْساً دِهَاقاً﴾ أيْ مَلِيئاً، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُتَتَابِعاً.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الصافَّات: ٤٤]، قَالَ: لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي قَفَا بَعْضٍ، وَقَالَ: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم: ١٥]، أيْ: يُنَعَّمُونَ، وَقِيلَ: يُسَرُّونَ بِالسَّمَاعِ فِي الجَنَّةِ، وَالحَبْرَةُ: النِّعْمَةُ، وَالحَبْرَةُ: السُّرُورُ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، أيْ: تَحَوُّلًا، وَقِيلَ: الحِوَلُ: الحِيلَةُ، أيْ: لَا يَحْتَالُونَ مَنْزِلًا غَيْرَهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطفِّفين: ٢٦]، أيْ: يُوجَدُ فِي آخِرِهِ طَعْمُ المِسْكِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ﴾ [الشعراء: ٩٠]، أيْ: أُدْنِيَتْ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥] أيْ: أدْنَيْنَاهُمْ يَعْنِي إلَى الغُرَفِ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤]، قَالَ مُجَاهِدٌ: مُسْوَدَّتَانِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: خَضْرَاوَانِ مِنَ الرِّيِّ حَتَّى تَضْرِبَ خُضْرَتُهُمَا إلَى سَوَادٍ قَلِيل، يُقَالُ: اسْوَدَّتِ الخُضْرَةُ: إذَا اشْتَدَّتْ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الدهر: ١٤] قَالَ مُجَاهِدٌ: إنْ قَامَ ارْتَفَعَ، وَإنْ قَعدَ، تَدَلَّى إلَيْهِ القِطْفُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أُمْكِنَتْ، فَلَا تَمْتَنِعُ عَلى طَالِبٍ. يُقَالُ لِكُلِّ مُطِيعٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ:

ذَلِيلٌ، وَمِنْ غَيْرِ النَّاسِ: ذَلُولٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقَّة:١٧]، أيْ: عَنَاقِيدُهَا كُلَّمَا أرَادُوا أنْ يَقْطِفُوا مِنْهَا شَيْئاً دَنَا مِنْهُمْ قُعُوداً كَانُوا أوْ مُضْطَجِعِينَ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ [الدهر:١٨]، قِيلَ: هِيَ اللَّيِّنَةُ السَّهْلَةُ إذَا أدْنَوْهَا مِنْ أفْوَاهِهِمْ، تَسَلْسَلَتْ فِي أجْوَافِهِمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ [المطففين:٢٥]، الرَّحِيقُ: الشَّرَابُ الَّذِي لَا غِشَّ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين:٢٩]، أيْ: مِنْ عَيْنٍ يَأْتِيهِمْ مِنْ عُلْوٍ، وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ أيْ: خَمْرٍ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي المَاءُ عَلَى وَجْهِ الأرْضِ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة:٢١]، أيْ: ذَاتِ رِضاً، وَقِيلَ: مَرْضِيَّةٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِأكْوَابٍ وَأبَارِيقَ﴾ [الواقعة: ١٨]، الأكْوَابُ: الَّتِي لَا خَرَاطِيمَ لَهَا وَإنْ كَانَ لَهَا خَرَاطِيمُ، فَهِيَ أبَارِيق.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمٰن: ٧٦]، قِيلَ: الرَّفْرَفُ المَحَابِسُ وَقِيلَ: فُضُولُ المَحَابِسِ، وَقَالَ أبُو عُبَيْدَةَ: الرَّفْرَفُ الفُرُشُ، وَقِيلَ: الرَّفْرَفُ: مَا فَضَلَ فَثُنِي، وَقِيلَ: الوَسَائِدُ، وَقِيلَ: رِيَاضُ الجَنَّةِ.

وَقَوْلُهُ سُبحانَهُ وتَعَالَى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة:٨٩]، قِيلَ: أيْ: رَاحَةٌ وَاسْتِرَاحَةٌ، وَمَنْ قَرَأ ﴿فَرُوحٌ﴾ بِالضَّمِّ، أيْ: فَحَيَاةٌ دَائِمَةٌ لَا مَوْتَ مَعَهَا.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾ [الواقعة: ١٥]، أي: لَا تُصَدَّعُ رُؤُوسُهُمْ، وَلَا تُنْزَفُ عُقُولُهُمْ.

وَقَوْلُه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٦]، قِيلَ: زَرَابِيُّ النَّبْتِ: أَلْوَانُهُ، فَلَمَّا رَأَوْا الأَلْوَانَ فِي البُسُطِ شَبَّهُوهَا بِهَا.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيها كَانَ عَلى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولًا﴾ [الفرقان:١٦]، هُوَ قَوْلُ المَلَائِكَةِ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [المؤمن: ٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، أَيْ: ثَوَاباً، وَقِيلَ: رِزْقاً.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الصافات: ٤٨]، أَيْ: حُورٌ قَدْ قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ عَلى أَزْوَاجِهِنَّ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ﴾ [الرحمٰن: ٧٢]، أَيْ: مُخَدَّرَاتٌ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]، السندس: رَقِيقُ الدِّيبَاجِ، والإِسْتَبْرَقُ: غَلِيظُهُ فَارِسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أَيْ: لَا تَغْتَالُ عُقُولَهُمْ، أَيْ: لَا يَذْهَبُ بِهَا، يُقَالُ: غَالَتِ الخَمْرُ فُلَاناً: إِذَا ذَهَبَتْ بِعَقْلِهِ وَبِصِحَّةِ بَدَنِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات:٤٧]، أَيْ: لَا يَسْكَرُونَ، يُقَالُ: نُزِفَ الرَّجُلُ: إِذَا ذَهَبَ

عَقْلُهُ بِالسُّكْرِ، وَقُرِىءَ بِكَسْرِ الزَّايِ، أيْ: لَا يَفْنَى خَمْرُهُمْ، يُقَالُ: أَنْزَفَ الرَّجُلُ: إِذَا فَنِيَتْ خَمْرُهُ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، قِيل: أرَادَ بِالفُرُشِ نِسَاءَ أَهْلِ الجَنَّةِ ذَوَاتِ الفُرُشِ، يُقَالُ لِامْرَأَةِ الرَّجُلِ: هِيَ فِرَاشُهُ وَإِزَارُهُ وَلِحَافُهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾، أيْ: رُفِعْنَ بِالجَمالِ عَلى نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَكُلُّ فَاضِلٍ رَفِيعٌ.

هٰذا، وقد صنف في وصف الجنة غيرُ واحدٍ من أهل العلم، منهم: أبو بكر بن أبي الدنيا له «صفة الجنة» وأبو نعيم الأصبهاني له «صفة الجنة» وابن القيم الجوزية له «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» وجميعُها مطبوع.

٤١٨٧- عن همَّام بن مُنبِّهٍ قال: هٰذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا.

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «واللهِ لَقِيدُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءَ وَالأَرْضِ».

أخرجه البخاري (٢٧٩٣).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا».

أخرجه البخاري (٣٢٥١)، ومسلم (٢٨٢٧).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورُهُم عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُون فِيهَا، آنِيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الأَلُوَّةِ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ عَلى قَلْبِ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيّاً».

أخرجه البخاري (٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

أخرجه أحمد (٨١٦٨)، ومسلم (١٨٢) وغيرهما.

وقوله: «لقِيدُ سَوْطِ أحدِكم» أي: قدره، يقال: بيني وبينه قابُ رمحٍ، وقادُ رمحٍ، وقِيدُ رمحٍ، ويروى «لقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ من الدنيا» وقاب القوْسِ: ما بين السِّيَةِ والمِقْبض.

قوله: «ومجامرهم من الألُوَّةِ» قال الأصمعيُّ: هو العود الذي يُتبخَّر به وأراها كلمةً فارسيةً عُرِّبت، ويُجمعُ الألُوَّةُ ألاوِيَة قال أبو عُبيدٍ: فيها لغتان: الألُوَّةُ، والأُلُوَّةُ بفتح الألف وضمها.

٤١٨٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْراً بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

قوله: «بَلْهَ» أي: دع ما أطلِعتم عليه، فإنه يسيرٌ سَهلٌ في جنب ما ذخرتُه لهم، وقيل: كيف ما أطلِعكم عليه، وقيل: فضل ما أطلعكم يعني: ما قلتُ قليلٌ من كثير لم أذكر، وما غُيِّبَ عنكم فضل ما أطلعِكم عليه.

٤١٨٩-عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤوا إنْ شِئْتُمْ ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] وَإنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وَلَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدنْيَا إلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥]».

هذا حديث حسن، أخرجه أحمد (٩٦٤٩)، والترمذي (٣٢٩٢) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله سبحانه وتعالى: ﴿من قُرَّةِ أعينٍ﴾ يقال: أقرَّ اللهُ عينه، معناه: أبرَدَ اللهُ دمعته، لأنَّ دمعة الفرحِ باردةٌ قاله الأصمعيُّ، وقال غيره: معناه: بلَّغك الله أمنيَّتك حتى ترضى به نفسك وتقَرَّ به عينك، فلا تستشرِف إلى غيره.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَظِلٍّ ممدود﴾ هو الدائم الذي لا تنسخه الشمس، والجنة كلها ظلٌّ.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿زُحزِحَ عن النار﴾ أي: نُحِّيَ وأزيلَ عنها، ومنه قوله عز وجلَّ: ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب﴾ [البقرة: ٩٦] أي: بمبعِّده ومُنَجِّيه.

٤١٩٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلى أشدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّماءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتفِلُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ العِينُ، عَلى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤).

قوله: «ومجامرهم الأَلُوَّةُ» أي: بخُورهم العودُ غير مطرى، وقد قال الله تعالى في صفة أزواجهم: ﴿فيهنَّ خيراتٌ حسانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] أي: في الجنان حُورٌ خَيرات الأخلاق، وحسان الوجوه. وفي رواية «وقود مجامرهم الأَلُوَّة» كأنه أراد الجمر الذي يُطرح فيه البخور.

٤١٩١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ يَوْمَ القِيَامَةِ صُورَةُ وُجُوهِهِمْ مِثْلُ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلى لَوْنِ أَحْسَنِ الكَوْكَبِ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، عَلى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ دُونَ لُحُومِهِمَا وَدِمَائِهِمَا وَحُلَلِهِمَا».

أخرجه الترمذي (٢٥٣٧) في صفة الجنة: باب في صفة أهل الجنة، وفيه عطية العوفي ضعيف، وباقي رجاله ثقات، ويشهد له الحديث المتقدم، وحديث أبي هريرة عند أحمد (٨٥٤٢) مرفوعاً «للرجل من أهل الجنة زوجتان من حور العين، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب» وإسناده صحيح، فيتقوى الحديث ويحسن.

٤١٩٢- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْزُقُونَ، وَيُلْهَمُونَ الحَمْدَ وَالتَّسْبِيحَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ، طَعَامُهُمْ جُشَاءٌ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٨٣٥)، وأحمد (١٤٧٦٩).

قوله: «يُلهمون التسبيح» يعني - والله أعلم - أنَّ مجرى التسبيح فيهم كمجرى النفس، وقيل في قوله سبحانه وتعالى في وصف الملائكة ﴿يُسَبِّحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ٢٠] أي: مجرى التسبيح فيهم كمجرى النفس من ابن آدم لا يشغله عن النفس شيءٌ.

ومذهبُ أهل السنةِ أنَّ أهلَ الجنة يأكلون فيها ويشربون، يتنعَّمون بذلك وبغيره من أنواع نعيمها تنعُّماً دائماً لا آخرَ له، ولا انقطاعَ أبداً. وأنَّ تنعُّمهم بذلك على هيئةِ تنعُّمِ أهل الدنيا إلّا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة، وإلّا في أنهم لا يبولون ولا يتغوَّطون ولا يتمخَّطون ولا يبصقون، وأن ذلك يخرجُ كرشح المسك. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٩١.

٤١٩٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ، لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحاً، وَلَنَصِيفُهَا عَلى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٦٨).

والنَّصيفُ: الخِمارُ.

٤١٩٤- عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ بَدَا، لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ».

هذا حديثٌ حسن، لأنَّ الراوي عن ابن لهيعة هو عبد الله بن المبارك، وأخرجه أحمد (١٤٤٩)، والترمذي (٢٥٣٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢١٠) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله: «يُقِلُّ» أي: يحمل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حتى إذا أقلَّتْ سحاباً ثقالاً﴾ [الأعراف: ٥٧] أي: حملت الرياح سحاباً ثقالاً وقوله: «لتزخرفت» أي: تزينت، والزخرف: كمال حسن الشيء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ [يونس: ٢٤] أي: تزيَّنت بألوان النبات، ويقال للذهب: زخرفٌ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أو يكون لك بيتٌ من زخرفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣] قيل في التفسير: من ذهبٍ.

٤١٩٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

قوله: «يتراءَوْن» أي: ينظرون، يقال: تراءَيْتُ الهِلالَ: إذا نظرْته، والكوكب الدرِّيُّ: شديدُ الإنارة نُسِب إلى الدُّرِّ، وشُبِّه صفاؤه بصفائه، وقال المفسرون: الكوكب الدُّرِّيُّ واحدٌ من الكواكب الخمسة العظام، وقال الفراء: العربُ تسمي الكواكبَ العظامَ التي لا يُعرف أسماؤها الدَّراريُّ بلا همزة، وقرأ أبو عمرٍو ﴿كأنها كوكب دِرِّيٌّء﴾ [النور: ٣٥] مكسورة الدال مهموزةٌ فعِّيلٌ من الدَّرْءِ بمعنى الدفع، والكوكب إذا دُفِع ورُميَ لرجم الشياطين، تضاعف ضوؤه.

قوله: «وصدَّقوا المرسلين» أي: حقَّ تصديقهم، وإلّا لكان كلُّ مَنْ آمن بالله وصدَّق رُسُلَه وصل إلى تلك الدرجة، وليس كذلك.

٤١٩٦- عن عبد الله بن قَيسٍ أبي موسى الأشعريِّ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٤٨٧٩)، والترمذي (٢٥٣٠).

٤١٩٧- عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عَنِ أبيه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٨٧٨) و(٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠) عن أبي غسان عن ابن عبد الصمد، وقال: «رداء الكبرياء على

وجهه» وعبد الله بن قيس: هو أبو موسى الأشعريُّ، وأبو بكرٍ ابنه قال أحمد ابن حنبل: لا يُعرَف اسمه.

قوله: «رداء الكبرياء ورداء الكِبرِ» يريد صفةَ الكبرياء والعظمة، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وله الكبرياءُ في السماوات والأرض﴾ [الجاثية: ٣٧] أي: العظمة والملك، فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحدٌ من خلقه بعد رؤية يوم القيامة حتى يأذنَ لهم في دخول جنة عدْنٍ، فيروْه فيها، وجنة عدْن، أي: جنة إقامةٍ، يقال: عدَنَ بالمكان يعدِنُ عُدوناً أي: أقام.

٤١٩٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ الَّذي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً، وَيُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ كَمَا بَيْنَ الجَابِيَةِ إلَى صَنْعَاءِ».

أخرجه أحمد (١١٧٢٣)، والترمذي (٢٥٦٢) بسندٍ ضعيف.

وعنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَنْظُرُ إلَى وَجْهِهِ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ المِرْآةِ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا يُضِيءُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، وَإِنَّهُ لَتكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْباً يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ».

إسناده ضعيف كسابقه، وأخرجه أحمد (١١٧١٥).

وعنه، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يُرَدُّونَ بَنِي ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي الجَنَّةِ لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَداً، وَكَذٰلِكَ أَهْلُ النَّارِ».

إسناده ضعيف كسابقيه.

وعنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ عَلَيْهِمُ التِّيجَانَ، إنَّ أدْنَى لُؤْلُؤةٍ فِيهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ».

إسناده ضعيف، أخرجه الترمذي (٢٥٦٥).

٤١٩٩- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً وَمَا مِنْهُمْ دَانٍ لَمَنْ يَغْدُو عَلَيْهِ وَيَرُوحُ عَشْرَةُ آلافِ خَادِمٍ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طَرِيفَةٌ لَيْسَتْ مَعَ صَاحِبِهِ».

في إسناده محمد بن سليم الراسبي أبو هلال فيه لين، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» ٣٧٣/٤ وعزاه لابن أبي الدنيا موقوفاً.

وروي عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وفرُشٍ مرفوعةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمس مئة عام. أخرجه الترمذي (٢٥٤٣) بسندٍ ضعيف.

٤٢٠٠- عَنْ أبِي سَعِيدٍ، وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالاَ: يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَحيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أبداً، وَإنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا، فَلاَ تَسْقَمُوا أبَدَاً، وَأنْ تَشِبُّوا، فَلاَ تَهْرَمُوا أبداً، وَإنَّ لَكُمْ أنْ تَنعَّمُوا، فَلاَ تَبْتَئِسُوا أبَداً، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَنُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢]».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٣٧)، والترمذي (٣٢٤٦).

وصحَّ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ يدخل الجنة يَنعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابُه، لا يفنى شبابُه»، أخرجه مسلم (٢٨٣٦).

وقيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وِلدانٌ مخلَّدون﴾ [الواقعة: ١٧] أي: مُبقَّوْنَ أبداً لا يهرمون، ولا يجاوزون حدّ الوصافة، والعرب تقول للذي لا يشيب: مُخلَّدٌ، وقيل: مخلدون، أي: مُقرَّطون، والقُرط يقال له: الخلدُ، والجمع خِلدَةٌ.

وعن شَهْر بن حَوْشَبٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ كَحْلى، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم».

أخرجه الدارمي ٢/ ٢٣٥، والترمذي (٢٥٤٢) من حديث شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد (٧٩٣٣) من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، فيحسن بهذه الطريق، وأخرجه أحمد (٢٢٠٢٤) من حديث شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل وزاد في الرواية الثالثة بين شهر ومعاذ عبد الرحمن بن غنم.

٤٢٠١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَخْلُ الجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، وَكَرَبُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ القِلَالِ أَوِ الدِّلَاءِ، أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ لَيْسَ لَهُ عَجْمٌ».

أخرجه هناد (٩٩)، وصححه الحاكم ٢/ ٤٧٥ ووافقه الذهبي، وإسناده قوي، و«الكَرَبُ» بالتحريك: أصولُ سَعف النخل.

والمقطَّعات: الثياب القصار، ومنه قول ابن عباس في وقت صلاة الضحى: إذا تقطعت الظلال، أي: قصُرت، وذلك أنها تكون ممتدةً في أول النهار، فإذا ارتفعت الشمس قصُرت، فالمقطعات: اسمٌ للقصارِ من الثياب واقعٌ على الجنس لا يُفرَد له واحدٌ، لا يقال للجُبَّة القصيرة مقطَّعةٌ، ولا للقميص مُقطَّعٌ، بل يُقال للواحد: ثوبٌ كالإبل واحدها بعيرٌ، والمعشر واحدها رجلٌ، وقيل:

هي اسم لكلِّ ثوب يُقطَّع كالقميص ونحوه، ومن الثياب ما لا يقطَّع كالأُزر والأردية.

٤٢٠٢ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ سَابِطٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ أَفِي الجَنَّةِ خَيْلٌ فَإِنِّي أُحِبُّ الخَيْلَ؟ فقال: «إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّةَ، فلا تَشاءُ أَنْ تَرْكَبَ فَرَساً مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فَتَطِيرُ بِكَ فِي أَيِّ الجَنَّةِ شِئْتَ إِلَّا فَعَلْتَ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يا رَسُولَ اللهِ أَفِي الجَنَّةِ إِبِلٌ فَإِنِّي أُحِبُّ الإِبِلَ؟ قَالَ: «يَا أَعْرَابِيُّ إِنْ أَدْخَلَكَ اللهُ الجَنَّةَ، أَصَبْتَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ».

رجاله ثقات إلا أنه مرسل عبد الرحمن بن سابط تابعي ثقة كثير الإرسال.
وأخرجه مرفوعاً أحمد (٢٢٩٨٢)، والترمذي (٢٥٤٦) وسنده ضعيف لاختلاط المسعودي عبد الرحمٰن بن عبد الله.

٤٢٠٣ - عن سليمان بن موسى، حدثني كُرَيْبٌ أنه سَمِعَ أُسَامَةَ ابْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا هَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ لِلجَنَّةِ، وإِنَّ الجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، وَهِيَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ نُورٌ تَلأْلأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ، وَفَاكِهَةٌ وَخُضْرَةٌ، وَحَبْرَةٌ وَنَعْمَةٌ فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا، قَالَ: «قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللهُ» فَقَالَ الْقَوْمُ: إِنْ شَاءَ اللهُ.

أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢)، وابن حبان (٧٣٨١) وفي إسناده الضحاك المعافري لم يوثقه غير ابن حبَّان، وسليمان بن موسى مختلفٌ فيه.

قوله: «أَلا هل مُشَمِّرٌ للجنة»، أي: ألا مِنْ ساعٍ لها غاية السعي. وفيه حضٌّ على المسارعة إلى الأعمال الموصلة لنعيم الجنة.

قوله: «لا خَطَر لها»، أي: لا مِثْلَ لها. و«الحَبْرَةُ»: النعمةُ وَسَعَةُ العيش.

٤٢٠٤- عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ يَهُودِيّاً جاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَسْأَلُكَ فَتُخْبِرُنِي، قَالَ: فَرَكَضَهُ ثَوْبَانُ بِرِجْلِهِ، فَقَالَ: قُلْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: لَا أَدْعُوهُ إِلَّا بِمَا سَمَّاهُ أَهْلُهُ. قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَلْ يَنْفَعُكَ ذٰلِكَ شَيْئاً؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، وَأُبْصِرُ بِعَيْنِي، قَالَ: فَنَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَرْضِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: سَلْ، قَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: «فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ مَنْ يُجِيزُ؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ» قَالَ: فَمَا نُزُلُهُمْ أَوَّل مَنْ يَدْخُلُونَها؟ قَالَ: «كَبِدُ الحُوتِ» قَالَ: فَمَا طَعَامُهُمْ على أَثَرِ ذٰلِكَ؟ قَالَ: «كَبِدُ الثَّوْرِ» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلى أَثَرِ ذٰلِكَ؟ قَالَ: «السَّلْسَبِيلُ» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: أفلَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيءٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَو اثْنَانِ؟ قَالَ: «وَمَا هُوَ؟» قَالَ: عَنْ شَبَهِ الوَلَدِ، قَالَ: «مَاءُ الرَّجُلِ بَيْضَاءُ غَلِيظَةٌ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ صَفْرَاءُ رَقِيقَةٌ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَمِنْ قِبَلِ ذٰلِكَ الشَّبَهُ، وإذا عَلَا ماءُ المرأَةِ ماءَ الرَّجُلِ آنَثا بإذنِ اللهِ، ومِنْ قِبَلِ ذٰلكَ الشَّبَهُ» قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَانَ عِنْدِي فِي شَيْءٍ مِمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ عِلْمٌ حَتَّى أَنْبَأَنِيهِ اللهُ فِي مَجْلِسِي هٰذا».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٣١٥).

قوله: «فنكت في الأرض» يعني: يخطُّ بالعود في الأرض وهذا يفعله المُفَكِّرُ.

قوله: «هم في الظلمة دون الجسر» يعني الصراط.

قولُه: «ماءُ الرجل بيضاء، وماء المرأة صفراء» فلعل التأنيث ينصرف إلى النُّطفة.

٤٢٠٥ - عن عَلِيٍّ قَالَ: إنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقاً لَيْسَ فِيهَا بَيْعٌ وَلَا شِرَاءٌ إلَّا الصُّوَرَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخلَهَا، وَإِنَّ فِيهَا لَمُجْتَمَعَ حُورِ العِينِ يُنَادِينَ بِصَوْتٍ لَمْ يَسْمَعِ الخَلائِقُ بِمِثْلِها: نَحنُ الخَالِدَاتُ، فَلاَ نَبِيدُ أَبَداً، وَنَحْنُ النَّاعِماتُ، فَلاَ نَبْأَسُ أَبَداً، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ، فَلاَ نَسْخَطُ أَبَداً فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ.

هذا حديث ضعيف الإسناد أخرجه أحمد (١٣٤٣)، والترمذي (٢٥٥٠)، والبزار (٧٠٣)، وفي إسناده عبد الرحمٰن بن إسحاق الواسطي قال أحمد: ليس بشيء منكر الحديث.

٤٢٠٦- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقاً يَأْتُونَها كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إلى أَهْلِيهِمْ، ولَقَدْ ازدادوا حُسْناً وجَمالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: واللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً».

هذا حديثٌ صحيح أخرجه مسلم (٢٨٣٣)، والترمذي (٢٥٤٩).

والمرادُ بالسوق: مَجْمَعٌ لهم يجتمعون فيه كما يجتمع الناسُ في الدنيا في السوق. ومعنى «يأتونها كلَّ جمعة»، أي: في مقدار كلِّ جمعة أي أسبوع وليس هنالك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٨٧.

٤٢٠٧- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَزَاوَرُونَ على العِيسِ الجُونِ عَلَيْهَا رِحَالُ الْمَيْسِ، تُثِيرُ مَنَاسِمُهَا غُبارَ الْمِسْكِ زِمَامُ -أَوْ خِطَامُ- أَحدِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا.

في إسناده ضعيفان: رِشْدين بن سعد وعبد الرحمٰن بن أنعم الإفريقي.

العيس الجون: الإبل البيض، والجون: السود أيضاً، وهي من الأضداد.

٤٢٠٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَائِطُ الجَنَّةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَدَرَجُهَا اليَاقُوتُ واللُّؤلُؤُ، وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّ رَضْرَاضَ أَنْهَارِهَا اللُّؤْلُؤُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرانُ.

ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» ٣٧٦/٤ وعزاه لابن أبي الدنيا في «صفة الجنة».

والرضراض: صغار الحصى.

وروي عن ابن عباس في صفة الجنة: «وحِصْلِبُها الصِّوارُ» قال ابن الأعرابيّ: الحِصْلِبُ: التراب، والصِّوارُ: المِسْكُ.

٤٢٠٩- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الجَنَّةِ النِّسَاءُ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٧٣٨)، والترمذي (٢٦٠٣).

وصحَّ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يَدخل الجنة أقوامٌ أفئدتهم مثل أفئدة الطير» أخرجه مسلم (٢٨٤٠)، والمرادُ رقَّةُ القلوبِ ولينُها.

بابُ

رؤية الله عز وجل في الجنة ورضاه عنهم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، قَوْلُهُ: نَاضِرَةٌ، أَيْ: نَاعِمَةٌ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهَا. وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحُسْنَىٰ: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: رُؤْيَةُ اللهِ تَعَالَى. وَسُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فَقِيلَ: قَوْمٌ يَقُولُونَ إِلَى ثَوَابِهِ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: كذَبُوا فَأَيْنَ هُمْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. [المطففين: ١٥]، قَالَ مَالِكٌ: النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَعْيُنِهِمْ، وَقَالَ: لَوْ لَمْ يَرَ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ لَمْ يُعَيِّرِ اللهُ الكُفَّارَ بِالحِجَابِ، فَقَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

وقَالَ جَرِيرٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هٰذَا القَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

أخرجه مسلم (٦٣٣).

وقد أطال الإمام ابن القيم النفس في سَرْدِ الأحاديث التي تثبت الرؤية في كتابه «حادي الأرواح»: ٣٦١.

٤٢١٠- عَنْ صُهَيْبٍ قالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هٰذِهِ الآيَةَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ

مَوْعِداً يَشْتَهِي أَنْ يُنْجِزَكُمُوه قَالُوا: مَا هٰذَا الْمَوعُودُ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُنَضِّرْ وُجُوهَنَا، ويُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَرُفِعَ الحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ».

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢).

قال النووي في «شرح مسلم» ٢/ ٢٠: اعلم أنَّ مذهبَ أهل السنة بأَجمعهم: أَنَّ رؤيَة الله تعالى ممكنةٌ غير مستحيلة عقلاً، وأَجمعوا أَيضاً على وقوعها في الآخرة، وأَنَّ المؤمنين يَرَوْنَ الله تعالى دون الكافرين. وزعمت طائفةٌ من أَهل البِدَع: المعتزلة والخوارج والمرجئة أَنَّ الله تعالى لا يراه أَحدٌ من خَلْقه، وأَنَّ رؤيته مستحيلةٌ عَقلاً، وهذا الذي قالوه خَطَأ صريحٌ وَجَهْلٌ قبيح، وقد تظاهرت أَدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمَنْ بعدهم من سَلَفِ الأمة على إثباتِ رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين.

٤٢١١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَفَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ لَكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٦٠٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

٤٢١٢- عن ثُوَيْرٍ قال: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمَهُم عَلَى اللهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى

وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾».

أخرجه أحمد (٥٣١٧)، والترمذي (٢٥٥٣)، وأبو يعلى (٥٧١٢) وإسناده ضعيفٌ جداً لضعف ثُوَير بن أبي فاختة.

٤٢١٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَسِيرُ فِي مُلْكِهِ وَسُرُرِهِ أَلْفَ سَنَةٍ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ»، وَأَرْفَعُهُمْ يَنْظُرُ إِلَى رَبِّهِ بِالغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ.

إسناده ضعيف لإبهام راوٍ فيه.

ورواه محمد بن العلاء عن عبد الله الأشجعيّ، عن سفيان، عن ثُوَيْر بن أبي فاختة، عن مجاهدٍ، عن ابن عمرَ قوله، ولا نعلم أحداً ذكرَ فيه مجاهداً غير الثوريّ. وهذا إسنادٌ ضعيف جداً لضعف ثوير، ويغلب على الظن أنه هو الراوي المبهم في الطريق السالفة.

باب

صفة النار وأهلها نعوذ بالله منها

قَالَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ [الإسراء: ٩٧]، أَيْ: سَكَنَ لَهَبُهَا، وَمِثْلُهُ خَمَدَتْ، فَإِذَا بَطَلَتْ يُقَالُ: هَمَدَتْ. وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾ [الفرقان: ١١]. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً﴾ [الكهف: ٢٩]. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾ جَمْعُ حُقْبٍ، يُقَالُ: الحُقْبُ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً﴾ قِيلَ: البَرْدُ: الرَّاحَةُ، تَقُولُ العَرَبُ: أَنَا أَتبَرَّدُ بِذٰلِكَ أَيْ: أَسْتَرِيحُ، وَقِيلَ:

البَرْدُ: النَّوْمُ، تَقُولُ العَرَبُ: مَنَعَ البَرْدُ البَرْدَ، أَيْ: النَّوْمَ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ [النبأ: ٢٣-٢٥] قِيلَ: الغَسَّاقُ: مَا يَسِيلُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ مِنْ دُمُوعِهِمْ يُسْقَوْنَهُ مَعَ الحَمِيمِ، يُقَالُ: غَسَقَتْ عَيْنُهُ: إِذَا سَالَتْ تَغْسِقُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا يَغْسِقُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الصَّدِيدِ، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّخْفِيفِ، فَهُوَ البَارِدُ الَّذِي يُحْرِقُ بِبَرْدِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا قِيلَ لِلَّيْلِ: غَاسِقٌ، لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، وَقِيلَ غَسَّاقاً، أَيْ: مُنْتِناً كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «لَوْ أَنَّ دَلْواً مِنَ الغَسَّاقِ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا».

أخرجه أحمد (٢/١١٢٣٠) بسندٍ ضعيف.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦]، هُوَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَمَا يَنْغَسِلُ وَيَسِيلُ مِنْ أَبْدَانِهِمْ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]، قِيلَ: كَالْقَصْرِ مِنْ قُصُورِ الأَعْرَابِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَالْقَصَرِ بِفَتْحِ الصَّادِ، وَفَسَّرَ أَنَّهَا كَأَعْنَاقِ الإِبْلِ، الْوَاحِدَةُ قَصَرَةٌ، وَقِيلَ: القَصَرُ: أُصُولُ الشَّجَرِ، وَقِيلَ: كَأَعْنَاقِ النَّخْلِ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] أَيْ: تَضْرِبُ، وَاللَّفْحُ أَعْظَمُ تَأْثِيراً مِنَ النَّفْحِ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، أَيْ: أَدْنَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢]، أَيْ: مَاءٍ حَارٍّ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً﴾ [محمد: ١٥] ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، الْيَحْمُومُ: الشديدُ

السَّوَادِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ دُخَانُ جَهَنَّمَ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتعالَى: ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ [المعارج:١٦]، قِيلَ: الشَّوَى: الأَطْرَافُ: الْيَدَانِ وَالرِّجْلاَنِ وَالرَّأْسُ، يُقَالُ لِجُلُودِ النَّاسِ: الشَّوَى الوَاحِدُ الشَّوَاةُ، وَلِجِلْدَةِ الرَّأْسِ: شَوَاةٌ، ولأَطْرَافِ الإنسانِ شَوَاةٌ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وتَعالىٰ: ﴿إنَّها لإحْدَى الكُبَرِ﴾ [المدثر:٣٥]، أَيْ: إحْدَى الْعَظَائِمِ وَهِيَ النَّارُ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج:١٧]، قِيلَ: تَدْعُو، أَيْ: تُعَذِّبُ، قَالَ أعرابِيٌّ لآخَرَ: دَعَاكَ اللهُ، أَيْ: عَذَّبَكَ اللهُ، وَقِيلَ: تَدْعُو، أَيْ: تُنَادِي. قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: إنَّ جَهَنَّمَ تَدْعُو الْكَافِرَ بِاسْمِهِ، وَقِيلَ: دَعْوتُها إيَّاهُمْ مَا تَفْعَلُ بِهِمْ مِنَ الأَفَاعِيلِ، تَقُولُ العَرَبُ: دَعَانَا غَيْثٌ وَقَعَ بِنَاحِيَةِ كَذَا، أَيْ: كَانَ ذٰلِكَ سَبَباً لانْتِجَاعِنَا إيَّاهُ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧٣]، قِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَذَكَّرَ بِالنَّارِ مِنْ جَهَنَّمَ فَيَتَّعِظُ. قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٨]، يَعْنِي الشِّدَادَ الغِلاَظَ مِنَ المَلاَئِكَةِ، الْوَاحِدُ زِبْنِيَةٌ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:١٠٧] الزَّفِيرُ مِنْ أَصْواتِ الْمَكْرُوبِينَ، وَالأَصْلُ فِيهِ صَوْتُ الحِمْارِ، فَالزَّفِيرُ نَهِيقُهُ، وَالشَّهِيقُ آخِرُ نَهِيقِهِ، وَقِيلَ: الزَّفِيرُ مِنَ الصَّدْرِ، وَالشَّهِيقُ مِنَ الحَلْقِ. قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ [الفرقان:١٢]، أَيْ: صَوْتُ تَغَيُّظٍ وَغَلَيَانُ تَغيُّظٍ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ﴾ [المُلك:٨]، أَيْ: تَنْشَقُّ غَيْظاً عَلى الكُفَّارِ، وَقِيلَ: مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ، يُقَالُ: تَغَيَّظَتِ الهَاجِرَةُ: إذَا اشْتَدَّ حَرُّهَا، وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكَالًا وَجَحِيماً وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣]، أَيْ: لَا يَسُوغُ فِي الحَلْقِ يَعْنِي الزَّقُومَ، وَقِيلَ: هُوَ السَّرِيعُ كَمَا قَالَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦]، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشَّوْكِ يُقَالُ لَهُ الشِّبْرِقُ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، قِيلَ: هِيَ حَيَّاتٌ لَهَا رُؤُوسٌ مُنْكَرَةٌ وَأَعْرَافٌ، وَقِيلَ: أُرِيدَ بِهَا الشَّيَاطِينَ الْمَعْرُوفَةَ، شُبِّهَ بِهَا لِقُبْحِها، وَكُلُّ شَيْءٍ يُسْتَقْبَحُ، فَإِنَّهُ يُشَبَّهُ بِالشَّيَاطِينِ، فَيُقَالُ: كَأَنَّ وَجْهَهُ وَجْهُ شَيْطَانٍ، وَكَأَنَّ رَأْسَهُ رَأْسُ شَيْطَانٍ، وإِنَّهَا وإِنْ لَمْ يرَهَا الآدَمِيُّونَ فَهُوَ مُسْتَشْنَعٌ عِنْدَهُمْ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥] الهِيمُ: الإِبِلُ الَّتِي أَصَابَهَا الهُيَامُ، وَهُوَ دَاءٌ يُصِيبُها مِنَ العَطَشِ، فَلَا تَرْوَى مِنَ الْمَاءِ حَتَّى تَمُوتَ ﴿هٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ أَيْ: رِزْقُهُمْ وَطَعَامُهُمْ ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ وَقَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: الهِيمُ: الرِّمَالُ الَّتِي لا يُرْوِيهَا مَاءٌ، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ [الفرقان: ٦٥] الغَرَامُ: مَا كَانَ لَازِماً، يُقَالُ: فُلَانٌ مُغْرَمٌ بِكَذَا، أَيْ: لَازِمٌ لَهُ مُولَعٌ بِهِ، وَقِيلَ: الغَرَامُ: أَشَدُّ العَذَابِ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مريم: ٨٧]، قِيلَ: أَيْ: مُشَاةً عِطَاشاً كَالإِبْلِ تَرِدُ الْمَاءَ، وَقِيلَ: الْوِرْدُ: الْقَوْمُ الَّذِينَ يَرِدُونَ الْمَاءَ، فَسُمِّيَ العِطَاشُ وِرْداً لِطَلَبِهِمْ وُرُودَ الْمَاءِ.

وللإمامِ الحافظ ابن رجب الحنبلي كتاب «التخويف من النار» وهو في غاية النَّفْع والإجادة، استوعب فيه مصنِّفه رحمه الله أَحاديث الترهيب من النار، وهو مطبوع، ومثلُه جَوْدة ونفعاً كتاب الحافظ عبد الحق الاشبيلي «العاقبة».

٤٢١٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً».

هـذا حديثٌ متَّفـقٌ على صِحَّته أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

قولهم: «إنْ كانت لكافية» أي: في حَرِّها لتعذيب العصاة. فأجاب صلواتُ الله عليه وسلامه بأنها «فُضِّلت عليهن» فأشار إلى المَنْع من دعوى الإجزاءِ، فلا بُدَّ من الزيادة ليتميَّزَ ما يصدر من الخالق من العذاب على ما يصدر من خلقه.

٤٢١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّ النَّارَ أُوقِدَتْ أَلْفَ سَنَةٍ فَابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَتْ أَلْفَ سَنَةٍ فَاحْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَتْ أَلْفَ سَنَةٍ، فَاسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ كَاللَّيْلِ.

وهذا إسنادٌ ضعيف لضعف شريك بن عبد الله، وأخرجه الترمذي (٢٥٩٤) وابن ماجه (٤٣٢٠).

ورواه يحيى بن أبي بُكير عن شريك، عن عاصمٍ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، والموقوف أصحُ قال أبو عيسى: لا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بُكيرٍ عن شريك.

٤٢١٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: أَتَرَوْنَها حَمْرَاءَ مِثْلَ نَارِكُمْ هٰذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ إِنَّها لَأَشَدُّ سَوَاداً مِنَ القَارِ.

أخرجه مالك في «الموطأ» ٢/٢٩٤ بسندٍ صحيح، قال الباجي في «المنتقى» ٧/٣١٩: ومِثْلُ هذه لا يعلمها أبو هريرة إلَّا بتوقيف.

٤٢١٧- عنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ عَلى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ بِالْقُمْقُمِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣).

«المِرْجَلُ» القِدْرُ. و«القُمْقُم»: آنية معروفة.

والمعروفُ أَنَّ أَهونَ أهل النارِ عذاباً هو أبو طالب بسبب حياطته رسول الله ﷺ حياطة طَبْعية لا شرعية. وقد دلَّ الحديثُ على تفاوت دركات أهل النار كما تفاوتت درجاتُ أهل الجنة.

٤٢١٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّه تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ».

هذا حديثٌ متفق على صحته أخرجه البخاري (٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠).

الضحضاح: ما رقَّ من الماء على وجه الأرض.

٤٢١٩- عَنْ أَنَس بن مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هٰذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي».

هذا حديث متفق على صحته أخرجه البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).

قوله: «أَرَدْتُ» جاء في رواية أخرى عند مسلم (٢٨٠٥) (٥٢): «قد سُئِلتَ أَيْسَرَ من ذلكَ» فيتعين تأويل «أَرَدْتُ» على ذلك جَمْعاً بين الروايات، لأنه

يستحيلُ عند أهل الحقّ أن يريد الله شيئاً فلا يقع، فمذهبُ أهل الحقِّ أنَّ الله تعالى مؤيدٌ لجميع الكائنات خيرها وشرِّها، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إنه أراد إيمان الكافر ولم يُرِدْ كفره، تعالى الله عن قولهم، فإنه يلزم منه إثبات العجز لله تعالى.

٤٢٢٠- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الجَنَّةِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ مَا رَأَيْتُ بُؤْساً قَطُّ، وَمَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

هذا حديث صحيحٌ أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

قوله: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا»، أي: يحضر أشدّهم تنعُّماً وأكثرهم ظلماً.

وفي هذا زجْرٌ للغافلين الذين استحبُّوا الحياة الدنيا على الآخرة، وشغلتهم ملذاتها من الطعام والشراب والنساء والجاه عن ذِكْرِ الآخرة والإشفاق منها. نسألُ الله العافية.

٤٢٢١- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِه: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾ [إبراهيم:١٧]، قالَ: « يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ، شَوَى وَجْهَهُ، ووَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ، قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٥]. وَيَقُولُ: ﴿وإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف:١٩]».

في إسناده عبيد الله بن بُسْر وهو مجهول، وباقي رجاله ثقات، والحديث أخرجه أحمد (٢٢٢٨٥) ، والترمذي (٢٥٨٦) وقال: هٰذا حديثٌ غريب ولا يُعرَف عُبيدُ الله بن بُسْرٍ إلا في هذا الحديث، وقد روى صفوان بن عمرٍو عن عبد الله بن بُسْرٍ صاحب النبي ﷺ.

٤٢٢٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الحَمْيِمَ لَيُصَبُّ عَلى رُؤُوسِهِمْ، فَيَنْفُذُ الْجُمْجُمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ».

أخرجه أحمد (٨٨٦٤) والترمذي (٢٥٨٢) وغيرهما بإسنادٍ ضعيف وتمام تخريجه في «المسند».

و«الحميم»: الماءُ الحار. و«السَّلْتُ»: القَطْعُ والاستئصال.

٤٢٢٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف:١٩]، قَالَ: كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ، سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ».

أَخرجه أَحمد (١١٦٧٢)، والترمذي (٢٥٨٤) وغيرهما بسندٍ ضعيف.

وعنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ كِثَفُ كُلِّ جِدَارٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

أخرجه أحمد (١١٢٣٤)، والترمذي (٢٥٨٤) وغيرهما وإسناده ضعيف كسابقه.

وعنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ دَلْواً مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيا، لَأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيا».

أخرجه أحمد (٢/١١٢٣٠) والترمذي (٢٥٨٧) وغيرهما وإسناده ضعيفٌ كسابقه.

المهل: الرصاص المذاب، أو الصُّفْرُ، أو الفضة، فكلُّ ما أذيب من هذه الإشياء، فهو مُهْلٌ، وقيل: المُهْلُ دُرْدِيُّ الزيت، وقيل: هو معنى عكر الزيت، وقيل: المُهل: الصديد الذي يسيل من جلود أهل النار.

وقوله: «فَرْوَة وجهه» يريد: جلدته، ويروى: قَرْقَرَةُ وجهه، أي: جلدةُ وجهه، والقَرْقَرُ من لباس النساء شبِّهت بشرة الوجه به. والسُّرادِقُ: كل ما أحاط بشيءٍ نحو المِضرَبِ والخِباء. يقال للحائط المشتمل على الشيء: سُرادق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف:٢٨].

وقوله: «كِثَفُ كلِّ جدارٍ»، أي: غلظَهُ.

٤٢٢٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ عَلى الأَرْضِ، لأَمَرَّتْ على أَهْلِ الدُّنْيا مَعِيشَتَهُمْ، وَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ غَيْرُهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه أحمد (٢٧٣٥)، وأبو داود الطيالسي (٢٦٣٤)، وصحَّحه ابن حبان (٧٤٧٠) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله: «لأَمرَّت» أي: جعلته مُرّاً.

٤٢٢٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ، وَالصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يَتَصَعَّدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفاً، ثُمَّ يَهْوِي فَهُوَ كَذٰلِكَ».

أخرجه أحمد (١١٧١٢)، والترمذي (٣١٦٤) بإسنادٍ ضعيف لضعف رِشْدين بن سعد، وأبي السَّمْح درَّاج.

وقال ابن عباس: الويل: المشقَّة من العذاب، وقيل: الويل الحُزن، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يا ويلتنا﴾ [الكهف:٤٩] دعاءٌ بالويل، والويل والوَيْلَةُ: الهلكةُ، وكلُّ من وقع في هَلكةٍ دعا بالويل.

٤٢٢٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: إنَّ الصَّعُودَ صَخْرَةٌ فِي جَهَنَّمَ إذَا وَضَعُوا أَيْدِيَهِمْ عَلَيْهَا ذَابَتْ، وَإذا رَفَعُوهَا عَادَتْ، اقْتِحَامُها: فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ.

إسناده ضعيف لضعف عطية العوْفي. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٢٨٣، ونسبه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، والطبراني وغيرهم.
«المَسْغَبَةُ»: المجاعة.

٤٢٢٧- عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ العَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَضْرَاضَةً مِثْلَ هٰذِهِ وَأَشَارَ إلَى مِثْلِ الجُمْجُمَة أُرْسِلَتْ مِنَ السَّماءِ إلَى الأَرْضِ وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئةِ سَنَةٍ لَبَلَغَتِ الأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّها أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ».

إسناده ضعيف، في سنده أبو السمح دراج وهو ضعيفاً. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٩٠ ـ زوائد نعيم)، وأحمد (٦٨٥٦)، والترمذي (٢٥٨٨)، وعندهم: رصاصة، وهي الحجر يكون بجوانب العين الجارية. والرضراضة مثلها.

٤٢٢٨- عن زكريا بن أبي مريم الخزاعي قال: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ البَاهِلِيَّ يَقُولُ: إنَّ مَا بَيْنَ شَفِيرِ جَهَنَّمَ إلَىٰ قَعْرِهَا مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفاً

مِنْ حَجَرٍ يَهْوِي، أَوْ قَالَ صَخْرَةٍ تَهْوِي كَعَشْرِ عُشَرَاوَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَىً لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: هَلْ تَحْتَ ذٰلِكَ شَيْءٌ يَا أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: نَعَمْ غَيٌّ وَآثَامٌ.

في سنده زكريا بن أبي مريم مجهول.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرّها شديدٌ، وإن قعرها بعيدٌ، وإن مقامَعها حديدٌ.

قوله: «عُشَراوات» هو جمع عُشَراء وهي التي مضى لحملها عشرةُ أشهر من النوق.

٤٢٢٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ يُعَظَّمُونَ لِتَمْتَلِىءَ مِنْهُمُ النَّارُ، وَلِيَذُوقُوا العَذَابَ.

إسنادُه صحيح.

وقد صحَّ عن أبي حازم، عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الكافر أو نابُ الكافر مثلُ أُحُد وغِلَظُ جلده مسيرةُ ثلاث» أخرجه مسلم (٢٨٥١)، والترمذي (٢٥٨٢) وغيرهما.

٤٢٣٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ».

هذا حديثٌ متَّفق على صحته أخرجه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).

«والمَنْكب»: مجتمع العَضْد والكتف. وإنَّما عُظِّم خَلْقُ الكافرِ في النارِ ليعظم عذابُه ويُضاعَفَ ألمه.

٤٢٣١- عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتَدْرِي مَا سَعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ مَا تَدْرِي إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ

أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفاً يَجْرِي فِيهَا أَوْدِيَةُ القَيْحِ وَالدَّمِ، قُلْتُ: أَنْهارٌ؟ قَالَ: لَا بَلْ أَوْدِيَةٌ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مَا سَعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ مَا تَدْرِي حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّها سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ».

إسناده صحيح، وأخرجه بطوله أبو نعيم في «الحلية» ٨/١٨٣، وروى الترمذي (٣٢٤١) المرفوع فقط وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

ويروى عن عبد الله بن عمرو: إنَّ جهنم لَتُضَيِّقُ على الكافر كتضييق الزُّجِّ في الرُّمح.

٤٢٣٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، قَالَ: تَشْوِيهِ النَّارُ، فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّىٰ تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّىٰ تَضْرِبَ سُرَّتَهُ».

هذا حديث ضعيفُ الإسناد لضعف أبي السَّمْح في روايته عن أبي الهيثم، وأخرجه الترمذي (٢٥٩٠).

٤٢٣٣- قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يُعَظَّمُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ مَسِيرَةَ سَبْعِ لَيَالٍ ضِرْسُهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَشِفَاهُهُمْ عِنْدَ سُرَرِهِمْ، سُودٌ زُرْقٌ حُبْنٌ مَقْبُوحُونَ.

قوله: «حُبْنٌ»: هو جمع الأحْبن وهو العظيم البطن، ويقال للذي به السقيُ: أحبنُ، وأمُّ حُبَيْنٍ دويبةٌ على خِلقة الحِرباء عريضة البطن.

٤٢٣٤- عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يَا أَيُّها النَّاسُ ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا، فَتَبَاكَوْا، فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُم فِي وُجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، فَتَسِيلَ الدِّمَاءُ، فَتَقْرَحَ العُيُونُ، فَلَوْ أَنَّ سُفُناً أُرْخِيَتْ فِيهَا لَجَرَتْ».

إسناده ضعيفٌ لضعف يزيد الرقاشي. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة البكاء» (٤٥).

٤٢٣٥- عن أبي هُريرة قال: كُنّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فقال النَّبيُّ ﷺ: «تَدْرونَ مَا هٰذا؟» قالَ: قُلْنَا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هٰذا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ في النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً، فهو يَهْوِي في النَّارِ الآن حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِها».

أخرجه مسلم (٢٨٤٤)

٤٢٣٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: إنَّ أَهْلَ النَّارِ يَدْعُونَ مَالِكاً فَلاَ يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَاماً، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]، قَالَ: هَانَتْ وَاللهِ دَعْوَتُهُمْ عَلَى مَالِكٍ وَعَلَى رَبِّ مَالِكٍ، ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ، فَيَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]، قَالَ: فَيَسْكُتُ عَنْهُمْ قَدْرَ الدُّنْيَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ ﴿اخْسَؤوا فِيهَا ولَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] قَالَ: فَواللهِ مَا نَبَسَ الْقَوْمُ بَعْدَهَا بِكَلِمَةٍ، وَمَا هُوَ إِلاَّ الزَّفِيرُ وَالشَّهِيقُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَشَبَّهَ أَصْوَاتَهُمْ بأَصْوَاتِ الحَمِيرِ أَوَّلُهَا زَفِيرٌ وَآخِرُهَا شَهِيقٌ.

رجاله ثقات، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما ذكره ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٢٦٨.

قال طاووس: بلغني أَنَّ النار لمَّا خُلِقَتْ طارت أفئدة الملائكة، فلمَّا خَلق آدم، سكنتْ.

بابُ

قولِ الله عز وجل:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] مَعْنَاهُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَأَحْتَمِلَهُ، لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَدَها أَنْ يَمْلأَهَا.

٤٢٣٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُها إلَى بَعْضٍ، وَلَا يَزَالُ فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِىءَ اللهُ خَلْقاً فَيُسْكِنَهُ فُضُولَ الْجَنَّةِ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صحته أخرجه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨).

قوله: «قَطْ قَطْ» أي: حسبي حسبي.

قوله: «يزوى»، أي: يُضَمُّ ويجمع.

٤٢٣٨- عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هٰذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فَقَالَتِ النارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ والْمُتَجَبِّرِينَ، وقَالَتِ الجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ. قَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: إنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي

أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُها، فَأَمَّا النَّارُ، فَلاَ تَمْتَلِىءُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ فِيهَا رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنالِكَ تَمْتَلِىءُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَداً، وَأَمَّا الجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِىءُ لَهَا خَلْقاً».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

قوله: «تحاجت الجنة والنار» قال النووي في «شرح مسلم» ٩/٢٠٥: هذا الحديثُ على ظاهره، وأنَّ الله تعالى جعل في النار والجنة تمييزاً تدركان به فتحاجتا، ولا يلزم منه أن يكون التمييز فيهما دائماً.

قوله: «قَطْ قَطْ»: حَسْب، وقوله: «إنما أنتِ رحمتي» سمَّى الجنة رحمة، لأن بها تظهر رحمة الله تعالى على خلقه كما قال: «أرحم بك من أشاء» وإلا فرحمة الله تعالى من صفاته التي لم يزل بها موصوفاً ليس لله سبحانه وتعالى صفةٌ حادثةٌ، ولا اسمٌ حادثٌ، فهو قديمٌ بجميع أسمائه وصفاته جلَّ جلاله، وتقدست أسماؤه.

والقَدمُ والرِّجلان المذكوران في هٰذا الحديث من صفات الله سبحانه وتعالى المنزه عن التكييف والتشبيه، وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة كاليد والإصبع، والعين والمجيء، والإتيان، فالإيمان بها فرْضٌ، والامتناع عن الخوض فيها واجبٌ، فالمهتدي من سلك فيها طريقَ التسليم، والخائضُ فيها زائغٌ، والمنكر مُعطِّلٌ، والمكيِّفُ مشبِّهٌ، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون عُلوّاً كبيراً ﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١].

سبحان ربِّنا ربِّ العزَّة عمَّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأميِّ وآله أجمعين.

تم بعون الله وتوفيقه تهذيب شرح السنة وكان الفراغ منه في الأول من شهر رجب سنة ١٤٢١هـ.

عمـــان

شعيب الأرنؤوط

الفهرس

الموضوع	الصفحة

كتاب الفضائل.................................... ٥

باب فضائل سيد الأولين والآخرين محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين وشمائله.................... ٥

باب أسماء النبي ﷺ.................................... ١٤

باب خاتم النبوة.................................... ١٧

باب صفة النبي ﷺ.................................... ١٨

باب شيبه وخضابه ﷺ.................................... ٢٣

باب طيب ريحه عليه السلام.................................... ٢٤

باب حسن خلقه ﷺ.................................... ٢٦

باب تواضعه ﷺ.................................... ٢٩

باب جوده ﷺ.................................... ٣٤

باب حيائه وقلة كلامه ﷺ.................................... ٣٦

باب شجاعته ﷺ.................................... ٣٧

باب تبسمه ﷺ.................................... ٣٨

باب اختياره أيسر الأمرين ﷺ.................................... ٣٨

باب جامع صفاته ﷺ.................................... ٣٩

باب علامات النبوة.................................... ٥٥

باب المبعث وبدء الوحي.................................... ٧١

باب دعائه ﷺ المشركين وصبره على أذاهم.................................... ٧٩

باب المعراج.................................... ٨٤

باب الهجرة.................................... ٩٤

الموضوع	الصفحة

باب الغزوات ١٠٧

باب غزوة بدر ١٠٨

باب غزوة بني النضير ١١٣

باب غزوة أحد ١١٤

باب قتل أهل بئر معونة ١١٨

باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ١٢٠

باب خروج النبي ﷺ إلى بني قريظة ١٢٤

باب غزوة ذات الرقاع ١٢٧

باب عمرة الحديبية بيعة الرضوان ١٢٨

باب غزوة ذي قرد ١٣٠

باب غزوة خيبر ١٣١

باب عمرة القضاء ١٣٤

باب غزوة مؤتة من أرض الشام ١٣٥

باب غزوة الفتح ١٣٧

باب غزوة حنين ١٣٩

باب حجة الوداع ١٤٣

باب في مرضه ووفاته ﷺ ١٤٥

باب تركة النبي ﷺ ١٥٣

باب عُمُرِهِ ﷺ ١٥٥

باب لأن يراني أحب إليه ١٥٦

كتاب فضائل الصحابة ١٥٧

باب مناقب قريش ١٥٧

الموضوع	الصفحة
باب أسلم وغفار	١٥٩
باب في بني تميم	١٦١
باب خير القرون	١٦١
باب فضل الصحابة رضي الله عنهم	١٦٢
باب فضائل أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان	١٦٧
باب في فضائل عمر بن الخطاب	١٧١
باب في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما	١٧٩
باب فضائل عثمان بن عفان	١٨٣
باب فضائل علي بن أبي طالب	١٨٨
باب ذكر إبراهيم بن النبي ﷺ	١٩٠
باب مناقب أهل الرسول ﷺ	١٩١
باب مناقب طلحة بن عبيد الله	١٩٣
باب مناقب الزبير بن العوام	١٩٤
باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري	١٩٥
باب مناقب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل	١٩٧
باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح	١٩٩
باب مناقب أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين ابني علي بن أبي طالب	٢٠٠
باب مناقب جعفر بن أبي طالب	٢٠٤
باب مناقب زيد بن حارثة وابنه أسامة حب رسول الله ﷺ	٢٠٧
باب مناقب عبد الله بن عباس بن عبد المطلب	٢٠٨

الموضوع	الصفحة

باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب.......... ٢٠٩

باب مناقب عبد الله بن مسعود.......... ٢١٠

باب مناقب بلال بن رباح.......... ٢١٣

باب مناقب عمار بن ياسر.......... ٢١٣

باب مناقب خديجة بنت خويلد.......... ٢١٤

باب مناقب فاطمة الزهراء.......... ٢١٦

باب مناقب عائشة بنت أبي بكر الصديق.......... ٢١٨

باب خير نساء ركبن الإبل نساء قريش.......... ٢٢١

باب فضل الأنصار.......... ٢٢٢

باب مناقب سعد بن معاذ الأنصاري.......... ٢٢٩

باب مناقب أبي بن كعب أبي المنذر الأنصاري الخزرجي.......... ٢٣١

باب مناقب خزيمة بن ثابت.......... ٢٣٥

باب مناقب أسيد بن حضير الأنصاري أبي يحيى الأشهلي
وعباد بن بشر الأنصاري الحارثي.......... ٢٣٥

باب مناقب أنس بن مالك.......... ٢٣٦

باب مناقب عبد الله بن سلام.......... ٢٣٧

باب مناقب البراء بن مالك.......... ٢٣٨

باب فضل فقراء المهاجرين.......... ٢٣٨

باب فضل من شهد بدراً، والحديبية.......... ٢٣٩

باب ذكر ثابت بن قيس بن شماس.......... ٢٤١

باب ذكر جليبيب.......... ٢٤١

الموضوع	الصفحة

باب مناقب سلمان الفارسي........................ ٢٤٣

باب ذكر أهل اليمن........................ ٢٤٤

باب ذكر أويس القرني........................ ٢٤٦

باب ذكر الشام........................ ٢٤٧

باب ظهور طائفة من هذه الأمة على من خالفهم ودعاء النبي ﷺ... ٢٥٠

باب فضل الله سبحانه وتعالى مع هذه الأمة........................ ٢٥٣

كتاب الرقاق........................ ٢٥٧

باب مثل الدنيا والآخرة........................ ٢٥٩

باب هوان الدنيا على الله سبحانه وتعالى........................ ٢٥٩

باب قصر الأمل........................ ٢٦١

باب التجافي عن الدنيا........................ ٢٦٣

باب القناعة بالقليل من الدنيا........................ ٢٦٨

باب ما يتقى من فتنة المال........................ ٢٧٣

باب فضل الفقراء........................ ٢٨٠

باب كيف كان عيش النبي ﷺ وعيش أصحابه........................ ٢٨٤

باب طول الأمل والحرص........................ ٢٩١

باب استحباب طول العمر للطاعة وتمني المال للخير........................ ٢٩٤

باب النظر إلى من هو أسفل منه........................ ٢٩٦

باب الدنيا سجن المؤمن........................ ٢٩٩

باب التوكل على الله عز وجل........................ ٣٠٠

باب الاجتناب عن الشهوات........................ ٣٠٥

الموضوع	الصفحة
باب حفظ اللسان	٣٠٩
باب ترك الإنسان ما لا يعنيه	٣١٤
باب الرياء والسمعة	٣١٥
باب من عمل لله فحمد عليه	٣١٨
باب من يريد الدنيا بعمله	٣٢٠
باب إماطة الأذى عن الطريق	٣٢٤
باب ثواب من عمل حسنة أو هم بها	٣٢٤
باب التقوى	٣٢٦
باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٢٧
باب وعيد من يأمر بالمعروف ولا يأتيه	٣٣٤
باب وعيد الظالم	٣٣٦
باب البكاء من خشية الله تعالى	٣٤٢
باب الخوف من الله عز وجل	٣٤٣
باب الرجاء وسعة رحمة الله عز وجل	٣٤٩
باب القصد في العمل والعلم بأن لا نجاة إلا برحمة الله تعالى	٣٥٨
باب تغير الناس وذهاب الصالحين	٣٦٠
باب الخوف والهلاك إذا كثر الخبث	٣٦٤
باب إذا هلكوا بالعذاب بعثوا على نياتهم	٣٦٦
باب فتنة الشيطان	٣٦٧
باب من التمس رضا الله	٣٧٣

الموضوع	الصفحة

كتاب الفتن ٣٧٤

باب الاعتزال في الفتنة ٣٨٦

باب أشراط الساعة ٣٨٨

باب ما يكون من كثرة المال والفتوح ٣٩٣

باب قتال الترك وقتال اليهود ٣٩٦

باب قتال الروم ٣٩٩

باب ما يكون من العلامات التي بين يدي الساعة ٤٠٠

باب الدجال لعنه الله ٤٠٤

حديث تميم الداري عن الدجال ٤١٥

باب ذكر ابن الصياد ٤١٨

باب نزول عيسى ابن مريم صلوات الله عليه ٤٢٥

باب المهدي ٤٢٧

باب كلام السباع ٤٢٩

باب لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ٤٣٠

باب طلوع الشمس من مغربها ٤٣٤

باب قول الله ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ ٤٣٦

باب النفخ في الصور ٤٣٩

باب قول الله عز وجل ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ ٤٤٢

باب قال الله تعالى ﴿إذا السماء كورت﴾ ٤٤٧

باب قول الله تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ ٤٤٧

باب كيف الحشر ٤٤٩

الموضوع	الصفحة

باب قول الله سبحانه ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ ٤٥٣
باب الحساب والقصاص ٤٥٥
باب من يدخل الجنة بغير حساب ٤٥٨
باب مفاداة المسلم ٤٥٩
باب قول الله عز وجل ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ ٤٦٠
باب شهادة الأعضاء ٤٦٣
باب شفاعة الرسول ﷺ ٤٦٨
باب الحوض وهو الكوثر ٤٧٨
باب آخر من يخرج من النار ٤٨١
باب ذبح الموت ٤٩٤
باب صفة الجنة وأهلها وما أعد الله للصالحين فيها ٤٩٦
باب رؤية الله عز وجل في الجنة ورضاه عنهم ٥١٤
باب صفة النار وأهلها نعوذ بالله منها ٥١٦
باب قول الله عز وجل: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ ٥٢٩